

أَلمقالُ الأَدَبي

عند محمد قطب من خلال كتاباته

جَمعاً وَدِراسةً

مؤلف :

شريف الله غفوري

أستاذ النقد و الأدب في قسم اللغة العربية/

جامعة تخار



المقال الأدبي

عند محمد قطب من خلال كتاباته

"جمعاً ودراسةً"

المؤلف

شريف الله غفوري

أستاذ النقد والأدب في قسم اللغة العربية / جامعة تخار

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٤٤ هـ- ٢٠٢٣م



بطاقة الكتاب

العنوان: **المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته**

المؤلف: أ. م. شريف الله غفوري

التنضيد والإخراج: الأستاذ الدكتور گل محمد باسل

المراجعة: عائشة أم عمران كوهيستاني

الطباعة: الطبعة الثانية: ٢٠٢٣م

الطبعة الأولى في السنة ٢٠٢١م

الناشر: نشر إحسان لطباعة والنشر

قياس الصفحة: 8,27 /11,69

عدد الصفحات: ٤٠٣

عدد النسخ: ١٠٠٠٠ نسخة

تصنيف الزينة الشرفية:٧/ BP٢٣٣

رقم المكتبة الوطنية- طهران: ٩١٦٩٨٢٣

رقم الإيداع: ٢٩٧/٤٨

رقم شابك: **978-622-326-068-1**



نشر إحسان لطباعة والنشر

نشر إحسان لطباعة والنشر- طهران-

٠٠٩٨٩٣٨٢٩٤٦٠٩٣

بسم الله الرحمن الرحيم

مقالات محمد قطب في دراسة نقدية تحليلية

الأستاذ الدكتور سامي علي المنصوري

جامعة البصرة- عراق

سبعينات القرن الماضي كانت ثورة الشباب وحمى القراءة تدفعنا إلى تلقف ما يتوافر من الكتب الأدبية والفكرية في مكتبات العراق والبصرة تحديدا، كانت الكتب الفكرية تتصارع في ما بينها لتصل إلى أيدي الشباب، الكتب الشيوعية والوجودية والدينية على حد سزاء، ولا تجد للقراءة مساحة محددة ولا توجيها معينا.

غير أنّ ثمة كتبا كانت تستهوينا لمزجها بين الفكر والعلم ومنها حددت أهدافا معينة وهي الدعوة إلى تجديد الخطاب الإسلامي ومنها كتب سيد قطب ومحمد قطب ومصطفى محمود وكانت تمثل امتدادا للأسلوب الذي يجمع العاطفة والفكر بأسلوب التأثير المباشر على العقل والعاطفة الذي وجدناه عند طه حسين والعقاد وبنت الشاطئ فضلا عن كتابات إسلامية أخرى لكتاب من شتى المذاهب والتوجيهات الأدبية .

وفي أسلوب سيد قطب تجد متعة التعبير الأدبي والنقد والفكر الذي يجمع السلاسة والبساطة والعمق والأسلوب المؤثر، والى جانبه يقف أخوه محمد قطب امتدادا له وثنائيا متكاملا في الموضوعات والأهداف الإسلامية والأدبية والفكرية . فقد شكّل الأخوان " سيد ومحمد " ثنائيا أدبيا وفكريا إسلاميا متميزا .

وكان الصراع بين السياسة والدين قائما على أشده في حومة الأفكار القومية والدعوة الإسلامية ، وفي عام ١٩٦٦م خيّم خبر إعدام "سيد قطب" على مجرى الأحداث وامتد تأثيره على الحركة الفكرية في السبعينات.

عرفنا في ذلك الوقت (التصوير الفني في القرآن)، (مشاهد القيامة في القرآن)، (التطور والثبات)، (معالم في الطريق)، (الإنسان بين المادية والإسلام) و (في ظلال القرآن).

إنّ الثنائي " سيد "و" محمد " قطب يتميزان معا في أسلوب يجمع العاطفة والفكر والتوجه الإسلامي ، ولأنّ مأساة "سيد قطب" أثرت على الأجواء العامة ، فقد توجهت الأنظار والأقلام للكتابة في شخصية " سيد قطب" وفكره وأدبه، ولا سّيما في بداياته الأدبية والنقدية لكونه أحد تلامذة العقاد ومدرسته في التحليل النقدي النفسي (ينظر مقالنا: منهج سيد قطب، في المجلة العربية الدولية للبحوث الخلاقة، المجلد الثالث العدد التاسع).

فقد حظي سيد قطب باهتمام الدارسين والنقاد ومنهم" رجاء النقاش" الذي أثنى عليه في كتابه " صفحات مطوية من أدبنا العربي المعاصر " وذكره " محمد مندور" و"غالي شكري" وغيرهم .

أما "محمد قطب" فلم ينل من الاهتمام ما ناله أخوه" سيد" ، ومن هنا شمّر الباحث "شريف الله غفوري" عن ساعديه في تتبع مقالاته الأدبية والفكرية، وتوجيهاتها في العقيدة والفكر والتأريخ والأدب والفن وتجديد الخطاب الإسلامي.

و حاول الباحث أن يفكك كتبه لتكون مقالاته محور بحثه ليكتب في أسلوبه ولغته ومضامين مقالاته معتمدا مصادر مختلفة في الأدب والنقد والأسلوب والفكر وتراجم الأشخاص، فضلا عن مؤلفات محمد قطب مبرزا أهم الموضوعات التي كتب فيها، وبناء المقالة من حيث العنوان والمقدمة والموضوع والخاتمة .

فكانت دراسته ذات منحى أكاديمي تحافظ على الاقتباسات والإحالات والتنظير لكل مبحث من خلال إيراد المقدمات والمداخل للفصول و العنوانات الفرعية التي استوعبت كل الجوانب التي خاض فيها قلم محمد قطب وأسهم في معالجة أهم قضايا العصر ومشكلاته الفكرية جامعا بين فكر العقيدة ومستجدات الحاضر الفكرية والسياسية والتاريخية والأدبية، مما شكلت ظاهرة تضاف إلى ظواهر التوجهات الكتابية عند أعلام عصره .

ولعل بدايات محمد قطب الأدبية تمثلت في النشر في أشهر المجلات المصرية ومن ثم السعودية ، فكانت لمجلة الرسالة حصة متميزة في نشر مقالات "محمد قطب" ومداخلاته ومنها المداخلة مع "عباس محمود العقاد" في موضوع المفاضلة بين الشعر و القصة ، وعلى اثر ذلك كتب العقاد ردا يفضل فيه الشعر على القصة ، وقد أصبحت هذه المداخلة ورد العقاد مادة مقال للناقد جابر عصفور نشره في أحد كتبه النقدية .

لقد حلل الباحث "شريف الله غفوري" مقالات محمد قطب تحليلا دقيقا متوخيا الدقة والتسلسل المعرفي بأسلوب يوازي أسلوب "محمد قطب" وبلغة أدبية نقدية تحليلية تؤكد تمكنه من البحث والدراسة والتحليل واستخلاص النتائج، والقدرة على استيعاب الموضوعات والمضي في جمع المقالات وتنسيقها وترتيبها ينم عن خطة علمية موضوعية ودراية بجوانب المعرفة ومصادرها المختلفة .

هذا الكتاب يعد ثمرة جهد وتتبع وتواصل يجعله أهم مصدر من مصادر دراسة هذه الشخصية الأدبية والفكرية التي تنتمي إلى بيت علم وفكر وجهاد وتضحية من أجل المبدأ.

رحم الله الأخوين لما قدماه من زاد ثقافي فكري ما يزال أثره ممتدا إلى الحاضر ويشكل ظاهرة في الكتابات الإسلامية .

هذا الكتاب يسد فراغا في المكتبة الإسلامية، والثناء على جهد الباحث لما قدمه من جهد وتحليل وإحاطة بموضوع بحثه يدعونا إلى إبداء بعض الملاحظات على الكتاب ليستفيد منها الباحث في الطبعة الثانية ومن هذه الملاحظات :

١- عنوان الكتاب (المقال الأدبي) ليس دقيقا فعادة ما توصف المقالة بحسب موضوعها وتوجيهاتها التاريخية أو الدينية أو الفلسفية ... والأستاذ محمد قطب تنحو مقالاته منحى فكريا، وصفة الأدبية تنصرف إلى الشعر والقصة والمقالة الأدبية والنقدية والواضح أن سيد قطب أقرب إلى الأدبية من أخيه محمد قطب.

فقد جمع سيد قطب مقالاته الأدبية في كتابه " كتب وشخصيات فضلا عن كتابه (النقد الأدبي) فهو أقرب إلى الأدبية من أخيه فضلا عن كونه شاعرا جمعت أشعاره في كتاب. وكتابه في ظلال القرآن يتسم بالأدبية وأسلوبه في معظم كتبه مثل التصوير الفني ومشاهد القرآن تنحو منحى أدبيا لذا لو كان عنوان الكتاب المقالة عند محمد قطب " يكون أدق وأشمل.

٢- ورود عبارة (جمعا ودراسة) في صفحة العنوان يشير إلى أنّ الباحث جمع مقالات محمد قطب وكأنها غير مجموعة من قبل في حين أن أغلب مقالات محمد قطب التي أحال عليها الباحث هي مجموعة في كتب ولم يخصص الباحث مساحة ليدلنا على المقالات التي جمعها لمحمد قطب ، ولذا أرى أنّ هذه العبارة زائدة.

٣- كان ثمة تكرار في المعلومات واستطراد وحذف الباحث ذلك كثر في قيمة الكتاب.

٤- أسلوب المؤلف ولغته تدل على تمكن الباحث من اللغة العربية لولا بعض الهنات النحوية واللغوية والطباعة التي لا تخفى على القارئ اللبيب.

وبالله التوفيق

تقرير على كتاب "المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته"

الأستاذ الدكتور فضل الله فضل الأحد
عميد كلية اللغة العربية وأستاذ البلاغة والنقد
الجامعة الإسلامية العالمية-إسلام آباد.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين أجمعين.

أما بعد: [قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ] (سورة يوسف: ١٠٨).

فمن المعلوم أن الله سبحانه وتعالى ميّز الإنسان عن بقية المخلوقات بميزة العلم والبيان كما قال الله تعالى: [الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ] (سورة الرحمن:١-٤) وقد جعل ربنا عزّ وجل نعمة تعليم القرآن والبيان من بين أعظم نعمه وأجزله.

ومن المعلوم لذلك أن الأمة الإسلامة اهتمت باللغة العربية وعلومها وآدابها اهتمامًا بالغًا منذ صدر الإسلام، وعدّته هدفا يراد به لذاته، لامجرد وسيلة لحمل الرسالة، وسارت الأمة على ذلك؛ فكان لها العزّ والتمكين، واستمرت هذه السلسلة الميمونة حتى هذا اليوم؛ لأن الاهتمام بها واجب ديني تعلمًا وتعليمًا، وقد صرّح العلماء بهذا. ومعرفتها الحقيقية تحمي من الوقوع في الشبه والتفرق والتحوّب، وهي شعار الإسلام وأهله. واللغات من أعظم شعائر الأمم التي يتميزون بها. وقوتها سبب لعزّ الإسلام والمسلمين، كما أنها من أقوى الروابط بين المسلمين، وهي خير وسيلة لعرض الثقافة الإسلامية.

انطلاقًا من هذه الحقائق فقد اهتم علماؤنا الأجلاء منذ بداية عصر صدر الإسلام اهتمامًا لا نظير له في حفظ اللغة العربية وعلومها وآدابها ونشرها في أرجاع المعمورة، وهناك سلسلة ذهبية من العلماء والمفكرين والأدباء والشعراء الذين خدموا اللغة العربية وعلومها قديمًا وحديثًا، ومن أشهر هؤلاء الأعلام في العصر الحديث الأستاذ محمد قطب -رحمه الله- الذي أسهم إسهامًا بارزًا في ميدان الأدب والثقافة الإسلامية. وقد ضحّى الأستاذ كل غال وثمين لأسلمة الأدب ونشر الفكر الإسلامي الأصيل يأخذون كل جديد ينفعهم الحديث النبوي الشريف (الحكمة ضالة المؤمن فأينما وحدها فهو أحق بها) ويواكبون العصر بكل جد واهتمام.

استخدم الأستاذ شريف الله غفوري لغة راقية، والكتاب يخلو من الأخطاء المطبعية والأسلوبية وهذا ليس ببعيد عن المؤلف وهو -أستاذ بقسم اللغة العربية في جامعة تخار- من خيرة الأساتذة علمًا ودقة وخبرة.

فجزاه الله خير الجزاء على ما قدّم من جهد جبار في إخراج الكتاب بهذه الصورة المناسبة وجعل الكتاب مفيدًا للقراء جميعًا.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

قراءة في كتاب
"المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته"جمعًا ودراسةً"
لأستاذ شريف الله غفوري

كتبها الدكتور حسام البطوش- المفرق- الأردن

شكل محمد قطب الأديب البارع قاعدة أدبية ضخمية، في أغلب مجالات الأدب من خلال مؤلفاته التي كانت بمثابة نبراس في ميدان الفكر، والثقافة، والدراسات الإسلامية؛ لذلك أثل الأستاذ شريف الله غفوري منهجًا لدراسة، ومناوشة هذا الفن بشقيه النظري والتطبيقي، من خلال إعداد مادة علمية للبحث في مقالات محمد قطب -رحمه الله تعالى- وأكثر النظر، والتأمل حتى وفقه الله للخروج بدراسة علمية فقد شكل نمطًا قرآنيًا خاصًا به وصوتًا نقديًّا متفردًا.

غفوري والمقال الأدبي:

يشعر المبحر في مؤلفات محمد قطب بأنه يجلس بين يدي إنسان ذي بصيرة وعزيمة، وأوضح المؤلف أن العصر الذي كان فيه محمد قطب، عصر متغيرات كانت أسسه قائمة على النهضة الفكرية الحديثة. وفي هذا السياق أوضح الكتاب في تنوير عنوانه "المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته"جمعا ودراسة"، وستة فصول: الفصل الأول: شخصية محمد قطب حياته وآثاره، الفصل الثاني: المقال في عصر محمد قطب واتجاهه الأدبي في مقالاته، الفصل الثالث: المقال عند محمد قطب والخصائص الموضوعية، الفصل الرابع: السمات الفنية في مقالات محمد قطب، الفصل الخامس: محمد قطب الكاتب بين الأصالة والتجديد، الفصل السادس: تحليل أفكاره في محتوى العمل الإسلامي.

ففي الفصل الأول: شخصية محمد قطب حياته وأثره، تحدّث المؤلف عن منهجه وأطباعه وسلوكه الفكري، واتخذ مسيرته لفهم كتاباته الأدبية، ومؤلفاته النقدية، وبحث عن العلاقة بين منشأ محمد قطب ومقالاته، ليكوّن صورة جلية؛ ليعبر المؤلف من خلالها إلى تحليل دقيق لفكر محمد قطب.

وفي الفصل الثاني: المقال في عصر محمد قطب واتجاهه الأدبي في مقالاته أوضح المؤلف في هذا الفصل أبرز التعريفات حول تعريف المقال الأدبي عند الأدباء وما دار حولها من نقاش ورجّح تعريف سيد قطب بقوله: "ويمكن أن يكون تعريف سيد قطب أقرب إلى الصواب". وبيّن أن المقال مرّ بمراحل متعددة عند محمد قطب نتيجة الحياة الثقافية والسياسية والاجتماعية والأهداف التربوية والمستويات الخطابية، واتجاهه في التنظير للأدب الإسلامي.

وفي الفصل الثالث: المقال عند محمد والخصائص الموضوعية، وظّف المؤلف مفاهيم محمد قطب القيمة حول الأدب والفن، وقسّم مقالاته تقسيمًا موضوعيًّا، ودفعها تحت العناوين الآتية:المقال الأدبي، والمقال الديني، والمقال الاجتماعي، والمقال التاريخي، ولامندرحة لنا من القول، إن غفوري خلل مقالات محمد قطب من خلال منهجا رصينًا، باستخراج الأمثلة، والشواهد المرتبطة، حيث قدّم أقواله التي ترتبط بموضوعات المقال لديه.

وفي الفصل الرابع: السمات الفنية في مقالات محمد قطب، تحقق السمات الفنية العامة لمقالات محمد قطب الغرض الأدبي، إذ استخدم الألفاظ المعبرة السهلة التي تصل إلى ذهن المتلقي، بسولة، وأوضح غفوري النواحي الفنية في رؤية محمد قطب الأدبية، و وقف عند نتاجه النثري، واقتبس بعض الشواهد من الكلام النيّر، وسلّط الضوء على صفة الكلام من حيث اللغة، والتركيب، والأسلوب، وقدّم الشواهد البلاغية في المعاني، والبيان والبديع.

وفي الفصل الخامس: محمد قطب الكاتب بين الأصالة والتجديد، أوضح المؤلف في هذا الفصل الأصالة والتجديد في كتابات محمد قطب، ومعالم الأصالة والتجديد في نتاجه، مستشهدا

بنماذج من كلامه. مبيّنًا الجوانب الإبداعية والسمات التي أبرزت أدب محمد قطب، والعوامل الخارجية التي نبع منها أدبه وركز حول النزعة الإسلامية لدى محمد قطب، وحرصه على بثّ الإسلام، والدعوة الإسلامية في أدبه ومؤلفاته.

تقرير عن كتاب "المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته" جمعًا ودراسة"

كتبه: الدكتور مأمون علي خلف الله حسن

المدينة القاهرة- مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلاةً وسلامًا وبركات على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا محمد الهادي إلى طريق مستقيم...

وبعد، فإنّ للكاتب الذي بين أيدينا يُمثّل علامة بارزة بين الكتب التي تناولت حياة الأديب الكبير الأستاذ محمد قطب –رحمه الله- ذلك الأديب الذي حمل على عاتقه أمانة الجهاد بالكلمة بوصفها أداة تغيير وتوجيه وتصحيح لمسارات قد اعوجّت إمّا بفعل عدوّ ظاهر، وإمّا بواسطة منافق مختلف.

ولعلّ ما قام به محمد قطب من جهاد أدبيّ – إن جازت الكلمة- يغري أي كاتب مسلم بتناول حياته وأعماله تناولًا يعكس غيرةُ على رجل من رجالات الأمة العظام، لاسيّما في عصر قد اشتدّت فيه غلى المسلمين وطأة أهل التغريب ودعاته ومن عاونهم من مسلمين فقدوا غير قليل من ثقافتهم الإسلامية وثوابتهم الدينية.

وقد بدأ الكتاب بداية موحيّة بتسلسل منطقيّ؛ فبدأ بالحديث عن حياة الأديب الراحل، مترجما لأهم محطات نشأته الأولى، وفي نفس الوقت متوقفًا لشرح ولتحليل آثار تلك المحطات الحياتيّة على ثقافة الأديب الكبير.

انتقل الكاتب بنا إلى مرحلة أخرى مثّلت نقطة انطلاق محمد قطب نحو التلاحم الجماهيريّ، تلك النقطة كانت بداية كتاباته الأدبية، مع التركيز على العناصر التي استقى

منها مخزونه المعرفيّ وقبلها مخزونه الدينيّ. كما لم يغفل المؤلف إبراز ما عاناه الأديب الكبير من مشاكل جُسام كانت مواجهتها أمرًا لا مفرَّ منه خاصة لمن جعل همّ الأمة فوق كل همّ.

ولا يتركنا الكاتب دون أن يغوص بنا في أعماق فنّ المقال؛ ليبرز لنا ذلك الفنّ من خلال عرض مكوناته وأنواعه، ثمّ ينقلنا إلى خصائص المقال عند محمد قطب؛ مبيّنًا مزاياه النفيّة والأسلوبية والبلاغية، وكذلك يتناول الكتاب تفرّد موضوعات المقال وتنوّعها عند محمد قطب، وهي كل ما سبق لم تخرج عن الهدف الأسمى الذي رسمه لنفسه أديبنا الراحل، ألا وهو خدمة الأمة والدفاع عن ثوابتها بواسطة المداد والقلم.

وفي لمحة مهمّة يعرض لنا هذا الكتاب الماتع الممتع الثراء المعرفيّ عند محمد قطب، ذلك من خلال امتلاكه ثقافة الأديب الأصيل الذي لا يغفل التجديد ولا يهاجمه شريطة اتساقه مع الموروث الثقافي الإسلاميّ؛ ما جعل أديبنا البارع يمتاز عن كثيرين ممن اتخذوا الأدب سلاحًا في وجه التغريب وأهله.

يأخذنا الكتاب من خلال فصله الأخير متناولًا عرض وتحليل أفكار الأديب الراحل ومنطلقات كتاباته، وهو في ذلك – أيّ الكتاب – غير غافل عن إلقاء الضوء على رؤية محمد قطب المستقبليّة حول الفكر الإسلامي والفلسفة الموصلة بتحقيق غايات الأديب وفق وجهة نظره.

والحقّ يقال: هذا الكتاب مرجعًا مهمًّا لا غنى عنه لمن أراد تناول حياة الأديب الكبير محمد قطب، لاسيّما حياته الأدبية ونضاله الفكريّ، وهو ما اتّضح جليًّا أثناء العرض الموجز لذلك الكتاب، ولا نطالب الكاتب بغير الاهتمام بتنسيق عرض المراجع أثناء الكتاب وفي مواضعها آخره، مع مراعاة علامات الترقيم أثناء الكتابة، بوضعها في مواضعها الصحيحة، إضافة إلى بعض الصياغات التي تحتاج تدقيقًا لغويًّا، وكلّ ما سبق من ملاحظات لا ينفي بأي وجه تمكّن الكاتب من عرض مادّة الكتاب عرضًا جيّدًا، مع التنبيه على أنّ النقص من صفات عمل ابن آدم وقد أبى

الله تعالى إلّا أن يكون كتابه فقط لا ريب فيه... نسأل الله تعالى أن يتقبل جهد المؤلف بقبول حسن وأن يجزل له المثوبة؛ إنه وليّ ذلك والقادر عليه.

قـراءة في كتـاب "المقـال الأدبي عنـد محمـد قطـب مـن خـلال كتاباتـه " جمعًـا ودراسةً" للأستاذ: شريف الله غفوري"

كتبه الدكتور: أحمد ربيع حسن سليم
حاصل على الدكتوراه في اللغة العربية- جامعة الزقازيق
عضو هيئة التدريس بجامعة خاتم المرسلين

بِسـمِ اللهِ الـرَّحمَنِ الـرَّحِيمِ، وبـهِ نَستعِينُ، وَصَـلِّ اللهُـمَّ وسـلِّم عـلَى سيِّدِ ولَـدِ آدَم وآلِهِ وصحبهِ أجمعِينَ، وبــــعدُ...

فَـإنَّ المَقالَـةَ الأدبيَّـةَ احتلَّـت مكانَـةً عظيمَـةً لَم تَكُـن لَهَـا إلَّا بِمُقارَنتِهَـا بِتلـكَ الَّتـي عُرِفَـت بالصِّـحَافِيَّةِ وَوُضِـعَتْ فِي مُقابَلَتِهَـا، وَبِتَعَـدُّدِ كُتَّابِهَـا تعـدَّدت أنـماطُ كِتابَتِهَـا ومُحتواهَـا، إلَّا أنَّهَـا ظَلَّـتْ مُحتَفِظَـةً بِتَقليـدِ كِتابَتِهَـا المـألُوفِ مِـن غـيرِ عَمْـدٍ مِن أحَدِهِم إلَى الزَّيغِ عنهُ.

وكـانَ لكـلِّ واحـدٍ مِـن كُتَّابِهَـا بصـمتُهُ وأثُـرُهُ الانطبـاعيُّ الَّـذي نَجـحَ فِي تَشكيلِ ذاتِـهِ مِـن خِلالِـهِ، ونُطـالِعُ ذِلـكِ فِي كثـيرٍ ممَّـا كَتَبَـهُ الرَّافعـيُّ، وطَـهُ حُسـينِ، والعقَّـاد... وغـيرِهِم مِـن أُدبـاءِ هـذا العَصرِـ تَحدِيـدًا، فَـإنَّ لِكـلِّ واحـدٍ مـنهم أهدافُـهُ الَّتـي سَـعَى مِـن خِـلالِ المقالَـةِ الأدبيَّـةِ إلَى تَحقِيقِهَـا بِأُسـلوبٍ مميَّـزٍ يَختَلَـفُ فِيــهِ عــنِ البقيَّــةِ، كَــالاختلافِ الَّــذي اســتطاعَ بَواسِــطَتِهِ البــارعُ مِــن الأدُبــاءِ والنَّقَـدَةِ أن يُفـرِّقَ بـينَ نَمـطِ مقالَـةِ هـذا العَصرِـ مُقارَنَـةً بَينَهَـا وبـينَ مقـالاتِ المنفلوطِي، والزَّيَّاتِ، وأحمد لطفِي السيِّدِ، ومحمد عبدُه –مَثَلًا-.

وَبإمعانٍ يَسيرٍ فِيمَا نَجحتِ المَقالَةُ الأدبيَّةُ فِي عَكسِهِ مِن تَطوَّراتِ الآدابِ علَى مَيادِينِ إنشائِهِ نَجدُ أنَّ محمد قطب ممَّن استطاعوا إعادَةَ تَشكيلِ هيكَلَةِ المَقالِ الأدَبيِّ بِما يتَّفقُ معَ سِماتِ عصرِهِ وأنواعِ الأدَبِ الشَّائعَةِ فيهِ انطلاقًا مِن نظَرَيَّةِ الانعكاسِ التَّأثُّريِّ، فقدَ تشكَّلَ وعيُ الكِتابَةِ المقاليَّةِ عندَ محمد قطب —بِحَسبِ الأستاذ شريف الله غفوري- مِن مَزيجِ الذَّاتيَّةِ والاعتدادِ بِالمَوروثِ، والمَوضَوعيَّةِ بِالاستمدادِ مِن الآدابِ الغربيَّةِ .

ذَلِكَ أنَّ شَريف الله غفوري لَم يَحِد عَن جَادَّةِ الصَّوابِ فِي تقريرِ هذا مُعوِّلًا علَى ما قرأهُ قراءةً نقديَّةً واعيةً فِي مقالاتِ محمد قطب مِن خلالِ برنامجٍ بحثيٍّ وصفيٍّ سارَ علَى منهجِهِ الذي شَرَعَهُ لِنفسِهِ مِن أوَّلِ الأمرِ إلَى خِتامِ الكِتابِ، لِيُعَيَّنَ بِهِ الكَيفيةِ الَّتي استعانَ بِهَا محمد قطب علَى كِتابَةِ المقالَةِ مِن حيثُ الصِّياغةِ، واللُّغةِ، والموضَوعاتِ، والأفكارِ، وقدَ نجحَ فِي تعليلِ أسبابِ استِقاءِ محمد قطب لِمادّةِ مقالَتِهِ باعتمادِهِ علَى أمثِلَةٍ بِعَينِهَا فِي القراءَةِ والنَّقدِ والتَّحليلِ كجمال الدِّين الأفغاني، ومحمد عبده، ورفاعة الطهطاويّ، وعبد الرحمن الكواكبي... وغيرِهِم.

وزادَ مِن تَوفيقِ شريف الله غفوري وضعُهُ للبحثِ تَحتَ فصولٍ ستَّةٍ اشتَمَل كلٌّ منهَا علَى عددٍ من المَباحثِ انطَوَى تحتَ كُلِّ مَبحثٍ عددٌ مِن المَطالِبِ بِحسبِ الحاجَةِ الدَّاعِيَةِ إلَى الوَضعِ، عَمِلَ مِن خلالِ العناوينِ الرَّئيسَةِ عَلَى تَهيئَةِ المُتلقِّي لِمَا سَيُطرَحُ عليهِ مِن موضوعاتِ البحثِ علَى التَّراتُبِ بِأسبقيَّةِ الحصولِ علَى المَعلومَةِ لَا سيما يَقتَضيهِ مقامُ البحثِ، وهذا

مِـن العُيـوبِ الَّتـي تُخِـلُّ بالقِيمَـةِ البَحثِيَّـةِ، جَنبًـا إِلَى جنـبٍ مَـعَ مَـا أحدَثَـهُ الباحـثُ فِي الفصـلِ السَّـادسِ مِـن خِطـإٍ لَا يَكـادُ يُلاحَـظُ إِلَّا مَـعَ التَّعَمُّـقِ فِي الغَـرَضِ الأصِـيلِ الَّـذي أنـتجَ الباحـثُ مِـن أجلِـهِ هـذا البحـثَ؛ فـتراهُ هُنـاكَ فِي هَـذَا الفصـلِ أتِـى بِـمَادَّةٍ تحـتَ عُنـوانِ تَحلِيـلِ أفكَـارِهِ فِي مُحتـوَى العَمَـلِ الإِسـلَاميِّ، ثـمَّ إنَّ مـا أنتجَـهُ تحـتَ هـذهِ التَّسـمِيَةِ مِـن المَطالِـبِ بعضُـهَا لا يتَّصـلُ بهَـا مِـن قريـبٍ أو بعيـدٍ، وبعضُـها لَا تَعلُّـقَ لـهُ بالمقالَـةِ الأدَبيَّـةِ لا بالأصـالَةِ ولا بالفرعيَّـةِ عنـدَ محمـد قطـب، كالحَـدِيثِ عـن الشِّـعرِ التَّعلِيمـيِّ -أهمِّيَـةً، ووظِيفَـةً- عنـدَهُ، واتِّجاهِـهِ مِـن النَّظمِ الشِّعريِّ إِلَى النَّثرِ، ودَورِ الشِّعرِ فِي حياتِهِ الوظيفيَّةِ.

ومَـا لَا ينبَغِـي تجَـاوُزُهُ هُنـا الكـلامُ عـلَى العُنـوانِ الَّـذي اختـارَهُ الباحـثُ لِكتابِـهِ أو بحثِـهِ -هـذا- فبـالنّظَرِ إِلَى مُوضـوعِ البَحـثِ لَسـنَا نَجِـدُ بُـدًّا مِـن وضـعِ عُنـوانٍ أكثَـرَ حصريَّةً مِـن هـذا الَّـذي اختـارَهُ لَـهُ؛ فَـإنَّ فِيـهِ مِـن الكشْـفِ والاتِّسـاعِ مَـا يجِـبُ أن يَكـونُ بِـهِ عَلَـمًا عـلَى موضـوعٍ أوسـعَ نِطاقًـا وأشـملَ تَجرِبـةً مِـن هـذا؛ إذ إنَّ كـلَّ مَقالَـةٍ مِـن مقـالاتِ محمـد قطـب الَّتـي تَنـاولَ شريـف الله غفـوري دِراسَـةَ بعضِـهَا لَا بِـمَا يتَّفِـقُ مـعَ مـنهجٍ مُعَـدٍّ بشـكلٍّ مُسـبقٍ لِتلـكَ الدِّراسـةِ تَنـاولَ بعضًـا مـن جوانِـب أهميَّـةٍ وتشـكُّلاتِ الماهيـةِ المقاليَّـةِ عنـدَ هـذا الرجـلِ، وكـانَ الأحـرَى تَحـتَ هـذا العنـوانِ أن يُفـرِدَ لكـلِّ مقالَـةٍ مِـن مقالاتِـهِ منهجًـا ونظريَّـةً تحليليَّـةً، ومَبحثًـا كـاملًا مُنفصِـلًا، ومَـا عـدَا ذلـكَ فالبحـثُ ذُو مَزِيَّـةٍ خاصَّـةٍ لَا يُمكـنُ أن

يَمـرَّ عـلَى آلَـةِ النَّاقـدِ الحصـيفِ مـرورًا كـريمًا مِـن غـيرِ أن يتوقَّـفَ عِنـدَ لُغـةِ الباحثِ، وطريقةِ عرضِهِ، ومنهجِ بحثِهِ الرَّائقِ .

والله ولي التوفيق

فهرس المحتويات

العناوين	الصفحات
تقديم الأستاذ الدكتور سامي علي المنصوري – جامعة البصرة- العراق	هـ
تقرير الأستاذ الدكتور فضل الله فضل الأحد- الجامعة الإسلامية- إسلام آباد	ط
تقرير الدكتور حسام البطوش- مدينة المفرق- الأردن	ك
تقرير الدكتور مأمون علي خلف الله حس- القاهرة- مصر	ن
تقرير الدكتور أحمد ربيع حسن سليم- القاهرة- مصر	خ
المقدمة	١
التمهيد	
محمد قطب وأحوال عصره	
أولًا: الحالة الاجتماعية	٥
ثانيًا: الحالة الثقافية	١١
ثالثًا: الحالة السياسية	١٣
الفصل الأول	
شخصية محمد قطب، حياته وآثاره	
المبحث الأول: حياة محمد قطب الاجتماعية والأدبية	١٩
المطلب الأول: نشأته في القرية	٢٠
المطلب الثاني: أسرته الأدبية	٢٥
المطلب الثالث: تكوينه العلمي	٢٧
المطلب الرابع: حياته العملي	٢٩
المطلب الخامس: حياته الزوجيّة	٣٣

المبحث الثاني: حياته الأدبية ٣٥
المطلب الأول: أدبه مرآةٌ لمأساته ٤٠
المطلب الثاني: سمات أدبه ٤٥
المطلب الثالث: خصائص كتاباته الفنية ٤٧
المبحث الثالث: جهوده الفكريّة: ٥١
المطلب الأول: وفاة محمد قطب في الحرم المكيّ ٦٢
المطلب الثاني: شهادات أهل الفكر والدعوة فيه ٦٣

الفصل الثاني

المقال في عصر محمد قطب واتجاهه الأدبي في مقالاته

المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره وأهميته ٦٨
المطلب الأول: نشأة المقال ٦٨
المطلب الثاني: تطور فن المقال في عصر محمد قطب ٨٠
المطلب الثالث: أهمّية المقال في عصر محمد قطب ٨٩
المطلب الرابع: أنواع المقال في عصر محمد قطب ٩٤
المطلب الخامس مراحل كتابة المقال لدى محمد قطب ١٠٤
المبحث الثاني: الإتجاه الأدبي في مقالات محمد قطب ١١٠
المطلب الأول: اتجاهه في التنظير للأدب الإسلامي ١١٢
المطلب الثاني: النظرية التربوية الإسلامية من خلال مقالاته ١١٧
المطلب الثالث: معالم الفكر الحضاري عند محمد قطب ١٣١

الفصل الثالث

المقال عند محمد قطب والخصائص الموضوعية

المبحث الأول: المقال الأدبي عند محمد قطب ١٤٦
المطلب الأول: قضايا الأدب عند محمد قطب من خلال مقالاته ١٤٧
المطلب الثاني: قضايا الفن والثقافة ١٥٧
المطلب الثالث: مفهوم الأدب والفن ووظيفتهما ١٦٢
المطلب الرابع: آراؤهُ النقدية على المذاهب الفكرية المعاصرة ١٦٧
المبحث الثاني: المقال الديني عند محمد قطب ١٧٦
المطلب الأول: مقالاته عن العقيدة ١٧٨
المطلب الثاني: مقالاته عن العبادات ١٨١
المطلب الثالث: مقالاته عن الصحوة الإسلامية ١٨٦
المطلب الرابع: مقالاته في المناسبة الدينية ١٨٨
المبحث الثالث: المقال الاجتماعي عند محمد قطب ١٩٠
المطلب الأول: المرافق والخدمات العامة ١٩١
المطلب الثاني: التربية والتعليم ١٩٦
المطلب الثالث: المبادئ والأخلاق والسلوك ٢٠٠
المطلب الرابع: المظاهر الاجتماعية وقضايا المرأة ٢٠٢
المبحث الرابع: المقال التاريخي عند محمد قطب ٢٠٦
المطلب الأول: إخراج الأساطير التاريخية من كتب التاريخ الإسلامي ٢٠٧
المطلب الثاني: تحقيق الروايات التاريخية التي تحكي لنا عن صدر الإسلام ١١٢
المطلب الثالث: التفسير السليم لأحداث التاريخ ٢١٥

الفصل الرابع

السمات الفنية في مقالات محمد قطب ٢٢٢
المبحث الأول: بنية المقال ٢٢٤
المطلب الأول: العنوان ٢٢٧
المطلب الثاني: المدخل ٢٣٥
المطلب الثالث: العرض ٢٤٠
المطلب الرابع: الخاتمة ٢٤٢
المبحث الثاني: حول الأفكار والمعاني ٢٤٦
المطلب الأول: ضوابط نقد المعنى ٢٤٧
المطلب الثاني: حول النقد الفكري ٢٤٧
المبحث الثالث: الظواهر الأسلوبية والبلاغية ٢٥٢
المطلب الأول: الألفاظ والأساليب في مقال محمد قطب ٢٥٣
المطلب الثاني: الصورة البيانية في مقال محمد قطب ٢٦٣
المطلب الثالث: المحسنات البديعية ٢٧١

الفصل الخامس

محمد قطب الكاتب بين الأصالة والتجديد

المبحث الأول: مفهوم الأصالة والتجديد ٢٨٤
المطلب الأول: تعريف الأصالة والتجديد ٢٨٤
المطلب الثاني: معالم الأصالة ٢٩٤
المبحث الثاني: عناصر الأصالة ٢٩٥
المطلب الأول: الثبات المنظم والحقيقي ٢٩٩
المطلب الثاني: العروبة الموروثة لا القومية العربية ٣٠٣

المطلب الثالث: نشاطاته الأدبية الأصيلة ٣٠٧
المطلب الرابع: الروافد الأدبية لدى الأستاذ محمد قطب ٣٠٨
المطلب الخامس: بيان حالة النفسية الأصيلة ٣١٨
المبحث الثالث:مظاهر التجديد ٣٢٢
المطلب الأول: أسلوب الذوق الأدبي ٣٢٣
المطلب الثاني: نظرية الفن الإسلامي ٣٢٨
المطلب الثالث: نظرية أسلمة العلوم ٣٣١
المطلب الرابع: إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على المنهج الإسلامي ٣٣٣
المطلب الخامس: دور ه في تصوير الواقع المعاصر وحلول قضايا الأمة ٣٣٧

الفصل السادس

اراءة مفاهيم جديدة عن الموضوعات المحدثة المعاصرة ٣٤٢
المبحث الأول: نظرياته حول الشعر وقيمته وتركه ٣٤٢
المطلب الأول: شعره وسيلة للترغيب في العلم وإيقاظ الشباب ٣٤٢
المطلب الثاني: القيمة الفنية للشعر التعليمي ٣٤٣
المطلب الثالث: رحلته من الشعر إلى النثر ٣٤٤
المبحث الثاني: نظرياته حول الفسلفة والتصور الإسلامي ٣٤٦
المطلب الأول: نظرياته حول مصطلح التصور الإسلامي ٣٤٦
المطلب الثاني: قيمة الفسلسفة والفكر الإسلامي ٣٥٥
المبحث الثالث: آماله حول المستقبل الإسلام و الأمة ٣٥٧
المطلب الأول: الغد المأمول وآمال مستقبل في كتاباته ٣٥٧
المطلب الثاني: ثمار المسيرة المباركة ٣٦١

المبحث الرابع: تركيزه على الأفكار والمعاني ٣٦٤
المطلب الأول: خطاب التغيير ٣٦٧
المطلب الثاني: مبدأ الحرية ٣٧٠
المطلب الثالث: فكرة الصراع ٣٧٢
خاتمة البحث (الجديد في البحث) ٣٧٧
نتائج البحث ٣٧٩
التوصيات والمقترحات ٣٨٣

فهرس المصادر والمراجع

المصادر ٣٨٥
والمراجع ٣٨٨
نبذة عن حياة المؤلف ٤٠٤

المقدمة:

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسله الذين اصطفى، وعلى خاتم النبيين المجتبى، محمد وآله وصحبه أئمة الهُدى، ومن اقتدى بهم فاهتدى.

خلق الله البشر لعبادته، وهذا يتطلب منهم الإسلام والانقياد لتعاليم الرسالة الخالدة التي تعتبر آخر الرسالات الناسخة و كل الرسالات السابقة.

ومن خصائص هذه الرسالة الخالدة أنها نزلت باللغة العربية الفصيحة؛ فالوصول إلى فهمها لا يمكن إلا بعد فهم العربية وإتقانها.

ومن ثمّ فإنَّ فهم اللغة وإتقانها أصبح أمراً هامّاً لكل من أراد أن يفهم الشريعة من ينابيعها الأصلية وهي القرآن و السنة. ومن المعلوم أن القرآن والسنة وردا بلغة عربية، آية في الفصاحة.

وأساس ما يصل به المرء إلى فهم اللغة- بأوسع نطاقه- هو دراسة أدب اللغة، ومعرفة مفرداتها، لذا نجد في تاريخنا المجيد أعلاماً وعباقرة وقفوا أعمارهم لخدمة اللغة العربية تعلّماً وتعليماً وحفظاً وتقعيداً فضلاً عن جمع مفرداتها من البوادي وأفواه العرب.

والهدف وراء جهودهم المُضْنية خدمة القرآن والسنة، كي يتيسر فهمها على كل من يدين بدين الإسلام من جميع أنحاء العالم.

ومن الذين خدموا الدين وتذوّقوا اللغة العربية وكتبوا فيها بلغة جميلة الأستاذ محمد قطب-رحمه الله- الأديب البارع والكاتب المبدع الناثر مصريّ المولد والنشأة الذي شمّر عن ساعد الجدّ لخدمة الدين الإسلامي الخالص، فهو رجل أمة عبر الأعوام الخمسة

والتسعين التي عاشها. حمل في ذهنه وعقله وقلبه هموم الأمة ومشاكلها وخاض معاركها الفكرية وعمل على نهضتها وأرقته مشاكلها وقضاياها.

لا مراء في أن الأستاذ محمد قطب كان أديباً بارعاً موهوباً رتع وتجوّل في أغلب مجالات الأدب، وقد خلّف لنا عدداً ضخماً من الكتب والمؤلفات والبحوث والمقالات في ميدان الفكر والثقافة والأدب والدراسات الإسلامية والقضايا الهامة التي تخصّ الأمة المسلمة.

وتتميز مقالاته بالخصائص الأدبية الرائعة فضلاً عن العمق في التفكير، كما تتميز بوضوح تامٍ منهجاً وأسلوباً، ولذا يعدّ من رواد الأدب الإسلامي، ومن أكبر الدعاة إلى تأصيل منهج الفن الإسلامي للغة العربية وآدابها، لأنه من الأدباء الموهوبين والمصلحين المخلصين.

وبذلك يحتل مكانة رفيعة الشأن في فن المقال في الأدب العربي الحديث الذي عالج فيه كثيراً من المشكلات الدينية و الاجتماعية و التاريخية بقَالَب أدبي رائع.

إن فن المقال في أدبنا الحديث يتألّف من عناصر الأصالة والتجديد جميعاً، ويؤلف بينها وبين طبيعة العصر الحديث و وسيلة الاتصال الصحفي بالجماهير. وخير ما قيل في تعريفه «إن المقال ما هو إلا تجربة عقلية و وجدانية يمرّ بها الكاتب ويتمثل خطوطها، ويعبّر عنها بأسلوبه الخاصّ الذي يحمل طابعه الشخصي، وهو قطعة نثرية لها هيكل يبدأ من فكرة معينة، ويظّل يشعر بالنهاية في كلّ من الأجزاء، إلى أن تكشف العبارة الأخيرة عن المضمون، وتبرز وجود العبارات السالفة وتلاحمها في البناء.»[1]

١ – فن المقال في ضوء النقد الأدبي للدكتور عبد اللطيف الحديدي، ص١٥، دار الطباعة، الرياض ط١، ١٤١٧هـ.

وقد دفعني البحث إلى ذلك، أن أتوجّه إلى هذا الفن خدمة لشقيه؛ النظري والتطبيقي، وأن للأستاذ محمد قطب عناية تامة في مجال الأدب والفكر الإسلامي المعاصر من منطلق التصور الإسلامي المضادّ لنظرية المعرفة الغربية، وهو يربط بين الأدب والجمال، وبين الفكر والواقع عبر مؤلفاته العديدة التي حاولت التعبير عن الواقع أيضا من منظور إسلامي، فلهذا إن كانت الدعوة حرفة الأستاذ محمد قطب، فإن الأدب وسيلته، ولقد مكنته قراءاتُه الكثيرة في الأدب بصفة عامة.

لأجل هذا رأيت أن شخصيتَه ذات إسهامات كبيرة في مجال الأدب والفن، ولم تَحفِل بدراسة تستحقها.

وقد قمت بإعداد المادة العلمية للبحث عن مقالات الأستاذ محمد قطب-رحمه الله تعالى- وأكثرت النظر والتأمل فيها، حتى تكشّف لي من الرأي والأفكار الجديرة بالدرس والبحث؛ أدركت حينئذٍ أنني وجدت ضالتي.

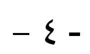
وفي النهاية أقول هذا جُهدُ المُقلّ واجتهادُ مَن يُتَوقَعُ خَطئَه قبل صَوابهْ، قد بذلتُ جهدي واستخدمتُ طاقاتي ووظفت قدرتي في سبيل هذه الدراسة المتواضعة، وحسبي أنني بذلت وُسعي والكمال لله وحده.

وأسأل الله عزّ وجلْ، أن يكونْ قد وُفقتُ في القصد! وأن أكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم وأن يتقبل مني بقبول حسن.

اللهم صل على نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

اللهم آمين

المؤلف



التمهيد

محمد قطب وأحوال عصره

أولًا: الحالة الاجتماعية

في تلك البيئة الاجتماعية التي هي أقرب ما تكون إلى السَّواد الأعظم من أبناء الأمة منها إلى الطبقات المتميّزة بالثراءِ والجاهِ والسلطان، نشأ الطفل الأريب محمد قطب، وفي حارةِ عائلة سليمة المُلتوية الحاجة، قضى مدة قصيرة من عمره في قرية الموشا في الصعيد.١

تربى محمد قطب في أسرة متدينة عريقة، جمعت بين الوجاهة الريفية والرقي العلمي، كانت في وقت من الأوقات متوسطة الثروة، وبعض أهل القرية يأتون إلى الأسرة، يحيطون بها للعون والمساعدة، والعمال القادمون للعمل في مزارع القرية يفضلون العمل في مزارع هذه الأسرة، ومؤظفو الدولة الذين يعملون في مزارعها، يترددون على الأسرة باستمرار، والحفلات والولائم الكبيرة التي تقام في المواسم ويتلى فيها القرآن، تتكرر عند الأسرة أكثر من مرة في السنة.٢

لقد قرأ محمد قطب القرآن على يد الشيخ أحمد مصطفى أبو الحسن المصري بمعهد القراءات بشبرا (معهد الخازندار) وهو المعهد التابع مباشرة لكلية اللغة العربية بالأزهر، أستاذه يعد واحد من حبات عقد الحُفاظ والقراء الكبار، وكف بصره حين كان عمره لم

---

١ – علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ج٢، دار الاعتصام، القاهرة، ط١، ١٩٨٦م، ص٢٧٥.

٢ – سيد قطب من الميلاد إلى الإستشهاد لعبد الفتاح صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٤، ١٩٩٤م، ص٣٢.

يتجاوز العامين، فكأن الأمر قد أتاه لقصْر حياته على تعلم القرآن وتعليمه، فاشتهر بين زملائه الصغار بقوة الحافظة والذكاء.

والده كان محبًا للعلم والمطالعة فهو يعتبر من مثقفي قريته المهتمين بالأمور العامة والخاصة فلهذا اعتصم محمد قطب بأدب خاص وتربية متميزة بعض التمييز – يحمي نفسه من الاندفاعِ في مسارب الحياة، أو غشيان بمجالات أخرى في الاجتماع مما كان أثرُهُ واضحاً في إعداده، وربما تحكّمَ في مُيوله ونَزَعاته في وقتٍ مبكر من شبابه، فقد ألف الصّورة التي كان يُدِلُّ بها على أقرانه بالأخذِ في مضمار المدنيّة الحديثة من حيثُ الدراسةُ الابتدائية والثانوية في القاهرة، حيث إن الأسرة استقرت هناك عند شقيقه سيد قطب، بعد وفاة والده– رحمه الله تعالى.

حيث يقول: «أحب أن أقرّ أنني أصبحتُ ولله الحمد أميّاً لا أقرأ ولا أكتب، وإنني أذكر أيامًا في صدر الشباب، كنتُ أخصص فيها عطلة الصيف للقراءة، وكنت أعتبر اليوم الذي يمرّ دون أن أقرأ فيه كتيبًا أو مائة صفحة على الأقل من كتاب كبير، يوماً ضائعاً من عمري، ولكني أصبحت اليوم لأسباب كثيرة –منها جامعة أم القرى– مشغولاً بحيث لا أكاد أقرأ ولا أكاد أكتب».[1]

ظل المجتمع المصري في انحصار نظام طبقاتي التي كان قائمًا على دعامتين من بداية النهضة؛ الأولى ريفية، والأخرى مدنية، وتُشكل الدعامة الأولى الغالبية العظمى من المجتمع المصري.

١ – راجع حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ص٥.

ذلك المجتمع الذي يشكل الغالبية هو مجتمع الكاتب محمد قطب، ومع التفاوت المحسوس من ريف إلى آخر من حيث نسبة الرقي والقرب من المدرسة أو البعد عنها إلاّ أن صناديد الرجال كانت قريبة من إحدى كبريات المدن شبه الريفية، وبمعرفة القيم التاريخية القديمة التي لم تجاوز حدود القرية إلاّ لمثلها نستطيع الوصول إلى أهمّ قيم ذلك الريف الكبير المترامي على أطراف النيل العظيم.

الريف مجتمع محافظ تغلب عليه بشكل عام صفات المجتمعات الشرقية المسلمة وبخاصة ما يتعلق بالعادات والتقاليد، ومع الانفتاح وآثار الاستعمار الفكرية والثقافية بدأ ذلك المجتمع يفقد شيئاً فشيئاً بعضاً من مقوماته التي لم يَدرْ في حسبانه أنه سيتنازل عنها يوماً ما.١

وأهم ما يميز تلك المجتمعات الريفية عن غيرها من المجتمعات التكاتف الاجتماعي بجميع أنواعه ودرجاته، فالأسرة لا تقوم إلاّ بأفرادها مجتمعين، وكل منهم يعرف ما له وما عليه، ولذا نجد أسرتين أو أكثر تحت سقف واحد يسودهم الإخاء والودّ. مع انتشار المصالح المادية في جميع طبقات المجتمع ظلت الصفات العربية الأصلية على ما هي عليه في الريف كالكرم والمروءة، فمع ضيق ذات اليد، ومع العناء الذي يكابده الريفيّ من أجل تحصل قوت يومه إلاّ أنه يجوع ولايقصر في واجب تفرضه عليه شهامته ومروءته.٢

---

١ - دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمحمد متولي، دار الثقافة، القاهرة، ط١، ١٩٨٥م، ص٥١٥.

٢ - المصدر السابق ص٥١٥-٥٢١.

وللحفاظ على العادات والتقاليد شأن عجيب، فكل شيء في حياتهم له عاداته وتقاليده؛ فالمولود منذ أن يرى النور تقام له طقوس وحفلات، وكذلك مناسبات الزواج ومراسم الجنازة، ومايكون عند العزم على الحج والعودة منه... عادات وتقاليد لا حصر لها ولا تنازل عنها، أما أعيادهم فلا تكاد تحصى، وأهمها عيدا الفطر والأضحى، يلي هذين أهميّة ما يُطلقون عليه عيد المولد النبوي، وعيد رأس السنة الهجرية والميلادية، وأعياد وطنية وأعياد وأعياد...١ ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن تقاليدهم الدينية الخاطئة اعتقاد بعضهم في زيارة القبور، وإقامتها في المسجد وذبح النذور لها، وبعض تلك العادات والمعتقدات يمثل «قيمة اجتماعية في الريف ذات تأثير كبير يصل إلى حدّ أن الأسرة تمنع نفسها القوت لتفي بالنذور...، ويصل الأمر في بعض القرى إلى حدّ عرض المرضى على أضرحة هؤلاء الأولياء، كما أن ذلك لا يمنع المرأة التي تخاصم زوجها من الذهاب إلى ضريح بعض الأولياء طلباً للرضى والمحبة».٢

والمسجد هو الملتقى الذي يفتقد فيه بعضهم بعضاً سائلين عن غائبهم ومرضاهم، وإن حدث خلاف فإمام المسجد مرجع لايحتاجون معه إلى تدخل جهات رسميّة.٣

تلك أهم مظاهر الحياة الريفية الهادئة التي ستطولها يد المدنية يوماً ما، لتتعرى من مظاهرها تدريجيّاً، وتنغمس في الحضارة شأنها شأن المدن.

---

١ - دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمحمد متولي ص٥١٥-٥٢١.

٢ - راجع دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمحمد متولي ص٥٢٢.

٣ - نفس المصدر ص٥٢٢.

المجتمع المدني، كأي مجتمع مدني ناهض نجد المجتمع المدني في مصر، يسعى دائباً إلى الرقي والتقدم وتطوير قدراته وإمكاناته في شتى مجالات الحياة بجد وإتقان بعيداً عن كل ما يعوقه عن تحقيق أهدافه، ولشدة انهماكه في تحقيق ذاته ضعفت صلته ببعض القيم، ومن ثَمَّ بدأت الصلات الأسرية في المجتمع المدني أضعف منها في المجتمع الريفي، ولم يعد للجوار أهمية تذكر، وأصبح التعاون مبنياً على تبادل المصالح، وفي ظل تلك التغيرات قلّت الأعياد وأصبح الاحتفال بما بقي منها بارداً، ولم يعد هناك ما يجمعهم خارج إطار العمل إلاّ ما كان في المقاهي للتسلية وإضاعة الوقت.١

وكانت عناية أصحاب مقاهي القاهرة بمقاهيهم كبيرة جداً، فقد كانوا يتأنقون في تأثيثها، ويملؤنها بشتى وسائل الترفية المتاحة، وكان أعداد مرتاديها يختلف حسب مافيها من وسائل الترفيه.

ولتأثير الانفتاح الغربي في المجتمع المصري تأثير مباشر في كثير من مظاهر الحياة؛ في الملبس والمسكن، حتى في التحية والمجاملة وطريقة الكلام، ومع ذلك بقيت فئات كثيرة محافظة على أصالة تُذكر، على أن الغالبية العظمى من ذلك المجتمع لم تنسلخ من أهم المقومات، وبخاصة الدينية والوطنية.٢

وللأزمات السياسية والحربية التي توالت على ذلك المجتمع أثر بارز في صنع روح نضالية أوجدت في المجتمع المصري الصبر والكفاح ومجابهة الأخطار، وفتحت له باباً

١ - المصدر السابق ص٥١٥-٥٢١.

٢ - دراسات في تاريخ مصر السياسي والاقتصادي والاجتماعي لمحمد متولي ص٥١٥-٥٢١.

للبحث عن طريق مؤدٍّ للوحدة والتكافل، فوضع يده في يد أخيه السوري مكوِّناً اتحاداً عام ١٩٥٨م دام ثلاثة أعوام.١

وعلى المستوى السياسي نلمس مساعي جليه سعت إلى تحقيق تنمية اجتماعية واقتصادية رفعت من مستوى الشعب المصري مدناً وأريافاً، فكان أول ما فكر فيه رجال ثورة ١٩٥٢م هو قانون الإصلاح الزراعي الذي دفع حركة الإنتاج خطوات إلى الأمام، ومن ذلك تشجيع الاستثمار الوطني الخاص، والفسح للاستثمار الأجنبي، وإقامة مشروع السد العالي الذي أتاح توسيع رقعة الأراضي الزراعية بما يواكب حركة تزايد السكان.

وقد يكشف الباحث من خلال ما مرّ من الكلام أن ذلك العصر كان عصر متغيرات، وإن كانت أسسه قائمة على النهضة الحديثة، كل شيء يتغير بتغير الزمان والرجال، التعليم والصحافة والتأليف و...إلخ، ولم يقف الأمر عند حدود التغير والتطور، إنما تجاوزه إلى البحث عن الجديد في كل مجال، فالتعليم مثلاً لم يعد خاصًا بطبقة دون طبقة، ولم تعد المدارس محصورة في المدن، ولم يعد التعليم العالي، ولا البعثات حكراً على أبناء الذوات، وأصبح من واجبات الحكومات الأولى العناية بالتعليم والفكر والنهوض بهما لأن فيهما نهوض الأمة. هذا بشكل عام، ولإيضاح أهم ملامح عصر الكاتب الاجتماعية والثقافية ينبغي الإلمام بالتعليم ومراحله، والدعوة وشروطها والكفاح ومصيره والصحف ومزاياها، ثم مانتج خلال ذلك من تيارات جديدة ذات عمق وانتشار، وفي ظل المتغيرات

---

١ - عبد الناصر والحرب العربية الباردة لمالكولم كير، تعريب عبدالرؤوف عمرو، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص٣٧.

والبحث عن الجديد ومحاولة التحرر من القيود تلت تلك انتقالات أبعد مدى مبتدئه بالشكل والمضمون والمحتوى.

ثانيًا: الحالة الثقافية

كان في مصر جامع الأزهر ذو التاريخ الإسلامي والعلمي والجهادي المعروف، وعمل الإنجليز على تحجيم دوره المؤثر، وتمّ إنشاء المدارس والجامعات المصرية وفق الطريقة الغربية للتعليم، من خلال أجيال أُوفدت للغرب وعادت بعقول غربية، ولم يسلم من ذلك إلاّ من ثبتهم الله على الحق أمثال الشهيد سيدقطب، وتولى هؤلاء العائدون تعليم الأجيال الناشئة وتوجيههم وفق أفكارهم وتصوراتهم الغربية، وعلى المناهج التعليمية الغربية الجديدة، فيما يُعرف بالتغريب أو الغزو الفكري، وقد تأثر الأستاذ محمد قطب بهذا الفكر الغربي في مجال دراسات النفس الإنسانية، وكانت له مواقف متعددة أبرزها ما كتبه حول نظرية فرويد وتأثر بها، يقول: «كنت في صغري شديد الإعجاب بفرويد إلى حد الفتنة ... وظللت على فتنتي عدة سنوات، أقرأ كل ما يصل إليّ من أقوال فرويد أو شروح تلاميذه المعجبين به.»١

وبعد دراسته الجامعية ثم دراسته للتربية وعلم النفس بتوسع واهتمام كبير، بدأ يتجه إلى الفكر الإسلامي، وكانت الدراسات في النفس الإنسانية هي مدخله إلى الإسلام، وإعادة الدراسات السابقة وفق التصور الإسلامي، فبدأ يغير من نظرته إلى فرويد ويتخذ منه موقف الناقد.٢

---

١ – الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١٠، ١٩٨٩م. ص٩.

٢ – نفس المصدر ص٧.

فترة الخمسينات والستينات كانت الأفكار الشيوعية والاشتراكية والليبرالية تجوب البلاد الإسلامية، وتسيطر على العديد من المحافل الإعلامية والثقافية والفكرية، وكانت نظرياتها تدرّس في الجامعات العربية والمعاهد العلمية على أنها الحقائق العلمية الدامغة التي لاينالها الريب والشك، في هذه الفترة قدّم محمد قطب مجموعة من الكتابات الرائدة آنذاك، في نقد هذه الأطروحات وبيان تهافتها معرفياً وعدم صلاحيتها للتطبيق في العالم العربي والإسلامي، ومن هذه الكتب: الإنسان بين المادية والإسلام، في النفس والمجتمع، شبهات حول الإسلام، معركة التقاليد، وكثير من الكتب تؤسس للفكر الإسلامى المعاصر من منطلق معرفي إسلامي مخالف لنظرية المعرفة الغربية، وهو ما يعرف بالتأصيل، أو أسلمة المعرفة.

كما أن الكثير من محاضراته تصب في نفس السياق، وفي إحدى محاضراته بعنوان "الآداب في خدمة الدعوة" يتحدث عن المناهج الدراسية التي تتناقض مع المنهج الإسلامي في التاريخ والأدب والاقتصاد، ويضرب لذلك مثالاً بأنه لّما كان تلميذاً في المدرسة، ثم مدرساً للصبيان، كان هناك تناقض بين منهجي الدين والتاريخ، في حصة الدين يقول له مدرس الدين إن فرعون ملعون لأنه استكبر على الله ورسوله، وفي حصة التاريخ يقال لنا الفرعون المجيد وتعدد لنا أمجاده، وبذلك يحير الطالب بما سمعه في درس الدين أو الأدب والتاريخ والاقتصاد.١

١ - الآداب في خدمة الدعوة لمحمد قطب. المكة المكرمة. محاضرة التي القيت في كلية الشريعة جامعة أم القرى٢٠٠٥م.

من ناحية ثانية، في تلك الفترة نشطت وانتشرت الطباعة والنشر الأدبي والصحفي، وظهرت المدارس والنظريات الأدبية والنقدية المختلفة، وبرز أدباء وكتاب وشعراء كبار أمثال العقاد والرافعي وطه حسين وغيرهم، وكان لسيد قطب وجوده الأدبي والنقدي الراسخ، وكذلك محمد قطب الذي تأثر بتلك الثورة الفكرية والأدبية، فكان له دوره في كتابة المقالات الصحفية والأدبية، والتي كانت انعكاساً للحالة السياسية السائدة، فالصحف المنتشرة تنتمي إلى أحزاب وتيارات سياسية وفكرية متعددة ومجاذبة، كان من بينها صحيفة الإخوان المسلمين الأسبوعية، وكان رئيس تحريرها سيد قطب، وكان محمد قطب يقوم بترجمة المقالات والتقارير التي يراد أن تنشر في الصحيفة، بحكم أنه درس الإنجليزية وآدابها.١

بعد دراسة المواقف والأحداث التي مرّ بها الأستاذ محمد قطب يتبين أنه قد تأثر بما حوله من نشاط أدبي وعلمي وثقافي وسياسي وإسلامي، وعاش مراحل حياته المتعددة بوعي وحضور، عاش هموم ومشكلات الأمة، وسخّر قلمه وعلمه للدفاع عن الأمة وهويتها من الضياع والذوبان في التيارات الفكرية المنحرفة.

ثالثًا: الحالة السياسية

يذكر محمد قطب أنه تأثر في حياته الأدبية والسياسية بثلاث شخصيات كان لها الأثر الكبير في توجيه فكره وتكوين شخصيته الأدبية والفكرية والدعوية؛ وهؤلاء الثلاثة هم: الأديب والمفكر والناقد عباس محمود العقاد رحمه الله تعالى، وخاله أحمد حسين الموشي

---

١ - سيد قطب الأديب الناقد والداعية المجاهد والمفكر المفسر الرائد" سلسلة أعلام المسلمين" لصلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، ص٤٠.

الأديب والشاعر والكاتب البارع والصحفي السياسي ثم شقيقه المفكر سيد قطب رحمهم الله تعالى جميعًا، غير أن أثر سيد قطب كان أكبر إلى حد "التقمص" والتماهي، حيث يقول عن هذا التأثير: «لقد عايشت أفكار سيد بكل اتجاهاته منذ تفتح ذهني للوعي، ولما بلغت المرحلة الثانوية جعل يشركني في مجالات تفكيره، ويتيح لي فرصة المناقشة لمختلف الموضوعات، ولذلك امتزجت أفكارنا وأرواحنا امتزاجًا كبيرًا، بالإضافة إلى علاقة الأخوة والنشأة في الأسرة الواحدة، وما يهيئه ذلك من تقارب وتجاوب» كما تظهر كتاباته أنه تأثر بكثير من العلماء والمصلحين في تاريخ الأمة قديمًا وحديثًا.

إلى جانب تأثره بهذه الشخصيات فقد كان لمرحلة السجن ومحنته وضخامة الابتلاءات التي ابتليت بها الدعوة الإسلامية في مصر، منها أثر كبير في مواقف الأستاذ محمد قطب ومنهجه في فهم الواقع ومكوناته وآليات التدافع والثبات على الحق، وكان لكل ذلك أثرٌ في صقل شخصيته وصبغها بصبغة الحق والصدق والوضوح، وطبعها بطابع المصلحين الكبار والدعاة الذين لا يشق لهم غبار...١

إن بداية تأثير محمد قطب بالأحداث السياسية بدأت في مرحلة مبكرة من حياته، بحكم علاقته بشقيقه سيد قطب وخاله أحمد حسين الموشي اللذين كان لهما أنشطة حزبية وسياسية وصحفية وأدبية.

الحديث عن الظروف السياسية بمصر في منتصف القرن العشرين يقودنا إلى ما تعرض له الإخوان المسلمون من ظلم رهيب على يد النظام الحاكم، وقد نُشرت العشرات

---

١ – شخصية العدد – محمد قطب: قطب الأمة الإسلامية الكبرى لطيب بن المختار الوزاني. موقع جريدة الحجة عدد ٤١٨، أبريل ٢٠١٣م.

من الكتب والدراسات التي تؤرخ لهذه المآسي، وكتب الكثيرون عن تجربتهم الشخصية، ولا تخلو أي من تلك الكتب أو الروايات من إفراد صفحات كثيرة للحديث عن عائلة قطب، وما لاقته من ظلم وتنكيل وقهرٍ، وأهمها مأساة إعدام سيد قطب الشقيق الأكبر للأستاذ محمد قطب، وهو ما أثرَّ بشكل كبير في مسيرة حياة الأستاذ محمد قطب، وقد عاصر محمد قطب هذه الأحداث منذ بداياتها مع النظام الملكي، وعن بداية تلك الأحداث يقول الأستاذ محمد قطب: «بدأت تلك الأحداث أولاً مع النظام الملكي منذ عودة أخيه سيد قطب سنة ١٩٥٠م، حيث شرع يكتب في الصحف مقالات سياسية لاذعة، كانت تعرضه باستمرار لخطر الاعتقال على ذمة التحقيق، وكانت هذه التجربة جديدة في حياة الأسرة من ناحيتين، أولهما: مواجهة الباطل وجهاً لوجهه، والثانية: هي تعرض حرية سيد قطب للمصادرة بين الحين والآخر، وهو ربّ الأسرة التي كان بالنسبة لها معتمدها في سائر شئونها الحيوية».١

وما أن انطلقت ثورة يوليو ١٩٥٢م حتى اصطدم القائمون عليها بأصحاب الاتجاه الإسلامي من "الإخوان" وعلى رأسهم سيد قطب الذي تأكدت صلته بالحركة بعد عودته من أمريكا.

ظلت الأحداث تتسارع حتى وقعت حادثة المنشية البكرية الشهيرة أكتوبر ١٩٥٤م، حيث اتهم عبد الناصر الجماعة بمحاولة اغتياله، فاعتقل على خلفية هذه الحادثة سيد قطب ومن معه من قادة وعناصر الحركة، وكان من بينهم شقيقه محمد قطب، وهو يعبر بقوله:

---

١ – علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢٧٩.

«كانت فتنة السجن الحربي بالغة الأثر في نفسي، إذ كانت أول تجربة من نوعها، وكانت من العنف والضراوة بحيث يمكن لي القول إنها غيرت نفسى تغييراً كاملاً...»١

أفرج عن محمد قطب بعد فترة غير طويلة، في حين حكم على سيد قطب بالسجن خمسة عشر سنة، وهي الفترة التي تمكن خلالها من كتابة "في ظلال القرآن" وقد أفرج عن سيد قطب بعفو صحي في مايو ١٩٦٥م، فأعيد سيد قطب إلى السجن مرة أخرى، وأعيد أيضاً شقيقه محمد قطب، وخلال هذه الأحداث تعرض آل قطب لحملة ضارية من التنكيل والتعذيب، فقتل "رفعت بكري شافع" شقيق عزمي بكري هما ابنا نفيسة قطب أثناء التعذيب، واعتقلت شقيقاته الثلاث، عذبت الشقيقة الصغرى ثمّ حكم عليها بالسجن عشر سنوات، وقد نال محمد قطب نصيبه من هذا الأذى –بحكم ارتباطه مع سيد قطب– حيث كان أول المعتقلين، وعذب في السجن تعذيبًا رهيبًا، حتى أشيع أنه قتل تحت تعذيب.٢

وقد طالت فترة اعتقاله حتى قضى في السجن ستّ سنوات، من ٣٠ يوليو١٩٦٥م إلى ١٧ أكتوبر ١٩٧١م، بينما أعدم سيد قطب وستة آخرون من قادة الإخوان، وتمّ تنفيذ الحكم سريعاً في فجر الأثنين ٢٩أغسطس ١٩٦٦م، وزادته المحنة إيمانًا وثباتًا، وفجع في السجن بإعدام شقيقه الأكبر، وقد ترك استشهاده جرحًا عميقًا في نفسه، لكنه صبر واحتسب.

---

١ – علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب نفس المرجع ص٢٨٠.

٢ – نفس المرجع ص ٥٩.

بالعودة لبدايات محمد قطب ونشأته نلحظ التأثير المحسوس للبيئة التي عاش فيها والتي امتازت بالبساطة والبعد عن ضوضاء المدن مما شكل لديه حسًا مرهفًا وتطرق عميقة للحياة بالإضافة إلى الجو العائلي المترابط الذي عاش فيه وعمق فيه روابط الأخوة والأسرة والتي كونت لديه نقطة ضعف لاحقًا حيث عانى كثيرًا من فقدهم، النقطة الأخرى تتعلق بالبيئة المتدينة التي عاش فيها والتي تركت أثرًا ملحوظًا في صقل شخصيته الدينية وعدم تأثره بالأفكار والمعتقدات الغربية، بالرغم من انحيازه لها في فترة من الفترات والمصائب التي مرّ بها والظلم والتنكيل الذي ذاقه في سبيل الدفاع عن أفكاره كان له الأثر البارز بعد توفيق الله في ثباته على طريق الحق والدعوة إليه.

الفصل الأول

شخصية محمد قطب، حياته وآثاره

المبحث الأول: حياة محمد قطب الاجتماعية والأدبية:

المطلب الأول: نشأته في القرية:

المطلب الثاني: أسرته الأدبية:

المطلب الثالث: تكوينه العلمي:

المطلب الرابع: حياته العملية:

المطلب الخامس: حياته الزوجيّة:

المبحث الثاني: حياته الأدبية:

المطلب الأول: أدبه مرآة لمأساته:

المطلب الثاني: سمات أدبه

المطلب الثالث: خصائص كتاباته الفنية

المبحث الثالث: جهوده الفكريّة:

المطلب الأول: وفاة محمد قطب في الحرم المكيّ:

المطلب الثاني: شهادات أهل الفكر والدعوة فيه:

الفصل الأول

شخصية محمد قطب،حياته وآثاره

المبحث الأول: حياة محمد قطب الاجتماعية والأدبية:

كنت أتمنى أن أكتب حول أديب من الأدباء في الأقطار العربية، لأنَّني علمت أنّ في حياة العظماء وفي ذكراهم فائدة كبيرة في كل زمان ومكان، وعندما وقع اختياري على أحد روّادهم، ففكرت وقلت في نفسي فخراً، أحسن العمل أن يكتب المرء عن رائد كالأستاذ محمد قطب -رحمه الله- ما وسعه الحديث، فالحديث عن هذا العِملاق في الفكر الإسلامي والداعية الكبير، يشرح الصدر ويغمر النفس بالفرح والسرور. وإنني مع عجزي وقصر باعي أغامر بنفسي في البحث عن تسلسل أفكار هذا العالم الفذ الإسلامي ومنهجه الإصلاحي في مجال الدعوة والتربية والأدب الإسلامي.

فبدأت الكتابة عن سيرته بإيجاز، لأن تضحية الأستاذ محمد قطب فى حياته، مشهورة ومعروفة عند الناس جميعاً، فلا حاجة إلى الإطالة بتكرارها في هذا المبحث، وإنما الغرض من ذلك ذكر نبذة عن حياته لا شك أن هناك حقائق تاريخيّة في مسيرة حياته، تساعدنا في تحقيق هذه الرسالة، عساي أن أظفر ببغيتي وإشباع رغبتي بعون الله تعالى.

ومن المعلوم أن منهجه مرآة صافية لطباعه وسلوكه الفكري؛ لذلك كان لزاماً عليّ أن أتخذ من سيرته وسيلة لفهم كتاباته الأدبية ومؤلفاته النقدية التي تُنيرُ بهذا سبيل الدراسة، وتُفسِّرُ الأدب بتعبيره الخاص، وتَرْبُط تلك الخواصّ بأصولها. بسبب هذا جاءت هذه

الرسالة عن حياته، لنأخذ نبذة عن حياته ولنبحث عن الصلة الوثيقة التي تكون بين سيرته ومقالاته التي تمثل تمثيلا دقيقاً لشخصيته الاجتماعية.

المطلب الأول: نشأته في القرية:

فشَرفت قرية موشا -إحدىٰ قرى محافظة أسيوط بصعيد مصر- بولادة محمد قطب إبراهيم حسن شاذلي، الشهير بـ(محمد قطب)١ في السنة ١٣٣٨هـ الموافق- ٢٦من أبريل السنة ١٩١٩م حيث قضى طفولته في هذه القرية، وانطبعت في مخيلته صورها ومشاهدها، وتأثرت نفسه بمناظرها وتفتحت مشاعره وأحاسيسه على جمالها وبهائها.٢ تلك القرية الزراعية التي تقع في الصعيد، وأكبرها من حيث المساحة وعدد السكان، وأجمل قرية على مستوى المحافظة ونالت جائزة القرية المثالية، وتُسمىٰ "قرية الشيخ عبدالفتاح" نسبة لأحد أوليائها ولها قيمة بارزة تظهر فيها، وكانت القرية شهيرة بالثراء والرقي والنظافة بالنسبة إلى القرىٰ المجاورة الأخرى.

ويعرفها الناس منذ القدم بأنها قرية العلم والعلماء وقرية طلاب العلم.٣ «بني فيها كثير من المعاهد التعليمية والدينية، ومعروف عن أهلها أنهم محبون للعلم والتعليم وقد أنجبت هذه القرية، كثيراً من العلماء ذوي الأثر في الحياة الاجتماعية والعلمية والدينية.»٤

---

١ - علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ج٢، ص٢٧٧، دار الاعتصام، مصر، ط١، ١٩٨٦م. وأيضا راجع "محمد قطب ... معالم وظلال" مجدى مصطفى، الجزيرة (www.Aljazeera.net)،٨ أبريل ٢٠١٤م.

٢- سلسلة أعلام المسلمين "الشيخ محمد قطب" لصلاح عبد الفتاح الخالدي ص٦٤، دار القلم دمشق، ٢٠٠٠م.

٣- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي ص٢٥، دار القلم دمشق، ط٢، ١٩٩٤م.

٤- الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته ص١٦، رسالة الماجستير قدمها أسامة عبد الرحمن جودة بالجامعة الإسلامية، غزة، فلسطين ،٢٠١١م.

ويقول محمد قطب متحدثاً عن قريته:«هي قرية مصرية تديَّنت منذ عشرة آلاف عام، وتقلبت على شتىٰ العقائد من فرعونية ومسيحية وإسلامية... قد بدأت في السنوات الأخيرة تلحد، وتعتنق فلسفة مادية في بعض الأحيان. وبدأت الروابط بين أهلها تتفكك، والأثرة الجافية تحلّ محلّ التعاون القلبي الودود»١

كتب الدكتور زكي مبارك٢ في وصف أسيوط في كتابه (رسالة الأديب): «كان أسيوط أقل الحواضر المصرية مسايرة للحياة الأدبية، ولولا الرعاية لحقّ هذه المدينة لقلت: إنها لا تعرف من مطبوعات القاهرة بعض ما تعرف دمشق أو بيروت أو بغداد؛ هل تتغير هذه الحال بإنشاء الجامعة الثالثة جامعة أسيوط؟ إن جلال الدين السيوطي٣ هو أشهر مَن مجَّدَ

---

١ - في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص٨٦،٨٧ دار الشروق، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

٢- زكي بن عبد السلام بن مبارك، ولد سنة ١٨٩١م في قرية (سنتريس) بمنوفية مصر، وتعلم في الأزهر، وأحرز لقب الدكتوراه في الآداب، من الجامعة المصرية، وأطلع على الأدب الفرنسي في فرنسا، واشتغل بالتدريس بمصر. ونشر مؤلفاته في فترات مختلفة. له نحو ثلاثين كتابا، منها (النثر الفني في القرن الرابع) و(البدائع) مقالات في الأدب والإصلاح، توفي بالقاهرة، ودفن = في سنتريس سنة ١٩٥٢م./ الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، ج٣ ص، ٤٨، دار العلم للملايين، ط٥، ٢٠٠٢م.

٣- هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (٨٤٩-٩١١هـ). وكان أبوه من سكان أسيوط و رحل إلى القاهرة، ومات فيها ونشأ في القاهرة يتيما وعمره خمس سنوات ولما بلغ أربعين سنة اعتزل الناس، وعاش منزويا عن أصحابه، فألف أكثر كتبه هناك، له نحو ٦٠٠ مصنف. ومن كتبه (الإتقان في علوم القرآن) و(الأشباه والنظائر) في العربية، و(تفسير الجلالين) و (الديباج على صحيح مسلم بن الحجاج) و(المزهر) في اللغة، و (مقامات) في الأدب./ الأعلام ج٣ ص٣٠٠.

اسم أسيوط في العهد الإسلامي، ولكنه لم يتخذ هذه المدينة دار مقام في حياته ولا بعد المات.» ١ كما قرأت جلال الدين السيوطي توفي في القاهرة و دفن فيها.٢

ولد محمد قطب لأبوين كريمين متوسطي الحال، يحملان سمات أهل الصعيد المصري من سُمرة في البَشَرة، وقسمات وجوههم تعكس بعض ما جُبلت عليه فطرتهم من غيرة على العرض وطيب متأصل في أعماق النفس، هذا فضلاً عن العاطفة الفيّاضة الجياشة التي تربطهم بشدة في هذا الدّين القويم.٣ كان أبوه إبراهيم قطب من المزارعين في تلك الناحية، لم يتجاوز في الدراسة المرحلة الابتدائية لكنه كان محبّاً للمطالعة ومهتمّاً بشأن العلم ممّا جعله من وُجهاء القرية وشخصياتها المهمة٤ ومن مميزاته « كان راشداً عاقلاً مشتركاً في صحيفة يومية، وعضواً في لجنة الحزب الوطني، عميداً لعائلته التي كانت ظاهرة الامتياز في القرية التي كان مكلفاً بحفظ اسمها ومركزها وكان رجلاً، قوياً، رزيناً، رحيماً، عطوفاً ليّن الجانب حيّ القلب، يبتعد في عمادته للعائلة عن التكبر والعجرفة التي كان يتسم بها عمداء الأسر الثرية في الأرياف.»٥

أمّا والدته فكانت تنحدر من أسرة عربيّة عريقة، شديدة التدّين، محبة للعلم والدين أنجبت خمسة أولاد: ابنين وثلاث بنات؛ وهم: نفيسة، وسيد وأمينة ومحمد وحميدة

١ - رسالة الأديب، للدكتور زكي مبارك ص٣٣٢.

٢ - الأعلام لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي ج٣ ص٣٠٢.

٣- سلسلة أعلام المسلمين"الشيخ محمد قطب" ص٣١.

٤- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢٧٧.

٥- سيد قطب حياته وأدبه لعبد الباقى محمد حسين ص١٨، دار الوفاء المنصورة، مصر، ط١، ١٩٨٦م.

﴿بترتيب الولادة﴾١ فلأجل هذا اهتمت بولديها (سيد قطب ومحمد قطب) حيث أرسلتهما إلى القاهرة -لتلقي التعليم الأساسي- عند أخيها أحمد حسين عثمان الذي امتاز بمواهبه الأدبية والقلمية، إذ كان شاعراً أديباً وقد اشتغل بالصحافة والسياسة؛ فأحرز شهرة في كلا الميدانين.٢

وقد كتب الدكتور يوسف القرضاوي في مقالة "الأمة الإسلامية تودع ... محمد قطب": «كان محمد قطب آخر عضو في أسرة إبراهيم قطب وهم أطياف أربعة: سيد ومحمد وأمينة وحميدة، كانوا كلهم من أصحاب القلم، ومن أهل النور والدعوة إلى الإسلام.»٣

إختلف الكتّاب في أصل أسرة قطب، فمنهم من قال بأنه مصري الأصل، لكن منهم أثبتوا أنه هنديّ الأصل واعتمدوا في ذلك على كلام سيد قطب نفسه: أنّ عائلة (قطب) قد جاءت من بلاد الحرمين، وقد أشار أبو الحسن الندوي٤ إلى أن جدّ سيد قطب السادس

١- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي، ص٤٠. وأيضا مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب للدكتور نُصير زرواق، ص٣٢، دار السلام القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

٢- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي، ص٤٠.

٣- الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية "محمد قطب" للدكتور يوسف القرضاوي، الموقع "الأمة أونلاين" (www.alamatonline.net) ١٨أبريل ٢٠١٤م وأيضا موقع إصلاح ويب (www.islahweb.net).

٤- أبو الحسن الحسيني الندوي ولد بقرية تكية، مديرية رائي بريلي، في الهند سنة ١٩١٣م. تعلم في دار العلوم (ندوة العلماء) بالهند، والتحق بمدرسة الشيخ أحمد علي في لاهور، حيث تخصص في علم التفسير والحديث، وقد شارك في عدد من المؤسسات والجمعيات الإسلامية، ومنها تأسس المجمع العلمي بالهند، وتأسس رابطة الأدب الإسلامي كما أنه تولى منصب رئاسة ندوة العلماء منذ عام ١٩٦١م وظل فيها حتى وفاته، وله كتابات وإسهامات عديدة، منها: موقف الإسلام من الحضارة الغربية، من روائع إقبال، نظرات في الأدب، من رجالات الدعوة،

كان هندياً وهو الفقير عبد الله١، لكن الأستاذ محمد قطب نفى ذلك وحمل كلام أبي الحسن الندوي على أنه تكلم من باب المجاملة.٢

وممن أشار إلى أصل أسرة قطب هو الدكتور عبدالله عزّام حيث يقول: «إنّ أصل الأستاذ سيد قطب (يعني أسرة قطب) هنديّ، أن حسينا -جده الرابع- قد هاجر من الهند إلى أرض الحرمين حيث البيت العتيق ومثوى المصطفى -صلى الله عليه وسلم- ثم هاجر إلى مصر، واستقرّ في هذه القرية المصرية».٣

ومما سبق أرى أنّه ليس هناك دليل مُرَجِّحٌ على أصله الهندي، وأن السحنة الهندية لقطب لاعلاقة لها بأصله حيث تبدو سحنة بعض الأقوام على وجوه الناس، ولا يمكن تفسير السحنة الباكستانية مثلاً على وجوه بعض الناس بأصلهم الباكستاني، وهو ما يُعبر عنه بالمقولة الشعبية "يخلق من الشبه أربعين".

ولا شك أن الأستاذ نشأ في أسرة مصرية متدينة بغضّ النظر عن أصلها ولا شك أيضا أنّ لأبويه أثر كبير في تنشئته، حيث تركا لمساتهما على كثير من جوانب شخصيته وغَرَسَا فيه

وتوفي في يوم الجمعة رمضان المبارك سنة ١٤٢٠هـ-١٩٩٩م./ المعجم الجامع في تراجم العلماء وطلبة العلم المعاصرين تأليف أعضاء ملتقى أهل الحديث،ج١ص٣٦.

١- راجع مذاكرات سائح في الشرق العربي لأبي الحسن الندوي بتعليق سيد عبد الماجد الغوري، ص١٦٨، ط ١ دار ابن كثير بيروت، ٢٠٠١م.

٢- سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد ص٣٠، قال له الأستاذ محمد قطب عندما قابله صلاح الخالدي في منزله في مكة المكرمة.

٣ - عملاق الفكر الإسلامي "الشهيد سيد قطب" للدكتور عبدالله عزام، ص١٠، ط١، مكتب خدمات المجاهدين بشاور، باكستان١٩٩٠م.

الإيمان والطُّهر والعَفاف.١ ولكن مع الأسف تُوفِّي أبوه بين ١٩٢٦م-١٩٢٨م، وقد كان ابن سبعة أو ثمانية سنوات، وتوفيت أمه أيضاً في سنة ١٩٤٠م وقد كان شابّا نحو إحدى وعشرين سنة، وتولاه شقيقه الشهيد سيد قطب.٢

المطلب الثاني: أسرته الأدبية:

برزت المواهب الأدبية للأخ الأكبر سيد قطب، فاتجه إلى الشعر والأدب، وسار على نهجه بقية إخوته: محمد وأمينة وحميدة، وكان سيد قطب هو الموجه والمربي والمعلم لباقي إخوته.٣

وقد اشتهرت أسرة قطب بالعلم والصلاح، قال الدكتور يوسف القرضاوي عن هذه الأسرة: «آل قطب كلهم برجالهم ونسائهم: أسرة أدب ودعوة، وثقافة وفكر، وقد كان موطنهم بالصعيد، فانتقلوا إلى القاهرة، ومن القاهرة انتقلوا بفكرهم ودعوتهم إلى العالم العربي، بل العالم الإسلامي، بل إلى كل العالم».٤

١- سيد قطب شهيد الحيّ للدكتور مصطفى الخالدي ص٣٠، مكتبة الأقصى، عمان، (بدون دور النشر) ١٩٨١م.

٢- سيد قطب حياته وأدبه لعبد الباقي محمد حسين ص ١٩٢.

٣ - "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين، أبريل ٢٠١٤م، ص١. (www.alamatonline.net)

٤ - المرجع نفسه.

وكان يناقش هو وأخوه موضوعات أدبية، ويتعرضون إلى بعض المشاكل الأدبية والنصوص المنشورة كما ذكرت الأخت الكريمة الشاعرة أمينة قطب في ديوانها "رسائل إلى شهيد"١، وكان القارئ يلتمس أثر الأدب في كتاباته التي امتازت بالجودة والوضوح.

قال سيد قطب في كتاب "الأطياف الأربعة": «وأحد هذه الأطياف تلك الفتاة الهادئة، إنها ساربة في الماضي لا تكاد منه تعود! إنها شاعرة، ثروتها من التصورات أجزل من ثروتها في التعبير. إنها مستغرقة في حلم: بالمستقبل الذي لا تملك، وبالماضي الذي لن يعود».٢

بينما قال عن أخيه محمد قطب: «وأحد هذه الأطياف ذلك الفتى الحائر، إنه دائم التجوال في دروب نفسه ومنحنياتها يفتش فيها ويتأملها، ولا يسأم التأمل والتفتيش، إنه يحلم في اليقظة، ويستيقظ في الأحلام!... ذلك الشاب الشارد، إنه عاشق المحال إنه يطلب ما لا يجد، ويسأم كل ما ينال وإنه -بعد ذلك كله- للوالد والأخ والصديق لأولئك الأطياف»٣

وقال عن أخته الصغيرة حميدة: «تلك الصبية الناشئة "حميدة"إنها موفوزة الحس أبداً، متفزعة من شبح مجهول إنها تعبد الحياة وتخشاها، إنها تتلفت في ذعر كلما تفرست في المجهول»٤

---

١ - رسائل إلى شهيد لأمينة قطب، عمان: دار الفرقان، ط٢، ١٩٨٦م، ص٧-١٤.

٢ - النكت "البريد الأدبي" بعنوان "الأطياف الأربعة" لمحمد قطب، مجلة الرسالة ع٦١٤ (أبريل ١٩٤٥م) ص٤٥.

٣ - النكت "البريد الأدبي" بعنوان "الأطياف الأربعة" لمحمد قطب، مجلة الرسالة ع٦١٤، ص٤٥.

٤ - نفس المصدر.

وكان هؤلاء الأربع يجلسون فيتدارسون العلم، وعندما التحق سيد قطب بالإخوان، وأُسند إليه الإشراف على جريدة "الإخوان المسلمون" نهض بها، وفتح صفحاتها أمام إخوته ليكتبوا فيها، فأثروا الصحيفة بكثير من المقالات، منها: مقالة (لا إله إلا الله) للأخت حميدة، كما نشر لها مقالات في مجلة "المسلمون".

وبعد أحداث ١٩٦٥م، وتعرض الأسرة للمحن الصعبة، واستشهاد سيد قطب، لم تنس الأسرة دورها في الأدب، بل اعتنوا به، فأصدرت حميدة قطب كتاب "رحلة في أحراش الليل" صدرت الطبعة الأولى عن دار الشروق عام ١٩٩٨م.

وكتبت قصة بعنوان"درس في الصغر"، وعندما رحلت أختها أمينة كتبت مقالاً جياشًا قالت فيه: «تفضلت مجلة "منبر الداعيات" الحبيبة إلى قلبنا فطلبت مني أن أكتب إليها نُبذة عن "أمينة قطب" شقيقتي.. شقيقة الدم وشقيقة الروح، التي غادرت دنيانا قبل أيام قلائل وذهبت، بعد رحلة شاقة في دار الشقاء، ندعو الله الرحمن الرحيم بعباده أن يجعلها في دار سعادة وجنة عرضها السموات والأرض»[1]

المطلب الثالث: تكوينه العلمي

تبدأ المرحلة التعلمية لدى محمد قطب بعد انتقال أسرته إلى القاهرة عند وفاة أبيه، واستمرّت الدراسة في مرحلتي الابتدائية والثانوية في القاهرة، حتى أتمّ المرحلتين الابتدائية

---

١ – دروس في الصغر لحميده قطب، ط١، بيروت: دار الشروق، (د.ت) ص١٠.

والثانوية، ثمّ التحق بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٦م.١ حيث درس بكلية اللغة الإنجليزية وآدابها، وتخرَّج فيها سنة ١٩٤٠م.٢

وكان راغباً في دراسة اللغة العربية لكنه درس الإنجليزية نزولاً علىٰ رغبة أخيه سيد قطب.٣ وفي نفس السنة، رحلت أمه عن هذه الدنيا وأصاب الحزن ولَدَيْها سيد قطب ومحمد قطب، فسافرا كلاهما إلى القاهرة. و التحق محمد قطب بمعهد التربية العالي للمعلمين فحصل على دبلومها في التربية وعلم النفس سنة ١٩٤١م.٤

حيث يحكي عن هذه المرحلة التي مرّت عليه فيقول: لقد مرت عليّ فترة من حياتي- وخاصة في أثناء الدراسة الجامعية وما بعدها- كنت فيها شغوفاً بالقراءة في شتى فروع المعرفة، لا يكاد يمرّ علي يوم دون أن أكون قد قرأت كتيباً صغيراً أو قسماً من كتاب كبير، وكان من بين فروع المعرفة التي أتناولها بالقراءة التاريخ عامة، والتاريخ الإسلامي بصفة خاصة، ثم إني عملت بعد تخرجي مباشرة أربع سنوات في التعليم في المرحلتين الابتدائية والإعدادية، قبل أن أنتقل إلى أعمال في مجالات أخرى، وعلى الرغم من أن تخصصي كان في اللغة الإنجليزية فقد كانوا يلزموننا في المدارس الابتدائية والإعدادية بتدريس مادة التاريخ، فدرّست للطلاب مادة التاريخ الإسلامي أربع سنوات إلى عام ١٩٤٥م.٥

---

١ - علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢٧٧.

٢ - الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته لأسامة عبد الرحمن جودة، ص٢١

٣ - سيد قطب حياته وأدبه ، ص١٩٢.

٤- سلسلة أعلام المسلمين "الشيخ محمد قطب" لصلاح عبد الفتاح الخالدي، ص٥٩.

٥ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص٨، دار الشروق بيروت، ط١، ١٩٩٢م.

بدأ الكتابة في هذه الفترة بكتابة المقالة والقصص والشعر. بعد أن توافرت معلوماته عن الكون والحياة والإنسان، واستمرّ بالكتابة وفيها اتّخذ موقف الناقد أحيانا، بقدر ما كانت تسمح له تجاربه في ذاك الحين، ونُشرت بعض مقالاته في مجلتي: الرسالة [1] والثقافة [2]؛ كمثل: الإنسان بين المادية والإسلام، ومنهج الفن الإسلامي، والأطياف الأربعة. [3]

المطلب الرابع: حياته العملي

عمل الأستاذ محمد قطب مدرساً في المدرسة الثانوية لمدة أربع سنوات ١٩٤٥م. وعمل بإدارة الترجمة بوزارة المعارف في مصر لمدة خمس سنوات حتى العام ١٩٥٠م. ثمّ عمل مدرساً مرة أخرى لمدة عامين حتى العام ١٩٥٢م. ثم عمل في دار الكتب المصرية حيث أصبح مشرفاً على مشروع (تأليف الكتب) الذي كان يقدم الكتاب بثمن زهيد، كان في هذا العمل حتى الربع من العام ١٩٥٤م. [4]

ظلت الأحداث تتسارع في بيئته،حتى حان وقت الثورة وبعد يوليو١٩٥٢م. اصطدم القائمون الثوريّون بأصحاب الاتجاه الإسلامي "الإخوان" وعلى رأسهم مفكر الجماعة سيد قطب الذي تأكدت صلته بالحركة بعد عودته من أمريكا، فكانت حالات مضطربة

---

١ – الرسالة (جريدة أسبوعية) أنشأها أحمد حسن الزيات بالقاهرة وهو كان رئيس تحريرها. صدرت أول مرة في سنة١٩٣٣م. وكان صدور الرسالة للأدباد والشعراء دور في نشر المعلومات فيها. عند ما احتجبت الرسالة في سنة ١٩٥٣م فسطّر الأدباء والشعراء خواطرهم حول ما نَشر احتجابها من البؤس والكآبة، في الجرايد آخر.

٢ – الثقافة (جريدة أسبوعية) أنشأها أحمد أمين في القاهرة و كان رئيس تحريرها. صدرت أول مرة في سنة ١٩٣٩م واحتجبت في سنة ١٩٥٢م.

٣ – سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد لصلاح عبد الفتاح الخالدي ص٤٦.

٤ – موسوعة أعلام الفكر العربي ص١٠٦، مكتبة مصر، القاهرة (بدون دور النشر) ٢٠٠٣م.

وأيام ضيقة، تمضي عليه، إلى أن دُعي محمد قطب أوائل ١٩٥٣م، ليشارك في تشكيل الهيئة التأسيسية للإخوان المسلمين ولم تمض أشهر من اشتراكه، حتى وقعت حادثة المنشية بالإسكندرية –المعروف– في أكتوبر عام ١٩٥٤م. (حيث اتهم جمال عبد الناصر الجماعة بمحاولة اغتياله) فاعتُقل على خلفية هذه الحادثة سيد قطب وشقيقه الأصغر محمد قطب حتى أفرج عن الشقيق بعد سبعة أشهر.١

اعتقل في عام ١٩٦٥م مع شقيقه مرة أخرى وظلّ في السجن حتى شهر أكتوبر ١٩٧١م.٢ وبعد خروجه من السجن سافر إلى المملكة العربية السعودية، حيث تعاقدت معه جامعة الملك عبد العزيز في مكة والتي تسمى حالياً جامعة أم القرى في مكة وعمل فيها أستاذاً في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة٣، أربعة عشر عاماً وبعد ذلك صار أستاذاً متفرغاً متجوّلاً حتى توفاه الله تعالى.

قامت الجامعة بإلغاء عقد الكبار في العمر من العلماء فيها، و كان منهم الأستاذ محمد قطب بسبب تجاوزه السن القانوني (خمسة وستون عاماً)، كان الأستاذ منذ ذلك الوقت مقيماً في بيته– لكن بيته بمكة المكرمة، الواقع على شارع صدقي بحيّ العزيزية٤ –منذ ذلك

---

١ – علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ج٢ ص٢٧٩.

٢– محمد قطب..خزانة الإسلاميين الفكرية لعلي عبد العال، الموقع "رابطة أدباء الشام" (www.odabasham.net) تاريخ ١/ ١١/ ٢٠٠٩م.

٣ – راجع سلسلة أعلام المسلمين "الشيخ محمد قطب" ص٥٩. نقلاً عن الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته، لأسامة عبد الرحمن جودة ص٢١.

٤– سيد مدينة الحاكمية.. أوراق محمد قطب، الحركة والتكوين لعبدالله الرشيد، صحيفة الشرق الأوسط، يوم الإثنين، ١٩ مايو، ٢٠١٤م.

الوقت يزوره من يريد، وينهل من علمه، ويتلقى من تربيته من يقصده. حتى أصيب بمرض جلطة دماغية فأغمي عليه بسببها في يوم الثلاثاء ١/ ٩/ ٢٠٠٩م ونُقل على إثرها لتلقي العلاج في مستشفى المركز الطبي الدولي بجدة في المملكة العربية السعودية.١

وظلّ الأستاذ يعاني من حين إلى آخر من أثر الجلطة الدماغية حتى زاد مرضه وتدهورت صحّته، وكان الدكتور يوسف القرضاوي يتصل به ليطمئنَّ عن أحواله حيث يقول في مقاله عن هذه الحادثة: «كنتُ على تواصل معه، ولما بلغني دخوله إلى المستشفى في شهر رمضان عام ١٤٣٣هـ المصادف عام٢٠١٢م إثر نوبة قلبية، اتصلتُ به واطمأننت على صحته، وبثثته حبي وتقديري ودعائي الخالص»٢

ولقد لقي ما لقي، وقاسى ما قاسى، في سبيل دعوته وفكرته؛ دخل السجن، وسُقِي المر، وتحمَّل الأذى، وتلقى نبأ قتل الظالمين أخاه سيد قطب صاحب (العدالة) و (الظلال) و (خصائص التصور الإسلامي ومقوماته)، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون.

كان محمد قطب آخر عضو في أسرة قطب إبراهيم، وكانوا كلهم من أصحاب القلم، ومن أهل النور والدعوة إلى الإسلام، وإنا لندعو الله أن يتقبلهم في الصالحين.

آل قطب كلهم برجالهم ونسائهم: أسرة أدب ودعوة، وثقافة وفكر، وقد كان موطنهم بالصعيد، فانتقلوا إلى القاهرة، ومن القاهرة انتقلوا بفكرهم ودعوتهم إلى العالم العربي، بل العالم الإسلامي، بل إلى كل العالم. وبدأ محمد قطب يوجه قلمه وفكره، ليكتب عن

---

١ - الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته ص١٧.

٢ - الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية "محمد قطب" للدكتور يوسف القرضاوي، الموقع "الأمة أونلاين" (www.alamatonline.net) ١٨أبريل ٢٠١٤م.

الإسلام. كان أول كتاب قدمه إلى عالَم المؤلفين هو: "الإنسان بين المادية والإسلام". فدّل على أصالةٍ في فكره، وتمكُّن في علمِه، ونبوغٍ في مواهبه.

واستمر تدفقه في عالم التأليف، يمتع المسلمين في بلاد العرب، والعالم الإسلامي، وعالم الغرب والشرق، بكتبه القيمة، التي تقدم البيّنات، وترد على الشبهات، وتقاوم الباطل، وتنشر الحق، فهو من الطائفة المنصورة، التي شهد لها محمد صلى الله عليه وسلم، بأنها التي تظل قائمة على الحق، لا يضرها من خالفها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهي التي قال الله فيها: [وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ] ﴿الأعراف: ١٨١﴾.

وما زال محمد قطب يحمل الراية، ويمد المكتبة الإسلامية بكتبه الإسلامية الكبيرة والمتوسطة والصغيرة، وكلها قذائف في وجه الباطل، وكواكب في سماء الحق، ويمد الجامعات بما يمد به شبابها من فقه وثقافة، حتى استقرَّ به المقام في مكة –حفظها الله– يدرِّس شبابها، ويهيئهم لحمل الماجستير والدكتوراه، وقد تتلمذ عليه كثيرون، ودانوا لفكره. وقد كنت، وكثيرون مثلي، ننتظر ظهور كتبه الجديدة، فنتلقفها لنقرأها وندرسها ونقتبس منها شمعة من السلام العالمي.

ولقد عشته سنوات طويلة منذ كتابته بالفعل. عشته خواطر متفرقة، وتأملات متشعبة في النفس والحياة. ولكنها لم تتبلور، ولم تأخذ صورتها النهائية، إلا في أثناء كتابة الكتاب! ولذلك أحسست وأنا أكتبه، أنني أجد نفسي! وأجد إسلامي واضح الصورة، مفصل القسمات!

ولقد كان مدخلي إليه هو دراسات قرآنية. وما زال هذا أوسع مداخل البحث لدي. فأنا أشعر دائمًا أن دراسات قرآنية هي القاعدة التي نبني عليها معرفتنا وتصوراتنا، في كل

ما يختص "بالإنسان" سواء كان أدبًا وفنًّا، أو تاريخًا، أو سياسة، أو اقتصادًا، أو اجتماعًا، أو تربية وعلم نفس.. وأننا لا نستطيع أن نخوض في هذه المجالات بغير تصور سليم، ودراسة وافية للنفس الإنسانية.

وأيًّا كان الرأي، فهذا هو المدخل الخاص الذي دخلت منه إلى الدراسة الموضوعية في هذا الكتاب، وفي كتب كثيرة تالية.. وما زلت مقتنعًا بأنه يمكننا التوصل إلى كثير من الحقائق عن هذا الطريق!.[1]

المطلب الخامس: حياته الزوجيّة

تزوج الأستاذ محمد قطب عام ١٩٧٥م وكان عمره حينئذٍ يناهز خمسة وخمسين سنة، بامرأة من أسرة دمشقية عريقة، تدعى أم أسامة. وأنجب منها ثلاثة أولاد؛ ابنان هما: *أسامة* الابن الأكبر و*عبد الرحمن* وابنته *آلاء* هي متخصصة في علم التاريخ.[2]

ترك الأستاذ محمد قطب تراثا فكريا ودعويا ضخما كما وكيفا قارب الأربعين كتابا عدا المحاضرات والدروس والبحوث والإشراف العلمي على الرسائل والأطاريح، وبذلك يمكن القول إنه طبع الفكر الإسلامي بطابع خاص وجديد فهمه وتجديدا وبعثا إلى الأمة، كم دُعي محمد قطب إلى محاضرات في بلاد شتى: في بلاد الخليج ومنها قطر، وفي بلاد العرب

١ – راجع للمزيد من المعلومات مقالة"العلامة القرضاوي ناعيًا الشيخ الراحل محمد قطب: الأمة تودع علامة الفكر والدعوة" المنشور في موقع بوابة الحرية والعدالة بمصر، بتاريخ / ٠٤/٠٨ / ٢٠١٤م.

٢ – "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م).www.alamatonline.net) ومقالة "العلامة المجاهد الأستاذ محمد قطب"، موقع: بوابة الحرية والعدالة بمصر، لمحمد بن لطفي الصبَّاغ (١٠أبريل ٢٠١٤م) ، و الذكريات للأستاذة حميدة قطب، مستند الفيديو حميدة قطب، (٢٠١٤م) في موقع: طرق الإسلام.

وغيرها، يستمع إليها العلماء والمفكرون والدعاة، ويستمع إليها المثقفون، والشباب والشابات خاصة، فتؤثر محاضراته في أفكارهم وتنورها، وتؤثر في عواطفهم وتوجهها، وتؤثر في عزائمهم وتحفزها. واستفاد منه الطلبة، واستفاد الجمهور، وسعد العلماء والدعاة والمهتمون بالشأن الإسلامي بالجلوس والمحادثة والمناقشة معه. ولا يمكن الحديث عن الفكر الإسلامي في القرن الخامس عشر الهجري وإغفال جهود هذا المفكر الإسلامي الكبير.

وبعض الشباب السعوديين الذين تخرجوا على يديه، وساروا على دربه، وحملوا فكره الحر، ودافعوا عنه، وجادلوا رجال المملكة، بما آمنوا به، وأشرف على بعض رسائلهم، ولا يعني إشرافه الموافقة على كل ما كتبوه، بل الطالب هو الذي يحمل مسؤولية ما سطره بقلمه، واختاره بفكره؛ ربما كان موقف هؤلاء الطلبة وتشددهم أحيانا، هو الذي خوف بعض العلماء على فكرهم التقليدي الموروث من محمد قطب وأمثاله، ولعل هذا هو الذي سول لبعض غلاة المشايخ والعلمانيين أن يطلب إبعاده عن المملكة.

وظلّ الأستاذ يعاني من مرض يتألمه عن حين إلى آخر من أثر الجلطة الدماغية حتى زاد مرضه وتدهورت صحّته، وكان الدكتور يوسف القرضاوي يتصل به ليطمئنَّ عن أحواله حيث يقول في مقاله عن هذه الحادثة: «كنتُ على تواصل معه، ولما بلغني دخوله إلى المستشفى في شهر رمضان عام ١٤٣٣هـ المصادف عام ٢٠١٢م إثر نوبة قلبية، اتصلتُ به واطمأننت على صحته، وبثثته حبي وتقديري ودعائي الخالص».[1]

---

١ - "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م).

على الرغم من أنه ليس من أبناء شبه الجزيرة العربية، تلك الأرض التي أعتز بحياته فيها إلا أنه عاش في صميم حياتها الأدبية، و وقف على كل مظاهر نشاطها الأدبي، وعرف كل ما يمثل هذا النشاط من عمله الدعوي وعمله الفكري، وكتب، وصحف، وأندية، ونحو ذلك، مما قد لا يتاح لغيره من أبناء البلاد العربية الأخرى.

المبحث الثاني: حياته الأدبية

غرس سيد قطب في شقيقه محبة الأدب وفنونه، حيث مارس محمد قطب كتابة الشعر منذ بداية اهتماماته الأدبية، وقد نشر بعض أشعاره في المجلات الأدبية المشهورة، مثل: الرسالة والثقافة والكتاب في الثلاثينات والأربعينات من عمره.

ومن الواضح أن محمد قطب يختلف عن شقيقه الأكبر بوضوح المعنى وتأصيل الفكرة بعمق يبتعد كثيراً عن الأسلوب الخطابي والكتابة البلاغية، كما يتضح في كتب محمد قطب أنه أكثر اطلاعا واهتماما بالفلسفة والأفكار الغربية، ويمتلك قدرة على تفنيد تلك الأفكار جيداً.[1]

هو يمتلك قدرة فائقة على زيادة الانتاج العلمى بكميات كبيرة في مجالات متعددة ولكن نشاطاته الأدبية لا تنحصر على ثلاثة كتب، بل أنه كتب مقالات عديدة في هذا المجال.

---

١ - "محمد قطب.. أمير التكفيريين سبق شقيقه على درب التطرف" لعبد الرحيم علي، موقع الإنترنيت: الشهاب، (أبريل ٢٠١٤). ص٢.

هو يتحدث عن مفهوم الشعر: «الشعر، هو تعبير جميل عن النفس الإنسانية في أصفى حالاتها»١ كما هو يقول: «كنت أعيش من قبلها في آفاق الأدب والشعر والمشاعر المهمومة٢، أعاني حيرة عميقة صورتها في الأبيات التالية من قصيدة جعلت عنوانها "ضلال":

ثمّ مرت بي دورات الليالي — وانطوى السحر الذي غشِ خيالي
فإذا بالحق في الكون بدا لي — وإذا الناس جميعاً في ضلالِ!
ما الذي يرجون في دنيا الزوال — أنا والوهم الذي يشغل بالي
في غدٍ نذهب في طيات هاتيك الرمال — ثمّ يمضي الكون في التيه المعمّى.لا يبالي٣

يقول حسين عبد الفتاح في وصفه «إنه يسحرك ويستهويك من أول جملة في المقدمة إلى آخر جملة في النهاية، أنه يرضي ذوق الأدب، وروح الشاعر، وعقل العالم ومنطق الفيلسوف هو بحث سيكلوجي، يعرض عليك النفس، في ثوب تحليلي رائع، وتعبير أدبي موسيقي بديع، وإنك لتجد فيه رشاقة الأسلوب وقوة التعبير والتحليل، وسلاسة المنطق وسلامته، والمعرفة بأسرار النفس وخفاياها، وطبيعة تكوينها، ورأى العلماء والأديان فيها، ومدى ارتباطها بالحياة، وارتباط الحياة بها»٤، كان محمد قطب منذ طفولته، وفي أيّام يفاعتهِ كالذي

١ - النكت"البريد الأدبي بعنوان" إلى الأستاذ العقاد"لمحمد قطب،(سبتمبر ١٩٤٥م). مجلة الرسالة ج٦٣٢/ ٤٧.

٢ - علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢/ ٢٨٠.

٣ - قصيدة "في التيه" كتاب منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، (١٩٨٣م)، ص١٠.

٤ - مقالة "الإنسان بين المادية والسلام، تأليف الأستاذ محمد قطب" لحسين عبد الفتاح سويفي، القاهرة: مجلة الرسالة (ماي١٩٥٢م)، ج٩٨٣/ ع ٩٨٣، ص٤٦.

يُحسُّ كأنَّ روحاً رفّافة تطيفُ به، فتوحي لهُ بالشعورِ المرهفِ، والإحساسِ البعيد المدى، أنّ له شأناً تُجلّيهِ فيهِ الأيّام وكان في آفاق الأدب والمشاعر المهمومة، لكن تُؤثر عليه الأزمات وأيضا كان كثير الانفراد والتأمّلِ، يألّفُ الوحدة ويبتعدُ عن الناس، ما لذّعهُ وداع أبيه وأمّه، وما صبا فيه الميل إلى الجمال الشعر، يقول: «فقد كنت في فترة من الفترات أقول الشعر، وقد ظللت اثنتي عشرة سنة أو تزيد، أقول في معنى واحد متكرر، كلما اتجهت إلى الكتابة وجدتني أكتب في نفس المعنى وإن اختلفت المشاعر المباشرة الدافعة إلى التعبير، كانت في نفسي "أزمة" كبيرة. أزمة الشعور بالضياع الكامل في الحياة»١

وهو في عفته وشبابيته، والتزامه بقيمِ دينهِ الحنيف، ونوازع وجدانهِ، ودواعي الصبوة عندَهُ، كاد يُخفقُ في الاتّجاه، ومن ذلك محاولتُهُ الأدبية –في أول أيامه- منظومةً جارى فيها "فرحة" وتكلّف لها حالةً من الوعظ لم ينَل فيها. في مثل قوله:

أحلى الأماني والمراحُ مراحُ حُـب ... قد فاض قلبي بالسعادة بعدجدب
وطفرت كالمرح اللعوبِ وأي لِعْب! ... عاد الشبابُ إليّ بعد طـويل شيب!
يا حب ليس سواك فكّ عِقال قـلبي ... أطلقتني حـــراً أشارف كل صـوب
لا مَنْ يعوق خطاي عن جَرْي ووثب ... هي ذي معي، وأنا أبوح بسـر حُبي
ما أجمل الحب السعيد وأنتِ قربي ... وجمال همس كالطيــور أوانَ أوْب
همس الحياة تحيطني من كل جنب ... وتحيطني وتحيط بالإعجاب حبِي
فرحانة هي بالغــرام يضـيء قـلبي ... إني أحبك يا سعـــاد وأي حـب!
حب تســامى فوق كل هوى محب ... حب يرفرف كالحنان المستحَـــب

١ – منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، (١٩٨٣م)، ص٩.

حب فـــريد لـــن تريه بغير قـلبي إني أتيه على الغـرام (بِنَوعٍ) حبي!
وأنا سعــيد أن أحـــب وأن تحـــبي سترين إعجابي بمن أهوى وعجبي
وسترشفين خلاصـــة من كـل ذوب ذوب الغرام وذوب تفكيري وقلبي
ذوب الحياة ممحضاً من كل شوب١

ثمّ إنه كالذي يتدارك في كلمةٍ يرسلُها عفوَ الخاطر على سجيته وقد خُيّلَ إليه إن «الشعر، هو الذي لايحلل القضايا والمشكلات، ولايعالج النفوس والأرواح، بل يُجسد الآلام والمآسي، في أنماط من الألفاظ الأنيقة والمعاني الجميلة، كل ذلك في أمانة من الأداء، وصدق في التعبير، وتحليق في آفاق رحبة من الشعور المطمئن، وأبعاد مستطيلة في أجواء الإلهام الفسيحة»٢

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد في مقالة نشرها في مجلة الرسالة بعنوان "الشعر والقصة" فيها يقول: نحن قد فضلنا الشعر على القصة في سياق الكلام عليهما من كتاب (في بيتي)، فكل ما قلناه إذن هو أن الشعر أنفس من القصة، وأن محصول خمسين صفحة من الشعر الرفيع أوفر من محصول هذه الصفحات من القصة الرفيعةفلا يقال لنا جواباً على ذلك إن القصة لازمة، وإن الشعر لا يغني عن القصة، وإن التطويل والتمهيد ضرورتان من ضرورات الشرح الذي لا حيلة فيه للرواة والقصاصين ويستطيع الأديب الأستاذ محمد قطب أن يقرر كما قرر في (الرسالة): «أن القصة دراسة نفسية لا غنى عنها في فهم سرائر

١ – قصيدة "فرحة" لمحمد قطب، مجلة الرسالة، (سبتمبر١٩٣٨م) ع٢٦٥ص٧٠.

٢ – مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م، ط١، ص٤٩١.

النفوس، وليس الشعر أو النقد أو البيان المنثور بمغن عنها، لأنها في ذاتها أحد العناصر التي يحتاج إليها القارئ»١

لا يستكمل الحديث عن خصائص الأستاذ محمد قطب إذا أغفل منها جانب الأدب، الذي يمكن القول بأنه مفتاح شخصيته، فهو أديب في مشاعره، وأديب في تفكيره، وأديب في فلسفته، وأديب في طريقة تناوله لكل ما ينشيء.. هذا إلى كونه شديد التركيز على أهمية الأدب في مخاطبة القراء والمستمعين، حتى تشعر، وأنه يطالعك بأفكاره في هذه الشؤون، أنه يعتبر الكلمة الجميلة، والعبارة البليغة، والصورة الموحية، هي الوسائل المفضلة التي عن طريقها يتوصل الداعية الإسلامي إلى التأثير المنشود في العقول والقلوب، ومن هنا كان سؤالنا التالي في نطاق الأدب يلاحظ أنكم كثيراً ما تركزون على ضرورة الالتزام بالتعبير غير المباشر، ومعلوم أن هذا ألصق بفن الشعر منه بالأدب العام، لأن الأدب هو كل تعبير جميل يؤدي إلى المراد بالأسلوب المناسب، فلكل من المباشر وغير المباشر مجاله الذي لا يغني فيه سواه.. فما رأيكم في هذا؟»٢

من المعلوم أن ألوان الأدب مختلفة، ولكل لون خصائصه المناسبة...وحين أتحدث عن التعبير غير المباشر فلا يمكن أن يتطرف ذهني إلى المقالة والبحث والدراسة والموعظة التي تلقى على الناس مباشرة بقصد التوجيه والتذكير، إنما أقصد بذلك الشعر والقصة بأنواعها والمسرحية.. ففي هذه الفنون يحسن دائماً أن يتوارى المؤلف، وأن يتوارى القصد المباشر،

١ – مقالة "الشعر والقصة" العقاد، عباس محمود، القاهرة: مجلة الرسالة (سبتمبر١٩٤٥م). ج٦٣٥، ع ٦٣٥، ص١.

٢– علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢/ ٢٨٥.

وأن يصل المؤلف إلى هدفه من خلال عرضه مشاهد حية، شعورية وفكرية، وحسية، يتصرف الناس فيها تصرفاتهم التي تتناسب مع مواقفهم المختلفة ومن خلال براعة العرض يتبين الموقف الصحيح، أو الذي ينبغي أن يتجه إليه الناس، وهي طريقة أكثر تأثيراً في هذه الفنون من التعبير المباشر الذي يفسد على القارئ أو المشاهد متعة المشاركة مع شخصيات القصة أو المسرحية، ومتعة استخلاص القصة بنفسه، والملحوظ أن الشعر والقصة والمسرحية إذا لجأت إلى التعبير المباشر تستوي مع الموعظة بكون تأثيرها يكون عابراً مؤقتاً ثم لا يلبث أن يخفت ويضيع.. في حين تظل مع التعبير غير المباشر مؤهلة للخلود.

المطلب الأول: أدبه مرآةٌ لمأساته

رغم كثرة المشاغل والتحديات المادية في عصرنا الحديث، ظهر أناس أعادوا للبشرية ذكرى حياة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فوجدنا عائلة قطب؛ الإخوة والأخوات وأبناء الأخوات، ضحوا جميعهم في سبيل دعوتهم، حيث الشقيق الأكبر سيد قطب، ثم محمد وأمينة وحميدة وأبناء الأخوات.. وكمال الدين سنانيري.. وما انتظروا أجرًا من أحد، وسارت على نهجهم عائلة مرسي، الأب والزوجة والأبناء حيث أن مصطفي مرسي، شعبان مرسي ومحمد مرسي وزوجته ضحوا جميعهم في سبيل دعوتهم.

وتميزت هذه العائلة بفهمها وجهادها وثباتها وتضحياتها، فقدمت الشهيد تلو الشهيد، فنال سيد قطب وابن شقيقته "بكري" الشهادة، وأوذي أخوه "محمد قطب" كثيرًا، ولم تسلم أختاه أمينة وحميدة من الأذى، فكانت بحق عائلة مباركة أنبتت ثمارًا طيبة، فتركت أثرًا طيبًا في مسيرة العمل الإسلامي.

نشأت عائلة "قطب" نشأة إيمانية فطرية في الصعيد في محافظة -أسيوط، وفي قرية موشا، وكان الأبوان صالحيْن، رب الأسرة هو الحاج قطب إبراهيم، وامرأته سيدة صالحة عابدة تقية، تحب سماع القرآن، وتكرم القرّاء الذين كان يدعوهم زوجها الحاج "قطب" إلى البيت لتلاوة القرآن وختمه فيه، وكانت تغرس هذا الحب في نفوس أبنائها.

أما الأب فقد كان معروفًا في القرية وما حولها، وكان أحد الوجهاء الكبار، ومن الحريصين على ارتياد المساجد وأداء الشعائر.

قليل من الناس يتمتع بإحساس راق مهذب، ينفعل انفعالا قويًا حينما يشاهد جمال البيئة أو يتأمل أسرارها، وهذا الإحساس السامي لا يصلون إليه بكثرة القراءة والاطلاع، ولا من كثرة الحفظ والاستظهار وإنما يأتيهم من تدريب احساساتهم وتمرينها على التأثر بحوادث البيئة والتأمل فيما يغمرها من أسرار، الشعر عند الشاعر صورة مخترعة يخلقها الشاعر بقوة خياله، والوزن عنده شيء إضافي يلحق بالصورة حين يتم خلقها في قلب الشاعر.فلهذا قال بعض الأدباء: إن الأدب مرآة للحياة، وربما صدقوا في جانب من هذا القول؛ لأننا لن نطلب من الأديب أن يؤرخ لحياته ومجتمعه في أدبه، ولكن متناثرات هذه الحياة في الأدب والإبداع تساعدنا في الكشف عن عناصر الغياب أو الرموز التي هي عماد من أعمدة الاستمتاع بالعمل الأدبي؛ سواء كانت حكاية أو رواية أو قصة قصيرة، أو غير ذلك من أجناس الإبداع، وهذا الأمر في الشعر له أهميته الخاصة لما للشعر من سمات إذا فقده فقد الكثير، مثل: التصوير والتكثيف والرمز، وغير ذلك من الأدوات الفنية الخاصة بجنس الشعر، ومحمد قطب لا ينفصل أدبه عن أحداث حياته، لكن هذه الأحداث في شعره لا تتراءى صورًا تسجيلية متتابعة، بل هي بمثابة الوقود الذي يؤجج المشاعر، فتفيض

بما أراد الله له أن تفيض به من إبداع، ولا تدعيب لأن الشاعر "محمد قطب" بلغ منازل الشعراء المفلقين أو النابغين الملهمين في الشعر، بل تعتبر قصائده التي كتبها تعبيرًا عن مشاعره التي ظهرت في صورة قول منظوم.

و أعاني من حيرة عميقة صورتها في الأبيات التالية من قصيدة جعلت عنوانها "ضلال" يقول في مطلعها: ثـمّ مـرت بـي دورات الـليالي**** وانطوى السحر الذي غشِ خيالي١.

كانت هذه الكلمات، ومن حقه أن ترى شعره كما شاء، ومن حقنا كذلك أن نتحدث عن هذا الشعر من وجهة نظرنا كوننا نجتهد في تقييمه وبيان مثاله أو جمال شعره، ونلحظ أنه يدور في أكثره حول موضوع واحد أو إنسان واحد، وإن ذكرنا أنها ضحت من أجله بالكثير ولاسيما سنوات انتظارها له.٢

هكذا يمكننا أن نقتبس من قصائده المتنوعة، والذي يدور حول مصائبه كاعتقال أخواته ومعاناته في السجن وأقرانه، وصبرهم على الإيذاء والتعذيب، والصراخ عند الله تعالى والزجيج على الظالمين المتجبرين الذين لا يعرفون للإنسان أي قيمة وينتهكون كرامته، ونلحظ أنها لا تستسلم أبدًا لليأس أو القنوط من رحمة الله؛ لأنها ترى في استشهاد أخيه مكسبًا يتمنى أن تنال مثله، وترى في ذلك قربانًا من أجل دعوة الله، وضريبة يجب دفعها حتى تشرق شمس الحرية، إن استشهاد أخيه لا يمثل قضية ذاتية فقط؛ لأنه هو الذي فقده، وقلبه هو الذي يحترق، لم يكن الأمر كذلك دائمًا، بل استشهاد ابن اخته رفعت بكري

١- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣م ط٦، ص١٠.

٢- نفس المصدر ص٩.

شافع هو قضية أخرى؛ لأنه مات من أجل هذه الأمة تمامًا، مثلما استشهد زوج اخته الشهيد "كمال الدين السنانيري" من بعد، ومثلما استشهد الكثيرون من إخوانه في عهد مظلم متجبر.

وكانت القصة كالتالي: اتخذ محمد قطب موقفًا معارضًا لأنظمة الحكم في بلده سواء إن كان العهد الملكي أو الحكم الناصري الذي تميزت مرحلته بالعنف ضد حركة الإخوان المسلمين التي شاركت في ثورة الضباط الأحرار ١٩٥٢م، لكن سرعان ما قلب عليها عبد الناصر ظهر المجن، وبسبب هذه المواقف أدخل السجن الحربي سنة ١٩٥٤م، وذاق من التعذيب والقساوة ما ترك أثرا قويا في شخصيته ومواقفه، ورغم الإفراج عنه فقد حكم على أخيه سيد بخمسة عشر سنة (مدة كتابة السيد تفسيره في ظلال القرآن) مما جعل محمد قطب يتحمل محنة السجن وإن كان خارجه، ثم في الحملة التي شنها من جديد نظام جمال عبد الناصر سنة ١٩٦٥م أعيد محمد قطب وأخوه سيد قطبُ الذي كان قد أفرج عنه لظروف صحية إلى السجن وقد قضى محمد قطب بالسجن هذه المرة ست سنوات، من ٣٠ يوليو/ تموز ١٩٦٥ إلى ١٧ أكتوبر/ تشرين أول ١٩٧١، وهي مدة ليست بالقصيرة، كما أنها اعتبرت مرحلة المحنة الكبرى في حياة محمد قطب وأسرته وحياة حركة الإخوان المسلمين حيث أعدم سيد قطب وستة آخرون من خيرة قادة جماعة الإخوان المسلمين ومفكري الأمة آنذك، ونفذ الحكم سريعًا فجر الإثنين ٢٩ أغسطس/ آب ١٩٦٦م، رغم وساطة كثير من زعماء ورؤساء الدول العربية والإسلامية، كما توفي تحت التعذيب زوج شقيقته واعتقلت شقيقاته وتعرضن للتعذيب والتنكيل حيث وصف محمد قطب هذه الأحداث ب"المجزرة". فقتل "في هذه المجزرة" -وفق ما أطلق عليها محمد قطب- واحد

من أبناء أخته "أثناء التعذيب دون إعلان" واعتقلت شقيقاته الثلاث، و"منهن الكبرى أم ذلك الشهيد، وعذبت الشقيقة الصغرى ثم حكم عليها بالسجن عشر سنوات.

وأوشكت المحنة على الانتهاء عند ما قُبض على شقيقيه الصغير محمد قطب يوم ٣٠/ ٧/ ١٩٦٥م، فبعث سيد قطب برسالة احتجاج إلى المباحث العامة؛ فقبض عليه هو الآخر ٩/ ٨/ ١٩٦٥م وقدم مع كثير من الإخوان للمحاكمة، وحكم عليه وعلى ٧ آخرين بالإعدام، ونفذ فيه الحكم في فجر الإثنين ١٣ جمادى الأولى ١٣٨٦ هـ الموافق ٢٩ أغسطس ١٩٦٦م.[١]

والأخرى كانت حميدة قطب وتم سجنها تحت قرار ٤٣ من قيادات التنظيم، وأرسل المِلَفَّ إلى المحكمة العليا في الجناية رقم ١٢-١٩٦٥م "أمن دولة عليا"، حيث أصدر صلاح نصار رئيس النيابة قرارًا بإحالة ٤٣ من قيادات التنظيم، كانت حميدة قطب رقم ٤٠ في الصحيفة والتي حوت القرار، وكان عمرها آنذاك ٢٩ عامًا ولم تتزوج بعد..وحكم عليها بالسجن ١٠ سنوات مع الأشغال الشاقة، قضت منها ست سنوات وأربعة أشهر بين السجن الحربي وسجن القناطر حتى أفرج عنها أوائل عام ١٩٧٢م، وبعد خروجها تزوجت من الدكتور حمدى مسعود وهو طبيب، مقيم في فرنسا، ولقد توفيت سنة ٢٠١٢م.

١- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢/ ٢٧٩-٢٨٣.

المطلب الثاني: سمات أدبه

أستطيع أن أبين أهم السمات والملامح التي تميز بها أدب محمد قطب مما يلي:

أولاً: الأصالة الإسلامية

من أولى السمات وأبرزها وأوضحها في أدب محمد قطب: السمة الإسلامية، وهي تتضح منذ نشأته وحتى مماته.. فبيته الذي نشأ فيه غرس فيه الروح الإسلامية، وظل ناشئًا معها محاطًا بها في كل أطوار حياته، ونرى السمة الإسلامية في نقده وثقافته، وفي إبداعه؛ وهو ما يدل كما نحس على أنه كان يبغي وجه ربه في كتاباته، ومن هنا علَّق على قصيدته "كنت أهواك" فقال: إني أعلق أملاً كبيرًا على غرس هذه المعاني في نفوس النشؤ المسلم، فهذا الرجل لم يكتب لشهرة ولا لمال ولا لمنصب؛ وإنما كان الإسلام هو دافعه وموجهه في كل المجال.

ثانيًا: أصالة المعاني والألفاظ

كل من يقرأ أدب محمد قطب ويركز في سمو معانيه ودقة ألفاظه يقول: إن هذا الرجل لم يعشْ في القرن العشرين؛ وإنما عاش معاصرًا للعقاد وأحمد حسن الزيات ومصطفى صادق الرافعى، والدليل على ذلك أنه ما وُجد أديب معاصر له قارب أسلوبه أو لغته أو فنه، وكان هذا دافعًا لوجود أعداء كثيرين له، بل لقد وصفه الكثير من علماء وأدباء عصره حيًّا وميتًا، ولم يذهب أحد خصومه واصفاً شخصه في حياته، إلا رجل واحد كتب مقالاً في الرسالة؛ هو الكاتب حسين عبد الفتاح سويفي، وصف أسلوبه: أنه يرضي ذوق الأدب، وروح الشاعر، وعقل العالم، ومنطق الفيلسوف هو بحث نفسي، يعرض عليك النفس، في ثوب تحليلي رائع، وتعبير أدبي موسيقي بديع، وإنك لتجد فيه رشاقة الأسلوب وقوة التعبير

والتحليل، وسلاسة المنطق وسلامته، والمعرفة بأسرار النفس وخفاياها، وطبيعة تكوينها، وراجع آراء علماء الأدب فيها، ومدى ارتباطها بالحياة، وارتباط الحياة بها.١

كما أضاف في وصفه بقوله: وهو يضع الإنسان بين المادية والروحية، وبين المذاهب الاجتماعية المختلفة والأديان السماوية، ويسلط عليه هذه الإشعاعات، ليقنعك فتقتنع معه بأن الإسلام دين فطرة، دين الحياة والأحياء.

ثالثًا: القوة في الحق

القوة في الحق سمة بارزة في أدب محمد قطب وفي كتاباته، فبالرغم أن "عباس محمود العقاد" قال عنه يومًا: "إنه ليتفق لهذا الكاتب من أساليب البيان ما يتفق مثله لكاتب من كتاب العربية في صدر أيامها"، إلا أن هذا لم يُغفر للأستاذ أن يتناوله "العقاد" بنقد شديد فيما بعد؛ حرصًا منه على فكرته، كما أننا لم نجد في كتاباته مداهنة لأحد ولا خوفًا من أحد، لقد كان العقاد كاتب الوفد الأول، إلا أن "الرافعي" لم يهبه، وكان "عبد الله عفيفي" شاعر الملك، إلا أنه لم يسلم من قلم "محمد قطب"، هذه أبرز سمة في أدب "قطب" وهي تكفيه.

رابعاً: الدوام على العمل

روي عن سُفْيَانَ بْنِ عَبْدِ اللهِّ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُ، أنه قَالَ: قُلْتُ: «يَا رَسُولَ اللهَّ قُلْ لِي فِي الْإِسْلَامِ قَوْلًا لَا أَسْأَلُ عَنْهُ أَحَدًا غَيْرَكَ. قَالَ: قُلْ آمَنَتْ بِاللهَّ. ثُمَّ اسْتَقِمْ» (رواه مسلم).

أي أن استقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم، والاستمرار عليه، وأن لا يأخذ طريق اليمين والشمال.

١- مقالة "الإنسان بين المادية والسلام، تأليف الأستاذ محمد قطب" لحسين عبد الفتاح سويفي، ج٩٨٣/ ع ٩٨٣، ص٤٦.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: سَمِعْتُ شَيْخَ الْإِسْلَامِ ابْنَ تَيْمِيَّةَ - قَدَّسَ اللهُ رَوْحَهُ - يَقُولُ: «اسْتَقَامُوا عَلَى مَحَبَّتِهِ وَعُبُودِيَّتِهِ، فَلَمْ يَلْتَفِتُوا عَنْهُ يَمْنَةً وَلَا يَسْرَةً».١

يقول الدكتور القرضاوى: «قد دعوت محمد قطب لينتقل إلى قطر، ليعمل فيها، ويستقر بها، وكل أهل قطر يرحب به، وكم حاول معه صديقنا وصديقه الدكتور عبد الرحمن بن عمير النعيمي، ولكنه رفض أن يترك جوار المسجد الحرام الذي جعله الله قياما للناس وأمنا»٢

اعتراف الدكتور يوسف القرضاوي يدُل على ثباته في العمل وحرصه على سكني مكة المكرمة وبقائه فيها حتى لقي ربه.

المطلب الثالث: خصائص كتاباته الفنية

لكتاب الأستاذ محمد قطب خصائص مميّزة ومتنوعة، استطاع من خلالها تبلور أفكاره وفلسفته، ومن ثمّ إيصال مضمونها بأنحى الوسائل وأبلغها، منها:

أسلوب الإثارة والانفعال:

إثارة الجانب العاطفي ومخاطبة الوجدان ليحمله على تقدير فطرته والإحسان إليها حيث ذكره الأسلوب القرآني بما تقاسيه الأم طيلة مدة الحمل إلى الولادة، الاهتمام بتربية

١- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لمحمد بن أبي بكر بن أيوب ابن القيم الجوزي، ج٢، ت: محمد المعتصم بالله البغدادي، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٩٦م، ص١٠٤.

٢- "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م).

الوازع الديني، الشعور بإحاطة علم الله بكل شيء مما يجعل الإنسان يراقب أعماله ويقوم اعوجاجها وهو ما ينمي عند الأبناء حسَّ الرقابة الذاتية ومحاسبة النفس.

الأسلوب القصصي:

إنّ معظم القضايا التي عالجها الأستاذ محمد قطب تتحدّث عن قصصٍ عاشها في الواقع المرير، كقصّة "بين الأرض والسماء" و"قصة الزمن" و"قصة الامتحان"[1] وكلّ ما كتبه يحمل بين طيّات كتابه أسلوب السرد القصصي، من وصف الشخصيات، وحكاية الأحداث، وعرض العقدة، واقتراح حلولها لها، بأسلوب مشوق، ولكن مع كلّ هذا فإن الأستاذ لم يستخدم القصة على نحو ما يستخدمها أصحابها اليوم...لأن هناك عدم تطابق بين عقلية الأستاذ وبين (عقلية القصة) إن صح هذا التعبير... فالأستاذ متأثر أشد التأثر بالمقومات الدينية، وأسلوبه وليد من الثقافة الإسلامية... والثقافة الإسلامية- لاتقوم على التخيّل كما تقوم القصّة، ولا على تفاصيل تخلقها وتتوسع في أطراف منها كما تقوم القصة.

بعد البحث والمراجعة في كتابات محمد قطب يظهر لديه قليل من القصص التي كتبها أو ترجمها في باكورة حياته العلمية؛ ولعلّ القلة التي أعزو سببها الرئيسي في أن كتابة القصص كان لوناً من الترف الفني الذي لا يعتمد عليه كمصدر للهدف المرسوم، وهذا لا يليق مع أعباء محمد قطب ومسؤلياته الدينية.

منذ تولية التدريس لجأ الأستاذ محمد قطب إلى التاريخ الإسلامي والسيرة النبوية يستقي منهما روافد أعماله الروائية والقصصية، فترجم مجموعة من القصص الخرافية عن الكتّاب الشيوعي ومنها قدمت إلى مجلة الرسالة، الذي يعبر عن أسلوبه في هذا

---

١ - الأطياف الأربعة لمحمد قطب وإخوته، القاهره: لجنة النشر للجامعيين، ١٩٤٥، ص١٧٤.

المجال،كانت الترجمة لأجل الدعوة وتربية الأجيال القادمة، فضلًا عن قدرته على اختيار الأحداث والخصائص التي تمثل معادلًا للواقع المعاصر بأحداثه وخصائصه.

ومن هنا نرى أنّ ما كتبه الأستاذ ليس قصصاً بل مقالات، إن امتزجت بروح القصّة- بسبب ثقافته العربية المستمدة من التُّراث- فهي بعيدة عن خصائصها، إذ يؤمن بالوضوح بأكثر مما يلجأ إلى التلويح والرمز، ويتحدث عن كلٍّ لا عن شريحة، وعن أمة لا عن فرد، وعن أفكار ومقومات لا عن مشاعر، والنهوض على الحقيقة لا على الخيال.

أسلوب الوعظ والنصيحة:

يستعمل أسلوب النصيحة بالحكم فيستخدم معه أسلوب الوعظ والنصح والتخويف من الله تعالى، ويذكر له بعض النصوص من القرآن والسنة المشتملة على الترهيب والوعيد، كما يذكر له بعض أقوال السلف في ذلك، ويكون بأسلوب الحكمة والموعظة الحسنة.. وحتى لو كان عارفاً لهذه النصوص فلها تأثيرها، لأن ذلك من قبيل الذكرى، والله تعالى يقول: [وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكَرى تَنْفَعُ المؤمِنَيْنَ] (ذاريات: ٥٥).

ويبين له ما أعده الله للطائعين من عباده، ويذكره بالموت، وأنه ليس لمجيئه وقت محدد، بل يأتي بغتة، وربما يأتي إلى الإنسان وهو واقع في المعصية، فتكون خاتمته سيئة والعياذ بالله.

نلمح من أساليب الأستاذ محمد قطب عدة أبعاد تربوية نجملها بالتالي:

استخدامه أسلوب الوعظ القائم على التحذير وتخويف من عواقب الأمور مما يثير دافعية الشباب نحو ترك المنهى وفعل المأمور.

استخدامه أسلوب التودد والتحبب في توجيه المواعظ للشباب حيث ابتدأ خطابه له بقوله: (يا أبنائي)، لاستمالته وإشعاره بالاهتمام به، والشفقة عليه.

التنويع في المواعظ بما يقوم الشخصية السوية المتكاملة من كل جانب، فلا تفريط بجانب على حساب جانب آخر.

استخدامه أسلوب ﴿التحذير والربط﴾ فقد حذره من الشرك والتكبر وربطه بالصلاة والصحبة الطيبة. استخدامه أسلوب التعليل وبيان الحكمة للأوامر والنواهي ليكون أدعى للاستجابة عند الشباب وشحذاً للتفكير المنطقي عنده.

تقريب المعاني عن طريق التمثيل بالمحسوس وذلك من خلال الصورة المحسوسة التي عرضها محمدقطب للقراء والتي تدل على سعة علم الله وقدرته بغرض حمل ابنه على مراقبة الله تعالى.

تربية الإرادة وتوطين النفس على تحمل المكاره حيث أوصاه ﴿بالصبر﴾.

غرس القيم الأخلاقية النبيلة في شخصية أبناء الجيل كالشكر على النعمة والإحسان واحترام الوالدين وبرهما، والتحلي بالتواضع.

تكوين اتجاهات إيجابية لدى الشباب من خلال دعوته للقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تجاه أبناء مجتمعه.

تنمية حس المسؤولية، والشعور بالواجب لدى الشباب، وذلك من خلال تعريفه بواجباتهم ومسؤولياتهم الدينية والاجتماعية.

الاهتمام بالجوانب السلوكية حيث أرشده إلى آداب تتعلق باتزان الشخصية (كأدب السِيَر والحديث).

المبحث الثالث: جهوده الفكريّة

الكتب التي أصدرها الأستاذ محمد قطب في المجالات المتعددة:

كان أول كتاب قدمه إلى عالَم المؤلفين هو: "الإنسان بين المادية والإسلام" هذا الكتاب دّل على أصالةٍ في فكره، وتمكُّن في علمهِ، ونبوغٍ في مواهبه.

واستمر تدفقه في عالم التأليف، يمتع المسلمين في بلاد العرب، والعالم الإسلامي، وعالم الغرب والشرق، بكتبه القيمة، التي تقدم البيّنات، وترد على الشبهات، وتقاوم الباطل، وتنشر الحق، فهو من الطائفة المنصورة، التي شهد لها محمد صلى الله عليه وسلم، بأنها التي تظل قائمة على الحق، لا يضرها من خالفها، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وهي التي قال الله فيها:[وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ] ﴿الأعراف:١٨١﴾.

قدم أول ما قدم (شبهات حول الإسلام)، و (منهج التربية الإسلامية)، و (منهج الفن الإسلامي)، و (جاهلية القرن العشرين). ويعني بها جاهلية الغرب التي زيف بها الحقائق، وروج بها الأباطيل، وقدم للناس حلوى مسمومة، ولكنها في عُلَب جميلة، وكان عندنا نحن جاهلية القرن الرابع عشر، ولكنها جاهلية مقلِّدة، اتخذت الغرب ربًّا، فاتخذ أهلها له عبيدًا.١

زخرت حياة محمد قطب بعدد كبير من المؤلفات في مجال الفكر والدعوة الإسلامية، كان من بينها: «الإنسان بين المادية والإسلام» و«جاهلية القرن العشرين» و«واقعنا المعاصر» و«منهج التربية الإسلامية» و«حول تطبيق الشريعة». ويعد محمد قطب في نظر

١ - "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م)، ص٣.

كثير من الباحثين الإسلاميين من التيار الصحوي وغيره، علامة فكرية بارزة وصاحب مؤلفات مهمة. ربما يرجع ذلك إلى عنايته بجانب الربط بين مضامين الدين والواقع المعاصر، لكن مما انتقده به خصومه من الإسلاميين المنتمين إلى بعض التيارات السلفية أنه كان يسعى بطريقة هادئة إلى التنظير لمدرسة إسلامية ذات طابع حركي، بيد أن مناصريه ينفون ذلك، ويرون أن محمد قطب كان من أبرز المفكرين الذين نبهوا باكراً إلى خطر الصدام مع الأنظمة السياسية في العالم العربي، وأنه كان يرى تأجيل مرحلة المواجهة في قضايا الحكم وتحكيم ما أنزل الله إلى أن تتم تربية المجتمعات على الفكر الإسلامي، مستدلاً على ذلك بقوله تعالى: [وَكَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ] (سورة أنعام:٥٥).

و كانت مؤلَّفَات الأستاذ محمد قطب، تتعلق بالعديد من المواضيع التي ترسم الملامح العامة للفكر الإسلامي. فهو –على سبيل المثال– تناول في كتبه مظاهر انحراف الديانات السماوية عن مسارها الصحيح، وكشف الستار عن العديد من المواضيع كالعلمانية والشيوعية والديمقراطية وغيرها. و كان محمد قطب يدافع عن الإسلام و يبين ميزاته وخصائصه، ويرد الشبهات عن كل ما يثار من شبهات وأمور. وفي هذا الصدد كان يركز على ضرورة أن تكون الشخصية الإسلامية والحل الإسلامي منطلقاً من ثوابت التشريع، وليس تقليداً للغرب وأموره.

وفي ذات الوقت، لم يغفل الأستاذ محمد قطب موضوع التربية، وإنشاء الجيل الإسلامي، وأهمية التربية القوية و وحدة الصف، والعلاقة مع النظام والأخطاء التي حدثت في مواجهته خلال الفترة الماضية.

له سلسلة طويلة من الكتب والمؤلفات من أبرزها: "جاهلية القرن العشرين" و"واقعنا المعاصر". ومن أشهر الكتب التي أصبحت دليلًا على الأستاذ وهو كتابه "جاهلية القرن العشرين" الذي يقدم فيه قراءة متكاملة للحداثة الغربية وامتدادها في المجال الإسلامي، ناعتا إياها بأنها جاهلية ثانية، تماثل من حيث الانحراف والفساد الجاهلية العربية قبل البعثة النبوية. وفي كتابه "مذاهب فكرية معاصرة" قدم محمد قطب رؤية معرفية نقدية لهذه المذاهب تعتمد على قراءة عميقة و تفكيكية لمقولاتها النظرية ولتجربتها الواقعية، وقد أصبح الكتاب مرجعا أساسيا، حتى اعتمدته العديد من كليات الشريعة في العالم العربي والإسلامي.

أما كتابه "حول التفسير الإسلامي للتاريخ" فهو دعوة إلى المؤرخين المسلمين لكي يعيدوا كتابة التاريخ البشري من زاوية الرصيد الإسلامي المتميز، لإزالة التناقض القائم اليوم بين عقيدة الأمة ودراستها للتاريخ.

وفي رده على سؤال "ما أحبُّ مؤلفاتك إليك؟" خلال مقابلة صحفية أجاب محمد قطب بالقول: من المعتاد أن يقول المؤلف إن كتبه كلها أبناؤه، وكلها عزيز عليه، وأنا أيضا أقول هذا، ومع ذلك فقد يكون (الإنسان بين المادية والإسلام) وهو باكورة كتبي أحبها إليّ، فضلًا عن كونه الابن البكر، فهو يشتمل على الخطوط الرئيسية التي انبعثت منها عدة كتب تالية في مجال التربية وعلم النفس. يضيف: كما أن كتاب (جاهلية القرن العشرين) له موضع خاص في نفسي كذلك، ولعل السبب أنه يمثل رؤيتي لحقيقة الجاهلية، وأنها ليست

محدودة بفترة معينة من الزمن، وإنما هي حالة يمكن أن توجد في أي زمان ومكان، وأن البشرية تعيش اليوم أعتى جاهلية عرفتها.١

وهناك العديد من المؤلفات والمقالات والأبحاث والمحاضرات كما أنه أشرف على العديد من الرسائل الجامعية، كما أنه ألقى العديد من البحوث فى المؤتمرات الإسلامية فى العديد من الدول الإسلامية وكان يقيم فى (مكة المكرمة منذ الإفراج عنه عام ١٩٧٢) وظل يدرس بجامعات السعودية لعهد قريب حتى وافاه المنية.

له عدّة كتب فرغ منها أقربها للصدور:منها "دروس من قصة فرعون في القرآن" و"الحدود الآمنة لإسرائيل" قال الأستاذ محمد قطب: قد يصعب وجود مطبعة توافق على طباعته.٢

لمحمد قطب عدة مؤلفات منها:

١- دراسات في النفس الإنسانية.

٢- التطور والثبات في الحياة البشرية.

٣- منهج التربية الإسلامية، الجزء الأول: النظرية. الجزء الثاني: التطبيق.

٤- منهج الفن الإسلامي.

٥- جاهلية القرن العشرين.

٦- الإنسان بين المادية والإسلام.

---

١ – الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية "محمد قطب" للدكتور يوسف القرضاوي، الموقع "الأمة أونلاين" (www.alamatonline.net) ١٨أبريل ٢٠١٤م

٢ – لقاء خاص لي مع المفكر الإسلامي محمد قطب حفظه الله لسعيد بن ظافر، موقع ملتقى أهل الحديث: (www.ahlalhdeeth.com) تاريخ ١٤/ ٦/ ١٤٣٢هـ.

٧- دراسات قرآنية.

٨- شبهات حول الإسلام.

٩- في النفس والمجتمع.

١٠- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

١١- قبسات من الرسول.

١٢- معركة التقاليد.

١٣- مذاهب فكرية معاصرة.

١٤- مغالطات.

١٥- مفاهيم ينبغي أن تصحح.

١٦- كيف نكتب التاريخ الإسلامي.

١٧- لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج حياة.

١٨- دروس من محنة البوسنة والهرسك.

١٩- العلمانيون والإسلام.

٢٠- هل نخرج من ظلمات التيه.

٢١- واقعنا المعاصر.

٢٢- قضية التنوير في العالم الإسلامي.

٢٣- كيف ندعو الناس.

٢٤- المسلمون والعولمة.

٢٥- ركائز الإيمان.

٢٦- لا يأتون بمثله.

٢٧- من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر.

٢٨- حول التفسير الإسلامي للتاريخ.

٢٩- الجهاد الأفغاني ودلالاته.

٣٠- دروس تربوية من القرآن.

٣١- حول تطبيق الشريعة.

٣٢- المستشرقون والإسلام.

٣٣- هذا هو الإسلام.

٣٤- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر.

٣٥- هل نحن مسلمون.

٣٦- الصحوة الإسلامية.

هذه الكتب القيمة فيها فوائد علمية ودعوية كثيرة، ولكنها تبقى جهوداً بشرية مشكورة، يصدق عليها ما يصدق على كل جهد علمي قديم أو حديث.

منهج الفن الإسلامي

ومن بين الكتب المميزة للمفكر كتابه عن الفن الإسلامي، وهو فيه يطالب بفن وإبداع قائم على قيم الإسلام مستثنيا من ذلك التمثيل باعتباره ليس فنا، ويضع المفكر قواعد وأسسا للفن الإسلامي تتضمن تحريضه على العدل والمساواة وتقبيحه للظلم، واهتمامه بالطبيعة، مطالبا بقوالب صارمة للرقابة على الأدب والشعر والفن لتحويلها إلى أدوات

لخدمة المشروع الإسلامي هذا الكتاب دّل على أصالةٍ في فكره، وتمكُّن في علمهِ، ونبوغٍ في مواهبه.

لا يأتون بمثله

كتاب يتحدث عن قضية إعجاز القرآن بأسلوب ممتع، يتناول الكتاب دراسة شاملة للقرآن مع البحث عن تفصيلات منهج الحياة القرآني في الاقتصاد والاجتماع والتربية وعلم النفس والفن والفكر، كما تناول جوهر الجاهلية ومضمونها وكيفية علاجها بالرجوع لمنهج الإسلام وإتباع ما أنزل الله.

واقعنا المعاصر

ألّف الأستاذ محمد قطب سفره الرائع إلى العالم "واقعنا المعاصر" والذي يعتبر هاديا ومرشدا حقيقيا للشباب المسلم بالدرجة الأولى، حيث قدّم فيه المعاني الأساسية لعقيدة الإسلام،كما فهمها وتلقّاها الصحابة الكرام، وتفسيرًا للواقع الإسلامي المبتلى بالأمراض والنوازل من خلال التتبع التاريخي لهذه النوازل، ورصد دقيق لأعراض المرض وأسبابه ومآلاته وطرق العلاج اللازمة، مبينا رؤيته للعديد من القضايا التي تشغل بال شباب الحركات الإسلامية؛ هذه الرؤية التي تأسست على فهم دقيق لمقاصد الوحي، وعلى حكمة شيخ أمضى عمره وبذل وقته للإسلام كاتبا وداعية ومربيا، فجاء هذا الكتاب بحق ليجيب على العديد من علامات الإستفهام التي حيرت الشباب المسلم، من قبل الأستاذ الذي تربّى عدد كبير منهم على كتاباته.

فهو واحد من أكثر الكتب التي تعكس الواقع، وهو كتاب مليء بالواقعات الفكرية، وقائم على افتراض أن جميع ما يعاني منه المسلمون وما يواجهونه من مشكلات وما يحيونه

من تخلف وتدهور وترد نتاج "مؤامرة غربية صليبية كبرى". ويفترض الأستاذ أن شخصيات مثل سعد زغلول ومحمد عبده ورشيد رضا شخصيات دفعت دفعا نحو سلخ الفكرة الإسلامية من خلال وهم التطوير والإصلاح، بل إن قاسم أمين في رأيه "شاب نشأ في أسرة تركية لديه ذكاء غير عادي والتقطه الذين يبحثون عن الكفاءات ليفسدوها ويفسدوا الأمة". وفي تصوره أن هناك من خطط ودبر ووضع في طريقه فتاة ليتصادق معها وتدفعه دفعا لكتابة كتابه "تحرير المرأة".إنه يعتبر سعد زغلول أداة في يد الاستعمار، بل هو من حول الثورة من دينية إسلامية إلى ثورة وطنية لا علاقة لها بالدين.

منهج التربية الإسلامية

ظهرت في العصر الحديث بعض الدراسات التي تناولت الجوانب الخلقية والأصول التربوية الإسلامية وبعض الظواهر الاجتماعية بالبحث والتحليل، أذكر منها تلك الدراسات القيمة للأستاذ محمد قطب عن (منهج التربية الإسلامية) والتي تناول فيها، فيما تناول، بعض الظواهر المتعارضة في الحياة الاجتماعية، والتي تتعرض لها النفس الإنسانية بعامة، في صورة من الصور، كالفردية والجماعية، أو السلبية والإيجابية.[1]

دراسات في النفس الإنسانية

كتاب قيم جدا في النفس الإنسانية... ولكن الأستاذ محمد قطب لم يصبغ كتابه بصبغة الإعجاز القرآني وإن كان القرآن هو مادة بحوثه ودراساته... بل كان الكتاب محاولة لوضع نظرية معينة في النفس الإنسانية في الإسلام كما قال في مقدمة كتابه: هدفنا من استخلاص نظرية شاملة عن النفس الإنسانية هو معرفة مكوّنات هذه النفس –بقدر ماتتيسر لنا

١- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ج ١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١، ط١٢، ص١٦٢.

المعرفة- لنعرف بعد ذلك كيف تكون في صحتها ومرضها، واستوائها وانحرافها.. ونفيد من هذه المعرفة في معالجة هذه النفس على أساس سليم.١

وأيضا كان الأستاذ محمد قطب حريصًا في كتابه على كشف عيوب النظرية الفرويدية في النفس الإنسانية وما تفرزه هذه النظرية من إنحرافات وتخبطات في المجتمعات الغربية.

وأيضاهو تناول من ناحية علم النفس ما ينصب في هذه الخطوط الأساسية.. ولم يكن يتناوله بإسهاب وتفصيل كعلم مستقل.

قضية التنوير في العالم الإسلامي

أثناء قراءتي لهذا الكتاب الذي لا يسع لمثقف جهله، استوقفتني بعض العبارات التي ذكرها أثناء سرده لسلبيات وإيجابيات حركة التنوير في القرن الماضي، ومنها قوله: حركة التنوير نجحت في أمرين مهمين الأول: هو إزالة التعلق بالخرافة التي كانت الصوفية قد نشرتها في الأرض الإسلامية، في صورة كرامات وخوارق تنسب إلى مشايخ الطرق - الأحياء منهم والأموات- وموالد و(حضرات) تنفق فيها الجهود والأموال والأوقات، وقعود عن السعي واتخاذ الأسباب تعلقا بقضاء الحاجات عن طريق التقرب (للأولياء) بالذبح والنذر والدعاء والصلواة.٢

وسبب توقفي عند هذه العبارة هو مخالفتها الواضحة لواقع مدعي التنور من الليبراليين المعاصرين ومن اقتفى أثرهم من مدعي العقلانية، والذين لم يكن لهم دور ظاهر فيما ذكره محمد قطب من ايجابيات التنويريين السابقين، بل صار لهم دور مخجل في دعم

١- دراسات في النفس الإنسانية لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٣م، ط١٠، ص١١.

٢- قضية التنوير في العالم الإسلامي لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق،١٩٩٩م. ص٧٢.

الخرافة والدفاع عنها والسكوت عن ممارساتها المسيئة للأمة، وذلك بالتحالف الواضح مع المشركين، وإحجام ظاهر عن نقدهم، ونقد ممارساتهم الخرافية، في حين نجدهم يوجهون سهام نقدهم للإسلام السني، والذي يعتبر أبعد المذاهب الإسلامية وأنقاها عن لوثة الخرافة بشتى صورها وأنواعها، مع محاولات يائسة لتصيد أخطاء المنتسبين له وتضخيمها، وتحميلهم أخطاء غيرهم، كل ذلك ليجدوا مبرراً لنقدهم، والتشهير بهم، ووصفهم بأبشع الصفات.

هلمّ نخرج من ظلمات التيه

قد كتب الأستاذ في هذا الكتاب ليبين بإيجاز شديد أحوال الأمة، كيف دخلت الأمة في التيه والحجم الحقيقي لذلك التيه الذي شمل كل جوانب الحياة الروحية والفكرية والخلقية والسياسية والإقتصادية والإجتماعية في فترة من الفترات ثم الدور الذي قامت به الصحوة المباركة حتى هذه اللحظة على الرغم من كل سلبياتها وتعثراتها ثم صورة الغد المأمول بإذن الله حين تستكمل الصحوة نضجها وتستكمل الأمة خروجها من ظلمات التيه فيعود لها التمكن في الأرض بحسب وعد الله الدائم.

حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية

"إن الصحوة قد فاجأت المخططين من الصليبيين والصهيونيين مفاجأة عنيفة، فدبروا لقتلها، وأنشأوا لذلك مجموعة من الانقلابات العسكرية في العالم الإسلامي، تبطش بالمسلمين بطشا لا سابقة له في عنفه ووحشيته، على أمل القضاء على الصحوة قبل أن يستفحل أمرها وتستعصي على عملية الإفناء، فكان من قدر الله إنها زادت اشتعالًا، واتسع نطاقها.

والمستقبل غيب ولكننا نستقرئ سنن الله، ووعده ووعيده، فنجد أن المستقبل للإسلام.

إن من سنن الله أن الدعوة التي يقدم لها الدم لا تموت.. وقد أسرف الأعداء في إراقة الدماء، ظنا منهم أنه يقضي على الدعوة، فكان الدم المراق سبيلا إلى زيادة المد.

وإن من وعد الله أن يمكن للأمة حين تصحح موقفها من دينه، وتعبده وحده دون شريك: [وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً] (النور:٥٥).

وقد بدأت الأمة تعود... وإن من وعيد الله أن يسلط على اليهود من يدمرهم إذا علوا في الأرض:

[وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرائيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوّاً كَبِيراً، فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَاداً لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْداً مَفْعُولاً، ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيراً، إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيراً، عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا] (الإسراء:٤).

وقد عادوا.. بل إنهم لم يطغوا في تاريخهم كله كما طغوا اليوم، ولم يصل سلطانهم قط إلى ما وصل إليه اليوم.. فماذا ينتظر إلا تحقق الوعيد؟

كل الإرهاصات تدل على اتجاه معين للأحداث،ومن خلال حماقات الغرب، وحماقات "إسرائيل"، يتم قدر الله في إمداد الحركة الإسلامية بمزيد من بواعث الاستمرار.

المطلب الأول: وفاة محمد قطب في الحرم المكيّ

رَحَل الأستاذ محمد قطب، وترك وراءه الكثير من الدروس العلمية والتربوية التي تزخر بها المكتبة الإسلامية، فضلا عن الدروس العملية من تجربته في الكفاح والصراع مع طغاة مصر، وأحسبها لن تضيع هدرًا بإذن الله، وستقرأ أجيال متطاولة هذه الكتب المهمّة وتنهل ممّا فيها من قيم تساعدهم على إنهاض الأمة من كبوتها والعودة للريادة التي كانت عليها وكُلّفتْ بها.

شيع الآلاف جنازة المفكر الإسلامي الكبير محمد قطب في الحرم المكي وقد تم دفن الراحل الكبير في مقبرة المعلّا بمكة المكرمة، مربع ٩، قبر ٣٧ كان المفكر الكبير قد توفي بعمر يناهز ٩٥ عامًا بمستشفى المركز الطبي الدولي في جدة يوم الجمعة ٤ أبريل ٢٠١٤م وذلك بعد خمسين عاماً قضاها في المملكة العربية السعودية، وقد شارك في الصلاة على المفكر الكبير حشد كبير من تلامذته ومحبيه.١

ولا يسعني هنا إلا أن أترك القارئ الكريم بين يدي كلمات الأستاذ محمد قطب رحمه الله، في خاتمة آخر ما صدر له حتى الآن، من كتاب "هذا هو الإسلام" حيث قال:

١- مقالة: الآلاف يشيعون المفكر الكبير محمد قطب من الحرم المكي"لعبد الرحمن شعبان، (أبريل ٢٠١٨م). موقع: المجتمع. (www. mugtama.com/hot).

«وليضع الدعاة في حسابهم أنّ الطريق الشاقّ الذي عليهم أن يسلكوه لمواجهة الجاهلية المعاصرة هو طريقهم إلى الجنّة: [والذين جاهدوا فينا لنَهديَنّهم سُبُلَنا وإنّ الله لَمَعَ المُحسنين] (العنكبوت: ٦٩).

[أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللهُّ الَّذِينَ جَاهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ] (آل عمران: ١٤٢).

وليضعوا في حسابهم كذلك أنّ الجهد الذي يبذلونه لن تكون ثمرته –بحول الله– إنقاذ العالم الإسلامي وحده ممّا تردّت فيه الأمّة الإسلامية من ذلّ وهوان وتخلّف وضعف، وإنّما هم بعملهم هذا يقدّمون للبشرية كلّها طريق الخلاص ممّا تردّت فيه من ضلال وفساد، فقد أرسل الله رسوله الخاتم عليه الصلاة والسلام للبشرية كافّة، ليخرجها من الظلمات إلى النور:

[قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهَّ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ] (الأعراف: ١٥٨)و[وما أرسَلْناكَ إلّا رحمةً للعالَمين] (الأنبياء: ١٠٧).

وليحذروا أخيرا قوله تعالى:[وإنْ تتولَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثمّ لا يَكونوا أَمْثالَكُم]﴿ محمد: ٣٨﴾[1]

المطلب الثاني: شهادات أهل الفكر والدعوة فيه

نعى الكثير من دعاة وعلماء المملكة العربية السعودية والوطن العربي الأستاذ الراحل كما نعته الكثير من الهيئات والمؤسسات الإسلامية الرسمية وفي مقدمتها اتحاد علماء

١- مقالة "محمد قطب ...خزانة الإسلاميين الفكرية" لعلي عبد العال، موقع الإنترنيت: إسلام أونلاين (اكتوبر ٢٠٠٩م).

المسلمين وهيئة علماء المسلمين في قطر ذاكرين بعض مناقبه ومآثره وإنجازاته العلمية والفكرية والدعوية.

١-الدكتور يوسف القرضاوي: وصفه بأنه: «قطب من أقطاب الأمة الإسلامية الكبرى، وعلم من أعلامها، وقلم من أقلامها، ونجم من نجومها، وَهَبَ عمره من أوله إلى آخره لها ولدينها، ودعوتها وثقافتها، وحضارتها وتراثها، وهو الداعية الكبير، والكاتب القدير، المصري وطنا، الإسلامي هُوية، العالمي امتدادا»

٢- الاتحاد العالمي للعلماء المسلمين: وصف بيان نعي الاتحاد محمد قطب بأنه «واحد من أبرز المفكرين المسلمين المعاصرين، الذين أثروا المكتبة الإسلامية بروائع الدرر، وربوا أجيالاً من الشباب على الفكر الأصيل المستنير، والسمت الإسلامى القويم، والمنهج الدعوى المعتدل البصير، اقتباساً من الهدى النبوي، ببيان مناهج الإسلام وتجلية مفاهيمه الأصيلة ومرتكزاته فى معركة التقاليد، ومواجهة جاهلية القرن العشرين»

٣- وبمجرد إعلان خبر وفاته انطلقت مواقع التواصل الاجتماعي بوصفه بأوصاف جليلة تليق بمقامه، فوصفه سلمان العودة بـ"الداعية المجاهد"، ووصفه الكاتب الصحفي جمال سلطان في تغريدة له: بالمفكر التقي النقي الملهم، واعتبر وفاته بمثابة «طي لصفحة كاملة من تاريخ الفكر الإسلامي الحديث نظريًا، بعد أن طواها الواقع، رحمه الله» وقال عنه مشعان أفندي في تغريدة له: «لم تغيره الأمواج المتلاطمة ولا الرياح العاتية التي أصابت الأمة في الثمانين عاما الماضية، عاش كالجبل الشامخ ومات شامخا» كما قال عنه موسى الغذامي في تغريدة له أيضا: «عاش جبلًا ومات جبًلا ما تزعزع مع طوفان العروبية ولا اكتساح الشيوعية بل سما وتسامى وهو في سجون الطواغيت مع أخيه الشهيد سيد قطب».

٤- يقول الدكتور الطيب الوزاني في مقالة بعنوان "محمد قطب: قطب الأمة الإسلامية الكبرى": إن أمثال محمد قطب في تاريخ الأمة قلائل ولقد صدق من قال في وصف عمله وفكره بأنه «علامة فكرية وحركية بارزة بالنسبة للحركة الإسلامية المعاصرة» لأن حضوره في حقل الفكر والدعوة الإسلاميين المعاصرين كان حضورًا فاعلًا ومؤثّرا التأثير الذي لا يحدثه إلا المصلحون الكبار الذين يتجاوزون عصرهم ويصنعون التاريخ بمداد دمهم وآلامهم وآمالهم. ولأن عمر محمد قطب الجسمي امتد لما يقرب من قرن من الزمن فإن عمره الفكري والدعوي والرمزي سيمتد ما بقيت هذه الأمة حية.

٥- كتب على عبد العال (صحفي مصري) مقالة "محمد قطب...خزانة الإسلاميين الفكرية": عرف المفكر الإسلامي الشهير بنقده اللاذع للغرب وحضارته الفكرية، فحينما كانت أفكار الليبرالية والشيوعية والاشتراكية تجوب البلاد الإسلامية وتسيطر على العديد من المحافل الإعلامية والثقافية.[١]

كتب الكاتب ياسر منير في موقع طريق الإسلام مقالاً "محمد قطب نُبذة عن حياته ومنهجه الفكري والحضاري" يقول: هو من علماء النبلاء يُوفَّ حق هذا الجيل ونُفخ فيه الروح، أعني الأستاذ الكبير محمد قطب.[٢]

١- مقالة "محمد قطب ...خزانة الإسلاميين الفكرية" لعلي عبد العال، موقع الإنترنيت: إسلام أونلاين ٢٧ اكتوبر ٢٠٠٩م.و مقالة "محمد قطب ...خزانة الإسلاميين الفكرية" لعلي عبد العال، موقع الإنترنيت: رابطة أدباء الشام (أبريل ٢٠١٤م).

٢- مقالة "محمد قطب نُبذة عن حياته ومنهجه الفكري والحضاري" لياسر منير، موقع الإنترنيت: (موقع طريق الإسلام ٤/ ٤/ ٢٠١٤م).

محمد بن لطفي الصبَّاغ كتب مقالاً "العلامة المجاهد الأستاذ محمد قطب" و وصفه بأنه: وهو المفكر الإسلامي العظيم، والمجاهد الصابر، والعالم العلامة، والأديب الشاعر، والخطيب والمؤلف الموفق، الذي استوعب حقيقة حضارة أوربا، بعد أن قرء القرآن وعرف معانيه ودرس السنة والعلوم الإسلامية.١

خلاصة فيما سبق من الكلام تم ذكر مسير حياة الأستاذ محمد قطب منذ بداياته التعليمية مرورًا بالمجالات التي عمل فيها والاضطرابات السياسية التي عاشها وبدء ارتباطه وشغفه بجماعة الإخوان المسلمين وما لحق ذلك من عقوبات سياسية تنوعت بين السجن والاعتقال والإعدام على خلفية الاعتقالات التي قامت بها الدولة ضد الإخوانيين بعد ذلك تمّ تسليط الضوء على جانب من حياته الأسرية وارتباطه وتشكيل أسرته التي دعمت وأبدت القضايا التي نادى للدفاع عنها.

وجانب آخر البيئة الأدبية التي أحاطت به الحس الأدبي الذي تمتع به إخوته كان له دور بارز في موهبته الشعرية. تمّ المرور على أهم المقالات والكتب التي قام بتأليفها واجتهد فيها قدر استطاعته للزود عن حمى الدين ونقض أفكار ومعتقدات الغرب.

١- مقالة "العلامة المجاهد الأستاذ محمد قطب"لمحمد بن لطفي الصبَّاغ، موقع : (رابطة الأدباء الشام ١٠/ ٤/ ٢٠١٤م).

الفصل الثاني

المقال في عصر محمد قطب واتجاهه الأدبي في مقالاته

المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره وأهميته

المطلب الأول: نشأة المقال

المطلب الثاني: تطور فن المقال في عصر محمد قطب

المطلب الثالث: أهمّية المقال في عصر محمد قطب

المطلب الرابع: أنواع المقال في عصر محمد قطب

المطلب الخامس مراحل كتابة المقال لدى محمد قطب

المبحث الثاني: الاتجاه الأدبي في مقالات محمد قطب

المطلب الأول: اتجاهه في التنظير للأدب الإسلامي

المطلب الثاني: النظرية التربوية الإسلامية من خلال مقالاته

المطلب الثالث: معالم الفكر الحضاري عند محمد قطب

الفصل الثاني

المقال في عصر محمد قطب واتجاهه الأدبي في مقالاته

المبحث الأول: نشأة المقال وتطوره وأهميته

المطلب الأول: نشأة المقال:

المقال في اللغة مأخوذ من قال، يقول، قولاً، وقيلاً، وقولةً، ومقالاً ومقالةً، و أنشد ابن بري[١] للحطيئة[٢] يخاطب عمر بن الخطاب رضى الله عنه. من ﴿المتقارب﴾

تحنّن عليّ هداك المليكُ فإنّ لكلّ مقام مقالاً[٣]

١- هو أبو محَمّد عبد الله بنُ بَرِّيٍّ بن عبد الجبَّار بن بَرِّيٍّ المصري، النحْوي، الشافعي. وُلد في شهر رجب سنة ٤٩٩هـ-١١٠٦م في مصر، ونشأ فيها. وولي رياسة الديوان المصري. له "الرد على ابن الخشاب" انتصر فيه للحريري، و غلط الضعفاء من الفقهاء و شرح شواهد الإيضاح في النحو، وحواش على صحاح الجوهري وحواش على درة الغواص للحريري وَ"حوَاش عَلَى الصِّحَاح" جَوَّدهَا، جَاءت فِي سِتّ مُجَلَّدَاتٍ، وَكَانَ ثِقَةً دَيِّناً. وتوفي بمصر في شوال٥٨٢هـ-١١٧٨م./ سير أعلام النبلاء، ج١٥ص٣٣٧.

٢- هو جرول بن أوس بن مالك العبسيّ، أبو ملكية: شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام. كان هجاءً عنيفا، لم يكد يسلم من لسان أحد. وهجا أمه وأباه ونفسه. وأكثر من هجاء الزبرقان بن بدر، فشكاه إلى عمر بن الخطاب، فسجنه عمر بالمدينة، فاستعطفه بأبيات، فأخرجه ونهاه عن هجاء الناس، فقال: إذا تموت عيالي جوعا!. له (ديوان شعر) ومما كتب عنه (الحطيئة) رسالة لجميل سلطان./ الأعلام ج٢ص١١٨.

٣- لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج١١، ص٥٧٣ نشر أدب الحوزة، مدينة قم، ١٤٠٥هـ.مادة "قَوَلَ".

فالمقال إذن مصدرٌ ميميٌّ من الفعل «قال» أصل الكلمة «مَقْوَلٌ» على وزن «مَفْعَلٌ» ثمّ حدث فيها بعد ذلك إعلال بالنقل وقلبت الواو ألفاً لعلة صرفية١، فصارت «مقال».

أمّا تعريف المقال فهو: «بحثٌ قصيرٌ في العلم، أو في الأدب أو السياسة أو الاجتماع ينشر في صحيفة أو مجلة»٢

وقد جرى خلاف، حول تعريف المقالة الأدبية عند الأدباء. وقد يكون هذا الاختلاف راجعاً إلى كون المقال الأدبي «هو الذي يعالج بطريقة جديدة موضوعاً معيناً من الموضوعات التي تتعلق بالأدب والنقد والفلسفة في أسلوب رفيع لايتطرق إليه الخيال إلا لأغراض بلاغية.»٣

سأعرض فيما يلي أبرز تلك التعريفات، وما دار حولها من نقاش؛ فقد عرفّها الدكتور يوسف نجم٤ «المقالة الأدبية، قطعة نثرية محدّدة في الشكل والموضوع، تكتب بطريقة عفوية

١- الأصول في النحو لأبي بكر محمد بن السري بن سهل بن السراج، ج٣ ص٣٨٤، بتحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان (بدون تاريخ طبع).

٢- المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وأحمد الزيات وحامد عبد القادر ومحمد النجار، مجمع اللغة العربية بالقاهرة ج٢، ص٧٦٧ دار الدعوة ، أستانبول، تركيا، ١٩٨٦م.

٣- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وكامل المهندس ص٣٧٨، وأيضا المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، للدكتور عطاء كفافي ص٩.

٤- محمد يوسف نجم ولد في مجدل "عسقلان" في فلسطين سنة ١٩٢٥م، كان أحد الأعلام الكبار في الأدب والفكر والترجمة. نشأ في بيروت بلبنان بعد لجوئه من فلسطين، وتعلّم فيها ، ثم التحق بالجامعة الأمريكية في بيروت، ونال منها البكالوريوس في الآداب سنة ١٩٤٦، وبعد سنتين نال منها ماجستير آداب، ثم ارتحل إلى القاهرة ونال منها أيضا درجة الماجستير في كلية الآداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٥١م، ثم درجة الدكتوراه سنة ١٩٥٤م، واختار لرسالته موضوعاً عن المسرحية في الأدب العربي الحديث، بإشراف الدكتور شوقي ضيف.

سريعة خالية من الكلفة والرهق، وشرطها الأول أن تكون تعبيراً صادقاً عن شخصية الكاتب.»١ أو بعبارة أخرى «هو يقوم على التحليل العميق للأحداث والقضايا والظواهر التي تشغل الرأي العام. والمقال التحليلي يتناول الوقائع بالتفصيل، ويربط بينها وبين غيرها من الوقائع التي تمسه من قريب أو بعيد.. ثم يستنبط منها ما يراه من آراء واتجاهات.»٢

و التعريف الذي ورد في كتاب سيد قطب"النقد الأدبي أصوله ومناهجه":

«المقالة هي فكرة واعية، وموضوع معين يحتوى قضية يراد بحثها، قضية تجمع عناصرها وترتب، بحيث تؤدي إلى نتيجة معينة وغاية مرسومة من أول الأمر. وليس الانفعال الوجداني هو غايتها ولكنه الاقتناع الفكري».٣

وقد عرّف المقالة غير هؤلاء الكتّاب؛ويمكن أن يكون تعريف سيد قطب أقربها إلى الصواب، إن المقالة تشرح فكرة وتجمع لها البراهين، وتعتاض عن اللفظ المصور باللفظ المجرد، وتغني فيها المعاني المجردة عن الصور والظلال في معظم الأحوال.

خلّف ثروة علمية منها: (القصة في الأدب العربي الحديث) و (فن القصة) و (فن المقالة) و (نظرية النقد والفنون والمذاهب الأدبية). وتوفي بعيداً عن وطنه في ٥/ ٣ / ٢٠٠٩م. راجع مقالة "زياد أبو لبن" في مجلة الدستور التي نشرت بتاريخ ١٩/ ٣/ ٢٠٠٩م.

١- فن المقالة للدكتور عبد العزيز شرف ص٩٥، دار الثقافة، بيروت، ط٤، ١٩٦٦م.

٢- فن الكتابة الصحفية للدكتور فاروق أبو زيد، ج١ ص٢٢٩،عالم الكتب، بيروت لبنان (بدون تاريخ طبع)

٣- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، لسيد قطب ص٩٤ دار الشروق بيروت، ط٦ ، ١٩٩٠م.

٤ - الدكتور شوقي ضيف في "الأدب العربي المعاصر" وعباس محمود العقاد في " آراء في الأدب والفنون" والدكتور نجيب محمود في"جنة العبط".

المقال عبر التاريخ:

لا بدّ من الإشارة إلى الخلفية التاريخية لفن المقالة -من بين أجناس الأدب النثريّة – فنّ الرسالة، على الرغم من أن الرسالة كانت في مختلف عصور الأدب العربي تحتل المكانة الأولى بين فنون النثر وخاصة عند ما نهج فيها عبد الحميد الكاتب (ت١٣٢هـ) طريقاً جديداً ولا سيّما في رسالتيه "الشطرنج" و"إلى ولي العهد"١، نهج طريقاً جديداً وطريقة فنية أَصَّلَتْهَا وجعلت منها فنّاً نثريّاً رفيع القدر عالي الذّكر، ولقد أصاب ابن النديم[٢]، عند ما قال عن عبد الحميد بن يحى الكاتب:«...وعنه أخذ المترسِّلون ولطريقته لزموا، وهو الذي سهّل سبل البلاغة والترسّل.»٣

فالحق أن عبد الحميد كان صاحب طريقة في فن الرسالة لم يسبق إليها، وهي طريقة استطابها الناس عموماً وأحبّها الكتّاب على وجه الخصوص.

وتلا بعده ابن المقفع (ت١٤٢هـ) في رسالته "في الصحابة" و كتابيه "الأدب الصغير والأدب الكبير" وفي عدد آخر من مؤلفاته ظهر عنده فن المقالة في إطار الرسائل التي

١- عبد الحميد بن يحى الكاتب للدكتور إحسان عباس ص٧١-١٩١.

وأيضاً راجع فن المقالة للدكتور يوسف نجم ص١٩-٢٠.

٢- هو محمد بن إسحاق بن محمد بن إسحاق، أبو الفرج بن أبي يعقوب النديم: صاحب كتاب"الفهرست" ولد في بغداد سنة ٣٤٨ه بغدادي، كان ورّاقا معتزليا متشيعا يبيع الكتب. وقد ذكر في مقدمة كتابه (أنه صنفه في سنة ٣٧٧) مات في شعبان سنة ثمان وثلاثين (٤٣٨هـ) ويستفاد من هذه الروايات أنه ألّف (الفهرست) في شبابه، وعاود النظر فيه في كهولته، وعاش قرابة تسعين سنة. وله كتاب آخر سماه "التشبيهات"/ راجع الأعلام ج٦ص٢٨.

٣- الفهرست لابن النديم ص ١١٧و١٧١، وأيضا العصر العباسى الأول لشوقي ضيف ص٤٩٢.

تناولت موضوعات سياسية وأدبية وفكرية واجتماعية. علماً بأن الدكتور شوقي ضيف يرى أن الرسائل الإخوانية والديوانية والفقهية ضرباً من أدب المقالة، على نحو ما ذكرت وهو كثير في التراث العربي.١

أمّا الحديث عن الرسائل الأدبية «كرسائل الجاحظ مثلاً، وهي شبيهة بالمقالات في عصرنا الحاضر وفيها يتناول الأديب موضوعاً ما: فردياً، أو اجتماعياً، تناولاً أدبياً، مبنياً على إثارة عواطف القارئ ومشاعره.»٢ فنرى أن الأمر قد تجاوز ذلك في القرون اللاحقة وظهرت المقالة النقدية والاجتماعية والفكرية والقصصية ومقالة الرسائل ولا شيء أدّل على هذا مما وجدت عند الجاحظ[٣] (ت٢٥٥هـ)٤ في كتابه "البخلاء" ورسائله العديدة، انطلق فن الرسالة إلى قمة نضجه، وغاية كماله.

ونفخ الجاحظ في هذا الفن روحه وخصائصه المعروفة في طريق الكتابة ما تعارف عليه النقاد: «من كثرة الافتنان والاستطراد والتوازن وقصر العبارة، فأصبحت الرسالة على يد

١- راجع العصر العباسى الأول لشوقي ضيف ص ٤٩٢،٤٩١.

٢ - أسس النقد الأدبي عند العرب للدكتور أحمد أحمد بدوي ص٥٨١، دار النهضة مصر بالقاهرة، ط١، ١٩٧٩م.

٣- أبو عثمان الجاحظ هو عمرو بن بحر بن محبوب الكناني بالولاء، الليثي، كبير أئمة الأدب، ورئيس الفرقة الجاحظية من المعتزلة. ولدفي البصرة سنة ١٦٣ه/ ٧٨٠م. له تصانيف كثيرة، منها "الحيوان" أربعة مجلدات، و"البيان والتبيين" و"سحر البيان" ويسمى أخلاق الملوك، و"البخلاء" و"المحاسن والأضداد" و"التبصر بالتجارة" و"الربيع والخريف" و"الحنين إلى الأوطان "رسالة. و"جمهرة الملوك " و" الفرق في اللغة " في تذكرة النوادر، و"البرصان والعرجان والعميان والحولان " فلج في آخر عمره. وكان مشوه الخلقة. ومات والكتاب على صدره. قتلته مجلدات من الكتب وقعت عليه. ودفن في البصرة سنة ٢٥٥ هـ/ ٨٦٩ م. الأعلام ج٥ ص٧٤.

٤- مختارات من أدب العرب لأبي الحسن الندوي ج١ ص٦٣، اللجنة نشريات الإسلام في كراتشي١٩٩١م.

الجاحظ أبرز فنون النثر وأحلاها على أقلام الكتاب، وهكذا ظلت الرسالة حيةً قروناً عديدة من الزمان حتى امتدت إلى العصر الحديث، مع عناية بالمحسنات البديعية والزخارف اللفظية، تشتدّ في عصر وتتراخى في آخر»[1]

وهذا يثبت أن هذا اللون من الأدب قد عرف عند العرب قبل القرن الثاني الهجري، وإن لم يجعلوه فناً قائماً بذاته. على أن هذا اللون من الكتابة يشبه إلى حدٍ ما وجدنا ها عند بعض كتاب الفرس في القرن السادس والسابع الهجريين كأمثال نظامي الكنجوي[2] والشيخ سعدي الشيرازي[3]، وكذلك يشبه ما وجدت عند كتاب الإنجليز من القرن نفسه مثل: «مندفيل» و«شوسر»... إذ يمكننا أن نصنف ما كتبه العرب تحت اسم المقالة الوصفية أو

---

١ – جمال الدين الأفغاني وأدب المقالة للدكتور عبد الحليم محمود، ص٢٨٩.

٢– هو الشاعر الفارسي "نظامي الكنجوي" ولد في كنجه سنة ٥٣٥هـ وهو واحد من عباقرة الشعر في الآداب العالمية. عاش حياته كلها في مسقط رأسه "كنجه" (مدينة في آذربايجان) وتوفي فيها سنة ٥٩٩هـ. وخلف لنا خمس قصص سميت باسم "بنج كنج" أي كنوز الخمسة، وهي: مخزن الأسرار وخسرو وشيرين وليلي والمجنون وبهرام نامه أو هفت بيكر (أي العرائس السبع) واسكندر نامه. وقد نظم قصته "ليلي مجنون" في ٤٧٠٠بيت./ الأدب المقارن (دراسة تطبيقيه في الأدبين العربي والفارسي) للدكتور محمد السعيد جمال الدين ص٢٣١، دار ثابت للنشر والتوزيع القاهرة، ط١، ١٩٨٩م.

٣– هو أبو عبد الله مشرف بن مصلح السعدي الفارسي، شاعر وناثر فارسي كبير، ولد في شيراز سنة٦٠٦هـ١٢٠٩م وتلقى علومه الأولية فيها، ثم تابع دراسته في المدرسة النظامية ببغداد، وحصل علوم العربية والقرآن والحديث في بغداد وبلغ في ذلك شأواً، حيث يعتبر من كبار شعراء القرن السابع الهجري وأفصحهم وأعذبهم نطقاً، من مؤلفاته: بوستان وغلستان و (الديوان) وله شعر جميل بالعربية. وأقام ببغداد، وتفقه بالمدرسة النظامية، وعين معيدا بها، وسافر إلى الشام وأرض الروم، ثم رجع إلى شيراز، وتوفي في شيراز سنة ٦٩٤ هـ ١٢٩٤م./ معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن عبد الغني كحالة الدمشقي ج٦ ص١٥١، دار إحياء التراث العربي، بيروت (دون تاريخ طبع)

المقالة القصصية وغير ذلك. ولكن هذا ينطبق كثيراً على ما أورده الجاحظ في بخلائه، علماً أن ما كتبه ينتمي من المقالة التصويرية فنياً واجتماعياً -من حيث الموضوع- ينتمي كثير مما كتبه عبد الحميد الكاتب وابن المقفع وبديع الزمان الهمذاني[1] (ت٣٩٨هـ) إلى المقالة الأدبية أو السياسية، بينما تنتمي كتابات أبي حيان التوحيدي[2] (ت٤٠٠هـ) إلى المقالة التأملية أوالفلسفية.[3]

ظلت المقالة تنمو وتنشأ في القرن التاسع عشر حتى امتدّت إلى العصور الأخيرة وحين اعترفت المقالة العربية بالفضل تَدَيّنها بوجودها وتطورها للمقالة الأوروبية الحديثة التي وَاكبت عصر النهضة الأوروبية، فإنها كانت مدينة في نشأتها للصحافة التي انتشرت

١- هو أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، كنيته أبو الفضل، ولد في همذان سنة ٣٥٨هـ-٩٦٩م وانتقل إلى هراة سنة ٣٨٠هـ فسكنها، ثم ورد نيشابور سنة ٣٨٢هـ. كان قويّ الحافظة يضرب المثل بحفظه، له (مقامات) أخذ الحريري أسلوب مقاماته عنها. وكان شاعرا وطبقته في الشعر دون طبقته في النثر. ولم تكن قد ذاعت شهرته، وأنه كان ربما يكتب الكتاب مبتدئا بآخر سطوره ثم هلم جرا إلى السطر الأول فيخرجه ولا عيب فيه! وله (ديوان شعر) صغير. و (رسائل) عدتها ٢٣٣ رسالة، و توفي بعمر ٤٠ سنة ٣٩٨ هـ -١٠٠٨ م في هراة مسموماً./ الأعلام ج١ ص١١٥.

٢- هو علي بن محمد بن العباس التوحيدي، أبو حيان، ولد في شيراز أو نيشابور سنة٣١٠هـ- ٩٢٢م وأقام مدة ببغداد. وانتقل إلى الريّ، فصحب ابن العميد والصاحب ابن عباد، فلم يحمد ولاءهما. و وُشى به إلى الوزير المهلبي فطلبه، فإستتر منه ومات في استتاره، عن نيف وثمانين عاماً. من كتبه "المقابسات" و"الصداقة والصديق" و "البصائر والذخائر" الأول منه، وهو خمسة أجزاء، و"الامتاع والمؤانسة" ثلاثة أجزاء، توفي في سنة٤١٤هـ-١٠٢٣م. الأعلام ج٤ص٣٢٥.

٣- راجع فن المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، للدكتور يوسف نجم ص١٦ ،٢٢.

في البلاد العربية منذ هذا القرن، إذ شارك رُواد المقالة العربية كرفاعة الطهطاوي١ وعبد الله أبو السعود٢ وغيرهم ممن كان يكتب في الصحف المصرية مثل: «الوقائع المصرية» و«وادي النيل» و«مرآة الشرق». وراحت في مصر وروّجت -هذه الصحف وغيرها- هذا النوع من المقالة التي أخذت الصياغة من الأدب الأروبي.٣

كما يحكي لنا الأستاذ محمد قطب عن هذا العصر: «حين بدأت النهضة الحديثة في الأدب العربي، بعد ما أخذت طابعها النهائي المتميز، الذي يكفل لها السمة الإنسانية والسمة الذاتية في نفس الوقت. وقد بدأت تقليداً للصور الأدبية المتوارثة في الأدب العربي، ثم أخذت شيئاً فشيئاً تتأثر بالآداب الأروبية.»٤ وقد استفاد الأدب والأدباء خبرة

١- رفاعة رافع بن بدوي بن علي الطهطاوي، ولد في طهطا سنة١٢٢٣هـ-١٨٠١م، و قصد القاهرة سنة ١٢٣٣ هـ- فتعلم في الأزهر. وأرسلته الحكومة المصرية إماماً للصلاة و الوعظ مع بعثة من الشبان أوفدتهم إلى أروبا لتلقي العلوم الحديثة، فدرس الفرنسية و ثقف الجغرافية و التاريخ. ولما عاد إلى مصر ولي رئاسة الترجمة في المدرسة الطبية، و أنشأ جريدة (الوقائع المصرية) وألف وترجم عن الفرنسية كتبا كثيرة، منها (تخليص الإبريز) رحلته إلى فرنسا. توفي بالقاهرة سنة ١٨٧٣ م. الأعلام ج٣ص٢٨.

٢- عبد الله (أبو السُّعود أفندي) بن عبد الله أبي السعود، ولد في دهشور (قرب الجيزة بمصر سنة ١٨٢٠م) وتعلم، وأتقن مع العربية الفرنسية والإيطالية. وعين ناظراً لقلم الترجمة، فأستاذا للتاريخ بدار العلوم. وأنشأ جريدة "وادي النيل" سنة ١٢٨٤ هـ ثم تولى تحرير "روضة الأخبار" و له كتب، منها " ديوان شعر" و "سيرة محمد علي باشا" أرجوزة، عشرة آلاف بيت، سماها " منحة أهل العصر" وترجم عن الفرنسية " قناصة أهل العصر" من خلاصة تاريخ مصر وتوفي بالقاهرة سنة ١٨٧٨ م. / الأعلام ج٤ص٩٩.

٣ - فن المقالة عند ميخائيل نعيمة للدكتور محمود فليح القضاه والدكتور مرلين عدنان، مجلة جامعة دمشق ص٥٨٩، عدد١و٢، ٢٠١٣م

٤ - منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص٣٥٣.

كبيرة ولاشك؛ بالاستمداد من أدب الغرب ومذاهبه وأفكاره، وسعة مجالاته وتعدد فنونه، وطرائق العرض فيه والأداء والقواعد الفنية للعرض والأداء. ولكنهم فقدوا شخصيتهم المميزة وتبعثروا فلم يعودوا يمثلون طابعاً مميزاً محدد السمات في الأدب العالمي الواسع الثراء.[١]

ثم نشأت الحركات الفكرية والأحزاب السياسية-بعد النهضة العلمية- فأعطت المقالة، بُعداً جديداً واندفع كتّابها إلى تطوير المقالة فناً ومضموناً كما نرى عند السيد جمال

١ - نفس المصدر ص ٣٥٥.

الدين الأفغاني وعبد الرحمن الكواكبي[1] وسعيد البستاني[2] وإبراهيم المويلحي[3] وسليم النقاش[1] ومحمد رضا وخليل مطران ولطفي السيد[2] ونجيب حداد ... وغير هؤلاء، كثير

١- عبد الرحمن الكواكبي بن أحمد بهائي بن محمد بن مسعود الكواكبي، ولد في سوريا سنة ١٢٧١ه- ١٨٥٤م في مدينة حلب، تعلم القراءة والكتابة، وأتم قراءة القرآن وحفظه، درس الشريعة والأدب في المدرسة الكواكبية، وكان يشرف عليها ويدرّس فيها والده مع نفر من كبار العلماء في حلب. أسس صحيفة باسم "الشهباء" (سنة ١٨٧٧م) وهي أول صحيفة تصدر باللغة العربية في حلب فأصدر جريدة (سنة١٨٧٩م) باسم جريدة الـ"اعتدال" سار فيها على نهج "الشهباء" لكنها لم تستمر طويلا فتوقفت عن الصدور. توفي في القاهرة سنة ١٩٠٢م حيث دفن فيها. ألف العديد من الكتب وترك لنا تراثاً ادبيا كبيراً، منها طبائع الإستبداد وأم القرى والعظمة لله وصحائف قريش./ الأعمال الكاملة للكواكبي"دراسة وتحقيق محمد جمال طحان، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط٣، ٢٠٠٦م.

٢- سعيد البستاني بن جرجس أبي فياض البستاني، ولد في دير القمر بلبنان، تخرج من المدرسة الوطنية للبستاني ودرس في معهد مارلويس في غزير، وفيها ألف رواية "داود النبي" شعراً، تخصص لعلم الفقه وتضلع فيه، ثم عين رئيساً لمحاكم كسروان وجزين ودير القمر واشتهر بالنزاهة والحزم، ولم تشغله خطورة منصبه ومسؤولياته عن خدمة العلم والأدب. وله رواية جديدة باسم "ذات الخدر" صدرت سنة ١٨٨٤م من مطابع الأهرام التجارية، بيروت. ١٩٠١ توفي في سنة ١٩٠١م في الحدث (لبنان) م./ تاريخ الآداب العربية في القرن التاسع عشر والربع الأول من القرن العشرين لرزق الله بن يوسف بن يعقوب شيخو ج١ ص٣٢٩، دار المشرق، بيروت، ط٣ (بدون تاريخ طبع).

٣- محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق بن إبراهيم المويلحي، ولد في القاهرة سنة ١٨٥٨م ، تعلم في الأزهر ثم في مدرسة الأنجال (أنجال الخديوي إسماعيل) ونشأ في نعمة، مع والده، و ولي منصبا في وزراة "الحقانية " بمصر سنة ١٨٨١م. اشتهر بكتابه "عيسى بن هشام" وألف كتابه الثاني " علاج النفس" ونشر أبحاثا ومقالات كثيرة في الصحف المصرية. أنشأ مع أبيه جريدة "مصباح الشرق " سنة ١٨٩٨م وتوفي سنة ١٩٣٠ م، في حلوان (من ضواحي القاهرة). / الأعلام ج٥ ص٣٠٥.

ممن كتب في صحف شتى أدبية و فكرية، أمثال: الرسالة والثقافة والمقتطف والأدب وغيرها.٣

حين امتازت المقالة بسمات الصحافة وكانت تتجه إلى التوسع في الثقافة والاتجاه إلى التعبير عن أفكار أصحابها بحرية كبيرة. ثُمّ بدأت الشؤون السياسية والاجتماعية والأدبية تستقطب العديد من كتّاب المقال.

ترجع أسباب نهوض النثر المصري الحديث إلى الكتاب الذين برزوا في هذا السبيل، كما يشير إلى ذلك الدكتور شوقي ضيف في قوله: «استطاعت مصر في العصر الحديث أن تنهض نهضة واسعة في النثر العربي (على وجه الخصوص في فن المقال) وقد بدأت هذه النهضة في القرن التاسع عشر منذ أرسلت البعوث إلى أروبا، فإن هذه البعوث لما رجعت أخذت تتفكر في إدخال بعض ما تعرفت عليه من الآداب الأوروبية، فظهرت فكرة الترجمة

١- سليم بن خليل النقاش، مؤرخ باحث سوريّ، ولد في بيروت. له مقالات كثيرة في جرائد مصر والإسكندرية، وكتاب مصر للمصريين تسعة أجزاء، طبعت الستة الأخيرة منها و ضاعت الثلاثة الأولى. مات بالإسكندرية سنة ١٨٨٤ م. / الأعلام ج٣ص١١٧.

٢- أحمد لطفي بن السيد أبي علي، ولد سنة ١٨٧٠م في قرية برقين بمركز (السنبلاوين) بمصر، وتخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة ١٨٨٩م، وينعت بأستاذ الجيل. وشارك في تأسيس حزب (الأمة) سنة ١٩٠٨م فكان أمينه، وعين مديرا لدار الكتب المصرية فمديرا للجامعة عدة مرات، ثم وزيرا للمعارف، والداخلية والخارجية ١٩٤٦م وكان تعيينه رئيسا لمجمع اللغة العربية في القاهرة سنة ١٩٤٥م، واستمر فيه إلى أن توفي فيها سنة ١٩٦٣م. و جمع إسماعيل مظهر مقالاته في (صفحات مطوية من تاريخ الحركة الاستقلالية) و (المنتخبات) جزان و (تأملات في الفلسفة والأدب والسياسة والاجتماع)./ الأعلام ج١ص٢٠٠.

٣ – الأديب، النص، الناقد (مقالات) اختار حسن حميد ص١٠، اتحاد الكتاب العرب، ٢٠٠٧م.

و كتابة المقالة كما ظهرت هذه الفكرة على نحو ما نعرف عند رفاعة الطهطاوي في «تليماك ١ » ٢

١- رواية مغامرات "تليماك" للأب "فينلون" فرنسي الذي عاش في فرنسا في الفترة من ١٦٥١م حتى ١٧٦٥م، ونشر روايته سنة ١٦٩٩م، وقد اعتبرها النقاد آنذاك صورة فاضحة للملك لويس الرابع عشر حيث تضمنت نقدا لاذعا وحادا لسياساته. ترجمها رفاعة الطهطاوي عن الفرنسية بين عامي ١٨٥١ – ١٨٥٤م وسماها "مواقع الأفلاك في وقائع تليماك" فإنّه نقل القصة إلي أسلوب السجع والبديع، المعروف في المقامات. وهذا يعد أول مظهر من مظاهر النشاط الروائي في مصر في القرن التاسع عشر والهدف واضح من مقدمته التي كتبها رفاعة علي الرواية المترجمة، وسماها ديباجة الكتاب!./ التحرير الأدبي للدكتور حسين علي محمد حسين ص٢٨٨، مكتبة العبيكان، ط٥، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م وأيضا نشأة النثر الحديث وتطوره لعمر الدسوقي ص١١، دار الفكر العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م.

٢- الفن ومذاهبه في النثر العربي د. شوقي ضيف ص٣٩١، دار المعارف مصر، ط٥، ١٩٦٠م.

المطلب الثاني: تطور فن المقال في عصر محمد قطب:

لقد ازدهر أدب المقالة بعد ثورة ١٩١٩م في مصر؛ و كان من ثمارها في مجال الصحافة: صحيفة «الاستقلال» التي أسسها محمود عزمي[١] في عام١٩٢١م، و التي شارك في تنظيمها وتحريرها طه حسين[٢].

و «النهضة المصرية» التي أسسها عبد الحميد حميدي وآخرون معه في عام ١٩٢٢م.

و « السياسة » التي أسسها محمد حسين هيكل في عام ١٩٢٢م .

و « البلاغ » تأسست بيد عبدالقادر حمزة[٣] في عام ١٩٢٣م.

١- محمود عزمي هو كاتب مصري، ولد بمنيا القمح في سنة ١٨٨٩م، وتعلم بمصر وباريس و حصل على شهادة الدكتوراه في القانون. كان رئيسا لوفد مصر في الأمم المتحدة (بنيويارك) وأنشأ جريدة "الاستقلال" يومية بالقاهرة (سنة ١٩٢١) ثم مجلة "الجديد" سنة ١٩٢٥ و كتب (حقوق الإنسان) رسالة صغيرة و (ملخص مبادئ الصحافة العامة) و (الأيام المئة، على هامش التاريخ المصري الحديث) رسالة وتوفي سنة ١٩٥٤م فجأة و هو يخطب في (مجلس الأمن) مفندا بعض مزاعم اليهود./ الأعلام ج٧ ص١٧٧.

٢- طه بن حسين بن علي بن سلامة، ولد في قرية "الكيلو"سنة ١٨٨٩م بمغاغة من محافظة المنيا (بالصعيد المصري) وأصيب بالجدري في الثالثة من عمره، فكف بصره. وبدأ حياته في الأزهر (١٩٠٢ - ١٩٠٨) ثم بالجامعة المصرية القديمة. وهو أول من نال شهادة (الدكتوراه في الأدب) وسافر في بعثة إلى باريس فتخرج بالسوربون سنة ١٩١٨ و كتب رسالة "فسلفة ابن خلدون" وعاد إلى مصر، فاتصل بالصحافة. وعين محاضرا في كلية الآداب بجامعة القاهرة. ثم كان عميدا لتلك الكلية فوزيرا للمعارف. وأقبل الناس على كتبه. ومن المطبوع منها (في الأدب الجاهلي) و (حديث الأربعاء) آخر أعماله الحكومية سنة ١٩٥٢م وتوفي سنة ١٩٧٣م بالقاهرة. / الأعلام ج٣ ص٢٣٠.

٣- عبد القادر "باشا" بن محمد بن عبد القادر حمزة، ولد في شبرخيت التابعة للبحيرة، بمصر سنة ١٨٨٠م وتعلم الحقوق بالقاهرة، واحترف المحاماة سنة ١٩٠٢م، ثم انقطع للصحافة، فترأس تحرير جريدة "الأهالي" اليومية بالإسكندرية سنة ١٩١٠ إلى أن أصدر"البلاغ" سنة ١٩٢٣ بالقاهرة. وصنف "على هامش التاريخ المصري

و «كوكب الشرق » تأسست بيد أحمد حافظ عوض١ في عام ١٩٢٤م.

و « الأخبار » تأسست بيد أمين الرافعي٢ في عام ١٩٢٥م.

و « الأسبوع » تأسست بيد إبراهيم عبد القادر المازني٣ في عام ١٩٢٦م.

ثمّ ظهرت الصحف: «المصري» و«صوت الأمة» و«الدستور» و«الأساس» و«أخبار اليوم» و... هذه الصحف اليومية، لها أثرها في تطور أدب المقالة، وازدهارها، لاسيّما في

القديم" جزآن. وترجم عن الإنجليزية "التاريخ السري للاحتلال البريطاني لمصر" وترجم في صباه عدة روايات، منها "الأميرة دي كليف" عن الفرنسية. وتوفي بالقاهرة سنة١٩٤١م. / الأعلام ج٤ص٤٤.

١- أحمد حافظ عوض، كاتب مصري، من كبار الصحفيين. ولد في القاهرة سنة ١٨٧٧م ، عمل مترجما عن الانكليزية فكاتبا في جريدة "المؤيد" سنة ١٨٩٨- ١٩٠٦ م، وأصدر مجلة "الآداب" وعمل مع الوفد بعد ثورة ١٩١٩ وأصدر "المؤيد" ثم "كوكب الشرق" يومية وفدية استمرت زهاء٢٠ سنة. كان من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية. ولزم بيته مريضا بضعة أعوام، له كتب منها (فتح مصر الحديث، أو نابليون بونا برت في مصر) و (من والد إلى ولده) و (كلمات في سبيل الحياة) وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٠ م./ الأعلام ج١ص١٠٨.

٢- أمين بن عبد اللطيف الرافعي ولد في الزقازيق (بمصر سنة ١٨٨٦م) وتعلم بها وبالإسكندرية، وقد تولى أبوه الإفتاء في الثانية. ثم تخرج بمدرسة الحقوق في القاهرة. وانضم إلى الحزب الوطني في عهد مؤسسه مصطفى كامل، فكتب بواكير مقالاته في جرائد (اللواء) و (العلم) و (الشعب). له من الكتب (مذكرات سائح) نوع من الرحلة. ومقالاته كثيرة جداً، واستمرّ يجاهد بقلمه مستقلاً إلى أن توفي بالقاهرة سنة ١٩٢٧م. / الأعلام ج٢ص١٧.

٣- إبراهيم بن محمد بن عبد القادر المازني ولد في القاهرة سنة ١٨٩٠م ،نسبته إلى (كوم مازن) من المنوفية بمصر، تخرج بمدرسة المعلمين، وترك التدريس، ثم عمل في الصحافة في جريدة "الأخبار" مع أمين الرافعي، و"البلاغ" مع عبد القادر حمزة وكتب في صحف يومية أخرى، وملأ المجلات الشهرية والأسبوعية المصرية بفيض من مقالاته. وهو من أعضاء المجمع العلمي العربيّ بدمشق ومجمع اللغة العربية بالقاهرة. وله كتب، منها (حصاد الهشيم) مقالات، و (بشار بن برد) و (الشعر، غاياته ووسائطه) رسالة، توفي بالقاهرة سنة١٩٤٩م./ الأعلام ج١ ص٧٩.

المقالة السياسية، التي توسل بها الكتّاب المقاليون لتكون سلاحهم في ميدان الكفاح من أجل الوطن وقضاياه.»١

وقد ذهب عباس محمود العقاد٢ إلى أن «الفصل» هو أصل المقالة الأولى في الآداب العربية وربما كانت الكتب العربية عند أوّل نشأتها فصولاً مجموعة على شيء عن صلة في موضوعها أو بغير صلة بينها على الإطلاق، فإذا فتحت الكثير منها قرأت فصلاً في «الأخلاق» إلى جانب فصل في أخبار الشجعان والبلغاء إلى جانب فصل في الدعاء والدهاء إلى أشباه ذلك من الموضوعات التي هي أقرب الموضوعات إلى المقالة بوضعها الحديث»٣

١ – أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة للدكتور عبدالعزيز شرف ص١٥٦. وأيضا يسألونك لعباس محمود العقاد ص٥، المكتبة المصرية: بيروت، ط١٣، ١٩٨١م.

٢– عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد، أصله من دمياط، ولد في أسوان سنة١٨٨٩م وتعلم في مدرستها الابتدائية. وشغف بالمطالعة. وسعى للرزق فكان موظفا بالسكة الحديدية وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ثم معلما في بعض المدارس الأهلية. تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها ثم أَلَمَّ بالألمانية والفرنسية وظل اسمه لامعا مدة نصف قرن أخرج في خلالها من تصنيفه ٨٣ كتابا، في أنواع مختلفة من الأدب الرفيع، منها كتاب (ساعات بين الكتب) و(العبقريات) و(عرائس وشياطين) و(التفكير فريضة إسلامية) و(ديوان العقاد) وكلها مطبوعة متداولة. كان من أعضاء المجامع العربية الثلاثة (دمشق والقاهرة وبغداد. توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٤ م ودفن بأسوان./ الأعلام ج٣ ص٢٦٥.

٣ – وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة للدكتور عبد العزيز شرف ص٢٢٠ دار الجيل بيروت ط١، ١٩٩٣م.

كما يقول الدكتور عبد العزيز شرف: إن الفصل في الحقيقة هو أصل المقالة الأول في الآداب العربية وهو أقدم رائد للمقالة في الآداب العالمية لأنه ظهر قبل ظهور مقالات مونتاني١، كما يؤكد عباس محمود العقاد في كتابه"يسألونك"٢

فلهذا أستطيع القول: إن المقالة في الأدب العربي الحديث قد ازدهرت منذ ذاك القرن إلى القرن العشرين، وهي مرتبطة بتاريخ الصحافة ارتباطاً وثيقاً في مصر بدأ بتطوّر المدرسة الصحفية الأولى وما يُمثلها من كتاب كرفاعة الطهطاوي وعبدالله أبو السعود وميخائيل عبد السيد، حين نشروا مقالاتهم في الوقائع المصرية و وادي النيل والوطن وغيرها.٣

ومن ثمّ تطورت المقالة على يد مجموعة من الكتاب كأديب إسحاق٤ وسليم النقاش وسعيد البستاني ومحمد رشيد رضا وخليل مطران٥ ونجيب حداد وغيرهم كثير، كما كان

---

١ – وسائل الإعلام ومشكلة الثقافة ص٢٢٠.

٢ – يسألونك لعباس محمود العقاد ص٥.

٣ – فن المقالة عند ميخائيل نعيمة للدكتور محمود فليح القضاة ص٥٨٩ ج٢٩ عدد٢، في مجلة جامعة دمشق ٢٠١٣م.

٤– أَدِيب إِسْحَاق الدمشقيّ، ولد في دمشق وتعلم فيها، وانتقل إلى بيروت كاتبا في ديوان المكس (الجمرك) ثم اعتزل العمل، وتولى الإنشاء في جريدة "ثمرات الفنون" وجريدة "التقدم" وسافر إلى القاهرة فأصدر جريدة "مصر" سنة ١٨٧٧م، وعاد إلى الإسكندرية فأصدر مشتركا مع سليم النقاش جريدة "التجارة" وأقفلت الجريدتان، فرحل إلى باريس سنة ١٨٨٠م فأصدر فيها جريدة "مصر القاهرة" من آثاره (نزهة الأحداق في مصارع العشاق) منها (رواية اندروماك) و(رواية شارلمان) و(الباريسية الحسناء). وجمعت مقالاته ومنظوماته في كتاب الدرر. وتوفي في لبنان سنة١٨٨٥م./ الأعلام ج١ص٢٨٤.

٥– خليل بن عبده بن يوسف مطران، ولد في بعلبكّ (بلبنان) سنة ١٨٧١ م وتعلم بالمدرسة البطريركية في بيروت. وسكن مصر، فتولى تحرير جريدة "الأهرام" بضع سنين، ثم أنشأ "المجلة المصرية" وبعدها جريدة "الجوائب

للشوؤن السياسية والاجتماعية والأدبية، دورٌ كبير في استقطاب العديد من كتاب المقالة، مثل عبد الرحمن شكري وعبد العزيز البِشري١ وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني وعباس محمود العقاد٢، أستطيع القول بأن هؤلاء الكتاب على الأستاذ محمد قطب تأثر به فكرياً وأدبيا، كما يحكي عن هذا التأثير: «أثر العقاد عليّ فقد بدأ منذ بدأت الاتصال بكتبه، وكنت في التاسعة من عمري، إذ كنت أجدها بجانبي في البيت، فأحاول أن أفهم منها ما يتيحه لي وعي وتجربتي»٣

ويمكنني القول بأن أثر العقاد به فكرياً إنما يتمثل في التركيز على الدقة في التعبير وكان هذا التأثير فكرياً أسلوبياً.كما هو يقول عن هذا الأثر: «قد كانت حصيلتي الثقافية قد نمَت بقراءة ما قرأت من كتب العقاد وطه حسين والمازني وحسين هيكل وغيرهم... بحيث أستطيع أن اَستوعب من معاني القرآن ومفاهيمه قدراً غير ضئيل».٤ ورأى محمد المجذوب

المصرية" يومية. وكان غزير العلم بالأدبين العربيّ والفرنسي، وصنّف (مرآة الأيام في ملخص التاريخ العام) وترجم عدة (روايات) من تأليف شكسبير وهوغو ووراسين. وعلت شهرته، ولقب بشاعر القطرين و(ديوان شعره) في أربعة أجزاء. توفي بالقاهرة سنة ١٩٤٩ م ./ الأعلام ج٢ص٣٢٠.

١- عبد العزيز بن سليم البشري، ولد في القاهرة سنة ١٨٦٦م، تعلم بالأزهر، و ولي القضاء الشرعي في بعض الأقاليم المصرية، ثم عين مراقبا إداريا للمجمع اللغويّ إلى أن توفي. كان مرحا طروبا، حلو العشرة، شريف النفس. نظم الشعر في شبابه، ثم عُدل عنه إلى النثر. كان عضو التحرير في جريدة البلاغ. له كتاب سماه (في المرآة) جمع فيه مقالات كان ينشرها تحت هذا العنوان و(المختار) في الأدب، جزآن، و" قطوف "جزان، و"التربية الوطنية". وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٤٣./ الأعلام ج٤ ص١٨.

٢ – فن المقالة للدكتور يوسف نجم ص٦٤-٧٠.

٣- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ص٢٧٨.

٤ – دراسات قرآنية لمحمد قطب ص٧ دار الشروق، بيروت، ط٤، ١٩٨٣م.

أن تأثير هؤلاء الكتاب عليه،كان مبكراً ويستدل بنقل قوله:«يمكن أن أقول بأن أثر العقاد به فكرياً إنّما يتمثل في الصبر على معالجة الأفكار بشيء من العمق وعدم تناولها من سطوحها، أسلوبياً...»[1]

بعد هذا التفصيل الذي عرضت عن أثر الصحف اليومية في تطور المقالة الأدبية ونهضتها إلا أن أثر المجلة كان أعظم شأنا. فالمجلة بطبيعة حجمها، ومواعيد صدورها، تحتمل من الجد والإسهاب أكثر ممّا تحتمل الصحيفة اليومية، ثم إن غايتها تختلف عن غاية الصحيفة، فبينما نرى أن السياسة وما يتصل بها هي الغاية الأولى للصحافة، لأن الصحافة أصبحت من أهم الوسائل السياسية. نجد أن المجلة تعني بالثقافة والأدب في المقام الأول.[2]

لذا «كانت المقالة (في هذا العصر) من أهم الوسائل التي يخاطب بها الأدباء قراءهم عن طريق تلك الصحف والمجلات. وكان للصراع الحزبي بين الصحف الناطقة بلسان الأحزاب، كما كان للتنافس الشديد بين المجلات الناطقة بلسان الثقافة والأدب، أثر هائل في تنشيط كتابة المقالة التي توفرت لها كل عوامل الازدهار في ذلك الحين.»[3] وقد كان من مظاهر هذا الازدهار تعدد ألوان المقالات، كان ينمو مع نمو عقلنا ويَرْقَى مع رقيه، وبونٌ واسع بين مقالات الجيل الأول والجيل الذي بعده في عصر الاحتلال، كمثل جيل مصطفى

١ – علماء ومفكرون عرفتهم ص٢٧٨.

٢ – فن المقالة ليوسف نجم ص٧٥.

٣ – تطور الأدب الحديث في مصر للدكتور أحمد هيكل ص٣٧٥.

كامل والشيخ علي يوسف ولطفي السيد، فقد بثّ هذا الجيل الثاني في المقالة السياسية حياة وقوة.»١

يكون سبب ازدهار المقالة الحديثة ظهور المدرسة الحديثة، إن هذه المدرسة «خطت بالأسلوب الأدبي خطوات جبارة فخلصته من قيود الصنعة والسجع، وأطلقته حراً بسيطاً حمولته من الأفكار والمعاني، تفوق حمولته من الزخرف والعبث البديعي.»٢

هذه المدرسة تبدأ بالحرب العظمى الأولى وما تلاها من أحداث جسام، قلبت الحياة المصرية رأساً على عقب، وصفت جوهر الشخصية المصرية حتى ظهرت على حقيقتها، من أحداث الثورة المصرية الأولى سنة ١٩١٩م، إلى اتساع شؤون الحياة السياسية بعد معاهدة سنة ١٩٢٦م. وكان أثر هذه الصحف في المقالة محصوراً في نطاق المقالة السياسية أو افتتاحية التحرير. أمّا أثرها الأدبي فقد كان ضعيفاً. وامتازت المقالة في هذا الطور بالتركيز والدقة العلمية، والميل إلى بثّ الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم. أمّا أسلوبها فهو الأسلوب الأدبي الحديث الذي عُرف به محررو هذه الصحف.٣

و شأن المقالة الصحفية في لبنان يختلف عنها في مصر كاملاً وفي سائر أقطار العالم العربي سارت الصحف والمجلات سيرتها في مصر ولبنان، وقد كان هذان القطران، وما يزالان عنوان النهضة الأدبية الحديثة.٤ ونُلاحظ أن أسلوب المقالة– في تلك الفترة– لم يتخذ شكلاً

---

١ – الأدب العربي المعاصر في مصر لشوقي ضيف ص٢٠٦.

٢ – المرجع السابق ص٦٨.

٣ – الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر لمحمد محمد حسين ج٢ ص٢٣ مؤسسه الرسالة، بيروت، ط٧، ١٩٨٤م.

٤ – فن المقالة ليوسف نجم ص ٦٩–٧٧.

واحداً بطبيعة الحال، فقد اختلفت أشكاله بعض الاختلاف نظراً لاختلاف الكتّاب وطبيعتهم وثقافتهم ثمّ نظراً لاختلاف الموضوع المعالج، فحين يكون الكاتب ذا ثقافة فكرية يغلب على أسلوبه الجانب الذهني والقرب من القضايا المنطقية، وما فيها من استدلال واحتجاج.١

أستطيع بعد هذا العرض التاريخي لحركة المجلات- تطور المقالات فيها-في لبنان ومصر والعالم العربي، أن أوجز أثر المجلة في تطور المقالة، بما يلي:٢

تطويع اللغة وتهذيب أسلوب الكتابة بحيث أصبحت أداة مواتية لنقل الأفكار الحديثة.

اتساع صفحاتها لنشر مختلف أنواع المقالة من ذاتية وموضوعية.

خلق طبقة من الكتاب الذين عُنُوا بفنّ المقالة وجعلوها الوسيلة الأولى لنقل أفكارهم وإذاعة آرائهم. وقد برز من هؤلاء أعلام المدرسة الأدبية الحديثة في مصر ولبنان والعالم العربي.٣

وقد بلغ من ازدهار المقالة في تلك الفترة التي ذكرت، أن كثيراً من الكتب الجديدة التي نراها الآن لكبار الكتّاب، ونراهم يعتزون بها و يذكرونها في مقدمة آثارهم، إنّما نشرت أولاً في الصحف على هيئة مقالات، ثمّ ضمنها في كتاب. ومن تلك الكتب: «حديث الأربعاء» لطه حسين و«في أوقات الفراغ» لمحمد حسين هيكل، و«مطالعات في الكتب والحياة»

١ - تطور الأدب الحديث في مصر للدكتور أحمد هيكل ص٧٤، دار المعارف، القاهرة، مصر،ط٥، ١٩٨٦م.

٢ - فن المقالة ص٧٧.

٣ - المرجع السابق ص٧٨.

و«ساعات بين الكتب» لعباس محمود العقاد و«حصاد الهشيم» و«قبض الريح» لإبراهيم عبد القادر المازني[1] و«الدراسات الإسلامية» و«معركتنا مع اليهود» لسيد قطب و«قبسات من الرسول» و«في النفس والمجتمع» و«شبهات حول الإسلام» للأستاذ محمد قطب.

فـ«الإنسان بين المادية والإسلام» مجموعة من المقالات (لمحمد قطب) التي نشرت معظمها في الثقافة والرسالة، وقد ضمّن المؤلف معظم فصول هذا الكتاب من المقالات؛ هو مجموعة من المقالات التي نشرت حول الحياة الماديّة في القرن العشرين، بين السنوات ١٩٤٥-١٩٥٠م.

كمثل كتاب «مطالعات في الكتب والحياة» لعباس محمود العقاد، هي مجموعة المقالات التي نشرت معظمها في «البلاغ» وتلك المجموعة من المقالات منوعة غاية التنوع.[2]

وقد كان الغرض من تلك الكتب وألوان المقالات التي تحويها إعطاء صورة للمقالة في جوانبها الموضوعية وميادينها المتعددة، ممّا كان مظهراً جليّاً من مظاهر ازدهار هذا النوع النثري في تلك الفترة.

فإذا تركنا هذه الجوانب المتصلة بالموضوع ونظرنا فيما يتصل بالمقالة من ناحية الأسلوب، وجدنا جانباً آخر من جوانب الازدهار، يفوق هذا الجانب ويتجاوزه بأشواط[3] «فقد أدت الثقافة الفنية التي تمتع بها كبار الكتّاب في تلك الفترة، وما كان لهم من شعور قوي باستقلال الشخصية، وإحساس عارم بالحرية الفردية، ثمّ ما كان من ممارسة متصلة

---

١ - تطور الأدب الحديث في مصر، ص٣٧٦.

٢ - المرجع السابق ص٣٧٧.

٣ - المرجع السابق ص٣٧٩.

للكتابة ومعاناة دائبة للإنتاج؛ قد أدّت كل تلك العوامل إلى تعدد طرق التعبير، وتميز أساليب الأدباء، برغم اندماجها جميعاً تحت اتجاهين رئيسيين، هما: «الاتجاه الأسلوبي» و«الاتجاه الفكري.»١ وسأتكلم بالتفصيل – إن شاءالله- عن الاتجاه الأدبي والأسلوبي في المباحث الآتية.

المطلب الثالث: أهمية المقال في عصر محمد قطب:

للمقال جذور ضاربة في تاريخ الأدب، وبالعودة إلى كتب الأدب العربي تبدو لنا نماذج مقالية في: الكتابة والسياسة والاجتماع والفنون والعلوم. و رسائل عبدالحميد الكاتب التي أرسلها إلى كُتّاب عصره، كمثل مقالاته الأدبية، ومقالاته في الحكمة، ومقالاته في السياسة.

أهمية المقالة تعود إلى «أن الكتّاب قد أشاروا إلى موطن الداء في أدب بلادهم، وحاولوا أن يقدموا الدواء الناجع لهم، ورغم أن آراءهم الأدبية أقرب إلى نظريات الأدب الحديث، منها إلى تقاليد الأدب العربي العريق، فإن ممّا يحمد للحركة الأدبية الجديدة في الأدب بهذه البلاد هو أن أحد روادها قد استطاع في زمن وجيز أن يتمثل نظريات الأدب الحديث وأن يوائم بينها وبين أسس الأدب العربي العريق ثم يتخذ الحكمة والصحافة في تطبيق مفاهيم الأدبين على الأدب المحلي الناشئ.»٢

حيث ظهرت أهمية المقالة في إصلاح المجتمع و ازدهرت بسببها، وراجت سوقها في كثير من البلاد العربية خصوصاً في الشام ومصر والعالم العربي، وظـــهر في ذلك الوقت

---

١ – المرجع نفسه.

٢– النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية للدكتور محمد عبد الرحمن شامخ ص١١٠-١١١.

كتّاب أفذاذ يضارعون الكتّاب الأوائل في أساليبهم الراقية، وتحريراتهم العالية. وفي ذلك الوقت حرصت الصحف والمجلات على استقطاب أكابر الكتّاب والعلماء؛ فصارت ميداناً فسيحاً لنشر الأدب، والعلم والنقد وما جرى مجرى ذلك.

يُشير الدكتور جمال الجاسم المحمود[1]، إلى أهمية المقالة في الدوريات والصحف بقوله «تُعدّ المقالة الصحفية من أكثر الأنواع الصحفية صلة بالوسيلة الإعلامية، ومن أكثرها مقدرة في تأهيل الصحيفة وتمكينها من تحقيق شخصيتها المتميزة، وبناء حضور واسع في أوساط القراء، فهي نوع مميز من فن المقالة بشكل عام وعنصر أساسي في تحرير الصحيفة، بحيث تمثل المهمة الأولى لها في الانفتاح على المجتمع، وتأدية رسالته في التثقيف والتعليم والتوجيه والإقناع وتكوين الرأى العام، فضلاً عن الإمتاع من خلال العرض والتفسير والشرح. ويشكل هذا المقال خطوة في إطار الجهود العلمية والوطنية لتزويد مكتباتنا الإعلامية.»[2]

ويضيف إلى هذه الأهمية بقوله أيضاً: «يُعدّ فن المقالة نوعاً فكرياً تشكل الأحداث والظواهر والتطورات موضوعة وتتميز بمعالجة الموضوعات العامة والآنية بقدر من

١- هو جمال الجاسم بن المحمود ولد في دمشق وتخرج من كلية العلوم السياسية وأصبح أستاذاً في كلية العلوم السياسية في جامعة دمشق في سوريا./ راجع مجلة جامعة دمشق للعلوم الاقتصادية والقانونية، ج ٢٤ عدد١، سنة ٢٠٠٨م.

٢- فن المقالة للدكتور جمال الجاسم المحمود، ص٤٤٧، ج٢٤ عدد١، مجلة "للعلوم الاقتصادية والقانونية" (مجلة جامعة دمشق) ٢٠٠٨م.

الشمولية والعمق مستخدماً أسلوب العرض والتحليل والاستنتاج هدفاً إلى تقديم رؤية فكرية لهذه الأحداث والظواهر والتطورات.»١

بعد إشارة بسيطة حول قيمتها، أستطيع القول بأن أهميتها ترجع إلى أمور منها:

- هي وسيلة من وسائل نشر الثقافة.
- معالجة المشكلات السياسية والاجتماعية والفكرية والأدبية.
- التنبيه والإشارة لقضايا الفكر والاجتماع.
- التعبير عن حرية الرأى في إطار العقيدة.
- تعد من أهمّ ألوان الإبداع الأدبي.

ويروي الدكتور عبد العزيز شرف نظرية "طه حسين" عن قيمة فن المقال «ليس ككلام السوقية الذي لا قيمة له ولا هو بالأدب الرفيع الذي يكلف صاحبه الكد والجد والعناء، وإنّما هو فن وسط يحتل منزلة بين المنزلتين في أكثره من الأدب روح وفيه مع ذلك من اليسر والسهولة واللين والمؤاتاة ما يُلائم السرعة والانتظام.»٢، كذلك كتب أحمد هيكل٣ عن قيمة المقالة في الأدب المصري الحديث بقوله: «فن المقالة في الأدب المصري

١- المرجع السابق ص٤٤٥.

٢- أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة للدكتور عبدالعزيز شرف ص١٠ دار الجيل بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٣- هو أحمد عبد المقصود هيكل، عالم لغوي ورائد في الفكر والأدب. هو اشتهر باسم أحمد هيكل، وُلد سنة ١٩٢٢م بالزقازيق، وتلقى دراسته في معهد الزقازيق الدينى. تلقى ليسانس اللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية من كلية دار العلوم، نال الدكتوراه في الأدب من جامعة مدريد، عام ١٩٥٤م. عمل أستاذا ورئيساً في جامعة القاهرة. كان وزيرا للثقافة في الفترة من عام ١٩٨٥ حتى عام ١٩٨٧. هو ناقد أدبي ألف الكتب الرائدة وكتب العديد من البحوث والمقالات. نحو الأدب الأندلسي (من الفتح إلى سقوط الخلافة) و تطور الأدب

استجابة لضرورات سياسية واجتماعية ثم تطوره نتيجة لهذا الوعي الذي كان ينمو وينضج في تلك السنين، من النصف الثاني من القرن الماضي. فقد وعى المصريون واقعهم بكل ما فيه من حاجات إلى الإصلاح السياسي والاجتماعي والديني، واتجه فريق من مثقفيهم إلى الكتابة في تلك الجوانب الإصلاحية العديدة، متخذين من الصحافة -تلك الوسيلة الجديدة- أداة لتوصيل آرائهم وأفكارهم إلى مواطنيهم.»١

ويرغبون أن يكون نظام الأمة وناموسها العام على وفق أفكارهم، وإن كانت الأمة عدّة ملايين، والمفكرون أشخاصاً معدودين، ويظنون أن أفكارهم العالية إذا برزت من عقولهم إلى حيز الكتب والدفاتر و وضعت أصولاً وقواعد ليسر الأمة بتمامها، ينقلب بها حال الأمة من أسفل درك في الشقاء إلى أعلى درج في السيادة، وتتبدل العادات وتتحول الأخلاق حتى يفيد المتأدب، من ثقافة عامة، تتشكل بثقافة الكاتب، وتصور -إلى حد كبير- ثقافة عصره.

والذي أستَبينُه من هذا العرض: أن مرور الأيّام على المقالة واختلاف الكتاب أصبحت عملاً منظماً، يتطلب مزيداً من إحكام الصنعة وضبط التصميم، إلاّ أنها مع هذا، لا تبلغ مبلغ الكتاب أو البحث الكامل.

الحديث في مصر و الأدب القصصي والمسرحي في مصر، حاز جائزة مبارك في الآداب من المجلس الأعلى للثقافة، عام ٢٠٠٤م وتوفي سنة ٢٠٠٦م./ موقع المكتبة الشاملة. (www.shamela.net) وأيضا موقع كتاب (www.ektab.com) تاريخ ٨/ ١٢/ ٢٠١٦م.

١- تطور الأدب الحديث في مصر، ص٧٠.

في ضوء ما تقدم لا يخفى على أحد! قيمة المقالة العربية الحديثة سواء ما يتعلق بالشكل أم بالمضمون، فقد قدمت ذائقة الأدباء الجمالية مادتهم وفق أساليب نمّت وتطورت يوماً ثمّ انتشرت بانتشار الطباعة ولاسيّما الصحف اليومية.

و«لعل هذا التوجه هو الذي قادنا للتحدث عن أهمية المقالة التي شاركت آفاق النقد معاركه الكبرى في القرن العشرين- ولاسيّما في مصر- مثل بقية الأنماط الأدبية، ومن ثمّ اتجهت إلى المذاهب الأدبية الحديثة، وتظل قضية الأديب الملتزم بقضايا المجتمع من أكثر القضايا التي أثرت في المقالة العربية الحديثة، فضلاً عن أهميتها في صناعة الفكر والثقافة والحياة على اعتبار أن الأديب قائد للمجتمع ورائد له.»[1]

١- المرجع السابق ص٢٢.

المطلب الرابع: أنواع المقال في عصر محمد قطب:

ترتبط مكانة المقال في العصر الحديث بازدهار المقال ارتباطا وثيقاً بين الفنون النثرية الأخرى وأصبح بالنسبة لجماهير القراء ملء السمع و البصر و موضع الاهتمام.

ولقد كانت المقالة في هذا العصر استجابة للمتغيرات الاجتماعية والسياسية والأدبية، وجميع المشكلات السياسية التي عانينا منها في هذا العصر، ومعظم القضايا الأدبية والنقدية التي فرضتها هذه المتغيرات، قد عالجها فنُّ المقالة، بل لا أبالغ إن بعض المجلات- بخاصة الأدبية-كانت تقتصر على فن المقالة على وجه التقريب. كمجلة الرسالة ومجلة الثقافة وغير هما.١

هناك العديد من أنواع المقال،كتبه الباحثون في هذا الإطار، وكل هذه الأقسام ترتبط بطبيعة المقال ومضمونه:

من حيث الموضوع:

المقالة الاجتماعية، والسياسية، والدينية، والتاريخية، والتأملية.٢

من حيث الأسلوب:

المقالة والخاطرة والبحث.٣

من حيث التركيب الفني:

المقالة القصصية والتمثيلية ومقالة الرحلات ومقالة الرسالة.

١- سيد جمال الدين وأدب المقالة للدكتور عبد الحليم محمود، ص٢٩٠.

٢- المقالة في الأدب السعودي المعاصر النشأة والتطور لجمعان عبد الكريم الغامدي ج١ص٤٨٦ ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة. ١٩٩٩م.

٣- النقد الأدبي أصوله ومناهجه، ص٩٣.

ومن حيث موقف الكاتب:

المقالة الذاتية والمقالة الموضوعية.١

ويذكر الدكتور عبد العزيز شرف أنواعاً مختلفة تبعاً لمادتها وأسلوبها وأهميتها، هي:

المقالة التقليدية والمقالة الرسمية، المقالة غير التقليدية وهي الذاتية أو الحرة، المقالة الشخصية، المقالة الاجتماعية، المقالة النقدية، والمقالة الخلقية.٢

ويتحدث الدكتور عبد العزيز شرف عن تقسيم المقالة في كتابه «أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة» وقسم المقال من حيث الشكل إلى أنواعٍ فنية منها:

المقال العَرْضي: الذي يحاول فيه الكاتب عرض فكرة من الأفكار في المقالة.

المقال النقدي: حيث يعمد الكاتب إلى نقد فكرة، أو موضوع، أو كتاب أو نص أدبي، أو اتجاه من الاتجاهات في السياسة والاجتماع.٣

وذكر الدكتور عبد اللطيف حمزة، أنواع المقال وقسّمه إلى ثلاثة أقسام، هي: المقال الأدبي والمقال العلمي والمقال الصحفي.

وقال: كل قسم من هذه الأقسام الرئيسية ينقسم كذلك إلى أنواع وأشكال: فمن أنواع الأدبي- على سبيل المثال- المقال الوصفي والمقال العرضي والمقال النزالي والمقال النقدي، والمقال الكاريكاتوري والمقال القصصي والمقالات التي على شكل رسائل بين المحرر

١- فن المقالة للدكتور يوسف نجم، ص٦٥و٩٦.

٢- فن المقال الصحفي لعبد العزيز شرف ص٢٥، دار المعارف، مصر، ٢٠٠٠م.

٣- أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة للدكتور عبد العزيز شرف، ص١٥٧.

وقرائه والمقالات التي على شكل مذكرات واعترافات والمقالات التي على شكل خواطر وتأملات.١

وللمقال العلمي كذلك أنواع تختلف باختلاف المادة العلمية التي يخوض فيها الكاتب: مقال في مادة التاريخ، وفي مادة الطب، وفي مادة الفلسفة وفي مادة الأدب؛ من الناحية الوصفية لا الإنشائية.

والمقال الصحفي ينقسم إلى أنواع منها: المقال الافتتاحي والعمود الرئيس، والعمود العادي، والتقرير بأشكاله المختلفة التي هي: الحديث، والتحقيق، والمباحثات بأنواعها المعروفة!.

ويبدو أن هناك تقسيماً آخر للمقالة تبعاً لبنيتها من جهة نبرتها وطريقة عرضها من جهة أخرى ومنها:٢

مقالة الجدل والمناظرة: وهذا النمط من الجدل قد عرف في تراثنا العربي باسم (أدب المناظرات) في عدّة من الموضوعات، وهي تلجأ إلى مبارزة لفظية حول فكرة ما بين متخاصمين على جهة الحقيقة، أو على جهة التخيل من أجل الانتصار للرأى المقدم.

١- المدخل في فن التحرير الصحفي للدكتور عبد اللطيف حمزة ص٢٢٣ ط٤ دار الفكر العربي (دون تاريخ طبع).

٢- المدخل في فن التحرير الصحفي ص ٢٢٤.

المقالة الساخرة والهجائية: إنها شكل من أشكال النظرة الموضوعية للأشياء التي تهدف إلى الترف واللهو والدعة، معتمدة فن الإقناع الرمزية في الكتابة والبعد عن الأسلوب المباشر في تناول الأحداث ومناقشة القضايا.١

المقالة القصصية: هي مقالة تعالج موضوعاً ما، أو موقفاً ما حقيقياً أو متخيلاً بوساطة السرد المختزن للشخصيات والحدث والزمن والمكان والحوار، من دون إثقال مقالة السرد بهذه العناصر القصصية. فالمقالة التي تتخذ هذا الأسلوب السردي لا تعني بالترابط الزمني أو تسلسل الحدث وإنّما تسخر عناصرها لأهداف المادة المعالجة.

مقالة الرسالة: هذا نوع جديد من المقالات التي انبثقت من الصحافة في القرن العشرين، وفق رسائل الكتاب والقراء والمحررين، ما يعني إنها تختلف عن الرسائل القديمة عند العرب، وهي تستند إلى الوظيفة والهدف باعتبار انتمائها إلى المقالة لا الرسائل، وإن اتخذت طريقة الرسائل في الكتابة سواء أكانت واقعية أم متخيلة، ويغلب على أسلوب هذا النوع طابع الرسالة سواء أكانت لغتها أدبية أم علمية، على حين تظل الفكرة المعالجة هي أساس المقالة.٢ بناءً على ذلك قد عرفنا الآن «أن المقالة قالب قصير قلما تجاوز نهراً أو نهرين في الصحيفة، ولم يكن الكتّاب يعرفون هذا القالب، إنّما عرفوا قالباً أطول منه، يأخذ شكل كتاب صغير، وهم يُسمّونه الرسالة، هؤلاء الكتاب لم ينشؤه من

---

١ - أبجديات الكتابة الساخرة لسلام نجم الدين الشرابي، الموقع لها أونلاين (www.lahaonline.com) تاريخ ٢٢مارج٢٠١٢م

٢- الأديب-النص- الناقد (مقالات) اختار حسن حميد، ص١٩، ٢٠، اتحاد الكتاب العربي بدمشق، ٢٠٠٧م.

تلقاء أنفسهم، بل أخذوه (عن الآخرين) وأدوا فيه بعض الموضوعات الأدبية التي خاطبوا بها الطبقة الممتازة من المثقفين في عصورهم.»١

استمر ازدهار المقالة رويداً رويداً بعد الفترات التي مضت عليها إلى عصر النهضة الفكرية، حتى وصلت جيل محمد حسين هيكل٢ وعباس محمود العقاد وطه حسين وإبراهيم عبد القادر المازني، على حين احتلت المقالة الأدبية أثراً فنياً قيّماً حقّاً، «فهي تمس القلوب وتثير العواطف وقد اتسعوا بها إلى مباحث عميقة في الأدب والنقد والفنون الجميلة والنظريات الفلسفية والاجتماعية، مستهدين في ذلك بمثل الإنسانية العليا مُثل الخير والحق والجمال.»٣

وهناك نوع أخر من المقال الذي يحتوي كل الأقسام الذي ذكرت، لابدّ من ذكر ها في هذا المبحث، على أن قسم الكتّاب المقال إلى أنواع مختلفة، ثم اتفق أكثرهم على أنه ينقسم إلى قسمين أساسيين: المقال الذاتي والمقال الموضوعي.

المقال الذاتي: هذا النوع من المقال يخاطب العقل والعاطفة والقلب فهو تعبير عن المشاعر والوجدان، يُصاغ بأسلوب يخضع للجمال الفني، والصور البلاغية، ويقوم على

١- الأدب العربي المعاصر في مصر للدكتور شوقي ضيف ص٢٠٥.

٢- الدكتور هيكل، هو محمد بن حسين بن سالم هيكل ولد سنة ١٨٨٨م في قرية كفر غنام (بالدقهلية) و تخرج بمدرسة الحقوق بالقاهرة، وحصل على الدكتوراه في الحقوق من السربون بفرنسة (١٩١٢) و افتتح مكتبا للمحاماة بالمنصورة. وأكثر الكتابة في جريدة (الجريدة) وترأس تحرير جريدة السياسة اليومية (١٩٢٢) ثم الأسبوعية. و درّس القانون المدني في الجامعة المصرية القديمة. وصنف كتبا، طبع منها (حياة محمد) و (في منزل الوحي) و (ثورة الأدب) و (في أوقات الفراغ) وتوفي بالقاهرة سنة ١٩٥٦م./ الأعلام ج٦ ص١٠٧.

٣- الأديب-النص- الناقد (مقالات) ص ٢٠٧.

الإيقاع المبني على مواءمة الحروف، والتقسيم والازدواج والتضاد، وتشيع فيه المعاني الخلابة، والألفاظ الموحية[1]، ولعل مقال الرافعي[2] في وصف "الربيع"[3] يعدّ من أبلغ المقالات في الأسلوب الأدبي والتعبير عن الرؤية الذاتية، ويندرج فيه، الشخصي والوصفي والتأملي.

المقال الموضوعي: وهذا المقال يخاطب الفكر والعقل، بأسلوب منهجي يعتمد على المنطق والأدلة، والمناقشة والتحليل، إذ كان المقال الذاتي يُعبّر عن شخصية الكاتب، وأفكاره وعواطفه ونوازعه، وتظهر لنا صورة واضحة جلية، فإن شخصية الكاتب في المقال الموضوعي تكشف عن معالم أسلوبه للقارئ. أهم ألوانه: المقالة النقدية، والمقالة الفلسفية، والمقالة التاريخية، والمقالة العلمية والمقالة الاجتماعية.[4]

بيد أنه ليس من السهولة بمكان وضع حدود فارقة بين هذين النوعين، إلاّ أن محكّ التمييز الصادق بينهما، هو مقدار ما يبثه الكاتب في كل منهما من عناصر شخصية «ففي المقالة الذاتية تبدو شخصية الكاتب جلية جذابة تستهوي القارئ وتستأثر بلبه، وعدته في

١- راجع فن المقالة، للدكتور يوسف نجم ص٩٨،٩٧ ، ٩٩.

٢- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي، ولد في بهتيم (بمنزل والد أمه سنة ١٨٨١م) أصله من طرابلس الشام. شاعر وعالم بالأدب، له تأليفات كثيرة منها: (تاريخ آداب العرب) و (إعجاز القرآن والبلاغة النبويّة) و (تحت راية القرآن) و (رسائل الأحزان) و (وحي القلم) ثلاثة أجزاء، و (المعركة) في الرد على كتاب الدكتور طه حسين في الشعر الجاهلي، و توفي سنة ١٩٣٧م في طنطا بمصر./ الأعلام ج٧ص٢٣٤.

٣ - وحي القلم لمصطفى صادق الرافعي، ج١، ص٣٦، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان (دون تاريخ طبع).

٤- فن المقالة للدكتور يوسف نجم ص١٣٠، ١٣٣.

ذلك الأسلوب الأدبي الذي يشعّ بالعاطفة ويُثير الانفعال، ويستند إلى ركائز قوية من الصور الخيالية والصنعة البيانية، والعبارات الموسيقية والألفاظ القوية والجزلة.»١

ومن جهة أن المقال الموضوعى: يستقطب عناية الكاتب، ومن ثمّ القارئ، حول موضوع معين، يتعهد الكاتب بتجليته، مستعيناً بالأسلوب العلمي الذي يسر له ذلك ومن خصائص هذا الأسلوب الوضوح والدقة والقصد وتسمية الأشياء بأسمائها!

وقد يطلق بعضهم على المقالة الذاتية، اسم "المقالة الأدبية" لأنّ الأديب يعبر عن ذات الأدب في المقام الأول بحيث تُمحى معالم شخصية الكاتب فينحرف عن مهمته الأولى وهي التعبير عن نفسه، تعبيراً صادقاً ممتعاً.٢

ويضيف بعض الكُتّاب إلى هذين النوعين نوعاً ثالثاً هو: المقالة الصحفية، وهي التي يبارز كاتبها «على فكرة مستمدة من الأجواء المحيطة بها، قد تكون خبراً يصل إليه من مصادر الأخبار، وتعليقاً على موضوع سياسي واقتصادي واجتماعي وتعليقاً على موضوع خفيف وخاطرة ...»٣

وهناك بعض الكتاب طرح الفروق الأساسية بين المقال الذاتي والموضوعي والصحفي، فقال: «إن المقالة الذاتية تعني بإبراز شخصية الكاتب، بينما تعني المقالة الموضوعية بتجلية موضوعها، بسيطا واضحا خاليا من الشوائب التي قد تؤدي إلى الغموض واللبس. وأيضا المقالة الذاتية حرة في أسلوبها وطريقة عرضها، لا يضبطها

١- فن المقالة ص٩٦.

٢- المرجع نفسه ص١٠١.

٣- فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية للدكتور محمود شريف ص١١ دار العروبة، الكويت، (دون تاريخ طبع).

ضابط، بينما تحرص المقالة الموضوعية على التقيُّد بما يتطلبه الموضوع من منطق في العرض والجدل وتقديم المقدمات واستخراج النتائج.»[1] ولكنهما تنبعان من منبع واحد، هو رغبة الكاتب المُلحّة في التعبير عن شيء ما.

ازدهار فن المقالة وتمييز الأساليب الفنية:

عرفت هذه الفترة نخبة من المقاليين الذين ساعدوا في تطور المقالة، وأوشكت أن تكون ظهور المقالة وازدهارها من الناحيتين التاليتين:

أُولاهما: تعدد مجالات المقالة واتساعها، لتشمل الأدب والنقد والفنون الجميلة والنظريات الفلسفية والاجتماعية[2]، وقد بلغ من ازدهار المقالة في هذه الفترة أن كثيراً من الكتب الجيدة التي نراها الآن لكبار الكتاب- التي أثرت في تطور ثقافتنا المعاصرة – إنما نشرت أولا في الصحف والمجلات على هيئة مقالات ثم جمعت بعد ذلك في شكل كتب ومن تلك الكتب: وحي القلم للرافعي (ت:١٩٣٧م) وفيض الخاطر لأحمد أمين (ت:١٩٥٤م) وحياة قلم وساعات بين الكتب للعقاد (ت: ١٩٦٤م).[3]

وثانيتهما: تنوع طرق التعبير والأداء تبعاً لتنوع الكتاب وقدراتهم وقد ذكر منهم الدكتور أحمد هيكل في كتابه؛ خمس طرائق: هي طريقة طه حسين التي سمّاها (طريقة التصوير المتتابع) وطريقة العقاد التي سماها (طريقة التعبير المُحكم) وطريقة الرافعي التي

١- المرجع السابق ص٩٧.

٢- الأدب وفنونه للدكتور محمد مندور ص١٨٧، دار النهضة، مصر، القاهرة، ١٩٧٤م.

٣- تطور الأدب الحديث في مصر، ص٣٧٦- ٣٩٥.

أطلق عليها (طريقة البيان المُقطّر) وطريقة أحمد حسن الزيات التي عرفها (بطريقة البيان المنسّق) وطريقة المازني التي ميّزها (بطريقة الأداء المصري).١

وإذا أردنا أن نبين مكانة الأستاذ محمد قطب على مسرح المقالة الأدبية في العصر الحديث. نجده يظهر بعد الجيل الرابع الذي تلا جيل المازني وطه حسين والزيات وعبدالقادر حمزة و... وقد ظهر ليترك على هذا المسرح أثراً فكرياً كبيراً وفنيّاً ممتعاً، بما قدر عليه من توظيف المقالة (كقالب أدبي)كما يوضح لنا أن المقالات التي كتبها في إصلاح المجتمع وفي ترقية الحياة الإنسانية وتقويمها، واستخلاص فلسفتها التي تلبيّ لها مقوّمات هذه الحياة المادّية والروحية. وفنيّاً بما دعا إليه من نهضة الفنون وتحديد وظائفها وغاياتها وبما خَلّفه في مقالاته من الجهود النقدية (نظرية أو تطبيقية).٢

فلهذا اخترت لطريقة الأستاذ محمد قطب اسم «طريقة التعبير الجميل عن الواقع» لأن هذا الكاتب يميل في أسلوبه إلى الناحية البيانية. ويغلب على تلك الطريقة الإبانة والإفصاح، ولا ينقصها الجمال الطبيعي البعيد عن التلاعب بالعواطف والمشاعر.

ومن سمات هذه الطريقة يجنح صاحبها إلى اعتصار المعاني وتوليد الأفكار ومزج الخواطر من خلال مجازات مركبة واستعارات بعيدة وكنايات خفيفة.

وأيضا من خصائص هذه الطريقة عند محمد قطب، أنها تستلهم المعجم القرآني والحديثي والتراثي على وجه العموم؛ حيث يتّكئُ الأستاذ في كثير من المواطن على لفظة أو

١- المرجع السابق ص٤٢٢.

٢- سيد قطب حياته وأدبه لعبد الباقي محمد حسين ص٢٦٣.

عبارة من القرآن الكريم، أو على كلمة أو جملة من الحديث النبوي، أو حكمة أو مأثورات العرب.

ومما يكمل صورة طريقة محمد قطب بعد ذلك كله، أنها تميل إلى استخدام بعض البديع ولكن في موضوعية وفنية، وبعض هذا البديع يأتي لخدمة الجانب البياني المتصل بروعة الصياغة، كالاقتباس والجناس، وبعضه يأتي لخدمة الجانب المعنوي كالمقابلة.

وأهم ما يمثل فن المقال عند محمد قطب وأسلوبه الذي تمّ في هذا الفن، تلك المقالات التي كان ينشرها في جريدتي الثقافة والرسالة.والتي جمع طائفة منها في كتبه: قبسات من الرسول وشبهات حول الإسلام وفي النفس والمجتمع والإنسان بين المادية والإسلام و واقعنا المعاصر أو في فصول من كتبه الأخرى.

فلهذا اعتمدت في تصنيف المقالات وتقسيمها على الأساس الموضوعي- من حيث الصورة في الإطار العام[١]، في هذه الرسالة. فظهرت -في مقالاته- الأنواع التالية: المقالة الأدبية، والمقالة الاجتماعية، والمقالة الدينية، والمقالة التاريخية والمقالة التأملية أو السياسية قليلاً.

ويشتمل المقال الأدبي على: المقال الوصفي والنزالي، والمقال النقدي، والمقال القصصي، والمقال الاعترافي ...[٢] وهناك أنواع من المقالات يسميها أحمد أمين "المقالات

١ - فن المقالة للدكتور يوسف نجم ص٥٤.

٢ - أدب المقالة من الأصالة إلى المعاصرة للدكتور عبد العزيز شرف ص٢٥.

العلمية بالمعنى الواسع".تشمل المقالات الاجتماعية، كما تشمل بحث مسألة أدبية بحثاً علمياً.١

المطلب الخامس: مراحل كتابة المقال لدى محمد قطب:

من خلال التتبع التاريخي والمظاهر البيئية لمقالات الأستاذ محمد قطب اتضح لي أن تقسيم المراحل الكتابية للمقالة عنده، إلى ثلاث مراحل زمنية وهي:

المرحلة الأولى (١٩٤١-١٩٥٤م):

تبدأ هذه المرحلة مع خوض محمد قطب في حياته الأدبية كما هو يحكي عنها: «كانت فتنة السجن الحربي بالغة الأثر في نفسي إذ كانت أول تجربة من نوعها، وكانت من العنف والضراوة، بحيث يمكن لي القول إنها غيّرت نفسي تغييراً كاملاً في بعض الجوانب على الأقل...كنت أعيش من قبلها في آفاق الأدب والشعر والمشاعر المهمومة.»٢ كما بدأت طلائع الأحداث منذ عام ١٩٤٩م قد دخلت في معركة صحفية سياسية هائلة. وكانت هذه التجربة خبرة جديدة في حياتي وأيضا كانت هذه تجربة جديدة في حياة الأسرة من ناحيتين:

أولهما: مواجهة الباطل وجها لوجه في ميدان الواقع، بعد أن اقتصر صراعهم إياه على ميدان الفكر وحده، وثانيتهما: هي تعرض حرية سيد قطب﴿ هو كأبي﴾ للمصادرة بين الحين والآخر، وهو رب الأسرة التي يستغرقها الشعور بأنه -بعد الله- معتمدها الوحيد في سائر شوؤنها الحيوية.»٣

١ - النقد الأدبي لأحمد أمين ج١ ص٩٣، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م.

٢- علماء ومفكرون عرفتهم ج٢ ص٢٨٠ .

٣- المرجع السابق ص٢٧٩.

ويتضح من خلال التتبع والاستقراء أن اشتراكه في مجلة الرسالة والثقافة والإخوان المسلمون ويدّل على أنه كتب تحت دواعي طلب المشاركة في المجلات العلمية وفي المجلات الدعوية، لأجل أداء المسؤولية، إذ يعدّ كاتباً حُراً كل هذه الفترة.

تتميز مقالات محمد قطب في هذه المرحلة بما يأتي:

عاش محمد قطب في آفاق الأدب والمشاعر المهمومة فلهذا أنشد الشعر قليلاً.

واجه الباطل وجها لوجه في معركة صحفية.

كتب بحرية الرأي وسداد الفكر.

شارك في المجلات العلمية تحت دواعي طلب المشاركة.

من المقالات التي كتبها في هذه المرحلة هي: التطور والانتكاس، والشرق والجنس، والطاقة البشرية، والفرد والمجتمع والقيد والحرية.

المرحلة الثانية (١٩٥٥-١٩٧١م):

وهي المرحلة التي قد أصيب فيها قلم محمد قطب بالتوقف المفاجئ الذي دام سنوات عديدة «بسبب اعتقاله في السجن، مع شقيقه حيث وقع لهما فنون من التعذيب ما لا يخطر على بال إنسان... وقد ألحق كل من الأخوين بمكان من السجن الحربي بعيدًا عن الآخر، وحيل بينهما حتى لا يعرف أحدهما عن أخيه شيئاً.. ثمّ أفرج عن الأستاذ محمد قطب بعد فترة غير طويلة وبقي شقيقه (سيد قطب) في قبضة الجلّادين عشر سنوات.»١

انضم إلى جماعة الإخوان المسلمين عام ١٩٥٤م و إثر انضمامه إليها اعتقل فوراً وبقي في الاعتقال لمدة ستة أشهر مع شقيقه الأكبر سيد قطب، ثم أفرج عنه و استمر محمد قطب

١- علماء ومفكرون عرفتهم ج٢ ص٢٧٩، ٢٨٠.

في النضال والدعوة لمدة أقل من عشر سنوات إلى أن اعتقل عام ١٩٦٥م١، مرة ثانيةً! واستشهد أخوه في السجن عام ١٩٦٦م٢ أي بعد اعتقال محمد قطب بسنة. وبقي محمد قطب في السجن لمدة ست سنوات حتى أفرج عنه عام ١٩٧١م.٣

و يحكي عن هذه الأحداث بنفسه: «خرجت يوم أفرج عني، لأحمل عبء الأسرة التي كانت من مسوؤليات أخي وحده كما عوّدنا، ومضيت أخوض تجارب الحياة العملية خلال أكداس من العسر على مدى عشر سنوات، حتى أفرج عن أخي وتلقيتُ ذلك الإفراج بكثير من القلق، إذ كنت أحس في قرارة نفسي أنهم لم يخلوا سبيله إلاّ وهم يدبّرون له أمراً أشد سوءاً من السجن وقد كان ما توقّعت، وكان نصيب أخي الإعدام بعد محاكمة صورية مع ثُلّة من كرام الشهداء في عام ألف وتسعمائة وستة وستين للميلاد، وقُتل في هذه المجزرة واحد من أبناء أختي (رفعت) أثناء التعذيب دون إعلان واعتقلت شقيقاتي الثلاث ومنهن الكبرى أمّ ذلك الشهيد وعُذّبت الشقيقة الصغرى ثمّ حُكِم عليها بالسجن عشر سنوات، وتعرّضنا جميعاً لحملة ضارية من التنكيل الذي لا يخطر على بال إنسان وكان ذلك كله جزءاً من الحرب المسلَّطة على الإسلام يقودها، نيابة عن الصليبية العالمية والصهيونية الدولية، مخلوقون يحملون أسماء مسلمين.»٤

فكل هذه الأحداث الجِسَام كانت عائقا ومانعا، أمام قلمه ونتاجه العلمي، وعاش كلّ هذه الفترة في قلق واضطراب حتى جاء أحد الرجال إليه و أخبره بأن الشيوعيين جادّون

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ١٤، وأيضا الإخوان المسلمون.. للدكتور يوسف القرضاوي ص٢٤٧.

٢- عملاق الفكر الإسلامي "الشهيد سيد قطب" ص٢٣، ٢٨.

٣- الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته لأسامة عبد الرحمن جودة، ص١٦.

٤- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ج٢ ص٢٨١.

في محاولة قتله وقتل أخيه سيد قطب![1] كل هذه الحوادث توضح لنا سبب وقوع الكارثة الكبرى التي أحاطت به في هذه الفترة، فكيف تجيء الكتابة لديه على أنه كان شَلَلاً في ميدان الكتابة.

يتصف مقال محمد قطب في هذه المرحلة بما يأتي:

استمر محمد قطب في النضال والدعوة.

قد أصيب فكره وقلمه بسبب الاعتقالات المستمرة.

من المقالات التي كتبها في هذه المرحلة هي: سفينة المجتمع، وتعبد الله كأنك تراه، وليُرِح ذبيحته، وادرؤوا الحدود بالشبهات، وأنتم أعلم بأمور دنياكم.

المرحلة الثالثة (١٩٧١-٢٠١٢م):

وهي المرحلة التي تمثل انطلاقه في مضمار المقالة، وازدهارها و وفرة إنتاجها، عام ١٩٧٢م إذ بدأ بالنشر في جرائد المملكة العربية السعودية، هذه الفترة التي شهدت ازدهار الصحافة الفردية متزامنة مع عصر ازدهار المقالة السعودية. وقد بيّن لنا محمد المجذوب خواطره عندما هاجر محمد قطب إلى المملكة العربية السعودية: «كان أسعدها مفاجأة يوم أعلنت الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عن أول محاضرة يلقيها الأستاذ محمد قطب في دار الحديث التابعة لها! ولأول مرة نلقى هذا الوافد العزيز وجهاً لوجه وكأنما أعيد إلينا من عالم البرزخ ليحدثنا عن إخوانه السابقين إلى جنات النعيم... ولم أتمالك أن عقّبت على محاضرته النفيسة يومئذ، فرحّبت بالشهيد الحيّ، وأتبعت ذلك بقصيدتي (عبر وعبرات) التي سبق أن صُغتها في الشام أيام المحنة في ظل الطغيان الناصري، فبكيت الضحايا،

١- عملاق الفكر الإسلامي "الشهيد سيد قطب" للدكتور عبد الله عزام ص٢٧.

وصوّرت فظائع المجرمين والمنافقين من أعوانهم، وأبرزت تصميم المظلومين من أبطال الدعوة على الصبر والمصابرة والمرابطة، حتى يأتي الله بأمره على القوم الظالمين، تحقيقاً لوعده الذي لا يتصور منه الخلف.»١و منذ ذلك اليوم تتابع لقائي هذا المفكر الإسلامي الكبير في هذه المملكة التي أصبحت وطنه الثاني وبات عمله رئيساً في جامعة (أم القرى) على مقربة من البيت العتيق، وتلك منحة أكرمه بها الله جزاء صبره على البلاء الذي تحمله في سبيله، وهي في الوقت نفسه فرصة فسحت له مجال العمل لنشر أفكاره النيرة مدرساً ومحاضراً ومؤلفاً ومحدثاً، لا على مستوى المملكة وحسب، بل مبعوثاً إلى العديد من جامعات العالم الإسلامي في المناسبات العلمية.٢

كان الأستاذ محمد قطب راضياً عن حياته التي قضاها بجوار البيت العتيق وأعماله اليومية هناك! كما يحكي: «قد خرجت من بيتي في مكة مهاجراً إلى الرياض في الثامنة صباحاً فوصلت الرياض في الساعة الرابعة بعد الظهر ولو أنني كنت مسافراً إلى المريخ لكنت قطعت أكثر من نصف الطريق...»٣، وقد ذكر الكاتب ياسر منير في المقالة التي نشرت في موقع طريق الإسلام: عن انتقال الأستاذ محمد قطب إلى السعودية وإقامته فيها، وكانت تلك الفترة تتويجاً لما قبلها، حيث بلغ فيها ذروة النشاط الدعوي والفكري والأكاديمي.٤ وكان هذا النشاط في مختلف مراحل حراكه الفكري والسياسي.

١- علماء ومفكرون عرفتهم لمحمد المجذوب ج٢ص٢٧٦.

٢- علماء ومفكرون عرفتهم ج٢ص٢٧٦.

٣- الإعلام الإسلامي لمحمد قطب مجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص١٤١"النظرية والتطبيق" اللقاء الثالث، ط٢ الرياض (الندوة العالمية للشباب الإسلامي) ١٣٩٦هـ.

٤- محمد قطب... نبذه من حياته ومنهجه الفكري والحضاري لياسر منير، الموقع طريق الإسلام:

تتصف مقالات محمد قطب في هذه المرحلة بما يأتي:

امتازت المقالة في هذه المرحلة بالتركيز والدقة العلمية والميل إلى بث الثقافة العامة لتربية أذواق الناس وعقولهم.

قد امتازت هذه المرحلة عنده باكتمال حظّه من الثقافة وحرية الرأي.

قد تأثّر بما حوله من نشاط أدبي وعلمي وثقافي وسياسي، وعاش مراحل حياته المتعددة بوعي وحضور، وعاش مع هموم ومشكلات الأمة، وسخّر قلمه وعلمه للدفاع عنها وعن هُويّتها من الضياع والذوبان في التيارات الفكرية المنحرفة.١

ومن المقالات التي كتبها ونشرها في هذه المرحلة: مشكلة النُّدرة تخالف الإسلام، والرؤية الإسلامية لأحوال العالم المعاصر، والحركات الإسلامية تحتاج لمزيد من التربية، ودماء غزّة تغذّي شِرْيان الأمة.

وعلى صعيد آخر، فقد شهدت هذه المرحلة، مولد أحد إصداراته القيمة، وهي«رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر» الذي صدر في بداية العام ١٩٨٢م الذي جمع فيه نتاج المرحلة الثالثة بمجهوده الفردي.

و على ضوء مما تقدم أستطيع أن أُجمل الكلام أن المقال قد نشأ آنئذٍ بيد علماء العرب في القرن الثاني الهجري وكان في شكل فن الرسالة وكانت الرسالة آنذاك متنوعة بأنواع متعددة، وتطور فن المقال في القرون اللاحقة وتنوع بأنواع مختلفة وحَظِيَ بمكانة مرموقة بين الأجناس النثرية الأخرى، وقد تكلّمتُ عن أنواع المقال في عصر الأستاذ محمد قطب

(www.islamway.net) تاريخ٤/ ٤/ ٢٠١٤م.

١ – راجع الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته، لأسامة عبد الرحمن جودة، ص٢٥.

ولاسيّما بيئته التي تربّى فيها وفي الآخر سجّلت مراحل كتابة المقال عند الأستاذ محمد قطب مع الشواهد المقالية واخترت لطريقة الكتابة لدى الأستاذ، اسم"طريقة التعبير الجميل عن الواقع" لأن هذا يليق به.

المبحث الثاني: الاتجاه الأدبي في مقالات محمد قطب:

الاتجاه في اللغة: الاتجاه بمعنى المقصد، والاتجاه: تهيّؤ عقليّ لمعالجة تجربة أو موقف من المواقف تصحبه عادةً استجابة خاصّة، ميل نزعة "اتّجاه سياسيّ معتدل أو فكريّ مضادّ- اتّجاهات متطرفة- في جميع الاتّجاهات.١

وفي الاصطلاح: «هو استعداد مكتسب مُشْبَع بالعاطفة يُحدّد سلوك الفرد، إزاء المواقف والموضوعات والأشخاص التي يتعامل معها في البيئة المحيطة به إما بقبولها أو رفضها.»٢

وهذا واضح ومعلوم لكل من قرأ كتب الأستاذ محمد قطب على أنه كان أحد أتباع طريقة العقاد- في الاتجاه الأدبي والأسلوبي- ولكن بمُضي الوقت بَعُد رويداً رويداً عنه، واختار محمد قطب طريقة جديدة في الأدب والفن. يمكن أن نطلق عليها "طريقة التعبير الجميل عن واقع" حياته لا في الخيال والرؤيا.

---

١ - معجم اللغة العربية المعاصرة للدكتور أحمد عبد الحميد عمر ج٣ عالم الكتب، بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠٨ م ص٢٤٠٧.

٢ - مفهوم الاتجاه لسهام إبراهيم كامل محمد، في موقع أطفال الخليج (www.gulfkids.com) تاريخ ١/١/٢٠١٤م

كما استخدم أسلوبه الجديد في طائفة من المقالات التي كتبها بعد الخمسينيات؛ وهي نابعة من ذات مؤمنة وفق الأسس العقائدية للمسلم و محركة للوجدان والفكر، مثل: "مشكلة الندرة تخالف الإسلام" و"قراءة إسلامية في الثورات العربية" و"رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر" و"دماء غزّة تغذّي شِرْيان الأمة" و"مرحلة التربية في مكة" و"التطرف وأسبابه الحقيقة". وهناك طائفة من المقالات في الحث على اتحاد المسلمين كافّة. ومنها مقالة عنوانها (الطاقة البشرية).

كما وجدتُ في المقالات أنه اتَّبع فيها طريقة خاصّة، يكون متميزا -حين كان في الرؤيا الأدبية- عن طريقة العامة؛ وكتبها في موضوعات عديدة منها: في رِحاب الأدب وميادين الدعوة والتربية الإسلامية.

ومن ناحية أخرى قيل «إن جوهر الأدب هو الفكرة في إطار فني قوامه اللغة، فنقول: وهل ينبغي أن تكون الفكرة مما يدمر الكيان الاجتماعي؟! نحن نؤمن بأن الأديب الناجح من حيث هو فرد لا يعيش دائماً في انسجام مستسلم مع الجماعة، بل هو من أجل ذلك دائم الاحتجاج، إلاّ أن الاحتجاج شيء والهدم شيء آخر.»[1]

هو سمُّوه على وجدان الجماعة، وقدرته على (التنبؤ) لهم ولكننا نفترض دائما وجود علاقة معينة بينه وبين هذه الجماعة حين يفارقهم لا يحاول أن يقطع أسباب هذه العلاقة، بل

---

١ - الشعوبية في الأدب بين الأمس واليوم لأحمد كمال زكي، مجلة الوعى الإسلامي، عدد١ ،س١، ص٦٢، وزارة الأوقاف الدولة الكويت، مايو، ١٩٦٥م.

يكشف لها عمّا يشهده من صدع في مجالها الحيوي ويشرع لها بطريقة أو باتجاه آخر إحساسه بهذا الصدع ومحاولاته المخلصة للوصول إلى الهدف المنشود.١

عُرف الأستاذ محمد قطب بأسلوبه المتين بما كان ينفرد به لشغف الآخرين، وكانت له عناية حميدة بجمع محاسنها من أصحاب الأساليب في البلاد العربية.

المطلب الأول: اتجاهه في التنظير للأدب الإسلامي:

تشتدّ الحاجة يوما بعد يوم -في عصر الصحوة الإسلامية- إلى تأصيل المنهج الإسلامي في كُلّ معرفة من المعارف، ونشاط من الأنشطة البشرية.

يعتصم المسلمون بمرفئهم الأمين الذي لا مرفأ لهم غيرُه: دينهم، يفيئون منه إلى ظلّ ظليل، وخير عميم. ويعكس الاهتمام المتزايد (بأسلمة) المعارف المختلفة، والتنظير لها على أساس من التشريع السماوي المعصوم من الزلل.٢

والأدب واحد من هذه المعارف، وهو معرفة مهّمة متميزة، وقد اتّجهت إليه جهود الغَيُورين الشرفاء لتنتشله من وِدْيان السفاهة التي راح يُدفع إليها عندما داخلته التصورات المنحرفة السقيمة، فصدرت بحوث ومقالات ودراسات جادّة مخلصة لتنظير الأدب الإسلامي، وتجتهد أن تضع التصّور الشامل الذي يقيم له نظرية عميقة راسخة.٣

---

١ - المرجع نفسه.

٢- النظرة النبوية في نقد الشعر للدكتور وليد قصاب ص٥، المكتبة الحديثة، العين، الإمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٨٨م.

٣ - المرجع نفسه.

يقول محمد قطب: «لقد أدركت نفسي من ضياع، و وجدت لهذه الحياة غاية وهدفا؛ ووجدت أن هذه الغاية لا تذهب سُدى، ولا تنقطع بانقطاع حياة فرد، ولا تنطوي في الرمال؛ ووجدت أن الكون لا يمضي في التيه المُعمَّى، بل يمضي لهدف مرسوم معلوم.»١

وأيضا يقول: أردت وصممت ومع أنه ليس همي القيام بهذا العمل؛ وإنّما هدفي الأول أن أرسم بعض الخطوط العريضة لمنهج الفن الإسلامي، وأردت أن أعرض فكرة سريعة عن التأصيل الإسلامي، وعلم الاجتماع الإسلامي والدراسات النفسية والتربوية والإسلامية وهدفي أن أسهم إسهاماً متواضعاً في إزالة الغُربة عن الإسلام في ميدانٍ من ميادينه الأصلية التي ينبغي للصحوة أن توجّه إليها اهتمامها، وهو ميدان الفكر والثقافة. ٢

والحق أن التنظير لأيّ ضَرْب من ضروب الفكر الإسلامي: «أدباً و تاريخاً، واجتماعاً، وتربية، وفلسفة، واقتصاداً وغير ذلك؛ أمرٌ لا يحتاج إلى تعليل، ولا ينبغي أن يسأل أحد الداعي إليه، أو الحامل عليه؛ لأن ذلك هو الأصل الأصيل، والركن المكين؛ فهذا الفكر هو فكرنا دون سواه، فيه مُثُلُنا. وقيمنا التي تشّكل نسيج شخصيتنا. وكل ما عداه هَجين مستورد، لا يمُتُّ إلينا، ولا نمتُّ إليه.»٣

كتب الأستاذ محمد قطب كتاباً بعنوان منهج الفن الإسلامي وهذا الكتاب يعتبر خطوة في هذا الدرب، درب التنظير للأدب الإسلامي، وهو درب ما يزال- على تكاثر الدراسات

١- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص١٠.

٢- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب ص٥ دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٣- النظرة النبوية في نقد الشعر ص٦.

وتدافعها فيها يوماً بعد يوم- بِكْراً، وقد عاد إلى المنابع الأولى التي تمثّل بذرة التصور الإسلامي.

كما يحكي لنا: «بدأت صحبتي للقرآن تأخذ منحىً آخر...لقد فرغت – أو هكذا بدأ لي- من رسم الخطوط العريضة لنظرة الإسلام إلى النفس الإنسانية. وبدأتُ أتجه وجهة جديدة.. وإن كانت بذورها متضمنة في كتاب منهج الفن الإسلامي.إن هذا القرآن هو منهج الحياة لكل البشرية ... فعلينا أن نستخلص هذا المنهج من بين ثنايا الكتاب .. وقد تحدث الشقيق سيد قطب من قبل عن منهج العدالة الاجتماعية في الإسلام فلنبحث عن بقية المناهج التي تؤلف في مجموعها منهج الحياة.١

حينما ذكر المفكر الإسلامي عباس محمود العقاد: أن في الإسلام قوة غالبة وقوة صامدة، فقد كان يعني بالقوة الغالبة فترات الغلبة والمدّ والهيمنة للحضارة الإسلامية وكان يعني بالقوة الصامدة تلك القوة السحرية التي تعمل عملها في زمن الضعف والوهن في الأمة الإسلامية، وضرب مثلاً لذلك الصمود استمرار انتشار الإسلام، وقيام أكبر دولتين إسلاميّتين في تلك الفترة (يقصد بها عصر الانحطاط) وهما أندونيسيا وباكستان.٢

فلهذا أقول لا يستطيع أحد أن ينكر أن الأدب لم يكن عنصراً من عناصر هذه الحضارة الإسلامية المتوازنة الخالدة، وأيضاً الأدب الإسلامي في تصورنا عنصر من عناصر الحضارة

---

١ – دراسات قرآنية لمحمد قطب ص١٣.

٣- الإسلام في القرن العشرين لعباس محمود العقاد ص١٦ و١٧؛ وأيضا مدخل إلى الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني ص١٦، كتاب الأمة، قطر، ط١، ١٤٠٧هـ.

الإسلامية لا شك فيه! ولسان من ألسنة الدعوة الإسلامية التي تحرص أول ما تحرص على القدوة والمثل، وتهتم بالفعل دون أن تهدر قيمة القول.١

وقد تبدو عملية التنظير للأدب الإسلامي ميسورة وسهلة لأول وهلة، وإنها كذلك بالفعل إذا انصبّ التنظير على مضمون الأدب أو منبعه الفكري، لكن الأمر سوف تكتنفه الصعوبة إذا ما نظرنا إلى الشكل أو الصور الجمالية لأيّ فن من فنون الأدب.٢

وهكذا: «التنظير للأدب الإسلامي لا يثير كثيرا لجدل في ناحية المضمون، لكن الأشكال الفنية التي لا تكاد تستقر على حال والتي تختلف فيها الأذواق والأفهام والمناهج الفلسفية هي المشكلة، بل أكاد القول هي العقبة التي تعترض طريق الباحثين عن نظرية سوية مقنعة للأدب الإسلامي.»٣

وفي تصوره عن الأدب الإسلامي إن تعبيره لا يخرج عن نطاق النظرة التعبيرية متمثلة في توضيحه عن الكون والحياة والإنسان كما يقول: «هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.»٤ وأيضا نظريته في الصدق الفني كما نقرأ في قوله: «هو التعبير الفني يعتمد دائماً على ذخيرة نفسية وشعورية مختزنة في باطن النفس، تسعى إلى التعبير عن ذاتها في صورة موحية، هي تقوم على العقيدة السليمة.»٥

١- مدخل إلى الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني ص١٨،١٦.

٢- مدخل إلى الأدب الإسلامي لنجيب الكيلاني ص١٩.

٣- المرجع نفسه.

٤- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص٦.

٥- المصدر السابق ص٧. وأيضا النقد الأدبي أصوله ومناهجه لسيد قطب ص٩.

وهو بنظريته هذه أقرب إلى نظرية سيد قطب في الأدب الإسلامي، كما نقرأ هذا التعريف لسيد قطب: «الأدب تعبير موحٍ عن قيم حية ينفعل بها ضمير الفنان، هذه القيم قد تختلف من نفس إلى نفس ومن بيئة إلى بيئة ومن عصر إلى عصر ولكنها في كل حال تنبثق من تصور معين للحياة، والارتباطات فيها بين الإنسان والكون وبين بعض الإنسان وبعض.»١

و كانت نظريته حول الأدب الإسلامي هٰكذا- قبل الخمسينيات، وقد تغيّر رأيه حول الأدب، بعد السبعينيات- ليس تغيراً كلياً بل جزئياً. يقول في إحدى محاضراته: «من يُمارس الإسلام شعوراً وفكراً ويستخدم تعبيره وعظاً وإرشاداً في خدمة الدعوة والإسلام، فهو مارس الأدب الإسلامي في حقيقته.»٢

خلاصة نظرية محمد قطب عن الأدب الإسلامي: هي وسيلة تعكس وقائع المجتمع أحسنها ولا ينظر الأديب المسلم إلى المجتمع "نظرة دونية" مهما تعاور ذلك المجتمع نُوَب الفساد والانحلال والضلال، فالمسؤولية المقدسة في عنق الأديب المسلم تجعله يهدف إلى السعادة والتوازن النفسي لديه، واعتدال الموازين بين فئات المجتمع، والانطلاق من موقف إيماني صحيح ولم ينظر إلى سوءات الحياة الاجتماعية بقصد إصلاحها.

وفي ضوء ما تقدم من الكلام نستخلص أنَّ اتجاه الأستاذ محمد قطب الأدبي في التنظير للأدب الإسلامي، يظهر من خلال مقالاته على أنه يدعو الكُتّاب أن يكونوا مسلمين وأن

١- في التاريخ فكرة ومنهاج لسيد قطب، ص١١ دار الشروق بيروت، ط٧، ١٩٨٧م.

٢- الأدب الإسلامي"المحاضرة" لمحمد قطب، الموقع طريق الإسلام (www.islamway.net)، تاريخ ٠١/٠١/٢٠١٤م.

يكتبوا صادقين في إطار الأدب الإسلامي لأن الحياة تَسْتَوعِبُ كُلَّ ما فيها من الأدب والثقافة والتاريخ والاجتماع، ويتناولوا قضايا الحياة ومظاهرها، وَفْق التصور الإسلامي الصحيح لهذه الحياة. وأن الأستاذ محمد قطب قدم مفاهيم رائعة عن هذه الاتجاه في مؤلفاته القيمة فلهذا جمعت الآراء في التنظير للأدب الإسلامي من خلال كتاباته أيضاً.

المطلب الثاني: النظرية التربوية الإسلامية من خلال مقالاته:

يعتقد الأستاذ محمد قطب أن « التربية هي الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الإنسان إنساناً، وترفعه عن مستوى الحيوان، وحين لا توجد التربية، أو توجد في صورة فاسدة، فالناس على غرائزهم من عبادة القوة وقياس الحياة بمقياس الشهوات، وفي هذه البيئة، تعمل الأمُّ – بغير وعي منها- على إفساد مشاعر الرجل نحو المرأة وصبغها بالدكتاتورية والتحكم المستبد.»١

حين ننظر إلى القرآن على أنه كتاب التربية لهذه الأمة، وللبشرية كلها التي ينبغي أن تدخل في دين الله، تزول عنا غرابة عملية التربية، وتصبح بعض حكمتها على الأقل مفهومة لَدَيْنا. إن التربية ليست قولة تقال مرة وتنتهي! و كل من مارس التربية مع صغير أو كبير يعلم إلى أيّ مدى يحتاج من يتلقَّى التربية إلى التذكير الدائم حتى يستقيم على الأمر المطلوب، ومن ثمّ يستطيع أن يقدّر الهدف التربوي من عملية التذكير في القرآن الكريم[وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين]٢

---

١ – شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص١٥٢ ،١٥٣، دار الشروق، بيروت لبنان، ط٦، ١٩٧٣م.

٢ – سورة الذاريات:٥٥/ وراجع أيضا دراسات قرآنية لمحمد قطب ص٢٤٥.

يقول أسامة عبد الرحمن أن الأستاذ محمد قطب «تحدث عن بعض المبادئ التي جاء بها الإسلام، دون التعرض لمعنى النظرية، أو مناقشة طبيعتها، وقد تمثل عرضه لنظرية الإسلام في التربية، من خلال المقارنة بين النظريات الغربية ونظرة الإسلام، ودوره في حياة العامة، وفي تنشئة الإنسان الصالح، وذلك لبيان أهمية وأهلية المنهج الإسلامي للحياة، مقدّماً على كافة المناهج الوضعية.»١

الأستاذ محمد قطب قام بتفسير معظم المبادئ التي جاء بها الدين الحنيف و عبّر عن كلّ هذه المقومات بأسلوب أدبي رائع. كما نقرأ في هذه الفقرة: «كل المناهج البشرية، باعتراف أصحابها تسعى إلى تكوين المواطن الصالح. وكل منهج من مناهج التربية البشرية الأرضية، يكتب في ديباجته أنه يسعى إلى تكوين المواطن الصالح، أمّا الإسلام فإنه بادئ ذي بَدْء يسعى إلى تكوين الإنسان الصالح.»٢ ويعبر الأستاذ محمد قطب عن وضعية التربية التي كانت في مكة آنذاك: «من أشد ما استوقفني في مسيرة الجيل الأول، ذلك الأمر الرباني للمؤمنين أن يكفوا أيديهم في مرحلة التربية بمكة، وأن يتحمَّلوا الأذى صابرين، وقد أشار الله إلى هذا الأمر في قوله تعالى، مذكراً:[أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَآتُوا الزَّكَوٰةَ]٣

١- المرجع السابق ص٩٨.

٢- التربية والتعليم في مفهوم الإسلام لمحمد قطب، المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص٢١٢.

٣ - سورة النساء:٧٧.

وكان بعض الصحابة- رضوان الله عليهم أجمعين- قد سأل الرسول-صلى الله عليه وسلم- حين اشتد الأذى بالمؤمنين: ألا نقاتل القوم؟ فقال: "ما أُمِرنا بقتالهم"[1] ولم يرد في النصوص-في الكتاب والسنة- بيان حكمة هذا الأمر الرباني، ومن ثمّ فالأمر متروك للاجتهاد لمعرفة الحكمة منه، وربّما كان أيسر سبيل للتعرف على حكمته، أن نفترض أن المؤمنين كانوا قد دخلوا في معركة مع قريش في ذلك الحين، فماذا كان يمكن أن يترتّب على ذلك؟ ثمّ نتدبر الفوائد التي تحقّقت حين كَفُّوا أيديهم ولم يدخلوا في معركة في ذلك الوقت»[2]

إن الإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية تُبنى عليها كل توجيهاته وكل تشريعاته، وطريقة معالجته لهذه النفس، وطريقة و ترتيبها وتقويمها، وهذه النظرية لا بد أن تكون موجودة في القرآن الكريم. وهو أشار إلى حياة النبي -صلى الله عليه وسلم- إذ إن سنة الرسول هي التفسير الواقعي العملي للقرآن الكريم. وأيضا أشار إلى حياة النبي-صلى الله عليه وسلم- وفترة التدريبات التربوية لأصحابه، بقوله: «والرسول-صلى الله عليه وسلم - يحارب ويسالم في سبيل الله ويدعو الناس إلى سبيله، ويأكل باسم الله، ويتزوج على سنة الله، و يهدم ويبني، ويحطم وينشئ، ويهاجر ويتوطن، كل ذلك في سبيل الله، واليوم الآخر،

---

١ - صحيح البخاري ج٦ ص٣٩. كتب في توضيح هذه الآية [مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ] ﴿سورة بقرة:١٠٩﴾.

٢- مرحلة التربية في مكة لمحمد قطب، الموقع حمود بن عقلاء الشعيبي (www.al-oglaa.com) تاريخ ١٢/ ٢/ ٢٠١٤م.

يوم يلقى الله، فكل عمله إذن عبادة يتوجه بها إلى الله، والطريق أمامه طريق واحد..هو الطريق إلى الله»١

وأيضاً يقول: إن الإسلام يدعو لتعمير الأرض، والعمل في سبيلها، لا ينحرف بالأفكار والمشاعر عن طريق الله وطريق الآخرة، لأنه لا يفصل بين الدنيا والآخرة، لا بين الحياة العلمية و"الأخلاق" إنه لايقول- كما يقول: الغرب المنحرف- لـما أعمر الأرض، ولا يعنيني أن ترتفع أخلاق الناس أو تهبط، فللعمل مقاييس وللأخلاق مقاييس! لا تهمني أخلاق الرجل مادام "إنتاجه" يُعجبني! فهذه النظرة الهابطة لا تلبث أن تدمّر في لحظة ما بَنَتْه في أجيال، وأن تُحِيل العَمَار كله إلى خراب!.٢

وبالعكس الإنسان المسلم الذي يتربّى على منهج التربية الإسلامية، إنسان منضبط بمقاييس أخلاقية، لا يخرج عمل واحد من أعماله عن هذه المقاييس. وهنا سؤال: مَنِ الذي يُحدّد هذه المقاييس الأخلاقية؟ من الذي يقول هذا حلال وهذا حرام، هذا حسن وهذا قبيح، وهذا مباح وهذا غير مباح؟. هو الخالق سبحانه بما أنه خلق [أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ] ﴿الأعراف: ٥٤﴾ يعني له الأمر بما أنه هو الخالق وهو الذي يحدّد المقاييس.٣

١- قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٢٢. وأيضا راجع الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، للدكتور عدنان علي رضا النحوي ص٣٥.

٢- المصدر نفسه ص٢٦.

٣- التربية والتعليم في مفهوم الإسلام لمحمد قطب، المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإسلامية" ص٢٢٦.

ويتحدث الأستاذ محمد قطب عن بداية تفكيره وجهوده في الكتابة حول موضوع النظرية التربوية الإسلامية وقد قام الباحث باختصارها و وضعها من خلال مقالاته حول معالم النظرية التربوية الإسلامية.

أهم معالم النظريات التربوية الإسلامية:

كانت بداية تفكيره في النظرية التربوية، من خلال دراسة القرآن والسنة، والتراث الإسلامي، يتضح لديه أن للإسلام نظرية معينة في النفس الإنسانية، وتناولت في كتابه دراسات في النفس الإنسانية حيث يوضح أهمية هذا الكتاب الذي أوضح لنا، نظرة الإسلام للإنسان، ومنهجه في التعامل مع النفس البشرية، مع بيان القصور في النظرة الغربية التي تناولت أحد جوانب النفس الإنسانية، وراحت تضخّمها على حساب الجوانب الأخرى فكان من نتاج ذلك تشويهات وانحرافات في تحليل السلوك الإنساني.١

كتب محمد قطب مجموعة من المقالات (الخواطر) بعنوان في النفس والمجتمع فيها معالجة خفيفة لبعض الخطوط العريضة في النظرية الإنسانية وقد ذكر في المقدمة التي كتبها: هذه الخواطر تصلح بذوراً لتكوين نظرية إسلامية نفسية، حسبي منها أن أفتح الباب للباحثين يستخلصون منها ومن غيرها نظرية تفصيلية تشمل كل ميدان النفس، وتصلح أن توضح في ميدان البحث العلمي في مقابل النظريات الغربية، تتلافى ما فيها من انحرافات وعيوب.٢

١- قراءة في كتاب "دراسات في النفس الإنسانية محمد قطب" لطارق السيد، موقع لها أونلاين (www.lahaonline.com) تاريخ ٠١/ ١٢/ ٢٠١٢م.

٢- في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص٧.

يوضح محمد قطب صورة النفس الإنسانية، في كتابه منهج التربية الإسلامية في الجزء الأول "في النظرية" يقدم منهجاً كاملاً للتربية الإسلامية، يشمل النفس الإنسانية والحياة البشرية بالتفصيل، مستشهداً بتوجيهات القرآن الكريم والسنة النبوية وفي الجزء الثاني "في التطبيق" يُبين منهج التربية الإسلامية و وسائله وأهدافه وخصائصه وطريقة الإسلام في تربية الروح والنفس، وتربية العقل والجسم البشري معاً لإقامة التوازن في الكيان البشري، وربطه بالله تعالى، وهو الكتاب الوحيد الذي نهج منهج التربية الإسلامية، فهو يرى أن هناك تطابقاً كاملاً بين منهج التربية في القرآن الكريم، وبين النفس البشرية بحيث لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلاّ اشتملت عليها، وفي هذا الكتاب وضع أفكاره وأحاسيسه؛ حيث يقول: «إن تربية طفل واحد في الإسلام كتربية ألف طفل، كتربية جميع الأطفال، تحتاج إلى البيت المسلم، والشارع المسلم، والمدرسة والمجتمع المسلم، إن هذه العناصر كلها ذات أثر بعيد في تنشئة الأطفال وهي التي تطبعهم بطابعها فتنشئهم على استقامة أو تنشئهم على انحراف».١

نشر محمد قطب مجموعة من المقالات أيضاً بعنوان قبسات من الرسول يتضح فيها بعض النظريات التربوية تفسيراً لبعض الأحاديث النبوية، يكون شرحاً علمياً وتعبيراً أدبيّاً فنيّاً و استنبط بعض الأحكام منها، ويستفيد من الحكم والعبر التي لا بدّ أن يستعمل في الكلام لأجل إصلاح الفرد والمجتمع على ضوء سنة رسول الله -صلى الله عليه وسلم- والأحاديث الشريفة.

١- منهج التربية الإسلامية (في التطبيق) لمحمد قطب،ج٢، ص٨٩، ط١٠ دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٢م.

حيث يذكر في قاعدة تشريعية: «هي حكمة بالغة تلك التي نطق بها الرسول - صلى الله عليه وسلم- ودراية عميقة بالنفس البشرية، ونظر بعيد لا يقف عند الجزئية الصغيرة، ولا عند الفرد الواحد، ولا الجيل الواحد من الأجيال!»١ وهو ينظر في ذات الوقت إلى الفرد، فيرى دوافعه إلى الجريمة سواء أكانت منبعثة من داخل النفس، ومن نزوة الغريزة، ودفعة الشهوات، أم من الظروف الخارجية والاجتماعية والاقتصادية، فيقدر هذه الدوافع، وينظر إليها بعين الاعتبار... ويعمل على إزالتها بكل طريقة ممكنة قبل أن يوقع العقوبة، بالتشريع الذي يكفل الضرورات مرة أخرى، والتشريع الذي يصون الحرمات مرة، والتربية التي تهذب النفس وتنظّف مساربها، وتجعل روح الحب والتعاون والتكافل هي الروح السائدة في الجماعة...أولاً وأخيراً بالعقيدة تربط القلب بالله، وتوجهه لخشيته والعمل على رضاه.»٢

أمّا في كتابه الذي يعدّ من مجموعة المقالات «شبهات حول الإسلام» فيه الرد على الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام حوله، حيث يعرض الشبهة أولاً: ثمّ يُرد عليها بما يبطلها، فيبين موقف الإسلام من بعض القضايا والأمور الاجتماعية والفكرية والسياسية والاقتصادية، وعالج فيها بعضا من القضايا التربوية الإسلامية. وقد ذكر في مقدمة هذا الكتاب: «إن هذا الدين نسيج وحده إنه ليس مجرد عقيدة، ليس مجرد تهذيب للروح، وتربية للفضائل، بل هو إلى جانب ذلك نظام اقتصادي عادل، ونظام اجتماعي متوازن، وتشريع مدني، وتشريع جنائي، وقانون دولي، وتوجيه فكري وتربية بدنية؛ كل أولئك على أساس

١- قبسات من الرسول لمحمد قطب ص١١٩.

٢- المصدر السابق ص١٤١.

من العقيدة، وفي مزاج من التوجيه الخلقي والتهذيب الروحي»١ ويقول: والتربية هي الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الإنسان إنساناً... وهي تجعل من الرجال والنساء والأطفال، خليفة للبشرية كلها.٢

كانت باكورة عمله في كتابه «الإنسان بين المادية والإسلام» حيث تحدّث فيه عن نظرية الإسلام في النفس الإنسانية، في مجالها الفردي والاجتماعي، وعقد فيه مقارنة بين نظرة المدارس الغربية للنفس الإنسانية، وبين نظرية الإسلام، وما يترتّب بين يديه في هذا الكتاب. كما يقول: «كان مدخلي إليه هو دراسة النفس الإنسانية، ومازال هذا أوسع مداخل البحث لديّ. فأنا أشعر دائماً أن دراسة النفس الإنسانية هي القاعدة التي نبنى عليها معرفتنا وتصوراتنا في كل ما يختص "بالإنسان" سواء كان أدباً أو فناً، وتاريخاً، وسياسة، واقتصاداً واجتماعاً، وتربية وعلم نفس...»٣

١- شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص٥ .

٢- نفس المصدر ص١٥٣.

٣- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص٧ دار الشروق، القاهرة،ط١٠، ١٩٨٩م.

مفهوم النظرية التربوية الإسلامية:

التربية في اللغة: من رَبَا الشيء، يَربُو، رُبُوّاً، ورِبَاءً، أي زَاد ونَمَا، و ربَوْتُ في بني فلان نَشَأْتُ فيهم، ورَبَيْتُ فلاناً أُرَبِّيهُ تَرْبيةً أي غَذَوتُهُ، و"هذا لكلّ ما يُنَمِيَّ كالولد والزرع"ونحوها.١

وأمّا في الاصطلاح: «فالتربية تنمية الفرد في جانبه العقلي المعرفي والعاطفي الانفعالي والجسمي الحَرَكي والسلوكي الاجتماعي والصعود به في درجات الكمال للوصول إلى أعلى درجات التكيّف مع المجتمع» ٢

تعريف النظرية التربوية: تعددت التعريفات في النظرية التربوية الإسلامية إذ تَرْتَبط بتعدّد الدراسات التي هي خاصة بها، ومن خلال بعض المراجع يمكن التركيز على التعريفات التالية:

نظرية التربوية الإسلامية: هي مجموعة مترابطة من المبادئ والقواعد والمفاهيم التربوية، المستمدة من القرآن الكريم والسنة المطهرة التي هي بمثابة الأساس المتين الذي يقوم عليه البناء التربوي الصالح.٣

هي المبادئ المستقاة من الكتاب والسنة، أو أنها مجموع آراء المفكرين المسلمين منذ عهد الخلفاء الراشدين، حتى وقتنا الحاضر.٤

---

١ – لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج١٩ ص١٧، ٢٠، مادة "رَبَوَ"، دار صادر بيروت لبنان، (بدون تاريخ طبع).

٢ – الوجيز في الثقافة الإسلامية، للدكتور همام سعيد وآخرين ص٣٣ دار الفكر عمان،ط١، ٢٠٠٢م.

٣ – تأصيل تربية المعلم للبشير حاجّ التوم ص٣٢، مكتبة المنارة ، مكة المكرمة، ١٩٨١م.

٤ – النظرية التربوية في الإسلام لمحمد جميل خياط ص٢٠ مطابع الصفاء، مكة المكرمة، ط٢، ١٤٢٤ه.

التنشئة المعرفية والقيمية والسلوكية والاجتماعية والحركية والانفعالية وَفْقَ عقيدة الإسلام شريعته وأخلاقه.١

نظرية التربوية الإسلامية: «أنها المبادئ والقيم والتوجيهات التي أمر بها الإسلام، بهدف تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى وتوجيه سلوك المسلم.»٢

وفي ضوء التعريفات السابقة يمكن القول بأنها أكدّت على وجود النظرية التربوية في الإسلام من ناحية، ومن ناحية أخرى يتبين أن تلك النظرية التربوية الإسلامية، تستمدّ عناصرها بصورة أساسية من المصادر الإسلامية الثابتة.

سمات التربية الإسلامية:

إن لكل مجتمع ثقافته الخاصة، فإن لكل مجتمع تربيته الخاصة، فالتربية الإسلامية تنطلق من أساس فلسفة الإسلام، وتُحقِّقُ قيّماً وأهدافاً إسلاميّة، وتضع المناهج المناسبة للمجتمع الإسلامي وللثقافة الإسلامية. وكما أن الثقافة لا تُسْتَورد من الخارج؛ فإن التربية لا تستورد كذلك. ونحن المسلمين لابد أن تنطلق تربيتنا من قيمنا وثقافتنا الإسلامية.

«وتستمد التربية الإسلامية خصوصيتها وسماتها من الإسلام نفسه، ذلك لأن العلاقة بين الإسلام والتربية علاقة وثيقة، فالإسلام دين يقوم على العقيدة الراسخة، وعلى العبادة الخاصة لله -جَلَّ جلاله- وهو دين يدعو إلى الأخلاق الكريمة، ويجعلها دِعامة التعامل بين أفراد المجتمع الواحد، وهو دين يحث على التفكير والنظر، ويدعو إلى العلم

١ – الوجيز في الثقافه الإسلامية، ص٣٣.

٢ – الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته لأسامة عبد الرحمن جودة ص١٠١.

والعمل، ولعل هذا هو ما يجعل التربية الإسلامية تختص بعدد من السمات والخصائص التي تميزها عن غيرها من النظم التربوية الأخرى.» ١

وقد طالعتُ كثيراً في كتب الأستاذ محمد قطب التي تناولت النظرية التربوية الإسلامية، ومن الخصائص التي تَوسَّع في شرحها وبيانها مثل: الشمول، والتكامل، والتوازن؛ هذه الخصائص تعتبر أهم وأبرز الخصائص التي تحدّث عنها في مقالاته.

وقد تحدث محمد قطب عن هذه الخصائص بطريقة متميزة، وَ وَضَّحَهَا وفق نظريته المتأنّية الواسعة والشاملة للإنسان وفطرته ونفسيته، والمجتمع والكون وذلك من منظور إسلامي.

لقد ربط الأستاذ محمد قطب بين أهداف التربية و وسائلها، وربط بينهما وبين الخصائص في تداخل الألفاظ وتناسقها، يصعب الفصل بينها، أو تناول أحدهما دون الأخر.

الشمول:

الشمول من الخصائص التي تميّز بها الإسلام عن كل ماعرفه الناس من الأديان والفلسفات والمذاهب المعاصرة، بكل ما تتضمّنه كلمة الشمول من مَعانٍ وأبعاد، إنه شمول يستوعب الزمن كله، ويستوعب الحياة كلها، ويستوعب كِيَان الإنسان كله.

ويقول الأستاذ محمد قطب: «الشمول، هو يشمل هذا المنهج الرباني٢ كل حياة الإنسان.كل نفس الإنسان لا يأخذ عقله دون روحه، ولا يأخذ وعيه القوى المعنوية فيه

١- الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته ص٣٦.

٢ - راجع الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، للدكتور عدنان علي رضا النحوي ص٣٤-٣٥.

ويترك الجانب الفكري. لا يأخذ دنياه ويترك آخرته ولا يأخذ اقتصادياته واجتماعياته وسياسته ويهمل أخلاقه كلا!! إنه شامل لكل كيان الإنسان النفسي، وشامل كذلك لكل واقعه العظيم. الإنسان وحده هكذا خلقه الله [إِذْقَالَ رَبُّكَ لِلمَلئكة إِنِّي خَالِق بشَراً مِنْ طِيْن *فإذا سَّويتهُ وَنَفَخْتُ فيه مِنْ رُوحي فَقَعُواْ له سَاجِدِيْن]»١

وقد كتب الأستاذ محمد قطب تحت عنوان الشمول عنواناً صغيراً باسم "الدنيا مزرعة الآخرة" وفي توضيحه يقول: «هذا المنهج الرباني للروح والجسد في كيانه، يوحّد الدنيا والآخرة في كيان، في طريق ليس هناك في الإسلام عمل يعمل من أجل الدنيا، وعمل آخر يعمل من أجل الآخرة، كل أعمال الإنسان تعمل من أجل الدنيا والآخرة في آن واحد، إنه طريق واحد، وليس طريقين اثنين طريق أوله هنا في الدنيا وآخره في الآخرة كما يقول رسول الله-صلى الله عليه وسلم-"الدنيا مزرعة الآخرة" ٢ فهي الصلة بين الدنيا والآخرة.»٣

١- سورة ص: ٧١، وراجع الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والإيدلوجيات المستوردة لمحمد قطب المجلة "من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر" ص٣٨٦.

٢- المقاصد الحسنة لشمس الدين بن محمد السخاوي ج١ ص٣٥١ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م. قال السخاوي: حديث: الدنيا مزرعة الآخرة، لم أقف عليه مع إيراد الغزالي له في الإحياء وفي الفردوس بلا سند عن ابن عمر مرفوعاً:الدنيا قنطرة الآخرة. فاعتبروها ولا تعمروها، وفي الضعفاء العُقيلي ومكارم الأخلاق...

٣- الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والإيدلوجيات المستوردة لمحمد قطب، المجلة "من قضايا الفكر الإسلامي" ص٣٨٦.

التكامل:

يُعد التكامل من الخاصية الأساسية للتربية الإسلامية، حيث تنبثق عنها سائر الخصائص الأخرى، وبما أنه «رباني» صادر من الله تعالى. فالتكامل، وصلاح الإسلام أن يكون منهج الحياة شاملاً متكاملاً.

يشير الأستاذ محمد قطب إلى أن مفهوم التكامل نشاط خلقيٌّ: «المفهوم الخلقي في الإسلام لا يضيق حتى ينحصر في عمل من أعمال الإنسان دون عمل، ولكنه يشمل نشاط الإنسان كله، فالسياسة لها أخلاقها ومنبثقة من قاعدة أخلاقية، والاقتصاد له أخلاقياته ومنبثق من القاعدة الأخلاقية العامة للإسلام، والنشاط الجنسي، والنشاط الفني والنشاط الفكري والنشاط العلمي، لا شيء على الإطلاق مما يبذله الإنسان في الأرض من نشاط يمكن أن تكون له قوانين قائمة بذاتها.»١و وضع تحت خاصية التكامل عنواناً مستقلاً (لا انفصام في الإسلام) وكتب فيها«في الإسلام لا شيء يخرج عن قاعدة الأخلاق الإسلامية، يقول هنا سياسة تسوس أمور الناس، هذه السياسة تقوم على الحق والعدل، وهي مقاييس أخلاقية في الوقت الذي هي مقاييس عقيدية أيضاً، لأن السياسة جزء من العقيدة مبنية على الأصل العقيدي الذي يشمل كل النشاط البشري، ومصطبغة بالصبغة الأخلاقية، فالسياسة لها أخلاقياتها التي نأخذ منها نموذجاً هنا في أوائل التاريخ الإسلامي كان

---

١ – الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والإيدلوجيات المستوردة لمحمد قطب، المجلة "من قضايا الفكر الإسلامي"
ص٣٨٩.

النموذج المتكامل الذي تمثل فيه الإسلام كاملاً، والذي نبغي اليوم أن نعود إليه مرة أخرى.»١

التوازن:

والسمة الأخرى للمنهج الإسلامي أو للتربية الإسلامية هي التوازن، حيث يقول عنه: «التوازن هو الفطرة التي فطر الله عليها الكون، الكون كله بما في ذلك الإنسان، والإنسان في جاهليته هو الذي يُخِلُّ بتوازن نفسه، ثمّ يعبث في طاقات الكون ويحاول أن يخل بتوازنه، ولكن الله حافظ الكون، ثم محاسب هذا الكائن البشري على ما يقوم به من اختلال في ذاته سواء كان فرداً أو جماعة. والمنهج الرباني هو الذي يعيد هذا التوازن إلى الحياة البشرية.»٢ وقد وضع عنواناً (التكافل الاجتماعي) وكتب التكافل الاجتماعي أو العدل الاجتماعي في الإسلام يتَّسِم بذات السمات التي يتسم بها المنهج الرباني، الشمول، التكامل، التوازن، فلا يأخذ الصور المنحرفة التي عرضتها علينا الجاهليات المختلفة، وبعده تحدّث عن «الأمة» و«وحدة البشر» وقال: إن الأمة مجموعة من البشر تقوم على عقيدة، تُعبِّدُ الناسَ كلَّهم لإله واحد فيكونون إذن على الحقيقة متساوين جميعاً وأحراراً جميعاً...٣

فالإسلام يعطي التكافل الاجتماعي ويقيم مجتمعه على التكافل مع المحافظة الكاملة على إنسانية الإنسان وكرامته وعِرضه. هذا التكافل يعدّ من مبادئ التوازن الاجتماعي في الإسلام.

١- المصدر السابق ص٣٩٠و٣٩١.

٢- مقالة «الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والإيدلوجيات المستوردة» لمحمد قطب نشرت في الدورية "من قضايا الفكر الإسلامي" ص٣٩٤.

٣- المصدر السابق ص٣٩٦، ٣٩٧.

مهمات نظرية التربوية الإسلامية:

سوف أذكر مهمات النظرية التربوية الإسلامية لدى الأستاذ محمد قطب، ويمكن اختصار هذه المهمات في النقاط التالية:

غرس القيم الإيجابية في الإنسان المسلم.

الترويح عن النفس بالمباح.

غرس قيم البر و صلة الرحم بين ذوي الأقرباء.

احترام الكبير و الإشفاق على صغار الأمة.

حسن الأدب وحسن المعاملة في المجتمع.

حسن الكلام عند المخاطبة.

التفكير في مخلوقات الله وتعظيمه سبحانه وتعالى.

غرس قيم التعاون والألفة اتحاد والإيثار والمحبة.

المحافظة على العبادات و برّ الوالدين.١

المطلب الثالث: معالم الفكر الحضاري عند محمد قطب:

وقد عرّف الأستاذ محمد قطب الحضارة فقال:«الحضارة هي فعل لأهل الحضر، ولكنها في المفهوم الإسلامي هي عمارة الأرض بمقتضى المنهج الرباني، فيدخل في ذلك، الجوانب المادية والتنظيمية وتدخل فيه القيم التي يحملها هذا الدين، غير منفصلة هذه عن تلك»٢

---

١ - الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته لأسامة عبد الرحمن جودة ص٤٣.

٢ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٠١.

وقد حاول الكثير من علماء الإسلام أن يعرفوا الحضارة ومنهم الدكتور مصطفى السباعي١، فيقول: هي«نظام اجتماعي يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافي»٢

وعندما ركَّزت في هذين التعريفين، وجدت مشابهة مفهومية بينهما، من نظام اجتماعي يجري وفق المنهج الرباني. فلهذا أستطيع القول إن معالم الفكر الحضاري عند محمد قطب هو الجانب المعنوي من الحضارة التي تحمل القيم، ويكون تقويمها بالقيم التي كتبها في مقالاته المتنوعة.

حيث يقول الأستاذ محمد قطب عن مفهوم الحضارة: الفكر الحضاري الإسلامي يقوم بنشاطه الفكري والفني، ملتزما في ذلك كله بالدستور القرآني، فلا يؤدي الفكر إلى الإلحاد، ولا يؤدي الفن إلى التبذّل والفساد الخلقي٣ وإتلاف الفطرة كما هو حادث في الجاهلية المعاصرة.٤

وأيضا يقول الحضارة الإسلامية: «هي تمارس كل ألوان النشاط البشري التي تؤدي إلى عمارة الأرض، من تجارة وصناعة وعلم... وتسعى إلى الإنتاج الوفير في كل أبواب

١- مصطفى بن حسني، أبو حسان السباعي، ولد بحمص في سورية سنة ١٩١٥م، وتعلم بها وبالأزهر وأحرز شهادة الدكتوراه "في التشريع الإسلامي وتاريخه" من الأزهر سنة ١٩٤٩م، واستقر في دمشق، أستاذا بكلية الحقوق وعميدا لكلية الشريعة وقام برحلات. وأنشأ مجلة "حضارة الإسلام".كتب ٢١ كتابا ورسالة، منها (ألسنة ومكانتها في التشريع الإسلامي) و(شرح قانون الأحوال الشخصية) ثلاثة أجزاء، و(الدين والدولة في الإسلام) و(المرأة بين الفقه والقانون) و(منهجنا في الإصلاح) وتوفي بدمشق سنة١٩٦٧م ./ الأعلام ج٧ص٢٣١.

٢- من روائع حضارتنا للدكتور مصطفى السباعي ص٢٨، دار الوراق، المكتب الإسلامي، ط١، ١٩٩٩م.

٣- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٠٨.

٤ - المصدر نفسه١١٠.

الإنتاج، ولكنها في سعيها كلها تلتزم بالحلال والحرام، وبالقيم الأخلاقية، وبما يقتضيه الإيمان بالله واليوم الآخر من تشكيل للسلوك.»١ كما قال سبحانه وتعالى: [هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَ كُلوا مِن رِزْقِهِ وَ إِلَيْهِ النُشُوْر]٢

ومن هنا يمكن الوقوف على معالم الفكر الحضاري لدى محمد قطب وإجمالها في النقاط التاليه٣:

١- إعداد القاعدة الصّلبة: من جيل مسلم واعٍ درس[لَاإِلٰهَ إِلّا اللهّٰ] وتربى على مقتضياتها. ثمّ توسيع القاعدة، عن طريق توجيه الدعوة للجماهير.و كذلك معرفة الغاية التي من أجلها خلق الإنسان، مصداقاً لقوله تعالى:٤ [وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ]٥

كما قال في سياق آخر: «نلاحظ أن هذا الجيل لا بدّ أن يتأثر بالتربية الإسلامية التي أعدت القاعدة في كل المجالات ولم تقتصر على الجانب الروحي فقط، لذا فالتربية الإسلامية لا تقتصر مهمتها على التعريف بها وتعليمها وحفظها فقط، إنّما هي سلوك عملي

---

١ – واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٠٩.

٢ – سورة الملك: ١٥.

٣ – محمد قطب؛ نُبذة عن حياته ومنهجه الفكرى والحضاري ياسر منير الموقع "طريق الإسلام" تاريخ ٠٤/ ٠٤/ ٢٠١٤م.

٤ – قبسات من الرسول لمحمد قطب ص١٣٠ وأيضا راجع الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، للدكتور عدنان علي رضا النحوي ص٣٤.

٥ – سورة الذاريات: ٥٦.

بمقتضى التعليم الرباني، والسلوك العملي لا يكتسب فجأة، بل يحتاج إلى جهد يبذله المربي والمتلقي على حدٍ سواء.»١

٢- إطلاق العقل البشري للعمل في أوسع نطاق كفله وأصلحه الإسلام عن طريق المشاهدة والملاحظة والتجربة والقياس والاستنباط، كما اهتم الأستاذ محمد قطب بتوجيه العقل إلى تدبّر السنة الكونية التي تجري بمقتضاها حياة البشر، لإقامة المجتمع الراشد الذي يرضاه الله تعالى٢، مصداقاً لقوله تعالى: [وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ]٣

والعبر المستفادة من هذه السنن-عنده رحمه الله- تتمثل في دور العقل في تدبرها؛ ليعمل على إقامة المجتمع الصالح الذي يستحق التمكين في الأرض بمقتضى الوعد الرباني، وليتجنب النذير الرباني في الدنيا قبل الآخرة. كما يرى أنه يمكن الاستفادة من هذه السنن الكونية في معرفة الأدوار التاريخية والإنسانية في هذه الأمة؛ ممّا يساعدها على الانتباه لعدوها ومواجهة مخططاتها ويستفاد منها في التوعية بالدور الإنساني في تاريخ هذه الأمة.٤
«ويستفاد من تدبر العقل – كما يرى الأستاذ محمد قطب- في حكم التشريعي عدة أمور:

---

١ – قبسات من الرسول ص١٣٣، مقالة فقليله حرام.

٢- حول تأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب ص٩٢و٩٣.

٣ – سورة الجاثية: ١٣.

٤- التربية والتعليم في مفهوم الإسلام لمحمد قطب في المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإسلامية" ص٢٢٠.

قطع الطريق على الذين يزعمون أن الإسلام دين رجعيٍّ، لا يتأقلم مع الوقائع المتجددة والقضايا المعاصرة.١

توظيف النصوص الشرعية في معالجة ما يحدث من القضايا في المجالات المختلفة السياسية والاقتصادية والتربوية والنفسية. القدرة على تطبيق الشرع ودرايته٢ في هذه المجالات من الحياة.

٣-دراسة التاريخ: أمّا دراسة التاريخ عنده فلم يكن تسجيل الانتصارات والهزائم، إنّما هي تتبع حياة الإنسان بين الهدى والضلال، وما يحدث له من أحداث خلال الحالتين ونتائج هذه الأحداث من خلال مراقبة السنن الربانية، واستغلال الدروس المستفادة.٣

تأكيده على ضرورة تقديم النقل على العقل: مؤكداً على أن هذا لا يستلزم تعطيل ملكات العقل، وإلاّ فالتربية الإسلامية للعقل، تعطيه المكانة اللائقة به؛ بلا إفراط ولا تفريط، ودليل ذلك تقدّم العقل المسلم في العلوم التجريبية بصورة أذهلت العالم الغربي.

دور العقل هامّ في حياة المسلم، إذا كان العقل الركيزة الأولى، في حياة المسلم فإن الأستاذ محمد قطب لم ينس الإعداد الجسماني له، حتى يستطيع أن يشمل مجلات الإعداد الأخرى ولكنه وضع ضابطاً في غاية الأهمية، وهو أن يسير العقل والروح مع متطلبات الجسم جنباً إلى جنب. و هكذا وضع الأستاذ محمد قطب -رحمه الله- تصوراً لوظائف الجسم في الإسلام هي:

١ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٦.

٢- محمد قطب؛ نُبذة عن حياته ومنهجه الفكرى والحضاري لياسر منير (الموقع الذي سبق ذكره).

٣- كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص١١، ١٢.

المحافَظة على الذات، المحافظة على النوع، والقيام بواجب إعمار الأرض.١

أما الطريقة الأساسية للإسلام في معالجة النوازع الفطرية للإنسانية، فهي تتمثل في الاعتراف بها، وتوجيهها، من خلال ممارسة العبادات، والحثّ على الجهاد الأصغر والأكبر. وقد عالج الأستاذ محمد قطب هذه المسألة (نوازع الفطرية الإنسانية) كما أستنبط ما يلي:

أ- التمايز بين المنهج الإسلامي والغربي في تربية الإنسان.

ب- اتساع الإسلام بشموليته حياة الإنسان، إذ لم يهمل روحه وعقله وجسمه.

ج- تتبع آثار المنهج القرآني والنبوي التي تبني الإنسان النموذج الذي يحقق سيادته في العالم، من خلال تصور واقعي يتم بثه في النفوس والعقول. وبالتالي يسهل البناء الأخلاقي والاجتماعي للإنسان.٢

ضرورة التصدي للغزو الفكري والثقافي من خلال إصلاح شامل لمنظومة التعليم في بلدان المسلمين، بحيث تتوافق هذه المنظومة مع المبادئ الإسلامية.٣

تناول العبودية بالمعنى الجامع، بحيث لا تقتصر على أداء العبادات، بل تشمل جميع حركات الإنسان وسكناته.٤

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص ٣٣،٦٤، ١٠٦، ١٠٨/ وأيضاً دراسات في النفس الإنسانية لمحمد قطب ص٤٠-٤٩.

٢- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص٨٢-٩٩.

٣- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٩٦.

٤- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ص١٥، ج٢، وأيضاً الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته ص٣٠.

إصلاح النفس البشرية هو أساس كلّ إصلاح، إذ عليها المعوَّل في بناء الحضارة مصداقاً لقوله تعالى: [إِنَّ اللهَّ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ]١

ويقول الأستاذ محمد قطب: «المسلم المواطن الصالح. هو ذاته الإنسان الصالح الذي تربى على احترام الإنسان، من حيث هو إنسان واحترام الحق من حيث هو حق، بصرف النظر عن كون صاحبه ضعيفا أو قويا، والالتزام بالاخلاق أنها تجلب مصلحة في الأرض ولكنه التزام رباني»٢

المشروع الإصلاحي بمفهومه العالمي مشروع أمة ومنهاج نبوة، مصداقاً لقوله تعالى: [إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهَّ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ]٣ والإصلاح السياسي جزء من منظومة المشروع الإصلاحي العالمي.

التمايز بين الإسلام والمذاهب الفكرية المعاصرة، جعل الهدف قوله تعالى:[وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ]٤

الحاكمية لله تعالى فقط: وهذه القاعدة هي قطب الرحى-عند سيد قطب ومحمد قطب- كما عقد غيرهم. ومن مقتضياتها، الإقرار بتوحيد الألوهية، وأن تُصاغ الحياة بأسرها وفق معايير الإسلام. وتصور الأستاذ محمد قطب الإصلاح السياسي قائم على افتراض وجود معركة كبرى بين المشروع الإسلامي والجاهلية المعاصرة المحيطة به.٥

---

١ – سورة الرعد:١١.

٢– التربية والتعليم في مفهوم الإسلام لمحمد قطب، المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص٢١٧.

٣ – سورة هود:٨٨.

٤– سورة الأنعام: ١٥٣.

٥ – محمد قطب؛ نُبذة عن حياته ومنهجه الفكرى والحضاري لياسر منير الموقع "طريق الإسلام"

وهذه المعركة داخلية مع أذناب الغرب من الحكومات العميلة، وخارجية مع العالم الصهيوني والصليبي الداعم للحكومات العميلة التي تَحُول دون تطبيق الشريعة. وهو في هذا التصور صِنْوَ أخيه (الشهيد سيد قطب) لكنه يمتاز عنه في التأكيد على جانب التربية، باعتبارها حجر الأساس في مواجهة خفافيش الظلام.١ ويُعبّر عن هذا بقوله: لابدّ من ارتياد الطريق الطويل، المجهد الشاق، البطيء الثمرة، المفيد للطاقة، من طريق التربية لإنشاء القاعدة المسلمة الواعية المجاهدة التي تسند الحكم الإسلامي حين يقوم؛ لهذا كان يرى أن الصدام مع سلطات الدولة قبل وجود هذه القاعدة التربوية هو بمثابة "عمليات انتحارية لا طائل وراءها".٢

إذ هو يرى أن تأخر المسلمين، وعدم نهوضهم من كبوتهم راجع إلى الاستبداد السياسي الذي بزغت شمسه منذ عصر الانحطاط حتى العصور المتأخرة، وبالتالي فالتربية الإيمانية هي التي تُوجد جيل الصحوة الذي لا تجتاله الشياطين، ولا يرضى بالخنوع، ومما يجدر ذكره أن الحاكم في الإسلام مقيّد غير مطلق، فهناك شريعة يحكم بها، وقيم تُوجهه وأحكام تُقيدّه، وهي أحكام لم يضعها هو ولا حزبه أو حاشيته، بل وضعها له ولغيره ربّ العالمين، ولا يستطيع الحاكم ولا غيره من الناس أن يُلْغوا هذه الأحكام أو يُجمّدوها.٣

---

١ - المسلمون والعولمة لمحمد قطب ص٤٩.

٢ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص٤٧٤.

٣- بيّنات الحلّ الإسلامي للدكتور يوسف القرضاوي ص١٥٩و١٦٠ مكتبه وهبه، القاهرة، ط٢ ١٩٩٣م. وأيضاً موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين لمصطفى صبري، ج٤، ص٢٩٥، ٢٩٧ دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ١٩٨١م.

والحديث عن حاكمية الله ونظرية الإسلام السياسية «والذي نعرفه عن طبيعة الإسلام أنه نظامٌ سياسيٌ، وليس لأحدٍ أن يدَّعي فهم الإسلام على وجه صحيح إذا لم يُدرك أن الإسلام ليس نظاماً سياسياً كاملاً فحسب بل نظام سياسيٌ عالميٌ أيضاً وإذا أردنا أن ندعم بالدليل وجهة نظرنا لا بدّ أن نسبقه بوجود ركيزتين يستند إليهما:

الركيزة الأولى: وجود نظرية للحكم مستمدة من نصٍ صريح في دستور الأمة.

الركيزة الثانية: وجود نواةٍ تشريعية لمؤسسات دولية، لأنها إشارة واضحة إلى نظرية الحكم التي ارتضاها الإسلام لنظامه السياسي، ألا وهو حكم الشورى المنطوي على حق الترشيح وحق الانتخاب، وحق المعارضة يقول سبحانه وتعالى: [وأمرهم شورى بينهم].1

و«يقيناً أننا بعد هذا نستطيع أن نقرر بكل العزم والثقة أن الإسلام دولة، وأن له نظرية سياسية واضحة المعالم هي نظرية تقارب إلى حدٍّ كبير نظرية الحكم الدستوري النيابي القائم على حق الترشيح وحق الانتخاب وحق المعارضة.»2

كان النظام السياسي في الإسلام نيابة عن "إن الحكم إلاّ لله" لابدّ عرضه على الناس «إن مصدر السلطة السياسية في الإسلام بوجهٍ عام هو القانون! والقانون عندنا هو القرآن الكريم وتبعاً لهذه القاعدة المكتوبة التي جاءت في القرآن، فإن مصدر السلطة السياسية يبقى في يد الأمة، ويبنى على ذلك، انتقال السلطة التشريعية من الله تعالى إلى الأمة.»3

1- سورة الشورى:38، وراجع نظام الإسلام السياسي لمحمد على قطب ص13،14دار الوفاء، المنصورة مصر، ط1، 1986م.

2- المرجع نفسه.

3- المرجع السابق ص32.

ولا شك أن هذا يؤكد لنا جوهر الموقف الإسلامي من قضية "السلطة الدينية" التي عرفتها أمم سابقة، وهي تعني أن يدَعِي أيّ إنسان لنفسه صفة الحديث باسم الله، وحق الانفراد بمعرفة نظرية تفسير الأسماء ، وذلك فيما يتعلق بشؤون الدين أو بأمور الدنيا، وسواء في ذلك أن يكون هذا الادّعاء من قِبَل فرد يتولّى منصباً دينياً وسياسيًا ومؤسسة فكرية وسياسية.١

والإسلام ليس له سلطة دينية بابوية، منفصلة عن الدولة، كالنصرانية التي تشمل سلطتين: الأولى:سلطة دينية ويمثلها البابا ورجال الكنيسة "الإكليروس" والثانية: سلطة دنيوية، ويمثلها الملك أو رئيس الجمهورية، فإذا انفصلت الدولة عن الدين عند النصارى، بقي الدين قائماً في ظلّ سلطة القوى الغنية المتمكنة، دُون أن يكون للدولة السلطان عليه، بخلاف ما لو حدث ذلك في الإسلام فإنّ النتيجة أن يبقى الدين بغير سلطان يُؤيده، وهذا

١- الدولة الإسلامية بين العلمانية والسلطة الدينية لمحمد عمارة ص١٤، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٨٨م.

ما حدث في تركيا المسلمة، حين أعلن "كمال أتاتورك"[1] علمانية الدولة وفصلها عن الدين، وفصل الدين عنها.[2] فكانت النتيجة فشل الأمة وسقوط كيانها وذهاب شوكتها.

ويؤيد الأستاذ محمد قطب هذه النظرية: أن السياسة والدين كليهما كمثل الظهر والبطن في جسم واحد، لاينفصل أحد عن آخر، ويقول:«إذا كانت السياسة في الإسلام يجب أن تخضع لإطار الدين فالمقصود من ذلك أن تخضع لمبداء أخلاقي، ينفي عنها الظلم والعدوان، سواء في داخل البلاد أو خارجها، وإذا كان الاقتصاد يجب أن يظل في إطار الدين أيضاً. لأن الدين في الإسلام –على الحقيقة– ليس إلاّ هذا الهرمون الأخلاقي الذي بدونه يفقد النظام السياسي، وكل نظام آخر، عُنْصُري الخير والصلاح الواجب توفّر هما فيه.»[3] وعلى هذا الأساس لا يمكن فصل الدين عن الدولة بحال من الأحوال.

١- مصطفى كمال أتاتورك (أطلق عليهِ اسم الذئب الأغبر، واسم أتاتورك "أبو الأتراك") ولد في ١٩ مايو ١٨٨١م وهو قائد الحركة التركية الوطنية التي حدثت في أعقاب الحرب العالمية الأولى، وهو الذي أوقع الهزيمة في جيش اليونانيين في الحرب التركية اليونانية سنة ١٩٢٢م، وبعد انسحاب قوات الحلفاء من الأراضي التركية جعل عاصمته مدينة أنقرة، وأسس جمهورية تركيا الحديثة، فألغى الخلافة الإسلامية وأعلن علمانية الدولة. وقد مرّ أتاتورك بمرحلةٍ عصيبة في أواخر حياته حتّى قيل إنّه قد سلّطت عليه حشرات صغيرة تسمّى بحشرات الجرب سبّبت له حكّة شديدة في أجزاء جسده، كما بيّن أطباؤه إصابته بمرض تشمّع الكبد الذي يسبّب تجمّع السّوائل في الجسم، وقد توفّي في سنة ١٩٣٨م في أستانبول./ الموقع الجزيرة نت. www.aljazeera.net/specialfiles/pages/

٢- الإسلام والعلمانية وجها لوجه للدكتور يوسف القرضاوي ص٥٥ دار الصحوة ، القاهرة، ط١، ١٩٨٧م.

٣- نظام الإسلام السياسي لمحمد علي قطب ص٣٧.

تشخيص داء الأمة العُضال، اتجاه في التنكر لـ[لاإله إلا الله] الذي هو خلل عقدي، وانحراف عن فهم الإسلام الصحيح- إسلام جيل الصحابة، الجيل الفريد- والتأكيد على أن الإصلاح يكون بالعودة إلى ذلك الفهم الذي أنتج ذلك الجيل.١

إذن فمشروعه هو مشروع الإحياء الإيماني الشامل. وهو مشروع يهدف إلى العمل الجماعي المباشر الذي يدلف إلى مشروع إقامة الخلافة مباشرة.٢ من مقتضيات لاإله إلا الله «أن نكون مؤمنين بأن التشريع حق الله وحده لا يجوز تعديته، وإنه يمكن للعالم المسلم أن يجتهد في استنباط الأحكام في إطار ما شرعه الله، وأن يجتهد في إقامة الخلافة الإسلامية في أرض الله.٣

اعتبار المرأة مُكوّن عمل رئيس في تحقيق المشروع الإيماني الشامل؛ لذا هاجم الأستاذ محمد قطب صاحب قضية تحرير المرأة (قاسم أمين) معتبراً دعوته من الهزيمة الروحية التي مكّنت للغزو الفكري.٤

من أهم وسائل الغزو الفكري، هي قضية تحرير المرأة - من تخطيط الصليبيين كما نقرأ في «قرارات المؤتمر التبشيري الثالث الذي عقد في لكنو (في الهند) سنة ١٩١٣م. والذي

١ -الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، للدكتور عدنان علي رضا النحوي ص٣٠-٣٩.

٢ - لا إله إلا الله عقيدة وشريعة ومنهاج لمحمد قطب ص٢٥.

٣- ماذا انتمائي للإسلام؟ للدكتور فتحي يكن ص١٥ نشر الإحسان، طهران إيران، ط١، ١٣٨٩هـ. ش.

٤- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٩٥.

كان يخطط علانية لهدم الإسلام ومحاولة محوه من الوجود، حيث جاء في قرارات ذلك المؤتمر: الارتقاء الاجتماعي والنفسي بين النساء المسلمات.»[1]

وذلك عن طريق تجهيلها بدينها وإخراجها من بيتها للعمل بدون ضوابط كما نرى واضحاً في المجتمع الأروبي ومؤسساتهم؛ والهدف من تحريرها: الذي صار يدعو إليه، قاسم أمين.

وقد ذكر الأستاذ مجموعة من المغالطات التي وقع فيها قاسم أمين في هذا المنطلق:

المغالطة الأولى: تشمل اجازته ﴿الخلوة﴾ وهي مُحُرَّمة في ذاتها سواء أدت إلى الفاحشة أم لم تؤد إليها، وهي مُحُرَّمة في دين الله لحكمة واضحة، لأنها تؤدي إلى الفاحشة.

المغالطة الثانية: هي زعمه في كتابه الأول ﴿تحرير المرأة﴾ أن هذا التحرير لن ينتج عنه إلا الخير؛ ولن تنشأ عنه العلاقات الدنسة التي رآها بعينه في المجتمع الفرنسي...إنّما ينشأ عنه تقوية أواصر المجتمع وربطها برباط متين وأيّا كان الأمر. فقد عاد قاسم أمين من فرنسا داعياً لتحرير المرأة، داعياً إلى السفور ونزع الحجاب.[2] وقد أثار كتابه معارضة عنيفة جعلته ينزوي في بيته خوفاً أو يأساً ويعزم على نفض يده من الموضوع كله.

المغالطة الثالثة: هي تجاهله عمّا هو واقع بالفعل في المجتمع الفرنسي من آثار مثل هذه العلاقة، وقد علم يقيناً بلا شك أن ذلك المجتمع يُعالج بألوان من العلاقات الأخرى

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص٢٩٤. وأيضا الغارة على العالم الإسلامي ترجمة محب الدين الخطيب ص١٤٧.

٢- قضية تحرير المرأة لمحمد قطب صص١٣،١٢،١١ دار الوطن، الرياض، ط١، ١٤١٠هـ.

ويسمح بها بلا رادع فلم يكن ذلك سرّاً مخفيّاً عن أحد ممن يعيش في ذلك المجتمع، سواء من أهله أو من الوافدين عليه.١

و هدف هؤلاء من تحرير المرأة -كما نرى- «هو السفور! المطلوب هو التبرج! المطلوب هو أن تخرج المرأة في النهاية عارية في الطريق! ذلك ما تطلبه المؤتمرات و ما يطلبه الصليبيون الذين يخططون أمّا المرأة المسلمة فقضيتها أن الظلم قد وقع عليها من مخالفة المنهج الرباني، فعلاج القضية بالنسبة إليها هو الرجوع إلى المنهج الرباني الصحيح، والالتزام به عقيدة وعملاً، وترك التقاليد الجاهلية. وأن تحافظ على دينها وأخلاقها وأن تحافظ على وظيفتها الأولى التي خلقها الله من أجلها وهي رعاية الأسرة وتربية الأجيال تربية سليمة صحيحة وتحافظ على الحجاب والعفة والعرض.»٢

ومما تقدم في هذا المبحث أستطيع أن أُجمل الكلام أن المقال مرّ بمراحل متعددة عند الأستاذ محمد قطب نتيجة الحياة الثقافية والاجتماعية والأهداف التربوية والمستويات الخطابية واتجاهه في التنظير للأدب الأسلامي وأيضا ذكرت عدّة معالم الفكر الحضاري لدى الأستاذ محمد قطب الذي يمكن اختصاره في النقاط التالية: منها إعداد القاعدة الصلبة، وإطلاق العقل البشري للعمل في أوسع نطاقه، و تأكيده على ضرورة تقديم النقل على العقل، وبناء المجتمع واستمراه على المنهج القرآني، وأهمّية العقل الواعي في حياة المسلم، وتناول العبودية بالمعنى الجامع، و دور إصلاح النفس البشرية في إصلاح المجتمع، وعقيدة الكاملة على أن الحاكمية لله فقط.

١- قضية تحرير المرأة ص٢٠.

٢- المصدر السابق ص٤٦،٤٧،٨٤.

الفصل الثالث

المقال عند محمد قطب والخصائص الموضوعية

المبحث الأول: المقال الأدبي عند محمد قطب

المطلب الأول: قضايا الأدب عند محمد قطب من خلال مقالاته

المطلب الثاني: قضايا الفن والثقافة

المطلب الثالث: مفهوم الأدب والفن ووظيفتهما

المطلب الرابع: آراءه النقدية على المذاهب الفكرية المعاصرة

المبحث الثاني: المقال الديني عند محمد قطب

المطلب الأول: مقالاته عن العقيدة

المطلب الثاني: مقالاته عن العبادات

المطلب الثالث: مقالاته عن الصحوة الإسلامية

المطلب الرابع: مقالاته في المناسبة الدينية

المبحث الثالث: المقال الاجتماعي عند محمد قطب

المطلب الأول: المرافق والخدمات العامة

المطلب الثاني: التربية والتعليم

المطلب الثالث: المبادئ والأخلاق والسلوك

المطلب الرابع: المظاهر الاجتماعية وقضايا المرأة

المبحث الرابع: المقال التاريخي عند محمد قطب

المطلب الأول: إخراج الأساطير التاريخية من كتب التاريخ الإسلامي

المطلب الثاني: تحقيق الروايات التاريخية التي تحكي لنا عن صدر الإسلام

المطلب الثالث: التفسير السليم لأحداث التاريخ

الفصل الثالث

المقال عند محمد قطب والخصائص الموضوعية

المبحث الأول: المقال الأدبي عند محمد قطب

الأدب هو موضوع النقد وميدانه الذي يتحرك فيه، فهو يبحث في الأدب وصناعته وأنواعه، وفي الأدباء ونتاجهم، وفي مميزات الشعراء والكتاب، وفي السمات المميزة للعصور الأدبية.

و«المقال الأدبي يُعبر قبل كل شيء عن تجربة معينة مست نفس الأديب، فأراد أن ينقل الأثر إلى نفوس قرائه، ومن هنا قيل إن المقال الأدبي قريب جداً من القصيدة الغنائية لأن كليهما يغوص بالقارئ إلى أعماق نفس الكاتب أو الشاعر، ويتغلغل في ثنايا روحه حتى يعثر على ضميره المكنون.»[١]

و«يشتمل المقال الأدبي على: المقال الوصفي والمقال العرضي والمقال النزالي والمقال النقدي والمقال الكاريكاتيري والمقال القصصي والمقال الاعترافي و..»[٢]

سأتناول تحليل أو عرض المقالي في الأدب من خلال مقالات الأستاذ محمد قطب بأربعة مطالب وهي كالتالي:

المطلب الأول: قضايا الأدب عند محمد قطب من خلال مقالاته.

المطلب الثاني: قضايا الفن والثقافة. والمطلب الثالث: مفهوم الأدب والفن ووظيفتهما.

المطلب الرابع: آراءهُ النقدية على المذاهب الفكرية المعاصرة.

١- أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة للدكتور عبد العزيز شرف ص٢٤ دار الجيل بيروت، ط١، ٢٠٠٠م.

٢- المرجع السابق ص٢٥.

المطلب الأول: قضايا الأدب عند محمد قطب من خلال مقالاته:

قضية الأدب الإسلامي أصبحت من القضايا الأدبية المهمة، المطروحة في الساحة الأدبية في عددٍ متزايد من أقطار العالم العربي والإسلامي، بعد أن بدأ الأدب الإسلامي منذ العقود الأخيرة يأخذ نصيبه الوفير من الحضور والانتشار.

و سوف أتناول في هذه العناوين التالية:

مكانة الصراع في الأدب الإسلامي، القيد والحرية في الأدب، الإعلام الإسلامي، وعلم الجمال.

أ- مكانة الصراع في الأدب الإسلامي: إن أقدم مقالة١- وجدتها كان قد كتبها الأستاذ محمد قطب- تَدُور حول قضايا الأدب الإسلامي وهي مقالة "الصراع" (٢) هذه المقالة تحتوي على الموضوعات الآتية:

١ – تحدّث عن مظاهر الصراع في الأدب ودور الصراع في مشاعر الأديب، ٢- ضرورة الصراع في حياة البشر، ٣- الكبت بذرة الصراع، ٤- الصراع في الحضارة الحديثة. بدأ الأستاذ محمد قطب! بداية المقال بهذا السؤال ما الصراع؟ هل الصراع ضرورة بشرية؟٣

١ – مقالة "الصراع" نشرت في مجلة الثقافة بين السنوات ١٩٤٢م -١٩٤٦م (عندما تخرج عن كلية اللغة والآداب). قد ضمنها في كتاب "في النفس والمجتمع" ونشرت سنة ١٩٥٢م.

٢- في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص٤٦.

٣ – المصدر نفسه.

ويجيب بقوله: «الصراع ينشب بين الأجيال الأدبية، حول ممارسة أدبية وقواعد ورؤى فنية ويرتبط بالمفاهيم المكونة لكينونة أدبية ما.»١ يشير الأستاذ محمد قطب، إلى وجود الصراع في خلقة "أوديب ملكا" ويقول:

«إن بذرة الشر مقترنة بعُقْدة "أوديب" -موجودة في كل نفس- كل نفس في هذا الوجود ويكفينا أن نقول إن بعض النفوس أميل إلى الشر و أقدر عليه. فماذا يصنع الخير إزاء هذا الشر الموجود، إذا لم تكن له القدرة على الصراع؟»٢

وأشار في عرض المقالة، بقوله: وهذا الصراع كله بجميع ألوانه، سواء في باطن النفس أو واقع المجتمع، أو واقع الحياة كلها بما فيها من إنسان وحيوان ونبات وجماد... مجال واسع للتعبير الفني، ذو مساحة واسعة تتضاءل بجانبها الفنون الجنسية كلها وتنزوي في ركن من الصورة صغير!.٣

وأضاف فيها «مادام الصراع ضرورة للبشر فقد زوّد البشر بالقدر على الصراع. زوّدهم بها في أجسامهم وعقولهم وأرواحهم، وكيانهم كله. فهو إذ أعطاهم أجساما تشتهي، وعقولاً تفكر وأرواحا تحلّق ساعية إلى النور، زوّدهم كذلك بالقدرة على التوفيق بين هذه جميعاً ولن يقوم التوفيق بينها إلا بشيء من الصراع بشيء من التدافع.»٤ وفي ميدان الصراع بين الإنسان والشيطان يجد الفن الإسلامي آفاقا واسعة وجوانب رائعة، وحقولاً خصبة للإبداع الفني الأصيل.

---

١ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة للدكتور سعيد علوش ص١٣٤.

٢ - في النفس والمجتمع ص٤٨.

٣ - المصدر السابق ص١٢٢.

٤- في النفس والمجتمع ص٤٨.

والإنسان يصوّر في لحظة القوة ولحظة الضعف، ولكن يُهتف له دائما من جانب الصعود، إلى جانب الهبوط فجانب الهبوط موجود في نفسه لا يحتاج إلى هتاف! ولحظة الضعف لاتحتاج إلى تسجيل!.١

فلهذا أستطيع أن أكشف من المفهوم الذي يدور حول العنصر الأساسي داخل الحياة. الصراع عنصر من عناصره الأصلية، وضرورة لا تستقيم بدونها الحياة. ضرورة يشير إليها تركيب الإنسان ذاته من جسم وعقل وروح، مختلفة المطالب متباينة الاتجاهات.

«فالإسلام يفهم الصراع على أنه وسيلة التوفيق بين المتناقضات و وسيلة بعد ذلك لرفع الكائن البشري عن عالم الضرورة، وعن حدّة الشرّ، إلى حيث يستطيع أن يحلّق- سويّاً متوازناً- في عالم النور. وهو لهذا يوازن عنصر الصراع في داخل النفس. يوازنه أولاً بعنصر الحب.»٢

والحب هو الذي يستطيع أن يوازن بين عناصر الصراع في النفس، فيخفّف حدّته، ويكسر شوكته، أو يستأنسه فلا يهيّج إلا حيث ينبغي له أن ينطلق لتحطيم الشر، لتحطيم العناصر التي تقف في طريق الحب، وتمنع البشرية أن تستمتع بظلاله. والحب نبتة إنسانية طبيعية، تنشأ نشوءاً ذاتياً في باطن النفس، وهو سابق في وجوده على الكراهية.٣

وفكرة الإسلامية تقرر الصراع على هذا النحو: على أساس أنه ضرورة لازمة لمنع الفساد عن الأرض، ولإيجاد التوازن في الحياة البشرية، وأنه- لهذا السبب- موجود في بنية

١- منهج الفن الإسلامي ص ١٨١.

٢- في النفس والمجتمع ص٥١.

٣- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص٢١٥-٢٢٤.

النفس الإنسانية وحكمة الخالق العليا قد اقتضت التوفيق بين المخلوقات وضروراتها، فجعلت بذرة الصراع موجودة في داخل الكيان النفسي مادامت ضرورة لواقع الحياة.١

ب-القيد و الحرية في الأدب: وجدتُ له مقالة كتبها باسم "القيد والحرية"٢ التي نشرت في "في النفس والمجتمع" هذه المقالة تحتوي على الموضوعات الآتية: ١- جهاد بصوب الحرية، ٢- منطق التحرر من القيود، ٣- الحرية التامة، والالتزام الإسلامي، حيث بيّن فيها كيفية التعبير الجميل المُوحي في الحياة: «أيّ الفن بالمفاهيم الإسلامية لايضيق رقعته ولا يتسع حدوده، بل هو على العكس من ذلك يوسع الرقعة و يوسع الحدود، حتى تشمل الكون كله والحياة كلها والإنسان، في أشمل نطاق يمكن أن يخطر في بال إنسان. كل ما في الأمر أنه "ينظّفه" وإذا كانت النظافة قيداً من جانبٍ فهي فُسحة من جانب آخر، لأنها تطلق النفس من قيود الضرورة القاهرة، إلى عالم الطلاقة والحرية والجمال والإشراق.»٣.

كما ذكر الأستاذ محمد قطب في نهاية المقال: «هي﴿ الطاعة﴾ في حقيقتها المفاضلة بين حرية الإنسان وحرية الحيوان مقابل التقيد بقيود الإنسان والتقيد بقيود الحيوان، وقيود الإنسان اسمها الفضيلة واسمها العقيدة. وقيود الحيوان اسمها الغريزة واسمها الشهوة، واسمها المتاع الغليظ والإنسان حُرٌّ فيما أن يظل إنساناً ويعود إلى حظيرة الحيوان!.»٤

وأيضاً يقول محمد قطب: «هو الميثاق الغليظ الذي أخذه على نفسه مع الله، فهو لا يريد الفكاك منه، وكلما توغّلت في نفسه العقيدة أصبح لا يملك الفكاك. وهو في الوقت

١- في النفس الإنسانية لمحمد قطب ص٥٠.

٢- في النفس والمجتمع ص١٨٦.

٣- منهج الفن الإسلامي ص٢٠٦، وأيضا في النفس والمجتمع ص ١٨٧.

٤- في النفس والمجتمع ص١٨٩.

ذاته متحرر من قيود الضرورة، يُحسّ بحرية حقيقية إزاء الدوافع الملحّة، وينطلق بطاقته إلى آفاق وضيئة من النور.»١

وعندما خرجت فكرة الأدب الملتزم وغير الملتزم: «وتعددت المذاهب التي يلتزم بها الأدب المذاهب الفنية، والمذاهب الاجتماعية، والمذاهب التعبيرية والمذاهب "الأيديولوجية" وغيرها من التسميات والاتجاهات.»٢ التي يأتي في عالم الحرية بغير قيد والتزام. هنا متحرر من القيود! متحرر لأنه لا يطيع خلقاً ولا ديناً ولا عقيدة ولا قيداً واحداً من القيود المفروضة على السلوك، لتصبح الحياة، حياة عشوائية كمثل الحياة في أوروبا خاصة في القرن العشرين، الذي يستعبد الفرد عن"الدولة" باسم التحرر من الجوع والصراع الطبقي.٣

فتشتّت كل ما كان في طريقه إلى المجتمع. وضاعت شخصية هؤلاء الأدباء في غمار الزوبعة المتشتة!.

وأمّا المقالة الأدبية فهي التي تهتم بظواهر الجمال الإسلامي في الأدب، وبدراسة جمال العمل، قيمة عملية للجمال، الجمال والإحسان، الجمال هي الإحسان، قضاء الضرورة.

وعلى ضوء هذه المقالة «ليُرِح ذبيحته!» وعلى أساس منهج الفن الإسلامي، قدم تعريف الجمال: هو الأداء الحسن، والأداء الكامل، والأداء المتقن، والأداء الجميل، هو تهذيب القيام بهذه الضرورة، وإحاطتها بآداب معينة تلطّف غلظها و تخفّف من معنى

١- المصدر السابق ص١٨٩.

٢- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص٣٥٥.

٣- المصدر نفسه.

"الضرورة" فيها، إذ تجعلها سلوكاً وأدباً فيه "اختيار" وترفُّع١ وأيضا يقول: «الجمال فطرة "الطبيعية" فطرة الحياة التي خلقها الله. والحياة لا تكتفي بقضاء الضرورة، ولكنها تهدف دائماً إلى الإحسان في الأداء.»٢

ومن القضايا التي تناولها الأستاذ محمد قطب، هي الجمال التعبيري: «إن الجمال التعبيري جزء من كتاب الدعوة الأعظم... فحين يستخدم المسلم الفن للدعوة فهو في نطاق الإسلام لم يغادره...ولكنه الفن النظيف الملتزم بالتزامات الإسلام.»٣

ج- ومن القضايا التي تناولها الأستاذمحمد قطب هي قضية الفن الإسلامي والجمال، يقول في مفهومه: «الفن الإسلامي مُوكَّل "بالجمال" يتتبّعه في كل شيء وكل معنى في هذا الوجود. الجمال لمعناه الواسع الذي لا يقف عند حدود الحس، ولا ينحصر في قالب محدود»٤

ويقول الأستاذ محمد قطب نظريته حول الصدق الفني: «والفن الصحيح هو الذي تُهيّيء اللقاء الكامل بين الجمال والحق، فالجمال حقيقة في هذا الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود.»٥ و«أن الإسلام هو دين الدنيا والآخرة وأنه ليس عقيدة فحسب، إنّما هو عقيدة ومنهج كامل للحياة، محسوب فيه كل احتياجات البشرية في الحياة الدنيا، بل محسوب فيه أن ترتفع الحياة البشرية

١- قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٩٩.

٢- المصدر السابق ص١٠١.

٣- دراسات قرآنية لمحمد قطب، ص٣٠٧.

٤- منهج الفن الإسلامي ص٢٠٢.

٥- المصدر السابق ص٧.

عن مستوى الضرورة، وتصل إلى درجة "الجمال" ودرجة "الإحسان" في كل شيء:إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذِّبحة وليُحِدَّ أحدكم شفرته، وليرح ذبيحته!١ ومع ذلك له آداب تهذّب تناوله وتكسر شراهته وترتفع به عن محيط الحيوان إلى محيط الإنسان «إن الإسلام لا يكتفي بأداء الأعمال-كل الأعمال- على أية صورة، وإنّما يتطلب"الإحسان" في الأداء.»٢

قابل الذكر إن الفن يغذّي الوجدان، فالإسلام دين واقعي يتعامل مع الإنسان كله وجسمه وروحه وعقله ووجدانه طبعا في حدود الاعتدال طبعا الفن الإسلامي الصحيح يسمو الإنسان إلى مدارج الإنسانية. والقرآن الكريم نبّه على عُنْصُرَي المنفعة والجمال في الكون. قال تعالى [وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا]٣ فالله تعالى نبّهنا بأن للبحر فائدتين، مادية ومعنوية، أما المادية فهي اللحم الطِّري الذي نأكله وينتفع به جسمنا وأما المعنوية فهي الحِلْية التي نلبسها للزينة، فتستمتع بها العين والنفس.

د- ومنها المقالة التي كتبها باسم "الإعلام الإسلامي" التي نشرت في المجلة (الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية)، وقد بيّن فيه الموضوعات المهمة منها: إيجاد الإعلام الإسلامي، الإعلام ترجمان فكر الأمة، وأهمية الإعلام الإسلامي، والإعلام ضرورة اليوم، ورابطة بين الفن والإعلام الإسلامي.

١- صحيح مسلم ج٣ ص١٥٤٨. وصحيح ابن حبان ج٣ص ١٩٩. (قال الشيخ الألباني: صحيح الإرواء) و هذه الجملة المقتبسة من كتاب واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص٤٦٨.

٢- قبسات من الرسول ص٩٨.

٣ - سورة النحل:١٤.

نأتي إلى تحليل موضوعات المقال، فلا بدّ أن أبدأ بالسؤال الذي، كان في ذهني من الأيام السابقة؛ ما الإعلام؟ وما الإعلام الإسلامي؟ نأخذ جواب الأستاذ محمد قطب:

«الإعلام ترجمة لفكر الأمة ولفنها، والفن أيضاً ينبغي أن يكون إسلاميّا، الإعلام يشمل الحياة البشرية كلها بجميع مناحيها وفكرها وثقافتها واجتماعها وأخلاقها وآدابها وفنونها وحياة المسلم، ينبغي أن ترتكز على الإسلام في كل هذه الدوائر ويوم يرتكز المسلم في جميع دوائر حياته على قاعدة الإسلام سنجد تلقائيا إعلاماً إسلاميّاً. لكننا اليوم نقول الإعلام في البلاد الإسلامية مُجافٍ للإسلام نعم! »[1]

و«حين نتحدّث عن الإعلام الإسلامي إنّما تكون نشرة الأخبار من وجهة النظر الإسلامية عرض مشاكل المجتمع من وجهة النظر الإسلامية، عرض الثقافة من وجهة النظر الإسلامية عرض كل شيء يكون من وجهة النظر الإسلامية.»[2] سوف يأتي السؤال! كيف تكون نشرة الأخبار إسلامية؟

أقول في جوابه: عندما بدأت بالتسمية والتحميد في أول النشرة ويكون نشر الأخبار على أخبار العالم وصراعاته على أيّ شيء يتصارع هذا العالم عليه ليست مهمة وسائل الإعلام أن تلتقط لي لقطة الكاميرا إنّما هي تضيف من عندها، التفسير يعني عملها عمل فني فيه فرق بين رسم الفنان و رسم الكاميرا...الكاميرا صحيح تعطيك صورة واقعية تماماً، لكنها صورة غير معبّرة عن المعاني الخُلُقية إلاّ أن تعطيها تفسيرا مُعيّناً، التفسير هو

١- الإعلام الإسلامي لمحمد قطب مجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص١٥٤.

٢- المصدر السابق ص١٦٠.

الذي يعطي الصورة الحيوية والحركة نشرة الأخبار لن تكون مُجَرَّد حَدَث، إنّما تكون إلقاء ضوءٍ على مشاكل العالم.

كما نقرأ في الفقرة الأخيرة من هذا المقال "الإعلام الإسلامي"، يقول الأستاذ: «هو الرافد الأكبر الذي يصيب في الإعلام ثمّ ماذا في حياتنا إلاّ القليل من قضايا الفكر الإسلامي والتصور الإسلامي والسلوك الإسلامي حتى ينعكس في الإعلام.

إن الإعلام ينبغي أن يكون صورة واقعية و واقعنا- وينبغي أن نكون صريحين مع أنفسنا- بعيد بُعْداً كبيراً عن الإسلام وإن كانت فيه بين الحين والحين في بعض بلدان العالم الإسلامي بقايا من الإسلام.»[1] مع هذا «أصبحت الأمبراطوريات الفضائية المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز، وأدوات تشكيل الوعي، والذاكرة الإنسانية، والوجدان والذوق وتقوم بتقديم مُعَلَّبَات ثقافية مُحْكَمة الصنع تتضمّن منظومة جديدة من القيم تدور حول تشجيع النزعة الاستهلاكية، وغرس قيم الأنانية والفردية والروح النفعية.»[2]

كما نرى الإعلام له النقاط السلبية والإيجابية. ولكن يزيد النقاط السلبية بالنسبة للنقاط الإيجابية في إعلام بلادنا، فلأجل هذا؛ ينبغي أن نسارع إلى تشكيل الإعلام الإسلامي وإلاّ فإن (الغرب) يغزونا بالإعلام وتفسد أخلاقنا بإعلامها بالتلفاز والإذاعة والسينما وفي غدٍ ستتصل محطات التلفاز عن طريق التلستار، فنحن لا ننكر حقيقة أن يصد أيّ فتى سبيل أي فتاة -إلا مَنْ رَحِمَ ربه- عن أن يلتقط إذاعة أجنبية أو إرسال تليفزيوني

١- الإعلام الإسلامي لمحمد قطب في مجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص١٥٦.

٢- العولمة تعيد صياغة العالم للدكتور مصطفى الطحان ص٤٨، المركز العالمي للشباب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٩٩٩م.

أجنبي بما فيه من مخازي الأخلاق والحث على الجريمة والحث على تغيير الفطرة ذاتها، الفساد لم يعد فساداً أخلاقياً فحسب إنّما تجاوز فساد الأخلاق إلى فساد الفطرة لا الرجل رجلٌ على فطرته ولا المرأة امرأة على فطرتها، هذه مسألة ليست أخلاقية هذه مسألة متعلقة بالفطرة البشرية ذاتها المرأة التي تقلّد الرجل وتسترجل والرجل الذي يقلّد المرأة ويستأنث.

هذا الفساد الذي يمس الفطرة يغزونا من كل جانب، نستطيع أن نصدّ هذا الغزو حين نكون مسلمين حقاً وحين نمارس الإسلام بكياننا كله فإن كل كيد للشيطان لايؤثر علينا.

في الأخير أستطيع القول: أصبح الإعلام المؤسسة التربوية والتعلمية المُزيّنة بالبنات العاريات الراقصات والبنين المستأنث، حلّت مكان الأسرة والمدرسة، والجامعة وهو بذلك يمارس أخطر أدواره في إعادة صياغة البشر للتكيّف مع متطلبات العولمة وأخلاقياتها. وضررها أكبر من نفعها فضرورة إيجاد الإعلام الإسلامي أشد إحساساً من كل وقت، «حتى نقيم حياتنا وسلوكنا وفكرنا وتصورنا وأخلاقنا وثقافتنا على القواعد الإسلامية ويوم يفكر فنانونا ومفكرونا في إنتاج غير مباشر، يعرض لنا حقائق الحياة كلها من زاوية الإسلام وبروح الإسلام.»١

ربما يأتي يوم نعيش فيه إسلامنا على الصورة الحقيقية، و نكون مسلمين في كل شيء في أدبنا، وفي إعلامنا وفي سلوكنا وفي تصوّرنا في كل شيء. والله ولي التوفيق

١ – الإعلام الإسلامي لمحمد قطب المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص١٦٥.

المطلب الثاني: قضايا الفن والثقافة:

امتدّ بساط المقال و كتابات محمد قطب الأدبية، إلى أن اشتمل على قضايا ذات صلة وثيقة بالأدب والفن والثقافة وما يتصل به من فنون.

وعندما ألاحظ إنتاج محمد قطب القصصي، أرى عنده القليل من القصص التي كتبها أو ترجمها في باكورة حياته العلمية؛ ولعلّ القلة التي أعزو سببها الرئيسي في أن كتابة المقال القصصي كان -آنذاك- لوناً من الترّف الفني الذي لا يعتمد عليه كمصدر للهدف المرسوم، وهذا لا يتفق مع أعباء محمد قطب ومسؤلياته الدينية، ومن هنا جاءت كتابة القصة ضرباً من إثبات المقدرة الفنية، دون أن يحركها اتجاه محدّد ومعرفي صادق. ولهذا تنوع إنتاجه الأدبي قليلاً بين الرواية والقصة القصيرة، ومثّلت كل رواياته لوناً مُعيناً من ألوان القصص، جاءت قصص ثلاثة "بين الأرض والسماء١" و"الزمن" و"الامتحان" ممثلة لقصص التجربة الذاتية. ويظلّ أسلوب الخيال والفكرة -عند محمد قطب- أقرب للتحليل الفسلفي على تعمقه في تحليل المعطيات والتواصل بين كل النتاج. كمثل قصة «بين الأرض والسماء» صوّر نفسية يندرج تحتها من ذكريات طفولته، وخبراته اليومية وهو في تناوله لهذه القصة لديه قدرة هائلة على التعبير الأدبي والتحليل الفكري، فضلاً عن الوصف الدّرامي الذي يتبع ذلك قدرة على الغموص في النفس، مستخرجاً كل ما تبقَّى من أثر لهذه الذكريات.٢

١-القصص الثلاثة وردت في "الأطياف الأربعة" الطيف الثالث هو محمد قطب ص١٧٤، دار الشروق: القاهرة، ١٩٦٧م.

٢-المصدر نفسه.

فالقصة هنا لا تعني أن نبدأ الحديث عن حكايات عالقة بالذاكرة لمجرد أنها عالقة، ولكن أهمية هذه الحكايات تكمن في كونها تشكل مسيرة حياة وسلوكاً اختصه الكاتب وأراد أن يحذره، وأن يتتبع تطوره عن طريق الغموض والتنقيب في ذكريات الطفولة التي يصفها بأنها "أعْذَب أيام الحياة جميعاً". كمثل الذكريات السنوية لأبي الحسن الندوي في كتابه (مذاكرات سائح في الشرق العربي) الذي يتحدث عن تجربته الواقعية؛ ويقول: «ندرت الكتب التي سجلت فيها الخواطر، والآراء والانطباعات، بالنسبة إلى كتب الرحلات والسير والأخبار، وافتقر ما وجد منها على تسجيل الهواجس، وخطرات النفس، والحديث معها ومحاسبتها، وتجارب الحياة.»[1]

لكن يختلف أسلوب محمد قطب في كتابة قصته «بين الأرض والسماء» حيث يغلب عليه الطابع الإنشائي البلاغي كما أرى:«"رؤية الفتاة للحب ورؤية الرمل للحب"، الحب الأفلاطوني المقدس والحب الواقعي، هذا الحب الهادئ الخيال عالم واسع جميل، فماذا تفهم عن لواعج الحب ومن ضرام اللهفة، ومن حرق الحنين؟ وهو البلسم الذي يشفي ما في قلبه من جراح "راحة الأرواح في النعيم، وبدأ القلق يتسرّب إلى ضميره"»[2]

وكانت «سخريات الصغيرة» مجموعة قصصية بترجمة الأستاذ محمد قطب، نشرت في فبراير١٩٤٧م، هذه مجموعة من الصور الخُرَافية التي تحكي لنا عن المجال الأسطوري، وهذا النتاج كان من مؤهلاته الابتدائية التي قدمت في مجال الأدب والفن والثقافة. لكي

١- مذاكرات سائح في الشرق العربي لأبي الحسن الندوي بتحقيق سيد عبد الماجد الغوري ص١٥، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٢- "الأطياف الأربعة" قصة بين الأرض والسماء في الطيف الثالث ص١٤٨.

يُعالج فيها بعض المسائل الاجتماعية الخرافية التي تأثرت بها المجتمع آنذاك! من تأثيرات المذاهب الفكرية المعاصرة وأعلامها[1]: كالعلمانية والشيوعية، وصوّر الفوارق العبيدة بين الطبقات العليا التي انشعبت بسببها هذه المذاهب وأعلامها.

اقتطفت نموذجا من بعض فقراتها، كالقصة الأسطورية التي كتب فيها «الآلهة تريد أن تقهر الإنسان وتكبته وتحطمه لكي لا يطمح في أن يكون مقتدراً مثلها، فلا تفتأ كلما حقق نجاحاً أن تصب الكوارث فوق رأسه لكي لا يستمتع بثمرات نجاحه، وهو من جانبه دائم التحدى للآلهة، كلما وقع في حفرة من حفائرها عاد يستجمع قواه ليصارعها من جديد، وتكفي أسطورة "بروميثيوس" الشهيرة لبيان هذا المعنى بصوره مباشرة إذ تزعم تلك الأسطورة أن "زيوس" إله الآلهة خلق الإنسان من قبضة من طين الأرض ثمّ سواه على النار المقدسة (التي ترمز إلى المعرفة) ثم وضعه في الأرض محاطاً بالظلام (الذي يرمز إلى الجهل) فأشفق عليه كائن أسطوري يسمى "برومثيوس" فسرق له النار المقدسة لكي ينير له ما حوله، فغضب "زيوس" على الإنسان وعلى "بروميثيوس" كليهما. فأمّا "بروميثيوس" فقد وكل به نسرا يأكل كبده بالنهار ثمّ ينبت له كبده من جديد، بالليل يأكلها النسر بالنهار في عذاب أبدي!»[2]

فقد حذر الأستاذ محمد قطب القراء من قراءتها ومن تأثيرات القصص الجاهلية الإغريقية التي تصور العلاقة بين البشر والآلهة علاقة صراع وخصام لا يفتر، وهذا الصراع

---

١ - مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، ص٢٩٧.

٢- سخريات صغيرة ترجمة محمد قطب ص١٢٣ نقلاً عن مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٤٥٧.

ينبع عن تمرد النهضة الأروبية على الدين والتمرد على الله وكان ذلك من تأثير هذه القصص الخرافية، وأمثالها.

كما يحكي في عرض القصة «وأمّا الإنسان فقد أرسل له زيوس "باندورا" التي ترمز إلى حواء- سلام الله عليها- لكي تؤنس وحشته -في ظاهر الأمر!- وأرسل معها هدية عبارة عن علبة مقفلة، فلما فتحها إذا هي مملوءة بالشرور التي قفزت من العلبة وتناثرت على سطح الأرض لتكون عدواً دائماً وحزناً للإنسان! ويشير"جوليان هلسكي"[1]-عن خواء فكره- إشارة صريحة إلى هذه الأسطورة في كتابه (الإنسان في العالم الحديث) فيقول: إن موقف الإنسان الحديث هو ذات الموقف الذي تمثله هذه الأسطورة، فقد كان الإنسان يخضع لله بسبب الجهل والعجز، والآن بعد أن تعلم وسيطر على البيئة فقد آن له أن يأخذ على عاتق نفسه ما كان يلقيه من قبل في عصر الجهل والعجز على عاتق الله و يصبح هو الله!!»[2]

وينير الأستاذ محمد قطب بقوله: الخلل الموجود في التصور الغربي هو دراسة الإنسان بمعزل عن خالقه، كأنما هو قد خلق نفسه، أو كأنما وجد بغير موجد! ويترتب

١- جوليان سوريل هلسكي عالم أحياء وفيلسوف إنجليزي. ولد في لندن سنة ١١٨٧م، درس في إيتون وأكسفورد ودرّس علم الأحياء وعلم وظائف الأعضاء في الجامعات البريطانية والأمريكية قبل أن يتولى الإشراف على حديقة الحيوان بلندن، قام بعدد من البعثات العلمية لحفظ الحياة الحيوانية في أفريقيا ، أسهم سنة ١٩٤٦ في تأسيس منظمة اليونسكو، وكان أول مدير لها (١٩٤٦- ١٩٤٨)، ورقّي إلى مرتبة «سيرsir»، كما أسهم إسهاماً فعالاً في تأسيس الجمعية الإنسانية البريطانية، وأصبح أول رئيس لها. من أعماله: كتاب علم الحياة والتطور ومات سنة١٩٧٥م./ من كتاب الإنسان في العالم الحديث جوليان هلسكي، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ١٩٧٥م.

٢- سخريات صغيرة ص٢٥٨.

على ذلك –عندهم– ألا تكون للإنسان مرجعية خارج حدود ذاته! إنّما هو يكون "هو" مرجع نفسه فما يراه "هو" يكون هو الأصل وهو الصواب، أيّ هو الإله.١

ولقد بدأت الأفكار بفكرة إلى هذا الفن، ويتبعون القراء لهذه الأفكار عن طريق الدوريات والمجلات التي تنتشر في البلاد الإسلامية. ولكن تعليقات الأستاذ محمد قطب على شكل القصة يعدّ من أهم قضايا الفن والأدب.

و قد صوّر قصته بأسلوب أدبي خاص، كما أرى في قصته "الزمن[٢]" يلجأ فيها إلى الإيثار بالتحليل النفسي الذي غلب عليه، لا سيما في قصة "الزمن" لاحكاية لها ولاحبكة ولا شخصيات ولا مواقف ولا أحداث فيها، بل أمامنا تحليل نفسي عن تأثير الزمن على الفن والفنانين، وفكرة الزمن من الأفكار الفلسفية فيها، الفنانون قوم يُصارعون الزمن فيها.

كما يصارع "أوديب"* في القصة الأسطورية الإغريقية. لأن فيهم هذا الشعور الأصيل في الحياة، هو منطق قصة الزمن هي تكملة لما بدأه الكاتب في قصته «وهي عن

١- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب ص٥٥.

٢- "الأطياف الأربعة" قصة الزمن في الطيف الثالث لمحمد قطب ص١٧٥.

* - أسطورة أوديب واحدة من الأساطير الإغريقية اليونانية وأشهرها، "أوديب" أنه بطل التراجيديا القديم الذي شاء قدره أن يقتل أباه ويتزوج أمه وقد تعددت الدراسات والمعالجات حول هذه التراجيديا ومازالت حتى يومنا هذا. ترجم طه حسين باللغة العربية نص الأصلي باسم"أوديب ملكا" وأيضا ترجم علي أحمد باكثير وأطلق عليها اسم "مأساة أوديب". وهي إحدى المآسي التي كتبها سوفوكليس وقد أثنى عليها أرسطو طاليس في كتاب الشعر وعدها المثل للمأساة. وهي تصور جانبا من قصة أوديب وترمز إلى عجز الإنسان أمام القدر الذي يقذف به من خالقه إلى الحضيض دون علة واضحة./ النقد الأدبي ومدارسه الحديثة لستانلي ادغار هايمن بترجمة: إحسان عباس ج١ ص١٥٩، دار الثقافة، بيروت، لبنان،ط١، ١٩٦٠م.

علاقة الطفل بالزمن وعلاقة الشباب بالزمن، ليتحدد المفهوم ويتبلور إلى علاقة شخصية الكاتب الناضج، والزمن ورؤيته فيصور معاناته جرّاء مرور الزمن وتسرب سنوات العمر، فهكذا يفسد طعم الحياة، ولا يهيأ فيها شيء...تصير مرة، مرة ولو ملأتها حلاوة الأكوان.»١

تنتهي القصة بهذا الملخص: فثمة تياران قويان يتنازعان في نفس كاتب القصة، يفترقان تارة ويلتقيان تارة، لكنهما يعبّران عن وجودهما في كل الأحوال؛ الأول: هو الإيمان بالواقع المحسوس، والثاني: هو الإيمان بما وراء الطبيعة، وأثرهما العظيم في نفسه «وإن كانت فيه عقلية عالمية دقيقة بالبحث ويؤمن بالمنطق، ويحكمه في كثير من أفكاره وكانت فيه نفس شاعر، روح متدين و انطلاق روحاني لا يؤمن بالحدود والقيود.»٢

عندما نصل إلى نهاية القصة، نجد فيها الخاتمة مليئة بالدروس والعبر التي ترجمها وينتقدها، يتصور بتجربته الزاخرة التي عكف عليها في فترة الشباب وقام بترجمة القصص ذوقاً ورغبةً والتزم بنقد هذه التيارات المنحرفة التي تغلغلت في القصة من الأفكار الهدامة.

المطلب الثالث: مفهوم الأدب والفن ووظيفتهما:

عرّف الأستاذ محمد قطب الأدب: «هو التعبير الجميل عن الكون والحياة والإنسان، من خلال تصور الإسلام للكون والحياة والإنسان.» هو الفن الذي يهيئ اللقاء الكامل بين"الجمال"و"الحق"، فالجمال حقيقة في الكون، والحق هو ذروة الجمال، ومن هنا يلتقيان في القمة التي تلتقي عندها كل حقائق الوجود»٣

١- الأطياف الأربعة" قصة الزمن في الطيف الثالث ص١٧٦ .

٢- المصدر السابق ص١٧٩.

٣ - منهج الفن الإسلامي ص٦، ٧.

وتحدّث عن إبهار الفن في مقالته "لا تفكروا في ذات الله": «إن أمهر المصورين وأقدر الرسامين ليعجز عن الإحاطة "بالفن" الذي تمثله زهرة واحدة من تلك الزهور. فإن ما فيها من تعدد الألوان، وتدرجها، وتناسقها وما فيها من جاذبية للعين والحسن...إن هذا كله لآية تبهر النفوس.»١ كل الأفعال الصغيرة والكبيرة في شؤون الحياة اليومية والحياة العامة، يشمل الفن بكل تفريعاتها وأجزائها في ميدان الجمال الفني في صوره التي كانت مسيرة لهم من رسم وزخرف وعمارة وشعر ونثر. يكون قد قام بواجبه الأمثل وحقّق وجوده الكامل.٢

ويقول الأستاذ محمد قطب عن تاريخية الفن: إن العرب -قبل الإسلام- لم يكن أمة علم﴿ بل أمة فن﴾ ولم يكن تراثهم يحمل شيئاً ذا قيمة من المعرفة، إنّما همهم الشعر والبراعة اللغوية.٣، فهنا يوضح الصلة بين الأدب والفن في قوله إنما كان همّهم الشعر والبراعة في مجال الأدب. إنهم عرفوا -العرب- الفن قبل تمسكهم بالعلم.

ويقول عن تعبير الفني «إن كان هذا تعبيراً باطنيا حقيقياً عن حياة فقدت معناها وفقدت غايتها حين فقدت الخيط الذي ينظمها جميعاً ويُنظمها ويفسر غايتها ويُفسر أحداثها، وهو الدين.. ولكن الجاهلية (الحديثة) لا تدرك ذلك. وتأخذ الأمر على أنه مجرد فن! أو إن أدركت فإنها تدرك أن الحياة البشرية أصبحت في حاجة إلى"فلسفة"جديدة تعطيها معنى وتعطيها غاية، بشرط ألا تكون هذه"الفلسفة"مستمدة من الدين!.»٤

---

١ - قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٦٥.

٢ - المصدر السابق ص٧٥.

٣ - قبسات من الرسول ص٣٧.

٤ - مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٤٩١.

لا بدّ من الإشارة إلى مقالة الأستاذ محمد قطب التي تحدّث فيها عن أن طلب العلم فريضة، وعن الرابط الذي يكون بين العلم والأدب وأيضا تحدث عن أهميتهما بين أجناس الأدب والشعر وبراعته اللغوية، وأيضاً تكلم عن قداسة العلم في نفوس الناس كقداسة العقيدة فيها.

وفي نهاية المقالة تكلم عن العلم كأنه وسيلة الإرشاد إلى طريق الخير البشري، ونهى الإنسان عن انزلاقه في حفرة الضلال وأكد أنه وسيلة نجاة الإنسان من الهموم والضلال الغارقة التي يغرق الإنسان بها.

وقد تحدث الأستاذ محمد قطب عن (مفهوم الأدب) في قصة ذكريات السجن،حيث يقول: «الشعر؛ هو الذي لا يحلل القضايا والمشكلات، ولا يعالج النفوس والأرواح، بل يُجسد الآلام والمآسي، في أنماط من الألفاظ الأنيقة والمعاني الجميلة، كل ذلك في أمانة من الأداء، وصدق في التعبير، وتحليق في آفاق رحبة من الشعور المطمئن، وأبعاد مستطيلة في أجواء الإلهام الفسيحة.» ١ وفي موضع آخر «يعتبر الشعر بأنه تجربة عاناها في شعوره وانفعل بها وجدانه وجاشت بها نفسه، فعبر عنها في نسق منغّم موزون. وبتعبير آخر الشعر الخالص... هو وسيلة التحرير من جفاف الفكر ومن قيد الذهن... وانطلق في خفة وطلاقة يعبر عن حرارة الوجدان.»٢ وهو الذي سماها أزمة الشعور.

تسير نظريات محمد قطب في الاهتمام بحفظ اللغة العربية في مجالات الفكر والأدب لأن بعض الأدباء، حاول أن يدعو إلى كتابة اللغة العربية بالحروف اللاتينية، ولكن المحاولة

١ - المصدر نفسه.

٢- منهج الفن الإسلامي ص٢٦٧.

وُئدت في مهدها، ولم تقف قط على قدميها! وبعده حاول آخرون أن يدعوا لكتابة الأدب باللغة العامية، بظنهم لعل هذه اللغة تنمو وتترعرع، حين تصير لغة الفكر والأدب، ولكن هؤلاء لم ينجحوا الحمد لله!

وأيضاً أكد الأستاذ محمد قطب على حفظ أصالة الأدب العربي-لكل من يعمل في ميدان الأدب- إذ يقول:«إن الأدباء والمفكرين الذين تعلموا اللغات الأجنبية قد وقعوا – ولا شك-في ثروة أدبية وفكرية في اللغات التي تعلموها، كانت جديدة بالنسبة لهم، وكان فيها أشياء كثيرة تستحق الاطلاع عليها والاستفادة منها؛ وكانت بالنسبة للخواء الفكري الذي يعيشه المسلمون تبدو ثروة لا تقدر بثمن، وزادا دسماً يصلح لإقامة الحياة.»١ ويقول عن وظيفة الفن ومجالاته: «مجالات الفن الإسلامي هي كل مجالات الوجود مرسومة من خلال النفس المؤمنة المتفتحة بالإيمان»٢.

فحين يتحدث عن الكون وعن الطبيعة، فهو يراها خليقة حية متعاطفة، ذات روح تسبّح وتخشع، وتغضب وترضىٰ، وتصادق وتعادي، تصادق الحق وتغضب على الباطل...ويرى كل كائن نوعاً من حياة الروح من وراء الأشكال التي قد تبدو جامدة أو ميتة. كما يقول القرآن عن السماء والأرض: [فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ]٣

١ – المصدر السابق ص٣٠١، ٣٠٢.

٢ – المصدر نفسه.

٣ – سورة فُصّلت: ٧-٨، المصدر السابق ص١٨٠.

ويضيف الأستاذ بقوله: «إن العمل الفني -وخاصة، إذا كان قصيدة غنائية أو خاطرة أو أقصوصة، لا قصة أو كان لحناً موسيقياً أو لوحة مرسومة- لن يتسع لكل حقائق الوجود دفعة واحدة. لن يتسع لها في حس الفنان، ولن يتسع لها في الرقعة المتاحة للتعبير.»١

هذا هو ما لديَّ من معلومات عن مفهوم الأدب والفن ووظيفتهما في كتابات الأستاذ محمد قطب والذي بحثت في مقالاته ونظرياته الفكرية والأدبية.

١- منهج الفن الإسلامي ص١٨٧.

المطلب الرابع: آراؤهُ النقدية في المذاهب الفكرية المعاصرة:

وقد بدأ الأستاذ محمد قطب الكتابة في هذا النوع من المقالات منذ بداية حياته الأدبية - وهي نتيجة احتكاكاته بقضايا مجتمعه ولم يصرفه - ما كانت من كتابات مغرقة في الخيال؛ في بداية حياته الكتابية- عن المشاركة في إثراء الساحة الأدبية والنقدية على المذاهب الفكرية المعاصرة وقام بسببها عدد من المناوشات النقدية. غير أن البداية الحقيقية لاهتماماته بالنقد كانت بعد قراءته لكتب عباس محمود العقاد والمازني وترغيب خاله أحمد حسين عثمان، بالكتابة وتشويقه في النقد و ردود المستشرقين. حيث يقول عن ذلك:

«قد كانت حصيلتي الثقافية قد نمت بقراءة ما قرأت من كتب العقاد وطه حسين والمازني وهيكل وغيرهم، فقد بلغت في نفسي مبلغاً من التأثير لا يمكن وصفه بالكلمات»[١]

كما يؤكّد الدكتور محسن عبد الحميد[٢] على أن الأستاذ محمد قطب كانت آراءه النقدية حول رد شبهات المستشرقين، كما يقول: «هو الذي ألف في جوانب مهمة من المذهبية الإسلامية الشاملة، لا سيّما فيما يتعلق بالإنسان، ومعالجة المدارس النفسية الحديثة

---

١ - دراسات قرآنية لمحمد قطب ص٧.

٢- هو الدكتور محسن بن عبد الحميد ولد في مدينة كركوك سنة ١٣٥٦ه-١٩٣٧م، ودرس الابتدائية والمتوسطة في مدينة السليمانية، والإعدادية في مدينة كركوك. وتخرج في قسم اللغة العربية من دار المعلمين العالية (كلية التربية حالياً) في بغداد سنة ١٩٥٩م وحصل على درجة الماجستير سنة ١٩٦٨م بعنوان (الآلوسي مفسراً) ، ودرجة الدكتوراه في ١٩٧٢م من كلية الآداب في جامعة القاهرة أرسالته الموسومة (الرازي مفسراً) و شغل منصب رئيس مجلس الشورى الحزب الإسلامي العراقي من سنة ٢٠٠٤م إلى ٢٠١١م. من كتبه اللغة العربية بين شعوبنا و (منهاج الشباب المسلم في أسرته والعلم ليس كافراً. هو الآن رئيس الحزب الإسلامي العراقي وعضو مجلس الحكم الانتقالي في العراق حالياً./ موقع الدكتور محسن عبد الحميد الرسمي (www.ar.wikipedia.org) تاريخ ١٥/ ١١/ ٢٠١٦م.

لأوضاعه الفردية والاجتماعية، مع درء الشبهات التي أثارها المادّيون حول الإسلام في العالم الإسلامي»١

ومما سبق يتبين أن الأستاذ محمد قطب جادّ في نقده على المذاهب الفكرية المعاصرة الباطلة وتفكيره في إثبات قوله بالأدلة القاطعة بعيدًا عن التوصيفات العاطفية والتناولات الدينية.

ويشير الكاتب ياسر منير، بقوله: «جميع مؤلفات وأعمال الأستاذ محمد قطب ونتاجه العلمي يدور حول محور النقد الفكري للغرب، ومحاولة تقديم الحلول للمشكلات الجاثمة على صدور المسلمين»٢

وكذلك قال الأستاذ محمد قطب: «إن هذه العلوم نبتت في أوروبا ضمن جو معاد للدين، بسبب الظروف المحلية القائمة هناك منذ عصر النهضة، ونحن نقلناها كما هي، ودرسناها في مدارسنا وجامعتنا بنفس الروح المجافية للدين والمعادية له، سواء شعرنا بذلك أم لم نشعر.»٣

ثمّ يقدم المخرج من هذه الإشكالية بالقول: «وقد آن لنا أن نتخلص من وطأة الغزو الفكري على عقولنا وأرواحنا، فنتناول هذه العلوم من منطلقنا الإسلامي الذي لم يعرف العداوة بين الدين والعلم، ولا بين الدين والحياة.٤»

---

١ – تجديد الفكر الإسلامي للدكتور محسن عبد الحميد، ص٩١، دار الصحوة، القاهرة، مصر، رقم الإيداع بدار الكتب ٥٨٦٢/ ١٩٨٥م.

٢ – محمد قطب نبذة عن حياته ومنهجه الفكري والحضاري ياسر منير، موقع طريق الإسلام.

٣ – مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص١٣٤.

٤– المرجع السابق.

وقد عُرف المفكر الإسلامي الشهير بنقده اللاذع لأفكار الغرب وحضارتها ونظرياتها الفكرية، فحينما كانت الأفكار كاللبرالية والشيوعية والاشتراكية تجوب البلاد الإسلامية.[1]

لقد أدى محمد قطب دورين أساسيين على هذا الغزو الفكري:

أولهما: الرد على بعض النظريات والمذاهب الفكرية المعاصرة التي نشأت في الغرب، والثاني: طرح نظريات إسلامية في إطار الصحوة الإسلامية المعاصرة.

وفيما يتعلق بالدور الأول، رد محمد قطب على أبرز النظريات التي قامت عليها الحضارة الغربية، مثل: نظرية داروين[2] في النشوء والارتقاء، ونظرية ماركس[3] في تطور وسائل الإنتاج وأثرها في تطور الحياة البشرية، ونظرية فرويد[4] في الجنس وأثره على سلوك

---

١ - محمد قطب..خزانة الإسلاميين الفكرية لعلي عبد العال، موقع رابطة الأدباء الشام.

٢- وُلِد شارلز روبرت داروين في ١٢ فبراير ١٨٠٩م في إنجلترا، درس في مدرسة " شروزبوي " أهم الكتب التي ألفها فهي "أصل الأنواع " الذي طبع ٢٤ نوفمبر ١٨٥٩م، و" نشأة الإنسان" و"النباتات المفترسة" و"النباتات المتسلقة".وقد أُصيب داروين بمرض غريب سنة ١٨٣٤م في " فلباريزو" وتوفي على أثره في سنة ١٨٨٢م./ كتاب أصل الأنواع لدارون ترجمة مجدي محمود المليجي ص١٧و٢٠. المركز القومي للترجمة، الجزيرة، ط١، ٢٠٠٤م.

٣- كارل هاينريك ماركس ولد في مدينة ترير في راينلاند البروسية في ٥ مايو، ١٨١٨م، درس ماركس في جامعة بونوجامعة برلين، ارتبط بجيني فون ويستفالين عام ١٨٣٦م، وتزوجها عام ١٨٤٣م بعد دراسته. كتب لصحيفة راديكالية في كولونيا، وبدأ في تطوير نظريته في المادية الجدلية . واعتبر ماركس أحد أعظم الاقتصاديين في التاريخ. من كتبه بيان الحزب الشيوعي، ورأس المال. وتوفي بلندن سنة ١٨٨٣م./ اقتباس من التاريخ والمؤرخون، فلسفة التاريخ لحسين مؤنس، نشر دار الفكر، بيروت، ج ٤، ١٩٧٦م.

٤- ولد سيجموند فرويد في بريبور سنة ٦ مايو ١٨٥٦م، هو طبيب نمساوي من أصل يهودي، أكثر كتبه و مقالاته يتحدث عن النظريه الجنسيه، ومنها: وعن النرجسيه، وموسى والتوحيد، وتفسير الأحلام، وما فوق مبدأ

الفرد ونشوء الأدب والدين، ونظرية "دوركايم"[1] في الحتمية الاجتماعية وأثر ذلك في الأسرة والزواج والدين، ليس من شك؛ أن الحضارة الغربية كانت التحدي الأكبر الذي واجه الأمة منذ مطلع القرن التاسع عشر.

وقد استطاع الغرب أن يحقق بعض الانتصارات العسكرية والسياسية على الأمة، وأبرزها: سقوط الخلافة العثمانية بعد الحرب العالمية الأولى، واستعمار كثير من الدول العربية والإسلامية، وقيام الحركة الوطنية والقومية في عدد من الدول العربية.٢

ومن ثمّ أستطيع عرض جهوده في هذا المجال -بشكل مختصر- على أنني لن أستطيع أن أُوفي حقه في هذا البحث ولكنها محاولة متواضعة، وإليكم بعض ما قام به من نقد تلك النظريات:

العلمانية وارتباطها بالدارونية:

اللذة والأنا والهو، ومستقبل وهم. وتوفى بمرض السرطان في سنة ١٩٣٩م./ كتاب القلق لسيجمند فرويد، تعريب د.محمد نجاتي، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٤٠٩هـ-١٩٨٩م.

١- إميل دوركايم ولد في ١٥ ابريل ١٨٥٨م في لورين بفرنسا. هو فيلسوف يهودي وعالم اجتماع فرنسي، حيث نشأ وتعلم بمدرسة الأساتذة العليا وكان تلميذًا بارعًا لها، حيث احتكّ ببعض شبان فرنسا الواعدين مثل جان جوريس أو هنري برغسون غير أن الأجواء بالمدرسة لم تعجبه فالتجأ إلى الكتب ليتجاوز الفلسفة السطحية. أبرز آثاره في تقسيم العمل الاجتماعي، وقواعد المنهج في علم الإجتماع، والإنتحار. مات إميل دوركايم ١٥ نوفمبر ١٩١٧في باريس./ الموسوعة الفلسفية. بإشراف روزنتال، ويودين، ترجمة سمير كرم، ص١٨٣، دار الطليعة، بيروت، ط٥ ،١٩٨٣م.

٢ - ما قيمة محمد قطب الفكرية للدكتور غازي التوبة، الموقع الجزيرة (www.aljazeera.net) تاريخ ١٢ أبريل، ٢٠١٤م.

العلمانية تقوم على فكرة ابتعاد الحياة عن الدين، فعلاقتها قائمة بالدين ولكن على أساس سلبي، أي أساس نفي الدين والقيم الدينية عن الحياة، إن العلمانية في الغرب؛ لا تعادي الدين إنما تبعده فقط عن مجالات الحياة الواقعية: كالسياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية... ولكنها تترك للناس حرية "التدين" بالمعنى الفردي والاعتقادي على أن يظل هذا التدين مزاجا شخصيا لا دخل له بأمور الحياة العلمية، هذا خير من سماها باللادينية.١

أو بعبارة آخرى: نبذ الدين وإقصاؤه عن الحياة العلمية هو لبّ العلمانية. ولقد قرأت في مقالة الأستاذ محمد قطب "العلمانية" التي نشرت في الموقع الإنترنيتي "طريق الإسلام"!

حيث يقول: عن الحياة الصناعية التي صنعت العلمانيين في أروبا، من هذه القضايا قضية إخراج المرأة من بيتها، واختلاطها بالرجال الشطّار، في العمل وإفساد أخلاقها وإفساد أخلاق المجتمع الذي تعيش فيه، وتحطيم الأسرة وتشريد الأطفال والفوضى الجنسية... واستغلال قضية المساواة مع الرجل في الأجر، لبث روح الصراع في نفس المرأة وإخراجها من قوامة الرجال والعمل في البيت... ونسبة ذلك إلى التطور الذي يهدم ما يشاء من القيم ويلغي ما يشاء!. وكانت الطامة العظمى هي الداروينية وابتعاد الإنسان ذاته عن عالم الإنسان وإلحاقه بعالم الحيوان.٢

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٤٤٥.

٢- مذكرة العلمانية لمحمد قطب، موقع طريق الإسلام (www.ar.islamway.net) تاريخ ٠١ذوالقعدة ١٤٢٩هـ.

والجدير بالذكر أن نظرية داروين في النشوء والارتقاء: تزعم أن الإنسان جاء نتيجة تطور مادي، ولا دخل للإرادة الإلهية في خلقه، وبهذا وضعت النظرية أول جدار فاصل بين السماء والأرض.١

نظرية الشيوعية تقوم على نظريات كارل ماركس:

وهو الذي قسم الحياة البشرية، إلى خمس مراحل: هي الشيوعية الأولى والرق والإقطاع والرأسمالية والشيوعية الثانية والأخيرة بكاملها. هو أبو الشيوعية والمادية الجدلية والتفسير المادي للتاريخ وهو الذي قال القولة الشهيرة «الدين أفيون الشعوب» وهو ألماني يهودي الأصل مات في عام ١٨٨٣م. ومن نظريته: «كان الجنس يمارس على المشاع، كل النساء لكل الرجال على السواء! والأرض ملك للقبيلة بأكملها، والطعام يتناوله الجميع معا والسلاح مملوك للقبيلة سواء سلاح الصيد أو الحرب... والحياة ملائكة شعارها التعاون والحب والتناسق والانسجام.»٢

كما قرأت نظريته في تطور وسائل الإنتاج، يقول: «إن الشيوعية قائمة على فلسفة مادية بحتة، التي حددها "ماركس" بالغذاء والمسكن والإشباع الجنسي! والشيوعيون يؤمنون بالمادة الجدلية، وبأن صراع المتناقضات هو وحده العنصر الكامن وراء التطور الاقتصادي والبشري، من الشيوعية الأولى إلى الرق إلى الإقطاع إلى الرأسمالية إلى الشيوعية الثانية،

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٩٣-٩٥.

٢ - المصدر السابق ص١٠١.

ويقرنون قيام الشيوعية الاقتصادية بصحة هذا المنطق الجدلي، ويربطون ربطاً علمياً بين هذا وذاك.»١

كما اعتبر "ماركس" أن تطور وسائل الإنتاج من الشيوعية الأولى إلى المحراث في الزراعة، إلى الآلة البخارية، ثم الآلة الكهربائية إلخ.. هو الذي يطور المجتمعات من مجتمع شيوعي إلى مجتمع رقّ، إلى إقطاعي، إلى برجوازي إلخ.. وأن تطور وسائل الإنتاج هو العامل الرئيسي في ولادة الدين والأخلاق والعادات والفنون والأذواق.. إلخ٢.

وقد رد محمد قطب عليها في كتابه (التطور والثبات في حياة البشرية)، بقوله: علينا أن نميّز بين "المتطور" و"الثابت" في حياة الإنسان، وأوضح أن الثابت هو الشهوة الإنسانية والمتطور هو أشكال تحقيق هذه الشهوة.٣

فتحدّث عن شهوة الطعام وقال: كان الإنسان يعتمد في غذائه على الصيد وثمار الأشجار، وكان يأكل طعامه هنيئًا قبل أن يكتشف النار، ثم اكتشف الزراعة فزرع أنواعا مختلفة من النبات واستخدمها في صنع غذائه، ثم "تحضّر" فجعل صناعة الغذاء فنا، وصنع أدوات لهذا الفن من ملاعق وأشواك وسكاكين، وجعل للطعام تقاليد وآداباً مرعيةً عند تناوله، فما الذي تغيّر: رغبة الطعام في جوهرها أم الصورة التي حقق بها الإنسان هذه الرغبة؟ وقِسْ على ذلك كثيراً من الأمور.٤

---

١ - شبهات حول الإسلام ص٢٢٣،٢٢٩ .

٢ - شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص٢٣٠.

٣- المصدر السابق ص١٠٣.

٤ - التطور والثبات في حياة البشرية لمحمد قطب ص ٧٥، ٨٠.

المهم أن محمد قطب أوضح أنه ليس كل شيء متطورا كما زعم "ماركس" فهناك "ثابت" وهو فطرة الإنسان، وهناك "متطور" هو الشكل الذي تحققت به هذه الفطرة، وهذا ما انتبه له الإسلام واجتهد في مراعاته في أحكامه، فراعى الفطرة الثابتة وشرع لها أحكاما ثابتة، أما صور تحقيق الفطرة فلم يشرع لها أحكاما ثابتة وإنما ترك أحكام تحقيقها حسب تطورات الزمان والمكان.

الإباحية و نظرية فرويد في الجنس:

اعتبر فرويد أن طاقة الجنس أضخم طاقة في الإنسان، وربط كلَّ مفردات السلوك الإنساني بالجنس، بدأ من علاقة الطفل بأمّه، مرورا بعلاقة البنت بأبيها، وانتهاء بالدين والفنون والآداب والأخلاق والأحلام، واعتبر أن عدم وجود حرية جنسية سيؤدي إلى الكبت وإلى العُقَد النفسية.١

وقد رد محمد قطب على كلِّ تلك الأقوال في أكثر نظرياته، لكن أهمها وأشهرها هو كتاب "الإنسان بين المادية والإسلام" واعترف محمد قطب -ابتداءً- بأن طاقة الجنس طاقة ضخمة، لكنه رفض دعوة فرويد إلى الإباحية الجنسية، وميّز بين "الكبت" و"الضبط"، وأعطى تفسيرا رائعا للكبت الذي يورّث عُقدا نفسية بظروف الدين المسيحي الذي يعتبر تفكير الإنسان في الشهوة حراما٢.

وفي هذا السياق استعرض قصة نبينا يوسف -عليه السلام- والتي وردت في القرآن الكريم، ليبين قدرة الإنسان على ضبط نفسه، كما أكد أن الأحلام ليست كلها تعبيرا عن

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص١٠٨.

٢ - الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب ص١٧٨،١٨٠.

الطاقة الجنسية المكبوتة، بل بعضها أضغاث أحلام، وبعضها حديث نفس، وبعضها رُؤى ! كما وردت في قصة يوسف -عليه السلام- مع صاحبي السجن.١

أما فيما يتعلق بالدور الثاني لمحمد قطب، فقد طرح أصولا ومبادئ لنظرياته في مجالات مختلفة منها: الفن الإسلامي، والتفسير الإسلامي للتاريخ، والتربية الإسلامية، والنفس الإنسانية. و كان هذا العرض عن دوره في إرساء بعض القواعد لنظريتين هما الفن الإسلامي والتفسير الإسلامي للتاريخ.

الإباحية ونظرية دوركايم:

وحول علم الاجتماع وخلاصة آرائه: إن الكائن البشري محكوم "بنزعة القطيع" التي تحكم عالم الحيوان وتسيره دون وعي منه ولا إرادة، وقد قام بتحطيم الدين والأخلاق والتقاليد مع زملائه الآخرين وقد كان دوركايم من كبار "المفكرين" اليهود. فإن "دوركايم" لم يشأ أن يستخدم المصطلح الحيوانى مباشرة، فلم يسميها – في عالم الإنسان – "نزعة القطيع" وإنما سماها "العقل الجمعى"، ونسب إليها فى عالم الإنسان كل ما ينسب فى عالم الحيوان إلى نزعة القطيع؛ إن نظريته العلمية، كانت تحوي إيحاءات معينة، مبنية كلها على فكرة حيوانية الإنسان وماديته. وإن أحدا لم يستخلصها ويستخدمها في الحقيقة إلا اليهود.٢

وقد رد محمد قطب عليها رداً رائعاً، بقوله: ليست الأمة كما يعرفها علم الاجتماع الجاهلي «مجموعة من البشر تجمعهم أرض مشتركة، ولغة مشتركة وجنس مشترك،

١ – المصدر نفسه

٢– مذاهب فكريه معاصرة ص١١٤.

ومصالح مشتركة. فهذه كلها هي العناصر التي لا اختيار للإنسان فيها، والتي يجتمع على مثلها الحيوان كذلك! فالميلاد في أرض معينة أمر لا يتخيره الإنسان لنفسه، ومن الحماقة أن يكون بذاته محلاً للتفاضل بين بشر وبشر! واتخاذ لغة البقعة من الأرض التي ولد الإنسان فيها هو أمر كذلك لا يختاره الإنسان لنفسه، ومن ثمّ فلا مجال لأن يكون بذاته موضعاً للتفاضل بين بشر وبشر!.»[1]

ويضيف الأستاذ محمد قطب: «والانتماء بالمولد إلى جنس معين هو أمر كسابقيه لا اختيار للإنسان فيه فضلا عن حماقة التفاضل بالجنس أو اللون التي لم تخل منها جاهلية من جاهليات التاريخ حتى جاهلية القرن العشرين! وأمّا المصالح المشتركة فهي وشيجة، تلتقي البهائم على مثلها حين تلتقي على العشب والكلأ والماء؛ فتكون قُطعانا متآلفة بعضها مع بعض متعادية مع من يُهدّد مصالحها المشتركة من القُطعان الأخرى! إنما يكون التفاضل بين الآدميين على القيم التي يلتقون عليها ويجتمعون من أجلها ويحرصون عليها ويجاهدون في سبيلها وهذه .. قبل كل شيء آخر هي الوشيجة التي يمكن أن تكوّن الأمة.»[2]

المبحث الثاني: المقال الديني عند محمد قطب

الدين في اللغة: دَانَ، يَدِيْنُ، دِينًا ودِيَانَةً: خضع وذلّ[3] وكما ورد في مقاييس اللغة: (دين) الدال والياء والنون أصل واحد إليه يرجع فروعه كلها وهو جنس من الانقياد والذّل.

١- مذاهب فكرية معاصرة ص١١٤.

٢ - المصدر السابق ص٥١.

٣- معجم الوسيط للمؤلفين ج١ ص٦٣٧، مادة "دَانَ".

فالدين: الطاعة، ويقال دان له يدينُ ديناً إذا أَصْحَبَ وانْقَادَ وطَاعَ. وقوم دينٌ، أي مطيعون مُنقادونَ .١

وفي الاصطلاح: «وضع إلهي يرشد إلى الحق في الاعتقادات وإلى الخير والسلوك والمعاملات.»٢

ومن أهم ما يجب توافره في المقال الديني «الصدق في العاطفة والدقة في التصوير، وإقامة الدليل على الفكرة، والسلاسة في التعبير، حتى يمكن لأي قارئ التأثر به وإدراك أبعاده.»٣

يقول محمد قطب: الدين في اللغة هو كل مايدين به الإنسان أو يعتقد أو يتحاكم به أو يتحاكم إليه ولكنه في المصطلح الإسلامي ذلك الدين المحدد المنزل من عند الله تعالى.٤

فالمقالة الدينية هي التي تتناول مفهوم العقيدة والعبادة والصحوة الإسلامية والعادات والأخلاق، ويدافع كاتبها عن قيمه الدينية ويهاجم الخصوم الذين يكيدون للدين ويفضح العناصر الهدامة والملحدة التي تسيء للدين ومن أهم المسؤليات على الكاتب المسلم في هذا العصر. ويشتمل هذا المبحث على مطالب ثلاثة الآتية:

١ – معجم المقاييس اللغة لأحمد بن فارس ٢/ ٣٢٠، مادة "دَوَنَ" بتحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، بيروت، ١٧٧٩م.

٢ – الوجيز في الثقافة الإسلامية للدكتور همام سعيد وآخرين، ص٢٦، مطابع الشرق الأوسط، دمشق، ط١، ١٩٩٢م.

٣ – فن المقال في ضوء النقد الأدبي لعبد اللطيف الحديدي ص٤٧.

٤– واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٠١.

المطلب الأول: مقالاته عن العقيدة:

تتردد كلمة العقيدة على ألسنة الناس كثيراً، فأراهم يقول أحدهم أنا اعتقد كذا، وفلان عقيدته حسنة. والعقيدة الإسلامية السبب الأقوى الذي أدّى إلى انتصارات عظيمة في كل مكان وزمان. ذلك لأن العقيدة هي أساس العمل وأنها على رأس ما ندعو إليه، وإذا لم تتحقق العقيدة في النفوس فستتحقق الخسارة في الدنيا والآخرة.١

تعريف العقيدة لغة: العقيدة من مادة (عقد) عقد الحبل والبيع والعهد فانعقدَ٢، ومدارها على اللزوم والتأكد والاستيثاق كما قال الله تعالى: [لايؤاخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤاخذكم بما عقدّتم الأيمان] ٣

وتعقيد الأيمان يكون بعزم القلب عليها و"العقود" هي أوثق العهود ومنها قوله تعالى: [يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود]٤ ومن معانيه: العهد والوجوب والإبرام والصلابة والربط واللزوم والاستحكام والتأكيد والجمع والضمان والاستيثاق وما يدين الإنسان به.٥

والعقيدة في الاصطلاح: «هي الرباط الذي يربط كيان الإنسان ويوحّد اتجاهه، هي العقدة الصلبة التي تمنع انحلاله، هي التي تنظم غُدوّه ورَواحه وتُوازن بين دفعاته المتشعبة الأهداف.

---

١ – مختصر العقيدة الإسلامية لطارق سويدان ص٩، مؤسسة الكلمة، الكويت،ط٥، ١٩٩٧م.

٢ – مختار صحاح اللغة لمحمد أبي بكر الرازي ص٢٢٢، دار الفجر الجديد عمان، ط١، ١٩٩٦م.

٣ – سورة المائدة: ٨٩.

٤ – سورة المائدة: ١.

٥ – لسان العرب لابن منظور الإفريقي ج ٣ ص٢٩٦، مادة "عَقَدَ".

ولا شيء يستطيع أن يغني في ذلك غَنَاء العقيدة، لا العلم ولا الدولة ولا التنظيم الاجتماعي ولا تنظيم الاقتصاد.»١

مفهوم العقيدة عند محمد قطب: «العقيدة في الله هي أضخم الحقائق في حياة الإنسان، كما هي أضخم الحقائق في كيان الوجود. إنها هي التي تكشف له حقيقته الجوهرية الفذة هي التي تكشف له عمق نفسه واقتدار طاقاته، هي التي تكشف له عن مهمته الخطيرة في كيان الوجود كله.. مهمة الخلافة عن الله. وعندئذ تكشف له عن حقيقة صلته بالله وصلته بالكون والحياة...وأخيه الإنسان»٢

يؤكد الأستاذ محمد قطب في مقاله "الدين هل استنفد أغراضه" على أنّ «العقيدة التي لا تقوم على النفع القريب والتي لا تستمد غذاءها من السخائم* والأحقاد والتي تستهدف الحب النبيل والإخاء الحق والتي تحارب الشرّ لأنها تحب للناس الخير.. هذه العقيدة وحدها هي التي تنفع الناس، وتدفع بهم إلى الأمام في ركب المدنية.»٣

يقول في موضع آخر عن أساس العقيدة في مقاله بعنوان "الإسلام ...نظام أم عقيدة": «إن العقيدة في هذا الدين هي الدافع لكل شيء فيه "هي الدافع لإقامة" النظام بكل مزاياه الربانية التي لا توجد في أنظمة البشر ومناهجهم. وهي الدافع لحماية هذا النظام الرباني عن أعدائه الذين لا يرغبون في رؤيته قائماً في الأرض. وهي الدافع لنشر الدعوة، والجهاد لكي

---

١ – في النفس والمجتمع ص١٣.

٢ – منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص١٧٣.

* – سَخَائِمُ وسَخِيَاٰت جمع سَخِيمَةٌ بمعنى الحقد والضغينة يقال سَلَلتُ سَخِيمَتَهُ بِالحِلمِ. ويقال: سَلَلتُ سَخِيمَتَهُ بِاللُطفِ والترَضّي./ المعجم الوسيط ج١ ص٤٢٢ مادة " سَخَمَ ".

٣ – شبهات حول الإسلام ص١٤.

تكون للتعليم. وهي الدافع لعمارة الأرض على الطريقة الربانية المستنيرة الراشدة، التي تُنشِئُ حضارة "إنسانية" شاملة لا مادية ولا حيوانية ولا آلية متجردة عن الإنسانية»١

ومن المعلوم أن استقرار العقيدة الربانية في أعماق النفس الإنسانية يجعلها من الإنسان الإنسان المثالي في أعماله الدنيوية.

يتكلم الأستاذ محمد قطب عن الربط بين العمل والعقيدة في أمور الدنيا بقوله: «والعقيدة لا تمنع الاستمتاع بالطيبات من الرزق ولا تحرم زينة الله التي أخرج لعباده. ولا تمنع كذلك تقدم العلم وتنظيم المجتمع، والعقيدة ليست بديلاً من العلم أو الدولة أو التنظيم الاجتماعي أو التنظيم الاقتصادي. وليست في موضع التقابل من ذلك كله. وإنّما الرباط الذي يربط كل ذلك، ويوجهه إلى الطريق الخير، هي النور الذي تمسك كيان الذرة وتنظيم ما فيها من النشاط.»٢

ثم أضاف بقوله: «العقيدة الإسلامية لا تمتنع الناس عن تعمير الأرض وعن إقامة العدل فيها. ولكنهم يقتدون في الصراع لأنهم يستندون إلى القوة الكبرى التي تسير الحياة والأحياء. وينظفون وسائله حين لا يكون بد من الصراع. وفترة صدر الإسلام خير شاهد على هذه الحقيقة. فإن النشاط الذي قام به المسلمون الأوائل في سنوات معدودة في السياسة والاقتصاد والاجتماع وعالم الفكر وعالم الضمير ليعد معجزة في تاريخ البشرية ومع ذلك كانت الحياة الإسلامية في مجموعها أنظف صورة للحياة البشرية على سطح الأرض.»٣

---

١ - الإسلام... نظام أم عقيدة لحمد قطب الموقع حمود بن العقلاء الشعيبي (سبق ذكره) تاريخ ٠٢/٠٢/٢٠١٤م.

٢ - في النفس والمجتمع ، ص١٤.

٣ - المصدر السابق ص٢٦.

ومن هذه التعريفات أستنتج أن العقيدة لا تتعارض مع الأهداف التي يتوصل إليها الإنسانية بمقتضي فطرة الإنسان و يتناقض مع الأهداف التي تتناقض فطرة الإنسان وأساس العقيدة السليمة في ضمير الإنسان.

المطلب الثاني: مقالاته عن العبادات:

العبادة: هي كلمة تتضمن معنيين امتزج أحدهما بالآخر فصار شيئاً واحداً. وهما نهاية الخضوع مع نهاية الحب، فالخضوع الكامل الممتزج بالحب الكامل هو معنى العبادة فأمّا حب بلا خضوع، أو خضوع بلا حب، فلا يحقق معنى العبادة.. وكذلك بعض الخضوع أو الحب لا يحقق العبادة، بل لا بد من كل الخضوع مع كل الحبّ.. والعبادة ليست مقصورة على صورة واحدة، كما يخيل لكثير من الناس.[1] ومن هنا يذكر محمد قطب: العبادات الإسلامية صلة بين العبد والرب، وفي ذلك يصرح: «العبادة الإسلامية تشتمل جانب "تعبدي" موجه للسماء. مقصود به الآخرة؛ وتشتمل في الوقت ذاته على جانب عملي، موجه لواقع الأرض، مقصود به الحياة الدنيا، وتنظيمها وإقامتها على أسس مكينة من النظافة والعدالة والصلاح والاستقرار. كل العبادات الإسلامية ينطبق عليها هذا الوصف حتى التي تبدو لأول وهلة أنها مجرد صلة بين العبد والرب، أو عمل يعمل في الدنيا لغير شيء إلا رجاء الثواب في الآخرة.. حتى هذه لا تغفل الحياة الدنيا، ولا تنفصل نتائجها العملية عن عالم الناس.»[2]

---

١ - حقيقة التوحيد للدكتور يوسف القرضاوي، ص٢٤ مكتبه وهبه، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.

٢ - في النفس والمجتمع لمحمد قطب، ص١٣٥.

ثمّ يضيف الأستاذ محمد قطب: إن المفروض على المسلم أن يعيش الإسلام في كل دقيقة من حياته، فالله عز وجل يقول:[وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون]١ ، وهذا التعبير القرآني يعني أن غاية الوجود البشري محصورة في عبادة الله، ولكن هذا المعنى قد يحتاج في أجيالنا المتأخرة إلى توضيح.. على خلاف الأجيال الأولى التي لم تكن تتصور أن العبادة هي الشعائر فقط... ولو تصورنا أن العبادة محصورة في هذه الشعائر.. فكم تستغرق إذن من عمر الإنسان؟ لا يستغرق ذلك إلا جزءًا قليلاً منه، ففيم ينقضي عمر الإنسان؟ في العبادة أم خارجها؟ ولو كان خارجها ما كان كما أراد الله أن نكون!! ولو كان ينقضي داخلها فيجب أن نوسع مفهوم العبادة، فلا نقصرها على الشعائر فقط، وهذه العبادة المقصودة في الآية الكريمة، تشمل الحياة كلها بمختلف أنشطتها.

وبما أن الأدب تعبير جمالي، كذلك هو نشاط بشري «قد لزم إذن أن يكون حياة ﴿الإنسان﴾ ضمن دائرة الإسلام التي شملت كل نشاط جمالي في حياتنا. ومن البدهيات أيضاً أن المسلم-أديباً أوغيره- يجب أن تكون حياته داخل دائرة العبادات الإسلامية و كذلك النشاط الأدبي يجب أن يكون ملتزماً بتلك الدائرة، فلا يظن الأديب أنه في مجال الأدب يسقط عنه التكليف، يُفكر كيف يشاء! ويكتب كيف يشاء! فهذا خطأ والصحيح أن يشعر أنه مسلم أولاً، وأديب ثانياً، فيكون نشاطه ملتزماً بالعبادة بمفهومها الواسع»٢

---

١ - سورة الذاريات: ٥٦.

٢ - صحيفة المسلمون، العدد٢٠٩، ص٤٤، بتاريخ ٢٧ جمادى الثاني سنة ١٤٠٩هـ / نقلاً عن المحاضرة التي ألقاها الأستاذ محمد قطب في مركز الملك فيصل بالرياض في موضوع الأدب الإسلامي، هذه المحاضرة موجودة في موقع طريق الإسلام (في العنوان: الدروس).

ووضّح الأستاذ محمد قطب، دور الإسلام في تنظيم حياة الفرد: والإسلام هو الذي يجعل العبادة عملاً والعمل عبادة، والذي يربط النفس والجسم، والسماء والأرض والدنيا والآخرة كلها في نظام واحد.١

وأيضا يقول الأستاذ محمد قطب في هذه المناسبة: «كون العبادة من الفطرة، تصح مع صحتها وتنحرف مع مرضها، كان بديهية واضحة في حياة البشرية، حتى جاءت الجاهلية المعاصرة فزعمت، أن العبادة ليست أصلاً ثابتةً في كيان الإنسان، إنما هي حالة مرّت بالبشرية في طور من أطوارها ثمّ "برئت"منها حين أدت مهمتها واستنفد أغراضها... و"تحرر" الإنسان من الدين.»٢

فالأستاذ محمد قطب يؤكد بهذه الصراحة: أن العبادة جزء من الفطرة، تستقيم الفطرة فتستقيم العبادة، وتعتل فتعتل معها العبادة، وتتشتت في اتجاهات مختلفة! [وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله]٣

كما قرأت في مقالاته أنه تكلم عن المباني الخمسة؛ حيث يقول: «الشق الآخر من الشهادة "محمد رّسول الله" ليست إذن مجرد ألفاظ يلفظ بها لسانه، ولا مجرد "وجد" يشعر به الإنسان بذكر محمد -صلى الله عليه وآله وسلم- وإنّما هو التوجيه العملي نحو القدوة الكاملة، وما يتبع ذلك من تأثير في حياة الفرد والجماعة في علاقتهم بعضهم ببعض، وفي الأسس كلها التي تقوم عليها الحياة. »٤، والصلاة ليست كذلك في واقع الحياة الإسلامية.

---

١ - قبسات من الرسول لمحمد قطب ، ص٨٢.

٢ - حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب، ص٦٦.

٣ - سورة الأنعام: ١٥٣.

٤ - في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص١٣٧.

إن أثرها الدنيوي ملحوظ حتى وهي عبادة فردية يقوم بها الإنسان في خلوته، فما بالك! وهي صلاة جماعة، يلتقي فيها الناس على نظام معين، وتتحد أجسامهم وقلوبهم في قبلة واحدة!.١

ويضيف الأستاذ محمد قطب: «نجد الصلاة الإسلامية عنواناً للفكرة الإسلامية التي تشمل الكيان البشري كله في آن واحد: جسمه وعقله وروحه، تعطي كلا منها نصيبه وتوازن بين شتى الاتجاهات. نصيب الجسد في الصلاة هو الحركة يقوم بها من قيام وركوع وسجود وتحرك وسكون. نصيب العقل هو التفكر فيما يتلوه المصلي من الأدعية والآيات. والرسول-صلى الله عليه وآله وسلم- يقول: "لَيْسَ لَكَ من صَلَاتك إِلَّا مَا لغوت "أي ما وعيت"٢، ونصيب الروح هو الخشوع والتقوى والتطلع إلى الله والاتصال بنوره الشفيف.»٣

ويتحدث عن الزكاة، فيقول «الزكاة هي أول ضريبة نظامية في تاريخ الناس، كانت الضرائب قبل ذلك بلا نظام ولا قاعدة، ولا ميزان لها إلاّ ميل الحاكم و مدى تُعطّشه للمال. فجاءت الزكاة فنظّمت الضريبة المفروضة على الناس، وحدّدت أهدافها.»٤

ثم يضيف الأستاذ: «...يبدو الجانب الأرضي التنظيمي فيها واضحاً حتى ليغري بالظن أنه هو كل المقصود من هذه الفريضة التي تأخذ من القادرين لتُعطى غير القادرين،

---

١ - المصدر نفسه.

٢ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل البخاري ج١، ص١٢٧ دار إحياء التراث العربي، بيروت، (بدون تاريخ طبع).

٣ - في النفس والمجتمع ص ١٣٨.

٤ - المصدر نفسه وأيضا ورد في الفصل "الإسلام والصدقات" في شبهات حول الإسلام ص١٥٠.

وتشعر الجميع أنهم شركاء في ثمرة الجهد البشري كل بحسب حاجته حتى ولو لم يتساوَوا في الجهد والقدرة على الإنتاج»١

وتكلم عن الصوم في الإسلام، بقوله: «الصوم فريضة تعبدية خالصة في ظاهرها، إنه حرمان النفس من شهواتها. وحرمان الجسد من غذائه وشرابه ابتغاء مرضاة الله. ولكنه لم يفرض لصالح الفرد في الحياة الآخرة وحدها، وإنّما فرض لصلاح أمره في الحياة الدنيا كذلك.»٢ كما بيّن، أن الصوم هو التجنيد والتدريب على الصعوبات، قوله: «إن الصوم في حقيقته عملية تجنيد، وكما تحتاج الأمم كلها لتجنيد أبنائها وتدريبهم على احتمال الجهد والمشقة توقعاً للاحتياج إليهم يوم الصراع.. فكذلك فرض الإسلام هذا التجنيد، ولكن على نطاق أوسع، يشمل الروح والجسد في وقت واحد، ويشمل الصغار والكبار والرجال والنساء.. لأنه تدريب لهم على الصراع الأكبر»٣

أمّا الحج فيصفه محمد قطب، بقوله: «الحج من العبادات التي تمتزج فيها الدنيا بالآخرة، والأرض بالسماء. الذين يذهبون إلى الحج صافية قلوبهم لهذه الفريضة، ويحكون ويحسون عجباً... ومع ذلك فقد أشار القرآن الكريم إلى "المنافع" في الحج منافع أخرى غير إصلاح النفوس وربطها بالله والرسول. من تبادل التجارة والتعارف بين المسلمين وقيام هذا المؤتمر السنوي الذي يتلاقَون فيه بمختلف ألوانهم وأجناسهم ولغاتهم، لينهلوا من

١ – المصدر السابق ص١٤٠.

٢ – في النفس والمجتمع ص١٤١.

٣ – المصدر نفسه.

معين واحد، ويلتقوا على قبلة واحدة...ثمَ ليعرضوا مشكلاتهم ويتدارسوا أحوالهم، لينظموا شؤونهم على هدى وبصيرة، واتصال في الوشائج والأفكار.»١

المطلب الثالث: مقالاته عن الصحوة الإسلامية:

عرف الأستاذ محمد قطب الصحوة: «هي في الأصل القوة الواعية في الإنسان، ويُعبر بالقلب والفؤاد والعقل»٢. كما ورد هذا المفهوم في هذه الفقرة: هي قدرة عملية واعية – مكتسبة أو غير مكتسبة– تعمل بقوة الفكرة الواعية التي تظهر من الإنسان ويُعبر عنها بالفكر والعقل السليم في ساحة العقيدة الإسلامية.

ويقول الأستاذ محمد قطب عن الصحوة الإسلامية في هذا العصر: «أما الإسلام فما زال هو الدين الحق، وما زال هو الطريق الواصل، وما زال هو الطريق المستقيم، قد تخلف المسلمون لبعدهم عن حقيقة الإسلام، وإن بقيت لهم بعض مظاهرة لقد بقي أنهم ينطقون بأفواههم "لا إله إلاّ الله محمد رسول الله" فهل يَعُون معناها أو يعرفون مقتضياتها؟ وبقي لهم أنهم يؤدون بعض العبادات فهل أدركوا المقصود بها، أو رعوها حق رعايتها؟ وبقي لهم بعض "التقاليد الإسلامية" فهل تصمد التقاليد الخاوية من الروح للمعركة الضارية التي تُوجَّه إلى الدين عامة والإسلام على وجه الخصوص!؟»٣

وتكلم الأستاذ محمد قطب عن ابتعاد الناس عن دينهم: «بقي لهم تمنيات بأن ينصر الله دينه ويعيد إليه أمجاده، فهل تكفي التمنيات لتغيير الواقع السيء وإنشاء البديل؟! نستطيع

١ – المصدر السابق ص١٤٣–١٤٤.

٢ – كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص٢٣١.

٣ – رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب، موقع طريق الإسلام، تاريخ ٢٧/ جمادي الأول١٤٢٧هـ.

أن نقول: إن كل مفاهيم الإسلام قد فسدت في حس الأجيال المتأخرة من المسلمين، وتحوّلت العبادة بعد أن انحصرت في الشعائر التعبدية، وخرجت منها الأعمال والأخلاق إلى أداء آلي تقليدي خاوٍ من الروح. وتحوّلت عقيدة القضاء والقدر من قوة دافعة إلى النشاط والحركة مع التوكل على الله إلى قعود عن النشاط والحركة مع تواكل سلبي مريض.»١

وأشار الأستاذ محمد قطب في مقالة "الطريق إلى الله" بتساؤلات عديدة حول الرغبة التي تدفع الناس إلى العبادة: «هل أحسست برغبة تدفعك إلى العبادة؟ رغبة ملحة تقيمك وتقعدك ولا تجد راحتها إلا ابتهالا إلى الله، واستسلاماً لله؟ وهل خشعت نفسك وأنت تلبي هذا الهاتف الذي يدفعك إلى الله، واهتز وجدانك وشعرت بالقُشْعَرِيْرَة تسري في كيانك؟ هل أحسست أنك لست في عالم الأرض، لست في تلك البقعة التي يحددها الزمان والمكان المعلوم. وأنك لست أنت هذه الوشائج والعضلات والعظام. وإنما أنت أمام الله ومع الله. وأنت كيان لا حدود له ولا رسم، لأنك روح تقبس من روح الله؟ إنها الطريق لله.»٢

وهذا الأمر جدير بالذكر أن محمد قطب أشار إلى مميزات الصحوة بقوله: إن الصحوة تتميز- في هذا المجال- بميزتين عظيمتين٣:

---

١ - المصدر نفسه.

٢ - في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص١٩٧-١٩٨.

٣ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص ٢٤٣-٢٤٤.

المزية الأولى: العودة إلى الإسلام من منابعه الصافية من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم وسيرة السلف الصالح، لا من الركام الذي تراكم خلال القرون وغشي على صفاء الدين الرباني، ومع ذلك كان الناس يأخذونه على أنه هو الإسلام!.

والمزية الثانية: هي موقفها المتنوِّر المتوازن من"الحضارة الغربية" بأنه ليس كل ما عند الغرب مرفوضاً لمجرد أنه آت من الغرب.. وليس كل ما عند الغرب مقبولاً لمجرد أنه آت من الغرب!

بل في تلك الحضارة أشياء كثيرة نافعة، وحاجة المسلمين إليها شديدة لأنهم فقدوها أو تخلفوا عنها في فترة السبات الطويل، منها: التقدم العلمي والتكنالوجي والجد والمثابرة والعبقرية والتنظيم والروح العلمية الموضوعية في تناول الأمور.١

وأيضا في تلك الحضارة الجاهلية أشياء كثيرة سامّة مهلكة: كالإلحاد، والفساد الخلقي، والروح المادية الحسية التي تتنكر لعالم الروح، والاستغراق في متاع الأرض، والتشريع بغير ما أنزل الله، وتفكك الأسرة، وفساد الفطرة والانتكاس الحيواني.

المطلب الرابع: مقالاته في المناسبة الدينية:

من المقالات التي كتبها الأستاذ محمد قطب هي"التطور والانتكاس في تاريخ البشرية" في المناسبة الإسلامية، تصريحه عنها: «كنت في حفل أقامته إحدى مدارس البنات بمناسبة "أعياد الربيع" وكان البرنامج كله لهواً..»٢ ويضيف بقوله: «ما أعظم الخرافة التي يعيش فيها هذا الجيل من البشرية، وما أفظع الهوة التي ينحدر إليها!. الخرافة التي تخيل له

---

١ – التطور والثبات في حياة الإنسانية لمحمد قطب ص٢٦٣، ٢٨١.

٢ – في النفس والمجتمع ص١٦٣– ١٦٤.

أن البشرية في خط تطور دائم. يرتفع دائما إلى أعلى، وأن أعلى ما وصلت إليه البشرية هو ما وصلت إليه في هذا الجيل، لأنه أحدث الأجيال. والهوة التي ينحدر إليها وهو يظن أن التطور هو الانسلاخ من قيود الأخلاق والتقاليد، باعتبارها قيوداً سخيفة من تراث الماضي العتيق، ينبغي أن ننبذها و"نتحرّر" منها لزيادة الاستمتاع بالحياة.»[1]

ومنها ما كتب الأستاذ محمد قطب بمناسبة فريضة الحج حيث يقول فيها: «الحج من العبادات التي تمتزج فيها الدنيا بالآخرة، والأرض والسماء. والذين يذهبون إلى الحج صافية قلوبهم لهذه الفريضة، يحكون ويحسون عجباً، إن حالات "الوجد" التي يستجيشها وجدانهم لزيارة الأماكن المقدسة وأداء الفريضة فيها لهي حالات عجيبة نادرة المثال في واقع الحياة. حالات ترتفع فيها النفوس البشرية عن ملابسات الأرض، ومطامع الأرض وشهوات الأرض، وتتجرد لله خالصة، تتوجه إليه أن يتقبلها في عباده ويمنحها مغفرته ورضوانه. والشفافية التي يحسها الناس هناك، وهم يسيرون حيث سار الرسول- صلى الله عليه وآله وسلم- ويصلُّون حيث يصلّي، وحيث تنزَّل الوحي، وحيث جاهد وصبر وحارب وانتصر. إنها مشاعر عميقة تهزّ الوجدان هزّاً، وتصل إلى أعماقه... تصل إلى الكيان الخالص المصفىَّ من الأدران، إلى الجوهر المشرق المستضيء، بنور الله هنالك حيث أودعه الله ليتصل ويلقاه.»[2]

---

١ – المصدر نفسه.

٢ – المصدر السابق ص١٤٣.

خلاصة الكلام أن هذا الكتاب (في النفس والمجتمع) تعدّ بحق من خيرة الكتب المؤلفة حول مقالاته في المناسبة الدينية وقد أسهم الأستاذ محمد قطب في العديد من مقالاته الهادفة المتسمة بالبساطة، والصدق والإخلاص في الإسهام بإثراء المكتبة الإسلامية.

كما أن المقالة الدينية قد وصلت إلى مستوى فني رفيع يتضح من خلالها تميزها الظاهر،كما عالجت موضوعات عدة تهم الإسلام و المسلمين في معاشهم ومعادهم. وقام بالردّ على هؤلاء في مقالاته المختلفة.

المبحث الثالث: المقال الاجتماعي عند محمد قطب:

المقالة الاجتماعية: هي تلك المقالة التي تُعنَى بأحوال المجتمع ومعالجة قضاياه بأسلوب أدبي. ويعرّفها الدكتور يوسف نجم:«هي المقالة التي تعرض لشؤون السياسة والاقتصاد والاجتماع، عرضاً موضوعياً يعتمد على الإحصاءات والمقارنات، وعلى التحليل والتعليل والتنبؤ في بعض الأحيان.»١

مفهوم المقالة الاجتماعية عند الأستاذ محمد قطب: «المقالة في حقيقتها، شأن سائر فنون الأدب الأخرى، تقوم على ملاحظة الحياة وتدبر ظواهرها وتأمل معانيها وهذه ظاهرة نفسية رافقت الإنسان منذ ظهوره على وجه الأرض إذ هي مركبة في طبيعته بل هي جوهر جبلّته التي فطر عليها».٢

من أفضل التعريفات ما قرأت تحليل وتلخيص شامل لمفهوم المقالة الاجتماعية عند محمد قطب الذي بيّن مميزات المجتمع الإسلامي و أساسيات هامة في حياة كل مسلم .

---

١ – فن المقالة من المعاصرة إلى الأصالة لعبد العزيز شرف ص١٣٣.

٢ – في النفس والمجتمع ص ٨.

تعريف الأستاذ بالمجتمع المثالي: «إن المجتمع هو الذي يستطيع أكثر من غيره أن يتفهم التيارات التي تسري فيه فيتمشَّى معها ويعمل على إنضاجها و أن الفرد العادي لا يقل أهمية عن الفرد الممتاز في هذا المجال.»١ ويتكلم في مقالة "القرية والمدينة" عن التعاون الاجتماعي، بقوله: «وإذا كان التعاون ضرورة بشرية لا يمكن الاستغناء عنه، فهو في المدينة –الصناعية خاصة– يأخذ صورة "علمية"منظمة تقوم بها الدولة (على أسس علمية!) ولكنها لا تقوم على أسس شعورية مباشرة ناشئة من العلاقة القلبية الحية التي تربط قلبا بقلب، وإنساناً بإنسان.»٢

المطلب الأول: المرافق والخدمات العامة:

المرافق في اللغة: المَرافِق جمع مَرْفِق مَرَافق الدَّارِ، التجهيزات الأساسية في البيت، كمثل دَوْرَةُ المِيَاهِ، وَالكَهْرَبَاءُ وَالمَطْبَخُ. المرافق العامة للبلاد: المَصَالِحُ، المَنَافِعُ، المَوَارِدُ، أي كل ما يخدم المُواطن كَالبَرِيدِ وَالجَمَارِكِ وَالمُوَاصَلاَتِ.

وفي الاصطلاح: المرافق العامة هي عبارة عن جميع المؤسسات والجهات والهيئات والأجهزة الرسمية التي تسهم بالعملعلى تقديم الخدمات للمواطنين، وبالتالي إشباع حاجاتهم. بمعنى آخر، المرافق العامة هي كل ما ينتفع منه الناس بشكلٍ عام، وهي نشاط يهدف إلى تحقيق المصلحة العامة.٣

---

١ – المصدر السابق ص١٤٥.

٢ – في النفس والمجتمع ص٨٥.

٣ – الموسوعة العربية (قسم القانون) لجمع من المؤلفين، ج١٨ ص٣٢٠. (النسخة الكترونية) (www.arab-ency.com) تاريخ ٢٠/ ١١/ ٢٠١٦م.

في ضوء هذين التعريفين يظهرمظهرين عامين: فالمرفق العام هو نشاط أو خدمة تقوم بها السلطات العامة، مثل الصحة والتعليم والأمن، وهو ما يطلق عليه المفهوم المادي للمرفق العام، وكذلك فإن للمرفق العام مفهوماً آخر ذا طابع شكلي أو عضوي والذي يعني أن الخدمة أو النشاط موضوع المرفق العام يجب أن يتم من جهاز إداري، ومن ثم فالحديث عن مرفق الدفاع أو الصحة أو التعليم يعني النشاط نفسه من حيث مضمونه.١

وفي مقالة "القرية والمدينة" عالج هذا المرفق من الناحية الإنسانية، ويؤكد عن ضرورة التعاون بين أفراد المجتمع وفي مقالة "الفرد والمجتمع" تكلم عن مسؤوليات الفرد في المجتمع وعن مميزات المجتمع الإسلامي، وفي المقالة "الإسلام والمرأة" يشير إلى وجايب المرأة في الإسلام و مكانتها الراقية في المجتمع الإسلامي من حيث كونها أُماً أو بنتاً أو أختاً أو زوجةً؛ وفي مقالة "الإسلام والصدقات" تكلم عن مسؤولية الدولة بالنسبة لرعاياها وإيجاد العمل لكل قادر، وعن التكافل الاجتماعي وإحساس المسؤولية بين المجتمع فقيراً أو غنياً. وفي مقالتي "الإسلام والرأسمالية" و"الإسلام والملكية الفردية" تحدث عن حقوق الجماعة في تنظيمها وتقيدها ويقول عن ضرر الاحتكار وشيوع الربا في المجتمع الإسلامي وفي مقالة "العلم وحيرة البشرية" يذكر أسباب وآلات العمل في العصر الحديث أحدثت لرفاه المجتمع وطرق المستفادة منها.

والحقيقة أن القضايا الاجتماعية والتربوية أيضا تتطوّر أحداثها وتتنوع أشكالها مع تطور الناس وما يجدُّ لديهم من مشاكله؛ ولذلك فإن الموضوعات التي عالجتها المقالة

---

١ - المرافق العامة لمهند نوح، (الموسوعية الكترونية العربية) (www.arab-ency.com) تاريخ ٢٠١٦/١١/٢٥م.

الاجتماعية تختلف باختلاف تلك القضايا فما يهم المجتمع في بدايات النهضة، وقبل الطفرة البترولية (النفطية) غير ما يهمه بعد ذلك.

وقد عالج في مقالاته مشكلات عديدة؛ كالعادات والمرافق والخدمات العامة، والتربية والتعليم والمظاهر الاجتماعية وقضاياء المرأة من حيث كونها أما مربية، وعضواً منتجاً وفتاة مثقفة متعلمة: يقول في مقالة "قضية المرأة": «إنّ وضع المرأة ومهمتها في المجتمع قضية واضحة في دين الله، لذلك جاءت التشريعات الخاصة ببناء البيت المسلم والمجتمع المسلم وبالعلاقات بين الرجل والمرأة محددة و واضحة، بل إن الأصل الذي قام عليه مبدأ الذكر والأنثى في الكون هو الذي أَصَّلَهُ الدين وهو وضوح هوية المرأة، و وضوح مهمتها في الحياة.»١

كما يقول الأستاذ محمد قطب: «أَلَيس الإسلام هو الذي رفع المجتمع! إلى الدرجة التي لا يوجد فيها فقير يطلب الزكاة أو يقبلها في عهد عمر بن عبدالعزيز؟! هذا هو الإسلام الذي طبّق في واقع الأرض والذي نطلب تطبيقه اليوم. إنه النظام الذي يوزع المال توزيعاً عادلاً بين طوائف الأمة [لِكَي لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ]٢ ويقرب بين مستويات الناس لأنه يكره الترف ويحرمه، ويكره الفقر ويعمل على إزالته.»٣

ومن الخدمات العامّة التي أشار إليها إيجاد المشاغل لكل قادر أن يعمل. كما بيّن الأستاذ محمد قطب في قوله: «إن الدولة في الإسلام مكلفة بإيجاد عمل لكل قادر. ذهب رجل إلى

---

١ - قضية تحرير المرأة لمحمد قطب ص٣ .

٢ - سورة الحشر: ٧.

٣ - شبهات حول الإسلام ص١٥٣.

الرسول-صلى الله عليه وسلم- يسأله ما يعيش به فأعطاه فأسا وحبلاً، وأمره أن يذهب فيحتطب، فيبيع ما احتطبه ويعيش منه، وأمره أن يعود إليه فيخبره بما صنع١ . وقد يحسب الذين لا يردون الأمور إلاّ بصورتها في القرن العشرين أن هذا مثال فردي لا دلالة له فضلاً عن أن كل مُشتَمِلاتِهِ هي فأس، وحبل، ورجل واحد، بينما الحياة اليوم مصانع هائلة، وملايين من العمال المتعطلين، ودولة منظمة ذات فروع مختلفة الاختصاص! وهذا تفكير ساذج. فلم يكن مطلوباً من الرسول أن يتحدث عن المصانع أو شرع لها قبل نشأتها بأكثر من ألف عام، ولو فعل ذلك لما فهم منه أحد، إنما حسبه أن يضع الأسس العامة للتشريع، ويترك لكل جيل أن يستنبط التطبيقات المناسبة له في حدود هذه الأسس.»٢ كذلك فهو يشير إلى خطر الفقر الذي تتعرض له مجتمعاتنا في هذا العصر:

«إنما الفقر أو الحاجة أمر يعرض لكل مجتمع، فلا بد من تشريع لمواجهته؛ وقد كان الإسلام يضم إليه باستمرار مجتمعات جديدة غير متوازنة الضروة، فكان لا بد من هذا التشريع حتى يصل بهذه المجتمعات رويداً رويداً إلى حالتها المثالية التي وصلت إليها في عهد عمر بن عبدالعزيز-رحمه الله تعالى-الراحل»٣

أمّا الصدقات الحقيقية أي الأحوال التي يخرجها الأغنياء تبرعاً وإحساناً، فقد أقرها الإسلام فعلاً ودعا إليها وجعل لها صوراً شتى. فمن إنفاق على الوالدين والأقربين، إلى إنفاق على المحتاجين عامة إلى التصدق بالعمل الطيب والكلمة الطيبة.

---

١ - (حديث حسن) سنن الترمذي ج١ ص٣٦١ (كتاب البيوع).

٢ - شبهات حول الإسلام ص١٠٨.

٣ - نفس المصدر، ص ١٠٧.

وأيضاً يؤكد الأستاذ محمد قطب على خطر الاحتكار وشيوع الربا في مجتمعنا، ويقول: إن جملة من أعمال المصارف الحالية في العالم كله قائمة على الربا وهو حرام بنص صريح القرآن الكريم. وكذلك الاحتكار حرام في الإسلام بنص صريح، حديث النبي – صلى الله عليه وسلم- "من احتكر فهو خاطئ".١

ويشرح حكمة تحريمهما بقوله: «كان الإسلام يتفادى أمرين في وقت واحد: يتفادى اللجوء إلى الربا والاحتكار الَّذَينِ تُحرمهما شريعته، ويتفادى الظلم الشنيع الذي يقع على العمال حين يُترَكون فريسة لأصحاب رؤوس الأموال يستغلونهم أبشع استغلال ويمتصون دماءهم، ثمّ يتركونهم في حمأة الفقر المدقع والحياة المذلة لكبرياء الإنسان. وهو أمر لايستطيع أن يقره الإسلام.»٢

حول نظرية الملكية الفردية يشرح محمد قطب، بقوله: «لا يضيق الإسلام بالملكية الفردية ما دام يملك أن يزيل بشتى الوسائل ما قد ينتج عنها من أضرار. وإن إبقاء الملكية من حيث المبدأ مع تقرير حق الجماعة في تنظيمها وتقييدها، خير في معاملة النفوس من إلغائها بتاتاً، على أساس غير مضمون: وهو أن الملكية ليست نزعة فطرية ولا ضرورة بشرية. وإن اضطرار روسيا أخيراً إلى إباحة ألوان من الملكية في حدود معينة لبرهان قوي على أن من الخير الاستجابة إلى الفطرة البشرية: خير للفرد وللمجموع على السواء.»٣

---

١ – (حديث صحيح) صحيح مسلم ج٣ ص١٢٢٧ وصححه الترمذي وابن ماجه، صحيح الترغيب والترهيب للألباني ج٢ ص٣٤١.

٢ – شبهات حول الإسلام ص ٨١.

٣ – المصدر السابق ص٩٥.

وأمّا فكرته الاجتماعية المستمدة من تلك الفكرة، فهي لا تفصل بين الفرد والجماعة، ولا تضعهما في موضع التقابل كمعسكرين متصارعين يحاول أحدهما لأن يغتال الآخر. وما دام كل فرد في ذات الوقت فرداً مستقلاً وعضواً من الجماعة، فكل ما هو مطلوب من التشريع أن يوازن بين النزعتين.١

المطلب الثاني: التربية و التعليم:

أخذت المقالة الاجتماعية عند الأستاذ محمد قطب، حَيِّزاً غير يسير في منحى (التربية) وأهميته بالنسبة لمسيرة التعليم والتعلم، حيث سار نحو توضيحاتها، فاتسعت دائرة اهتمامه بهذا الجانب؛ حيث يقول في إحدى مقالاته: «التربية هي الوسيلة الوحيدة التي تجعل من الإنسان إنساناً، وترفعه عن مستوى الحيوان. وحين لا توجد التربية، أو توجد في صورة فاسدة، فالناس على غرائزهم من عبادة القوة وقياس الحياة بمقياس الشهوات.»٢

ويقول أيضا: «التربية طريق طويل وبطيء يحتاج إلى مجتمع يعيش بالإسلام ويحكِّم شريعة الله في أمره كله، ويحتاج إلى جهد دائم في البيت والمدرسة والسينما والإذاعة والصحافة والكتب والمسجد والطريق... ولكنها مع ذلك هي الطريق الوحيد المضمون».٣

كما قرأت في قوله: «لقد ظهرت التربية الإسلامية منذ بدء ظهور الإسلام وبداية إنشاء المجتمع المسلم على يد المعلم الأول الرسول الكريم – صلى الله عليه وسلم- حيث اتخذت

---

١ – المصدر نفسه.

٢ – شبهات حول الإسلام ص١٥٣.

٣ – المصدر نفسه.

التربية وسيلة لتنشئة الأفراد لإقامة المجتمع المسلم، ومنهج التربية الإسلامية- المنهج الرباني- الذي أنشأ تلك الأمة التي وصفها خالقها بقوله سبحانه وتعالى [كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله]١ والآية القرآنية تفيد أن هذه الأمة هي خير أمة في تاريخ البشرية كلها على الإطلاق، وهذه الخيرية تستحقها الأمة الإسلامية، بسبب التربية الإسلامية التي تربَّى عليها الجيل الأول من الصحابة الكرام، على يد المعلم والمربي الأول محمد-صلى الله عليه وسلم.»٢

هو يَعُدُّ التربية قرين التعليم في المجتمع الإسلامي ويقول في تفسير هذا الحديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم"٣ العلم هذا النور الذي يهدي الله به الناس في مسالك الأرض، العلم تلك النافذة الضخمة المفتوحة على "المجهول" والشعاع النافذ إلى الظلمات. العلم تلك الطاقة الهائلة التي يمدّ بها الإنسان حياته ويوسع كيانه فلا ينحصر في ذات نفسه، ولا ينحصر في واقعه الضيق القريب. فلا ينحصر في جيله الذي يعيش فيه، بل لا ينحصر في محيط الأرض. وإنّما يشمل هذا كله ويزيد عليه، فينفذ إلى الماضي... العلم تلك المنحة الربانية العجيبة التي منحها الله للإنسان، وكرّمه بها وفضّله. وهي إحدى معجزات الخلق. نمرّ بها غافلين لأننا تعودنا!...هذا العلم... لقد كان الإسلام حرياً أن يحتفل به ويعظمه، وهو الذي يحتفل بطاقات الحياة كلها ويعظمها، وهو الذي يوجه القلوب لكل منحة منحها الله، وكل آية من آيات الله.٤

---

١ - سورة آل عمران :١١٠

٢ - منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ج١، ص١٩، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

٣ - (صححه الألباني) صحيح الجامع الصغير وزياداته للألباني ج٢ ص٧٢٧.

٤ - قبسات من الرسول ص ٣٤.

وأضاف الأستاذ محمد قطب في بداية المقالة، بقوله: «هذا التعبير الذي استخدمه الرسول-صلى الله عليه وسلم- وهو يحث على العلم، يظل عجيباً مع هذا كله، وتظل له دلالته الخاصة وإيحاءاته الخاصة، وتوجيهاته التي لا تصدر إلاّ عن رسول، موصول بالله، واصل إلى حماه! طلب العلم فريضة! هذه الكلمة المفردة تشع وحدها أمواجاً من النور، وتفتح وحدها آفاقاً من الحياة.»[1]

وإنّما هناك مزيتان أخريان، تركتا طابعاً أصيلاً في الحياة الإسلامية ما يقرب من ألف عام، أشار الأستاذ محمد قطب إلى مزيتين هامتين في مقالته هذه:

- المزية الأولى: أن العلم -وهو فريضة- يقرب القلوب إلى الله.. ولا يبعدها عن هداه.

- المزية الثانية: في علوم المسلمين- الناشئة كذلك من كون العلم فريضة- أنها لم تستخدم قط في الشرّ والإيذاء![2] وكيف يستخدم العلم في الشرّ وهو فريضة وعبادة؟.

فمن الموضوعات التي تناوله في مقالة "أنتم أعلم بأمور دنياكم" توجيهاته بأمور يجتهدون الناس بمعرفتهم، لأنهم أعلم بها وأخبر بدقائقها إنها المسائل "العلمية الفنية التطبيقية" التي يتناولها خبراء الناس في الأرض بسبب حصولهم على العلم ومقالة "فليغرسها" التي عرض فيها للتصوير الفني للأحاديث النبوية، وحثه على التربية الإسلامية، وقال فيها: «لعلهم توقعوا أن يقول لهم الرسول الذي جاء ليذكر الناس بالآخرة ويحثهم على العمل لها، ويدعوهم إلى تنظيف ضمائرهم وسلوكهم من أجل اليوم الأكبر،

---

١ - المصدر السابق ص٣٦.

٢ - المصدر السابق ص٤١،٣٩.

يوم الحساب الذي تدان فيه النفوس... لعلهم توقعوا أن يقول لهم: أسرعوا فانفضوا أيديكم من تراب الأرض... وتطهروا، اتركوا كل أمور الدنيا وتوجهوا بقلوبكم إلى الآخرة، انقطعوا عن كل ما يربطكم بالأرض؛ اذكروا الله وحده. توجهوا إليه خالصين من كل رغبة في الحياة، حتى إذا ذهبتم إلى ربكم، ذهبتم وقد خلصت نفوسكم إليه، فيقبل أوبتكم ويظلكم بظله، حيث لا ظل إلاّ ظله.»١ ولو قال لهم ذلك فهل من عجب فيه؟! كلا! ولكن قال: إن قامت الساعة وبيد أحدكم فسيلة، فاستطاع ألا تقوم حتى يغرسها، فليغرسها فله بذلك أجر٢.

وأيضا تكلم في توضيح الحديث "فقليله حرام"٣ عن التربية والعادة فيها والتعليم لأجلها بقوله: «من الوجهة النفسية فهناك العادة، والنفس تستريح لما تتعود عليه- كذلك فطرها الله بحكمة هو عالمها- وتشتاق لما تعتاده من الحركات والأفعال والأفكار والمشاعر، فيلتقي تأثير الأعصاب ومتعة النفس على الأمر الواحد في اللحظة الواحدة، فيتجاوبان، ويدفع كل منهما الآخر ويقويه! وهذا أمر ينطبق على كل شيء! حتى لقمة الخبز وجرعة الماء.»٤

---

١ - قبسات من الرسول لمحمد قطب ص١٥.

٢ - (صححه الألباني) أدب المفرد لمحمد بن إسماعيل البخاري ج١ ص٢٨٠ بتحقيق ناصر الدين الألباني، مكتبة الدليل، الرياض، ط١، ١٩٩٤هـ.

٣ - (صححه الألباني) صحيح الجامع الصغير ج٣ ص٥٥٣٠.

٤ - قبسات من الرسول لمحمد قطب ص١٢٠.

وأيضا آرائه حول الإسراف في حياة الدنيا! يقول: «أبيح القدر المعقول، وحرم الزائد المعقول: [وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا]١، ولم يحدد حد السَرف تشريع. وإنّما ترك أمره للتوجيه والتهذيب وخشية الله وتقواه: لا تقوم الحياة إلاّ بها في حالتها المعقولة السوية».٢

من خلال الكلام الذي سبق يمكن أن أقول أن الأستاذ محمد قطب كان حريصا على وطنه وعلى مرافق الذي كان في خدمة اتباع وطنه وللمسلمين جميعاً.

المطلب الثالث: المبادئ والأخلاق والسلوك:

لم تكن مقالات الأستاذ محمد قطب بمنأى عن حديث المبادئ والقيم والأخلاق إذ يمكن لقارئ مقالاته –أيّا كان نوعها– أن يلاحظ (البعد الأخلاقي) في معالجاته المختلفة.

كما جاءت بعض مقالاته، ممزوجة بتدبيره الفكري، حيث عرض الكاتب تجربته العلمية حول الإنسان، يقول: «الإنسان هو الذي يعمل والإنسان هو الذي ينتج والإنسان هو الذي يغير الواقع، والإنسان هو الذي يُنشِئ النظم ويقيم الأوضاع. الإنسان هو القوة الإيجابية في الأرض في ذات اللحظة التي يسلم كيانه كله لله. بل من هذا الإسلام الكامل لله يستمد الإنسان طاقته الإيجابية كلها على الأرض!٣ [وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ]٤

١ - سورة الأعراف:٣١.

٢ - قبسات من الرسول ص١٢١.

٣ - قبسات من الرسول ص٥١.

٤ - سورة الجاثية: ١٣.

وتكلم عن أثر الإحسان في الحياة وميدان العمل، فقال: «الإحسان.. أن تحسِّن الشيء فتجعله حسناً، والإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه! كان السؤال قبل ذلك عن الإسلام، ثمّ عن الإيمان. الإسلام درجة والإيمان بعد ذلك درجة، وهذه هي درجة الإحسان، لكي يكون إسلامك حسناً وإيمانك كذلك تعبد الله كأنك تراه! تعبير عجيب يحمل في بساطته حقيقة هائلة. وأروع ما يروعني فيه، أنه يُفاجئك وأنت تقلب وجهك في الآفاق، باحثاً عن الإجابة يفاجئك بالقبلة التي ينبغي أن تتجه إليها! فإذا أنت ترى النور، النور الذي يبهر عين القلب ويبهر الروح.»[1]

وأيضا مقالته في "النفاق الاجتماعي" وتصريحه عن النفاق: «النفاق في جميع صوره رذيلة منفرة، فهو عجز عن المواجهة، وضعف في الخلق والتواء في الطبع وخبث في الطوية.. والنفاق الاجتماعي، بمعنى التظاهر بالفضيلة في الوقت الذي لا يؤمن بها الإنسان أو لا يمارسها في الواقع، لا يخرج عن كونه نفاقاً، ولا يخرج عن كونه رذيلة.. إلى هنا نتفق مع جميع الذين يكرهون النفاق ويدعون إلى إبطاله.. ولكنا نفترق عن بعضهم بعد ذلك.»[2] وحذر الناس من هذه الخصلة الرذيلة وذمها في المجتمع، ويشير بخروج الإنسان عن إطاره، بإحدى الوسيلتين التاليتين:

---

١ – قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٨٠.

٢ – في النفس والمجتمع ص٩٧.

«أمّا الإيمان الحق بالفضائل التي يمارسها الإنسان نفاقاً، والصبر على تكاليفها في السر والعلن، ومغالبة النفس عن الانحراف عنها.. وإمّا الخروج الصريح عليها، والقيام علانية بالرذائل التي يأتيها الإنسان في غفلة من الناس.»١

ويقول عن التهذيب الديني: «مهما بلغ التهذيب الديني فليس المفروض فيه أن يهذب الناس جميعاً ويرفعهم إلى مستواه. والإسلام لم يفترض ذلك ولم يقبل أن كل الناس يعتنقونه مؤمنين مخلصين.»٢ و«من أعمق ما نادى به ميدان المبادئ والأخلاق مبدأ "الإسلام... والصدقات" الذي يحكي عن الفقراء وأثرهم في المجتمع، حيث يقول: إنّما الفقراء والحاجة أمر يعرض لكل مجتمع، فلا بدّ من تشريع لمواجهته. أما "الصدقات" الحقيقية، أيّ الأموال التي يخرجها الأغنياء تبرعاً وإحساناً، فقد أقرّها الإسلام فعلاً ودعا إليها وجعل لها صوراً شتى، فمن إنفاق على الوالدين والأقربين، إلى إنفاق على المحتاجين عامة، إلى تصدق بالعمل الطيب والكلمة الطيبة.»٣

المطلب الرابع: المظاهر الاجتماعية وقضايا المرأة:

من المظاهر الاجتماعية التي قام الأستاذ محمد قطب بمعالجتها مشكلة الأسرة وتفككها في القرن العشرين، يقول بهذه المناسبة: «مشكلات الأسرة، في طياتها من معاناة، جزاؤها في الحياة الدنيا هو هذا السكن والسكينة والمودة والرحمة والنمو السوي للأجيال... فماذا كان جزاء تحطيم الأسرة، والحياة على طريقة الحيوان... بل أضل من الحيوان! لقد ظلّت

---

١ - في النفس والمجتمع ص٩٨.

٢ - المصدر السابق ص ١٠٥.

٣ - شبهات حول الإسلام لمحمد قطب ص١٠٧.

الجاهلية المعاصرة تعمل على تحطيم الأسرة كأنها هي موكلة بالقضاء عليها من قبل الشيطان نفسه. كان أول خطوات التحطيم إخراج المرأة من البيت لكي تعمل، بحجة تحريرها... ورفع الظلم الواقع عليها، ولقد كان الظلم واقعاً عليها حقاً، ولكن "تحريرها" على هذا النحو لم يكن هو العلاج، لا لها ولا للمجتمع الذي كان يظلمها.»١

ومن الموضوعات التي كثر فيها الكلام عند محمد قطب، وأبرزها موضوع المرأة، تعليمها، وتحريرها، وتبرجها، وسفورها وحقوقها. اصطبغت فيه الآراء و وجهات النظر بألوان من المذاهب والأفكار والفلسفات، اختلطت على أصحابها أنفسهم وقد استغلّ الموضوع في أغراض غير سوية وغير اجتماعية وربّما التفّ بقضايا سياسية خطيرة، ودار مع مؤتمرات، والتاث* ﴿المرأة﴾ بدسائس وتوّرط في اتجاهات، وانزلقت عند أخطار مصيرية عانت الأمة منها الكثير. كان لقاسم أمين دعوة في تحرير المرأة في مصر.

من هذا الوجه الذي يدعونا إلى الجريمة، نحن حائر في هذا المجتمع الذي تسمم الجو بأكمله؛ حين خرجت المرأة سافرة متبرجة، وأصبحت فعلاً أو حكما في متناول الشباب الجائع الذي تمنعه من الزواج المبكر ظروف اقتصادية واجتماعية وفكرية، تطيل فترة التعطيل الجنسي وتدفع إلى الجريمة.٢ ونحن حينما، اقتحم الجنس عرايا النفوس، وأحيانا عرايا الأجساد، على الشواطئ المعرّم اللحم، وفي الدعارات والصحافة العارية والصور

---

١ – حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب ص١١٩.

* – التاثَ: اشتق مِنَ اللَّوث واللُّوثة: واللَّوثة الحُمقة./ لسان العرب لابن منظور، ج٢ ص ١٨٦،مادة "لَوَثَ".

٢ – في النفس والمجتمع ص٦٧.

المكشوفة، ومقابلات الفتيان والفتيات بإذن المجتمع أو بغير إذنه.. تكون متحضرين متحررين من القيود.[1]

كلما نقارن بين نظريات دعاة الإسلام ودعاة الغرب في تكليف المرأة ومسؤلياتها، فنقول: «إن المرأة في عرف الإسلام كائن إنساني، له روح إنسانية من نفس "النوع" الذي منه الرجل: [يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً][2]، فهي إذن الوحدة الكاملة في الأصل والمنشأ والمصير، والمساواة الكاملة في الكيان البشري تترتب عليها كل الحقوق المتصلة مباشرة بهذا الكيان، فحرمة الدم والعرض والمال، والكرامة التي لا يجوز أن تلمز مواجهة أو تغتاب ولا يجوز أن يتجسس عليها أو تقتحم الدور...كلها حقوق مشتركة لا يتميز فيها من جنس وجنس.»[3]

ويؤكد الأستاذ محمد قطب:«كل ما تحتاج إليه المرأة هو"العواطف" الاحترام والمودة بينها وبين الرجل، وأين تنبت هذه العواطف في الفقر المدقع و الكبت المرهق للمجتمع؟ ليست المرأة وحدها هي الضحية ولكنه الرجل كذلك، وإن بدأ أنه في وضع خير منها. وهذا الفقر الكافر الذي يشمل المجتمع و الذي يشغل جهد الرجل ويستنفد طاقته النفسية والعصبية، فلا يعود في نفسه تلك السعة التي تنشأ فيها عواطف المحبة والمعاملة الكريمة للآخرين. هذا الفقر ذاته هو الذي يستعبد المرأة للرجل، ويجعلها تحتمل ظلمه وعسفه لأنه

---

١ – المصدر السابق ص١٨٥.

٢ – سورة النساء :١.

٣ – شبهات حول الإسلام ص١١٧.

خير من الحياة بلا عائل. هو الذي يغلّ يدها عن استخدام حقوقها الشرعية المنحولة لها، والتي كان يمكن أن توقف الرجل عند حده، لو جاءت إليها.»١

و كانت المرأة ﴿النساء﴾ في صدر الإسلام تعمل حيث تقتضي الظروف منها العمل والإسلام لايستريح لخروج المرأة التي تعمل في غير الأعمال الضرورية التي تقتضيها حاجة المجتمع من ناحية أو حاجة امرأة بعينها من ناحية أخرى.٢

نستنتج من النظريات السابقة، أن كل ما يقول محمد قطب حول المرأة وما عليها، تستحق لها و تناسب فطرتها وفضلا عن إصلاح المجتمع في هذا العصر.

١ - نفس المصدر ص١٥١.

٢ - السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ج١ ص٢١١، بتحقيق عمر عبد السلام تدمري، دار الكتب العربي، بيروت، ط٣، ١٩٩٠م.

المبحث الرابع: المقال التاريخي عند محمد قطب:

عرفه الدكتور يوسف نجم بأنها«تعتمد على جمع الروايات والأخبار والحقائق تمحيصها وتنسيقها وتفسيرها وعرضها. وللكاتب أن يتجه في كتابتها اتجاها موضوعياً صرفاً، تتوارى فيه شخصيته، وله أن يُضِفي عليها غلالة إنسانية رقيقة، فيُوشِّيها بالقصص، ويربط بين حلقات الوقائع بخياله حتى تخرج منها سلسلة متصلة مستمرة.»١

ولقد دارت تلك المقالات التاريخية في موضوعاتها على توضيح الحقائق التاريخية، وكشف إخراج الأساطير التاريخية عن كتب التاريخ الإسلامي، وتحقيق الروايات التاريخية والتفسير السليم لأحداث التاريخ والردّ على شبهات التي وردت في تاريخ الإسلام.

وقد عالج الأستاذ محمد قطب موضوعات عدّة في مقالاته، وتميزت مقالاته بأساليب متنوعة.كما يقول في تعريف التاريخ:

«إن التاريخ ليس مجرد أقاصيص تُحكَى، ولا هو مجرد تسجيل للوقائع والأحداث... إنّما يُدرس التاريخ للعبرة... ويدرس للتربية... تربية الأجيال. وكل أمة من أمم الأرض تعتبر درس التاريخ من دروس التربية للأمة، فتصوغه بحيث يؤدي مهمة تربوية في حياتها، أمّا كتاباتنا نحن في عصرنا الحديث هذا فكثير منها كأنه غافل عن هذه المهمة الضخمة، لأنه مكتوب على يد قوم قلوبهم موجهة إلى خارج ذواتهم، بفعل التبعية، وفعل الغزو الفكري.»٢

سأتناول التحليل أو العرض التاريخي لدى محمد قطب بثلاثة مطالب وهي كالتالي:

---

١ - فن المقالة للدكتور يوسف نجم ص١٣٣.

٢ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص٢٨و حول تفسير الإسلامي للتاريخ ص٣.

المطلب الأول: إخراج الأساطير التاريخية عن كتب التاريخ الإسلامي.

المطلب الثاني: تحقيق الروايات التاريخية التي تحكي عن صدر الإسلام.

المطلب الثالث: التفسير السليم لأحداث التاريخ.

المطلب الأول: إخراج الأساطير التاريخية عن كتب التاريخ الإسلامي:

يركز الأستاذ محمد قطب على الكتب ذات المضمون التاريخي وكان عنده توجهٌ واعتناء خاص نحو هذه الكتب؛ وقد يكون شغفه وميله إلى كتب التاريخ قراءةً ودراسةً، هو ما دفعه إلى هذا التوجه، كما قام بتدريس مادة التاريخ في التعليم بمرحلتي الابتدائية والإعدادية، ويقول:

«على الرغم من أن تخصصي كان في اللغة الإنجليزية فقد كانوا يلزموننا في المدارس الابتدائية والإعدادية بتدريس مادة التاريخ كذلك، فدرست للطلاب مادة التاريخ الإسلامي أربع سنوات ولاحظت في أثناء قراءتي، وفي التدريس كذلك، أن التاريخ الإسلامي لا يقدم بمنهج صحيح، سواء لطلاب العلم أو للقارئ العام. وأن معظم ما نقرؤه في الدراسات الحديثة هو ماقدمه المستشرقون، سواء كان ذلك بطريق مباشر من كتبهم، أم عن طريق تلاميذهم من المؤرخين المسلمين الذي يتلقون كلامهم كأنه القول الفصل الذي لا يحتمل النقاش! وغني عن البيان أن المستشرقين كانوا أنشط ما يكونون في عملهم التخريبي؛ في مجال التاريخ الإسلامي! وأحسست منذ تلك الفترة البعيدة أنه لابد من إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على نسق آخر غير ما يقدم المستشرقون وتلاميذهم.»[1]

---

١ – كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب ص٩.

أمّا عن الأساطير التاريخية: «الأساطير: هي الأباطيل، حديث ملفَّق لا أصل له، واحدتها أُسطورة بالضم وإسطارة بالكسر.»١ وقال الأستاذ محمد قطب في تعريف الأساطير: «الأساطير أحاديث لا تستحق النقل ولا تستحق الاعتبار لأنه شرك وخرافة و وثنية وانحراف في الأفكار وانحراف في السلوك٢. وتأثيره في الأجيال كما قال محمد قطب خطير جداً؛ حين يقرأ الشباب قصة غرامية (قصة أسطورية) يلتقي فيها الفتى والفتاة بعيداً عن أعين الناس، ويجري بينهما من الكلام والمواقف ما يجري، مصوراً بجاذبية الفن وإغرائه، فيتمنى في دخيلة نفسه أن لو كان هو صاحب الموقف كهذه، ويعلم الشاب جيداً أن مجتمعه المحافظ لا يسمح بمثل هذه المواقف التي يقرأ عنها ولكنه عندئذ يتمنى أن يجيء يوم تتحطم فيه تقاليد مجتمعه التي تحول بينه وبين "الاستمتاع" على النحو الذي يتم في المجتمعات الأخرى (كالأروبية والغربية) التي "تحررت" من مثل تلك التقاليد، والخرافية.»٣

لأجل هذا كان الأستاذ محمد قطب وسيد قطب من الأوّليين الذين قاموا بصَيحة إخراج الأساطير التاريخية من التاريخ الإسلامي، وتناول محمد قطب في مقالاته وبحوثه وكتبه وهكذا حدد كثيرا من الجراثيم الفكرية الخطيرة التي تسربت إلى التاريخ الإسلامي وعن طريقها تسربت في أذهان الشباب. كما يقول: «كنت كلما مرت مناسبة من هذه المناسبات، ازددت اقتناعاً بضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي من منطلق إسلامي،

---

١ - لسان العرب، ج٤، ص٣٦٤، مادة "سَطَرَ".

٢ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص١٠٥.

٣ - واقعنا المعاصر ص٢٣٧.

وبروح إسلامية (وإخراج الزيف منها) لا تتأثر بتلك التيارات المنحرفة النابعة من كونه تاريخ "الأمة الإسلامية" بالذات، وإن ادعت تلك التيارات "الروح العلمية" أو "الموضوعية" أو "المنهجية" أو ما شابه ذلك من الشعارات!.»١

وأيضا يقول: «الحق أن هذه الأسطورة تستحق منّا وقفة بالنظر إلى مدى توغلها في الجاهلية المعاصرة وتأثيرها على كثير من مجاري الفكر ومجاري السلوك مع عدم استنادها إلى شيء على الإطلاق. وحكمت الجاهلية المعاصرة عقلها إلى أسطورة ضخمة ليس لها واقع علمي هي "الطبيعة الخالقة" من ناحية و"الخلق الذاتي" من ناحية أخرى، وصارت هذه الأسطورة "علماً" يتداوله العلماء بغير برهان علمي، في الوقت الذي يرفضون فيه ردّ الأمور إلى الله بحجة عدم وجود برهان علمي على وجوده أو تدبيره لشؤون الخلق!.»٢

كذلك الشأن حينما يحكي عن قرية الحضارية في مقاله"القرية و المدينة" ويؤكد كاتب المقال عن انحراف العقيدة الأسطورية عند الماديين: «هواة التفسير المادي للتاريخ يعتقدون أن للقرية أخلاقاً وطابعًا معينا للحياة وللمدينة أخلاقاً أخرى وطابعاً آخر.. وبينهما برزخ فلا يلتقيان وذلك قول فيه كثير من الحق... وكثير من المغالطة الناشئة من استنباط الأحكام من بيئة معينة وجيل معين، ومحاولة تعميمها على كل البشرية. أهل القرية أقرب أن يعرفوا الله ويستشعروا وجوده.. فصناعتهم الرئيسة هي الزراعة.»٣

---

١ - كيف نكتب التايخ الإسلامي لمحمد قطب ص٩و١٠.

٢ - رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص٣٥.

٣ - في النفس والمجتمع ص٨٣.

وأيضاً يقول في الرُبع الأخير من هذه المقالة "الإنسان والآلة" عن أعمالهم: «لقد سيطرت الآلة على الحياة الإنسانية كلها في العصر الحديث وطبيعتها بطابعها المنظم الجامد المرتب البليد. ولقد يخطر لهواة التفسير المادي للتاريخ أن يرفعوا رؤوسهم منتصرين ويقولوا في خطر أبله: ألم نقل لكم؟ إنه ليس ثمّت كيان ثابت اسمه الإنسان، وإنه يتأثر بالوسط المادي الذي يعيش فيه فيطبعه بطابعه المحتوم؟! يقول لهم أولاً: إن هذا النصر يحمل في أطوائه الهزيمة. ثم نقول ثانياً: إن هذه النكسة لم تكن حتما على البشرية وإنما هي أصابت الإنسان باختياره حين تخلى عن عقيدته وتخلى عن إلهه.»١

وأيضا يقول: من لوثة الفلسفة الإغريقية وعقلانية الإغريقية (أي سفسطة الأسطورية) نشأت فِرق كثيرة وتخبطات كثيرة في فكر المسلمين.

ويذكر الناس بالمعتزلة نموذجاً للغزو الفكري الإغريقي في فكر المسلمين حيث جعلوا العقل هو الحكم في الوحي، وجعلوه هو المرجع الأخير في كل أمر من الأمور حتى العقيدة. "كالمتكلمة" أو "فرق الباطنية" أو "فرق اللاهوتية" وهذا كله فضلاً عن الأسطورة الإغريقية التي انتشرت في العصور الماضية ومدت لها جذوراً في الأرض الإسلامية و كونت دولاً أو دويلات، وشغلت المسلمين بمحاربتهم ومكاردتهم بضعة قرون.٢

من خلال ما تقدم البحث أن الأستاذ محمد قطب تحدث عن تأثير الأسطورة التي الإغريقية وأيضا تحدث عن تأثير النظرة المادية للإنسان في المجتمع بأسلوب عقلي وعملي

١ - في النفس والمجتمع لمحمد قطب ص٨١.

٢ - واقعنا المعاصر ص١٢٧و١٢٨.

وبالأدلة التي تستشعر وتستوثق من مدى قوتها وهي تضحض إدعاءات خصوم الدين والتدين.

كذلك يدعونونا بترك بقراءتها ويقول:أسطورة أو آخر من نوعها « كلها مغالطات غير علمية والعجيب أن هذه النظرية المملوءة بالمغالطات والأساطير التي تصبح نظرية علمية وتدرس الآن في جميع جامعات العالم. كيف هذا؟ كيف استغفل البشر إلى حد أن يأخذوا الانحرافات العقلية والأباطيل ولا يرون ما فيها من بطلان.»١ وأخبرنا عن ابتداع هؤلاء الكتاب نظرية أسطورية أكثر من أسطورة الماركسية مع ذلك فالعجب أنها وهي قائمة على أساطير يعترف هو نفسه أنها أساطير تدرس في كل جامعات الأرض على أنها نظريات علمية.٢

في ختام هذا المطلب أستطيع القول إن الأساطير التاريخية: هي تلك الأقاصيص الوهميّة التي تستند إلى قليل من الحقيقة أو لا تستند. ويشتمل تاريخ أي أمة على جزء كبير من هذه الأساطير التاريخية، وهو ما يمكن أن يطلق عليه "التاريخ الروائي"٣ أفاضت المقالة التاريخية عند محمد قطب في مسار (النقد التطبيقي والنقد الاجتماعي) إذ قدم كتاباً كاملاً بعنوان "سخريات صغيرة" في هذا الجانب فمن منظور التاريخي نشرت أول مقالة "رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة" التي كتب في أواخر حياته، وقد عالج فيها خطرات عقيدية وأضرار السلوكية التي يُنشئ عن أقاصيص الأسطورية الإغريقية واليونانية.٤

---

١ - رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة لمحمد قطب، المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص٢٩٨.

٢ - المقالة السابقة ص ٢٩٩.

٣ - التآمر على التاريخ الإسلامي، لأبي الوفا أحمد عبد الآخر، ص٨٤.

٤ - رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة لمحمد قطب، المجلة "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص٣٠٠.

وقد قام في مقالاته وبحوثه وكتبه بنقد مغالطات؛ وفرويد، وماركس، وداروين، ودوركايم، لاسيما في كتابه" الإسلام بين المادية والإسلام" ومقالات "الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي" و"دعم الفكر الإسلامي لمواجهة الغزو الفكري" و"الانحراف الأخلاقي الغربي".١

المطلب الثاني: تحقيق الروايات التاريخية التي تحكي لنا عن صدر الإسلام:

الروايات التاريخية: أي سَردٌ قصصيٌ، يرتكز على وقائع تاريخية، تسبح حولها كتابات، تحديث ذات بُعد إيهامي معرفي٢. والهدف منها: تحقيق الروايات التاريخية والقضاء عليها، وكشف أساليب التآمر والتخلص منها، وحصر الافتراءات والأكاذيب وتفنيدها بالتحقيق الشاقّ، والفهم الصحيح، والعمل الصادق، والمنطق السليم، وقذفها خارج دائرة التاريخ وبهذا نحصل على نظريات الأستاذ محمد قطب حول إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، هو أبهى أجزاء التاريخ الإنساني الحافل بالقيم والمبادئ، وحتى يتعرفوا على سيرة صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم والذين يقول فيهم رسول الله- صلى الله عليه وسلم- «أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم»٣ وحتى يتعرفوا على المعارف التاريخية الإسلامية الصحيحة.

١ - تلك المقالات نشرت في الموقع "حيران".

٢ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش ص١٠٣.

٣ - (قال الألباني" هذا الحديث موضوع") سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السَّيِّء في الأمة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ج١، ص١٥٥، دار المعارف، المملكة العربية السعودية، الرياض، ط١، ١٩٩٢م

وحملت مقالات الأستاذ محمد قطب: على عاتقها مسؤولية التحقيق والتدقيق على الروايات التاريخية حتى نتعرف على السموم المبثوثة في التواريخ المعاصرة: كما يشير الأستاذ محمد قطب إلى أخطر السموم:

«أولاً: إيحاء السموم التي أشرنا إليه آنفاً، من أن الإسلام قد استنفد أغراضه واستنفد طاقته، ولم يعد صالحاً لأداء دور جديد للمسلمين أنفسهم، فضلاً عن البشرية "المتحضرة" التي تجاوزت الإسلام وصارت إلى ما هو أعلى من!!. ١

«ثانياً: أنه لم يكن أمام المسلمين خيار إلاّ أن يظلوا تحت الحكم الإسلامي في ظل الشريعة والدولة العثمانية، وعندئذ يظلون غارقين في ظلمات الجهل والرجعية والتخلف أو ينبذوا الحكم الإسلامي.

«ثالثاً: تَبَنِّي التيارات الهدامة الوافدة مع الغزو الفكري، من وطنية وقومية واشتراكية وعلمانية، وتمجيد أصحابها وتصويرهم في صورة الأبطال المصلحين، بل بقدر ما يحيدون عن الإسلام، بل بقدر ما يحاربون الإسلام!.

«رابعاً: تصوير الصحوة الإسلامية على أنها الخطر الداهم الذي سيؤدي بالعالم الإسلامي إلى الدمار!.»٢ يصرح محمد قطب بقوله: إن أكثر الافتراءات والمشوهات التي نجد في التاريخ و الروايات التاريخية، انتحلت أعداء الإسلام والمستشرقين.٣

١ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص٣٧.

٢ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص ٣٧.

٣ - المستشرقون والإسلام لمحمد قطب ص٥.

والحقيقة أن هناك عدة آراء في أكثر من اتجاه، تجعلنا نلمح ضرورة إعادة كتابة التاريخ الإسلامي:

عدم الدقة في تدوين الأصول التاريخية والتوضيح عن مسبباته.

وعدم الأمانة في تدوين الأصول التاريخية، والمجاراة التاريخية والتكرار في سجل التاريخ، والاستقراء الناقص والمنهج التحليلي.١

أن الأستاذ محمد قطب، عدّ عوامل شتى لالتزام الكتّاب حين إعادة كتابة التاريخ الإسلامي:

إنشاء المنهج التجريبي في البحث العلمي بتوجيه الإسلام.

الجهد في أصول الحركة العلمية الإسلامية باستمداد أصول حركة علمية الأروبية، وإعادة تفوق المسلمين ومكانتهم ممثلة بمثل خذ ما صفى ودع ماكدر.

تمييز الحركة العلمية الإسلامية التي نشأت في ظل العقيدة الإسلامية على غير خصام معها، إن هذه المزية التي تفردت بها الحركة الإسلامية هي المنهج الصحيح في العلم، الذي استمده المسلمون من منهجهم الرباني.٢

هذه النظريات المختصرة في إعادة الكتابة وتنقيح التاريخ الإسلامي من النحل والزيف والرديء.

---

١ - التآمر على التاريخ الإسلامي للدكتور أبو الوفا أحمد عبد الآخر، ص٣٢- ٣٦، مطبعة الأهرام، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٢ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص ١٥٥-١٥٩.

المطلب الثالث: التفسير السليم لأحداث التاريخ:

التاريخ ليس هو الحوادث، إنما هو تفسير هذه الحوادث، والاهتداء إلى الروابط الظاهرة والخفيفة التي تجمع بين شتاتها، وتجعل منها وحدة متماسكة الحلقات، متفاعلة الجزئيات، ممتدة مع الزمن والبيئة امتداد الكائن الحي في الزمان والمكان. ولكي يفهم الإنسان الحادثة ويفسرها، ويربطها بما قبلها وما تلاها.١

كتب الأستاذ محمد قطب في هذا الموضوع كتاباً رائعا- وهو من الكتّاب الذين صاح إلى إعادة كتابة التاريخ الإسلامي- وكتب بعض الخصائص لأي مؤرخ مسلم، حتى يلتزم بها عند التحليل والتفسير والتقويم وقائع التاريخ، بقوله:

«المؤرخ المسلم لن يخترع تاريخاً جديداً للبشرية. ولكنه على وجه التأكيد سيجد نفسه مختلفاً مع المؤرخين الآخرين في الأمرين اللذين ﴿أشرنا إليهما آنفاً﴾ وهما التفسير والتقويم، وهما في الحقيقة لب دراسة التاريخ.»٢

وأيضاً كتب الأستاذ محمد قطب كتاباً "حول التفسير الإسلامي للتاريخ" هو من سلسلة مؤلفاته الفكرية والإصلاحية، والفكرة الأساسية في الكتاب تهدف إلى «دعوة المؤرخين المسلمين أن يعيدوا كتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي المتميزة، لإزالة التناقض القائم اليوم بين عقيدة الأمة، وبين دراستها للتاريخ، وهو تناقض يُحدث ازدواجاً في الشخصية، يؤدي في النهاية إلى اختلال الشخيصية وفقدان ترابطها.»٣

---

١ - في التاريخ فكرة ومنهاج لسيد قطب ص٣٧، و حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب، ص١٢٩.

٢ - حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية لمحمد قطب ص١٢٩.

٣ - حول التفسير الإسلامي للتاريخ، عرض بدر محمد بدر، موقع الجزيرة نت، تاريخ٠٦/ ٠٦/ ٢٠٠٧م.

ويقرر الأستاذ محمد قطب: أن التفسير الإسلامي للتاريخ هو اجتهاد بشري يخطئ ويُصيب، شأنه اجتهاد البشر في استنباط نظريات تربوية أو اقتصادية أو اجتماعية من المقررات الثابتة الواردة في كتاب الله وسنة رسوله- صلى الله عليه وسلم.[1]

والكاتب يكتب ولم يلتزم الكاتب أسس التي يجب الزامها على الكاتب المسلم فيكون في كتابته خاطئًا و إذا كان ملتزماً ولكن خطأً، وقوعه في الخطأ يكون من كونه بشراً يُخطي ويُصيب.

وتكلم الأستاذ محمد قطب عن تفسير وقائع التاريخ وقسمها إلى نوعين:

الأول: التفسير الغربي للتاريخ؛ والثاني: التفسير الإسلامي للتاريخ.[2]

ويقول عن الفارق الجوهري بين التفسيرين: إن التفسير الغربي ينطلق من زاويتين؛ أولاً: الرؤية الدارونية التي ترى أن الإنسان هو نهاية التطور الحيواني. وثانياً: الرؤية التي تنطلق من النفور من الدين بسبب طغيان الكنيسة وتجبرها وحِجرها على الفكر.

بينما التفسير الإسلامي ينطلق من نظرته المبدئية للإنسان، فالتاريخ البشري هو «تحقيق المشيئة الربانية من خلال الفاعلية المتاحة للإنسان، في الأرض بقدر من الله، وهو أيضاً سعي الإنسان لتحقيق ذاته كلها، لا البحث عن الطعام والمتاع والسيطرة فحسب، وبهذا يكون التفسير الإسلامي هو الأوسع والأشمل.»[3]

---

١ - راجع حول التفسير الإسلامي للتاريخ لمحمد قطب، ص٥، دار الشروق، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م.

٢ - كيف نكتب التاريخ الإسلامي ص١١و٣٢.

٣ - حول التفسير الإسلامي للتاريخ ص٨.

التفسير الإسلامي إذن كما يراه المؤلف هو المقابل للتفسير "الجاهلي" للتاريخ والتفسير الإسلامي لا يقسم الأمم تقسيماً مبدئياً، إلى أمم متقدمة وأخرى متخلفة بحسب الإنجاز المادي والعلمي، ولا إلى أمم قوية وأخرى ضعيفة بحسب الإنجاز الحربي والسياسي، وإنما يقسمها مبدئياً إلى فريقين رئيسين: أمم كافرة وأمم مؤمنة ثم تأتي بعد ذلك كل التقسيمات الأخرى من تقدم وتخلف.١

إن التفسير الإسلامي للتاريخ يرفض مبدئيا أن يكون تاريخ الإنسان هو تاريخ ضروراته فحسب، وهو لب التفسير المادي للتاريخ الذي يعطي الأوضاع المادية والاقتصادية قوة القهر من ناحية، ومن ناحية أخرى يجعل الأفكار والعقائد والمؤسسات والقيم كلها، انعكاساً للأوضاع المادية والاقتصادية، لا تسبقها ولا تتأخر عنها ولا تخرج عن محتواها.

لكن التفسير الإسلامي يقرر أن تاريخ الإنسان هو تسجيل لمحاولة الإنسان أن يحقق كيانه كله بكل مقوماته ومكوناته، سواء منها توجهه إلى خالقه بالعبادة (الدين) أو توجهه إلى إقامة مجتمع فاضل (الأخلاق والقيم) أو توجهه للتعرف على الكون المادي (العلم) أو توجهه لاستثمار معرفته في تحسين أحواله المعيشية وترقيتها (الحضارة المادية وعمارة الأرض)...الخ٢

ويختتم الأستاذ محمد قطب كلمته بعنوان "كلمة في الختام" يوجهها إلى المؤرخ المسلم يؤكد أن كتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي ضرورة لازمة للأمة المسلمة،

---

١ - المصدر السابق ص ١٠-١٢.

٢ - حول التفسير الإسلامي للتاريخ لمحمد قطب ص١٦٠.

وليست نافلة يمكن إسقاطها أو الاستغناء عنها...إنه ضرورة توحيد الشخصية المسلمة، وعدم تمزيقها بين دراسة ودراسة وبين منهج ومنهج.١ لأن يستمد التفسير الإسلامي للتاريخ من الإسلام: من المقررات الإسلامية عن الوجود كله، سواء الوجود الإلهي، أو الوجود الإنساني، أو الوجود المادي وعلاقة الخالق بمخلوقاته، وعلاقة الخلق بخالقهم، والسنن التي يجري بها الله أمر البشر وأمر الكون المادي.

وقد لا يختلف المؤرخون في سرد الحوادث إذا اتحدت المصادر التي يرجعون إليها، وخلصت نياتهم فلم يتدخل الهوى في إثبات بعض الأمور وإسقاط بعضها الآخر، ولكن التفسير والتقويم يختلفان حتما من مؤرخ لمؤرخ حسب موقفه من قضايا "الإنسان" بل حسب تصوره للإنسان ذاته.٢

هذه الافتراءات التي عرفها الأستاذ محمد قطب وقام بنقدها، في مقالة "الانحراف الأخلاقي الغربي" كما يحكي: «حدثني أحد المصريين الذين عاشوا في أمريكا.. أنه كان يتلقى درساً في اللغة على يد مدرِّسة خصوصية تعمل في مدرسة من المدارس هناك، ولما اطمأنت بينهما العلاقة، وعرفت أنه مسلم متدين قالت له: إنني أعرف أشياء عن الإسلام تجعله منفراً للناس! إنني أعرف مثلاً أن نبيكم محمدا -صلى الله عليه وسلم- سكر ذات مرة حتى لم يعد يملك خطواته، فوقع على الأرض فعضه خنزير... ومن أجل ذلك حرم الخمر والخنزير!! فقال لها: إن هذه خرافة لا سند لها من التاريخ، وإن الحقيقة أن الرسول -صلى الله عليه وسلم- لم يشرب الخمر قط، قالت: أوه! أشكرك على ما بيّنت لي من

١ - نفس المصدر ص١٧٧.

٢ - المصدر السابق ص١٧٥.

الحقيقة. هل تعلم أنني أدرس هذه الأشياء لتلاميذي في مدرسة الأحد!! قال: والآن قد عرفت أن ذلك ليس حقيقة..هل تستمرين في تلقينه للصغار؟ قالت: مسرعة، أوه، نعم! إنني أرتزق من تدريس هذه الأشياء»١

يعد الأستاذ محمد قطب من الكتّاب المبتكرين في هذا المجال، بنظرياته وآرائه النادرة كمثل آرائه في مقالة"رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة" هي إحدى محاضراته التي ألقاها في المملكة العربية السعودية. هذه المحاضرة بسبب أهميتها الهامّة، نشرت في الدوريات والمجلات آنذاك، كما يقول في بداية هذه المقالة: «أقول دار الزمن دورته وبدأ المسلمون يتخلفون عن مكانتهم ومكانهم إذ يتخلفون عن منهج ربهم، وينحسر دورهم في الأرض ويتضاءل فتعود الجاهلية لتنتشر في الأرض، إنه ليس هناك حالة تكون فيها البشرية في تاريخها الطويل إلا إحدى حالتين، إما أن تكون تحت النور الرباني أو تكون في ظلمات الجاهلية. ولا يمكن أبداً أن تكون هناك حالة ثالثة.»٢

تحدث الأستاذ محمد قطب عن أربع عجائب عظيمة، وقعت في تاريخ الإسلام:

الأعجوبة الأولى: كان صحابة الرسول صلى الله عليه وسلم يدعون الناس أولاً إلى الإسلام فإن أسلموا فهم منذ اللحظة الأولى متساوون في الحقوق والواجبات مع أهل الجزيرة الفاتحين. لا يتميز عليهم هؤلاء بشيء في المال ولا في السياسة ولا في القرب من الله ورسوله. فإذا أَبَوا الإسلام، فالجزية.

---

١ - الانحراف الأخلاقي الغربي لمحمد قطب الموقع حيران (www.hayran.info) تاريخ ٠٢/٠٦/ ٢٠١٤م.

٢ - رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة لمحمد قطب الدورية "الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية" ص٢٩٨.

الأعجوبة الثانية: أن أصحاب هذه العقيدة- وهي فكرة وشعور- قد أنشأت لنفسها نظاماً اقتصادياً واجتماعياً غير مسبوق في التاريخ كله. وما زال متفرداً حتى اليوم. فحرمت الربا والاحتكار وقررت حق ولي الأمر (أي الدولة) في أخذ فضول أموال الأغنياء وردها للفقراء.١

الأعجوبة الثالثة: أصحاب هذه العقيدة قد ثاروا على بذور التفاوت الاجتماعي أيام عثمان- رضي الله عنه- لا لأنه كان قد استنفد أغراضه وصارت أساليب الإنتاج تستدعي الثورة عليه، تستبدل به مرحلة تالية.

والأعجوبة الرابعة: أن الانحراف الذي امتدّ أيام الدولة الأموية ولم يفرض نفسه كقوة جبرية على مشاعر عمر بن عبد العزيز-رحمه الله- فقام يصلحه، ويرى الدولة كاملة في سياسة الحكم والمال.٢

ومما تقدم أستطيع أن أُجمل الكلام أن المقال الأدبي عند الأستاذ محمد قطب مرّ بقضايا الأدب والفن والثقافة. وأخذت من مقالاته مفاهيم رائعة حول الأدب والفن ووظيفتهما واقتبست نظرياته الذي قام برد النظريات المذاهب الفكرية المعاصر بصورة عام. وأيضا قسمت مقالاته تقسيما موضوعيا، و وضعتها تحت العناوين كالآتي: المقال الأدبي والمقال الديني والمقال الاجتماعي والمقال التاريخي. وقمت بتحليل مقالاته واستخراج الأمثلة والشواهد المرتبطة بالموضوع حيث قدمت أقواله التي ترتبط بموضوعات المقال لديه.

١ - الإنسان بين المادية والإسلام ص ٦٥و٦٦.

٢ - المصدر نفسه.

الفصل الرابع

السمات الفنية في مقالات محمد قطب

المبحث الأول: بنية المقال

المطلب الأول: العنـوان

المطلب الثاني: المدخل

المطلب الثالث: العرض

المطلب الرابع: الخاتمة

المبحث الثاني: الأفكار والمعاني

أولا: ضوابط نقد المعنى

ثانيا: حول النقد الأدبي

المبحث الثالث: الظواهر الأسلوبية والبلاغية

المطلب الأول: الألفاظ والأساليب في مقال محمد قطب

المطلب الثاني: الصورة البيانية في مقال محمد قطب

المطلب الثالث: المحسنات البديعية

الفصل الرابع

السمات الفنية في مقالات محمد قطب

بعد ذكر الخصائص الموضوعية للمقالة، أود أن أعرض السمات الفنية العامّة لمقالاته التي تحقق الغرض الأدبي للمقالة عن طريق الأسلوب الفني.

قبل تبيين السمات الفنية لمقالات الأستاذ محمد قطب أفضل أن أتعرض لمفهوم الأسلوب بشكل عام. لأن الأسلوب من أهم عناصر الأدب، ويبالغ بعض النقاد فيجعلون له المرتبة الأولى في القيمة للموضوعات الأدبية، والحقيقة أن الأسلوب هو الشكل وهو المظهر الخارجي وهو أساس في كل عمل فني.

الأسلوب: طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابةً. و يُجمع على الأساليب .١

وعرف إمام البلاغة عبد القاهر الجرجاني، الأسلوب بأنه: «الضَّربُ من النَّظم والطريقةُ فيه.»٢

ومن المعلوم، أن الأساليب تختلف باختلاف الأغراض، بل إن الفن الواحد من الكلام له أساليب تختص به، وتوجد فيه على أنحاء مختلفة.

إن مجال الدراسة يتطلب معرفة الأساليب، للوصول إلى السمات العامة والخاصة.

---

١ – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، لمجدي وهبه و كامل المهندس ص٣٤.

٢ – دلائل الإعجاز الإمام عبد القاهر الجرجاني، بتحقيق محمود محمد شاكر، ص٤٦٩.

والباحث بصدد دراسة السمات الفنية للمقالات وثمة أمور ينبغي أن تؤخذ بالحسبان وهي:

بيئة الكاتب ومجتمعه، وما يزخر فيها من قضايا، وما مرّ بها من متغيرات إذ لا يمكن أن نقطع انتماء هذه المقالات عن واقعها وتاريخها.١

تكوينه الاجتماعي والثقافي، وما أثّر في شخصيته من مؤثرات، تتعلق بنوعية التعليم الذي تلقاه واتجاه قراءاته، وحياته المهنّية، ومتابعته للوسائل المطبعية واهتماماته به.

نوعية القراء الذين توجه إليهم الكاتب، والذي يتحدد على أساسهم الطرح الموضوعي والأسلوب الفني.

اهتمامه بمجالات النشر والتوزيع، سواء مجموعة من المقالات أو الدوريات، أو المجلات، أو المواقع الإنترنتية.

نوع المقالات التي كان يكتبها، إذ إن لكل نوع من أنواع المقالة أسلوبه الذي يميزه عن غيره.

وبعد استقراء النصوص المقالية للأستاذ، والتعامل معها وفق الزمن والبيئة التي ظهرت فيها، ومحاولة الكشف عن الترسبات النصيّة المتراكمة، بغية الوصول إلى الرؤية المثلى والقراءة الفضلى للمقالات -موضوع الدراسة – وما تحمله من سمات، من خلال الجنس الذي تنتمي إليه؛ تبين أن المقالة في المرحلة الثانية عند محمد قطب، وهي مرحلة مستقلة فنياً، تختلف عن مقالات المرحلة الأولى التي شهدت مرحلة جديدة في تحوّل الأسلوب.

---

١ – مناهج النقد الأدبي الحديث، للدكتور وليد قصاب ص٥٨و٥٩.

وسيأتي الحديث عن السمات الفنية لأدب المقال عند محمد قطب، في مباحث ثلاثة، وهي:

المبحث الأول: بنية المقال عند محمد قطب.

المبحث الثاني: الأفكار والمعاني.

المبحث الثالث: الظواهر الأسلوبية والبلاغية.

المبحث الأول: بنية المقال:

يتميز المقال بالتركيز على المعنى بطريقة واضحة وسهلة يعلق بأذهان القراء دون معاناة، وهذا التركيز يتعلق بالبناء السليم للمقال، كما قيل: ببساطة يبني المؤلف مقالة، وببساطة يوهم نفسه أن ما يبنيه يخصه وحده وليس أيّا كان وهو يحاول أن يحفر اسمه أو ينقشه في واجهة النص والبناء ليس أسهل هنا من ادعاء ملكية النص المكتوب... إن تمعنّا أوليا بسيطا في حقيقة ما يبني عليه والمواد التي تكوّن البناء[1]، يكشفان ﴿النص والبناء﴾ عن تداخل كبير بين ذلك البناء الذي يبنيه، فلهذا كل بناء يفصح في داخله عن أبنية أخرى معنوية توثقه. فالعمل الأدبي بناء شأنه شأن أي إنتاج لغوي آخر، ويمكن تصنيف آلياته وتحليلها شأن موضوعات أي علم آخر.[2] من أهم ما يعنى به كاتب المقال التأثير في نفوس القراء، فلكي يؤثر في نفوس القراء ذلك التأثير البليغ فعليه:

١ - صدع النص وارتحالات المعنى لإبراهيم محمود، ص٥٤و٥٥، مركز الإنماء الحضاري، حلب سورية، ط١، ٢٠٠١م.

٢ - مناهج النقد الأدبي الحديث، للدكتور وليد قصاب، ص١٣٤.

أولاً: أن يجعل كلماته وعباراته والأفكار التي تعرض لها، موجهة كلها لإبراز الفكرة الأساسية وإيضاحها.

ثانياً: تهيؤ الكلام وترتيبه بحيث يكون وحدة فنية ذات دلالة وتأثير.

ومقوّمات هذا البناء، هي: العنوان، والمدخل (المقدمة)، والعرض، والخاتمة.

لذا في الوقت الذي تظل فيه قضية البناء المقالي موضوع خلاف بين الدارسين والنقاد، خاصة بين من يرى أن من أظهر خصائص المقالة «بناءها الهندسي المحكم الأجزاء»[1]، وبين النقاد كل من يسعى في تنظيم مقالته، وتفقّد بنائها، إذ «ليس الإنشاء المنظم من المقالة الأدبية في شيء»[2].

وتبقى مسألة التخطيط العام للمقالة وبنائها، معقودة بنوع المقالة، ورغبة كاتبها وتطوره المرحلي في كتابتها؛ فهي لا تعني بالضرورة «التزام الكاتب بهذا التخطيط التزاماً تاماً، فكثير من الكتّاب المتمرسين يبدوؤن مقالاتهم بغير مقدمات أو يتركونها بغير نتائج؛ بغية إشراك القارئ معهم في القضية المبحوثة، كما أن بعض المقالات الذاتية تقتضي انسياباً أسلوبياً وفكرياً يتأبى على هذا التخطيط»[3].

تمتاز مقالات الأستاذ محمد قطب بجزالة اللفظ، وحلاوة العبارة، وجمال الوصف، والتفطن إلى الدقائق، والإتيان بالمعاني الظريفة التي تُثير في النفس العجب وتحدث فيها

---

١ – هل الأدباء بشر؟ للدكتور إسحاق الحسيني ص١٦، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٥٠م.

٢ – جنة العبط للدكتور زكي نجيب محمود ص١٠، دار الشروق، القاهرة، ط٢، ١٩٨٢هـ.

٣ – المقالة في أدب محمود عارف لمنيرة بن عبد العزيز المبدل ص٣٧٠.

الطرب. واستخدم الأستاذ أسلوب من البيان يُعبر عن "أدبية المقال" في المقال العربي الحديث.

كما يقول:«وما أزعم أنني أدركت يومئذ من تلك القضايا ما أدركه اليوم مثلاً بصرف النظر عن صحته أو خطئه وعمقه أو ضحالته..»١ إن جودة الأسلوب تعود إلى استخدام الكلمة في مكانها: كاستخدام كلمة "أدركت" في الفقرة السابقة! فهي طريفة ومثقفة، ولو أننا استبدلنا بها كلمة "أخبرت" لما كان في قوله قوة.

نخلص مما تقدم إلى «أن أسلوب المقال الحديث أسلوب حسن، يستخدم التعبيرات الواضحة، كما يستخدم الصور بالأمثلة المحسوسة، استخداماً وظيفيّاً يشمل اللغة الفنية، بما فيها من تشكيل وتوازن موسيقى مقصودين، يوجه إلى القراء مباشرة في كثير من الأحيان.»٢

لو نظرنا نظرة متمعنة في بناء المقالة عند محمد قطب، لأدركنا إدراك تباين البناء لديه من مرحلة إلى مرحلة، ومن نوع مقالي إلى آخر مما يؤكد التطور البنائي لمقالاته ومراعاته للأمور السابقة.

تتميز جاذبية عنوان المقال، إذا كان فصيحاً في الإطار الأدبي فنوع الحدث له دور في جذب القارئ إلى العنوان ثم إلى المقال. والإيجاز في العنوان ينبغي أن يحقق شروط التعبير، والدلالة على المقالة وفكرتها. فـ"العنوان" «هو السبب الأول الذي يقوم عليه اختلاف

---

١ – دراسات قرآنية لمحمد قطب ص١٠.

٢ – أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة لعبد العزيز شرف ص١٦٦.

الأساليب، ويراد بالمفهوم الذي يختاره الكاتب ليعبر به عمّا في نفسه، علماً أو أدباً، نظماً أو نثراً مقالةً أو رسالة.»١

ومن هذا المنطلق جاء هذا المبحث ليسلّط الضوء على مقوّمات البناء المقالي عند محمد قطب، من حيث دراسة: العنوان. ٢- المدخل. ٣- العرض. ٤- الخاتمة.

المطلب الأول: العنـوان:

يُعدّ العنوان مفتاحاً يجتاز به المتلقي (المشاهد) أبواب النص ليطلع على بنيته الفوقية وما تحويه من أفكار لا سيما إذا كانت العلاقة بينه وبين المدلول موحية.

والعنوان يعدّ المهمة الأولى التي تربط القارئ بالنص ويحقق وظائف عدة منها: وظائف شكلية وجمالية ودلالية تعد مدخلاً لنص طويل،كثيراً ما يشبهونه بالجسد، رأسه هو العنوان،كما يذكره إبراهيم محمود: «عنوان النص، ليست الغاية منه توضيح مضمونه، إنما محاولة إقناع القارئ في مضمونه؛ بل ثمة ما هو أكثر فظاعة من ذلك، ففي الوقت الذي يرى أحدنا نصا خِلوا من العنوان، يظهر عدم ارتياحه، ويلوم الكاتب من باب إثارة أعصاب القارئ.»٢

وعلى هذا الأساس، تبوأ (العنوان) مكانته في الأعمال الأدبية وحظي بعناية الأدباء والدارسين على السواء.

ويبرز دور العنوان في الدراسات الأدبية، كأحد أجزاء بناء المقالة الرئيسة؛ والعنوان المقال حين ما لم يكن متمثلاً لصلب المقال فبذلك تفقد المقالة جزءاً من جماليتها الموضوعية

---

١ - الأسلوب لأحمد الشايب ص٤٦.

٢ - صدع النص وارتحالات المعنى لإبراهيم محمود ص٤٥.

والفنية التي «توصّل الكاتب إلى اختيار العنوان الجيد بوسائل متعددة، من بينها المهارة في اختيار الألفاظ، والإيماءات اللّماحة*، والإشارات اللبقة* التي تدل على ذكاء صاحبها..مع المحافظة على عنصر الصدق في العنوان؛ لكي يحتفظ الكاتب بثقة قارئه.»١

وبالنظر إلى (العنوان) في نتاج الأستاذ محمد قطب، المح مدى عنايته بعنونة مقالاته؛ إذ قلما أجد مقالة من غير عنوان، كما هو الشأن في مقالاته.

كتبه المقالية التي حملت فلسفته ورؤيته للحياة؛ وقد أشار الأستاذ –في مقدمات تلك الكتب– إلى سبب العنونة ودلالاتها الموحية؛ وإن كان هذا لا يغني من إعادة قراءة هذه العناوين، والغوص في مكنوناتها، وتأويل دلالتها، بربطها بالمقالات التي بين دفتي الكتب.

ففي مقدمة كتابه "في النفس والمجتمع" إشارة لما ذكر: «وقد يلحظ القارئ نوعاً من التسلسل في موضوعات الكتاب، أو يلحظ على الأقل نوعاً من الترابط بين مقالات مختلفة من العناوين التي جاء بعضها على أثر بعض. وعلى أي حال فالرباط الأكبر هو أنها كلها مأخوذة من زاوية العقيدة، وأثرها في حياة البشرية.»٢

---

* – لَمَحَ البصرُ، لَمحاً، وتَلْماحاً: امتدّ إلى الشيء. ويقال: لمحه ببصره، أي صوّبه إليه. "اللَّمْحَة" أي النَّظْرة العَجْلَى، واللَّمّاح: الشديد اللمح./ المعجم الوسيط ج٢ ص٨٣٨.

* – واللَّبِقة الحسنة الدَّلُ واللِّبْسة اللبيبة الصَّناع./ لسان العرب لابن منظور، ج١٠، ص٣٢٦.مادة"لَبِقَ"

١ – المقالة الأدبية ووظيفتها في العصر الحديث، للدكتور عطاء كفافي ص٥٩،هجر للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢ – في النفس والمجتمع ص٧.

وعناية الأستاذ بالعنونة، تبرز وعيه بأهمية العنوان، وحسن توظيفه في خدمة النص، ولعل العمل الصحفي الذي انخرط فيه مبكراً، والظروف الصعبة التي أحاطت به في مصر آنذاك، جعلته يعتني بالعنونة عناية ما، وإن كانت تبلغ الإبداع.

إذا كان العنوان مثيراً، فلا يعني بالضرورة، أنه يوضح مضمون النص، ليس هناك مضمون يمكن أن يكون واضحاً تماماً من العنوان وإلاّ لاعتُبر النص ميتا تاريخيا، إنه مثير- ربما- مؤقتا لقارئ معين، في فترة محددة! ولعلنا لو أجرينا إحصاء حول القراءة المفضلة، لوجدنا النتيجة الأكثر حضوراً هي تلك المتعلقة بالنصوص ذات العناوين الأساسية والفرعية.١

وعند استقراء كثير من عناوين المقالات -موضوع الدراسة- اتضحت أنماط من العنونة، وما استخدمه في بعضها من تقنينات متعددة، فجاءت على النحو الآتي:

العنوان الاقتباسي:

اقتبس الأستاذ محمد قطب؛ بعض العناوين في مقالاته من بعض نصوص القرآن أو الحديث أو الشعر أو بعض الكتب والمؤلفات الأخرى كمقالة "لاتفكروا في ذات الله" ويؤكد على أننا منهيون عن التفكر في ذات الله تبارك وتعالى؛ لأنه لا يمكن أن نصل إلى كنه

---

١ - صدع النص وارتحالات المعنى لإبراهيم محمود، ص٤٦.

ذاته تبارك وتعالى وصفاته، وإنما نتفكر في المخلوقات كما نَدَبنا إلى ذلك النبي -صلى الله عليه وسلم- وفي الحديث: "تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله"١

١ - (صححه الألباني) جامع الأحاديث لجلال الدين السيوطي ج١٦ ص٢٤٥ ، دار الكتب، مصر (بدون تاريخ طبع) وأيضا سلسلة الأحاديث الصحيحة لمحمد ناصرالدين الألباني ج٤ ص٣٩٦، مكتبة المعارف، الرياض، ط١، ٢٠٠٢م.

وأيضا في مقالاته"طلب العلم فريضة"١ و"ليرح ذبيحته"٢ و"تبسمك في وجه أخيك صدقة"٣و"سفينة المجتمع"٤ و"أنتم أعلم بأمور دنياكم".٥

١ - "قبسات من الرسول" ص٣٤، وهو اقتبس من حديث النبي –صلى الله عليه وسلم- عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهَّ - صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: "طَلَبُ الْعِلْمِ فَرِيضَةٌ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَوَاضِعُ الْعِلْمِ عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ كَمُقَلِّدِ الْخَنَازِيرِ الْجَوْهَرَ وَاللُّؤْلُؤَ وَالذَّهَبَ" (صححه الألباني) صحيح الجامع الصغير وزياداته، للألباني ج٢ ص ٧٢٧وسنن ابن ماجه، ج١ ص١٥١.

٢ - "قبسات من الرسول"ص ٩٤، اقتبس من حديث: عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» (قال الشيخ الألباني:صحيح الإرواء) صحيح مسلم ج٣ ص ١٥٤وصحيح ابن حبان ج٣ ص ١٩٩.

٣ - "قبسات من الرسول"ص ١٠٤، اقتبس عن هذا الحديث: «عَنْ أَبِي ذَرٍّ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللهَّ صَلَّى اللهُّ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ» (صححه الألباني) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ج٢ ص١٨٨وصحيح ابن حبان ج٢ ص٢٢١و٢٨٧.

٤ - "قبسات من الرسول" ص ١٥٠، قد اقتبس من هذا الحديث: سَمِعَ النُّعْمَانَ بْنَ بَشِيرٍ رَضِيَ اللهُّ عَنْهُمَا، يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: مَثَلُ الْمُدْهِنِ فِي حُدُودِ اللهَّ، وَالوَاقِعِ فِيهَا، مَثَلُ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا سَفِينَةً، فَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَسْفَلِهَا وَصَارَ بَعْضُهُمْ فِي أَعْلاَهَا، فَكَانَ الَّذِي فِي أَسْفَلِهَا يَمُرُّونَ بِالْمَاءِ عَلَى الَّذِينَ فِي أَعْلاَهَا، فَتَأَذَّوْا بِهِ، فَأَخَذَ فَأْسًا فَجَعَلَ يَنْقُرُ أَسْفَلَ السَّفِينَةِ، فَأَتَوْهُ فَقَالُوا: مَا لَكَ، قَالَ: تَأَذَّيْتُمْ بِي وَلاَ بُدَّ لِي مِنَ المَاءِ، فَإِنْ أَخَذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَنْجَوْهُ وَنَجَّوْا أَنْفُسَهُمْ، وَإِنْ تَرَكُوهُ أَهْلَكُوهُ وَأَهْلَكُوا أَنْفُسَهُمْ. (حديث صحيح) صحيح البخاري،ج٣ص١٨١.

٥ - "قبسات من الرسول" ص ١٦٥، مقتبس من هذا الحديث: «عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَرَّ بِقَوْمٍ يُلَقِّحُونَ، فَقَالَ: «لَوْ لَمْ تَفْعَلُوا لَصَلُحَ» قَالَ: فَخَرَجَ شِيصًا، فَمَرَّ بِهِمْ فَقَالَ: «مَا لِنَخْلِكُمْ؟» قَالُوا: قُلْتَ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: «أَنْتُمْ أَعْلَمُ بِأَمْرِ دُنْيَاكُمْ» (قال الألباني: صحيح الإرواء) سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائده للألباني ج٧ ص١٧٠٥.صحيح مسلم،ج٤ص١٨٣٦.

حيث يحث القراء في هذه المقالات على طلب العلم وتوثيق العمل وضرورة السعي والإخلاص في المجتمع حتى يُنير سبيل الهداية. وقد اقتبس من قول أو مثل سائر، كمقالة: "الدين أفيون الشعب"١ و" الدين يستنفد أغراضه".٢ أو من قول نصّي لإحدى الشخصيات، كما فعل في عناوين مقالاته: "الإنسان والآلة"٣ و"حضارة الكيلوواط"٤و"المرأة والحضارة٥". أو مصطلح أدبي، كما فعل في عنوان مقالتي: "الصراع"٦و"القيد والحرية والكبت".٧

أو مصطلح (بيولوجيا) كما فعل في عنونة مقالتي: "الطاقة البشرية"٨ و"الصناعة البشرية"٩

١ – شبهات حول الإسلام، ص ١٩٩، مقتبس عن قول كارل ماركس: «إن الدين أفيون الشعب يجب منعه عنه لكي ينفض التسليم والخنوع وينهض للمطالبة بحقه» تاريخ الفلسفة الحديثة ليوسف مكرم، ج١ ص٤٠٣.

٢ – شبهات حول الإسلام ص٥.

٣ – في النفس والمجتمع، ص٧٤، اقتبس من قول "ويلز" على ما كتبه من تطور الإنسان الآلي وتقدمه في إخضاع عناصر الطبيعة. مجلة الرسالة أصدرها أحمد حسن الزيات باشا، العدد٨٤٨ص٢٩.

٤ – في النفس والمجتمع ص ٩٠، أنه اقتبس من كلام الدكتور طه حسين الذي دعا إلي فضل الحضارة الأروبية كالألمانية والإنجليزية، فضلاً عن الحضارة الإسلامية، ورد عليه ردًا مفحمًا بيَّن هراءه و دجله. راجع أعلام وأقزام في ميزان الإسلام، لأبي تراب سيد بن حسين بن عبد الله العفاني، ص ٢٤٣.

٥ – في النفس والمجتمع ص ١٥٣.

٦ – المصدر السابق ص ٤٦.

٧ – المصدر السابق ص١٨٦.

٨ – في النفس والمجتمع ص١٢٦.

٩ – المصدر نفسه ص١٨٢.

وقد بلغ عدد العناوين التي وضعها الأستاذ محمد قطب، على هذا النمط قرابة ثلاثين عنواناً، وهي تمثل الربع من مجموع المقالات.

العنوان المباشر:

هو العنوان الذي لا يحتاج معه ذهن القارئ إلى تأمل أو إمعان نظر؛ لفهم قصده أو البحث في دلالته، أو فك رموزه.

حين تفرضه طبيعة عنوان المقالة – في العموم- من وضوح ومباشرة، انتهج الأستاذ محمد قطب منهج الوضوح والسهولة في معناه ومبناه، الدافع الرئيس في طغيان (المباشرة) على عناوينه.

ومن أمثلة هذا النمط: "دماء غزة تغذي شريان الأمة"١ و"مشكلة الندرة تخالف الإسلام"٢ و"مرحلة التربية في مكة"٣ و"الدعاء والعمل"٤ و"قضية تحرير المرأة٥" و"المسلمون والعولمة"٦ و"ماذا يعطي الإسلام للبشرية"٧ و"التربية والتعليم في مفهوم

---

١ – في الموقع "طريق الإسلام".

٢ – الموقع نفسه.

٣ – في الموقع "حيران".

٤ – الموقع نفسه.

٥ – الموقع "منبر التوحيد والجهاد".

٦ – راجع نفس الموقع

٧ – الموقع نفسه.

الإسلام"١ و"الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي"٢ و"رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة"٣ و"الإعلام الإسلامي".٤

ويعد النمط الغالب في عناوين مقالاته، إذ يُمثل النصف من مجموع العناوين المدروسة، وهو من العناوين المتنوعة غاية التنوع التي تفيض فيها القيمة الجمالية والإبداعية للعنوان.

وعندما نقرأ المقالات التي كتبها الأستاذ محمد قطب، نجد فيها بلاغة العبارة، واختيار الألفاظ، وحسن الجَرْس، وتوشيح الكلام بالأحاديث النبوية والحكم والأمثال وغيرها.

ج- العنوان/ الفكرة:

الفكرة هي الصورة الذهنية لأمر ما، أو إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة مجهول! ونقصد به العنوان الذي يقدّم فكرة المقالة الرئيسة بوضوح ويُعبّر عن رأي الكاتب بشكل صريح.٥ فتُختصر المقالة في عنوانها.

وقد استطاع الأستاذ محمد قطب أن يصرّح ببعض أفكاره وآرائه من خلال بعض مقالاته التي تبلغ الثمن من مجموع المقالات.

---

١ – المجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص٢١٠، عام١٩٧٣م.

٢ – الموقع "منبرالتوحيد والجهاد".

٣ – المجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية ص١٩١.

٤ – نفس المجلة ص١٤٦، ١٩٧٩م.

٥ – المقالة الأدبية و وظيفتها في العصر الحديث للدكتور عطاء كفافي ص٦٠.

ويأتي هذا النمط من العناوين، ليدل على أهمية القضية المطروحة في المقال، ومكانتها في نفس كاتبها، ومدى تفاعله معها من جهة، أو إيمانه العميق بفكرته وتمسكه بموقفه من جهة أخرى. ويتضح هذا النوع في عناوينه الآتية مثل: "لاإله إلا الله والتحديات المعاصرة"١ و"هلمّ نخرج من ظلمات التيه"٢ و"الإنسان بين المادية والإسلام"٣ و"العبادات الإسلامية"٤ و"الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد المستوردة"٥ و"الطريق إلى الله".٦

المطلب الثاني: المدخل:

هو أوّل ما يطالع القارئ من المقالة بعد العنوان، ويتألف من معارف مسلم بها لدى القراء، هو قصير متصل بالموضوع معين على فهمه بما يعد النفس له، وما تثير فيه من معارف يتصل به.٧ ويرى بعض النقاد أن يختار كاتب المقال «المدخل الذي يظل يترجح في علاقته بالموضوع بين الوضوح والغموض، والذي قد يبدو للوهلة الأولى بعيداً عن صلب الموضوع – الهيكل الفني– وإن اتضحت علاقته الماسّة به فيما بعد.»٨

---

١ – الموقع "منبر التوحيد والجهاد".

٢ – الموقع نفسه.

٣ – الموقع الإنترنيتي الخاص بمحمد قطب.

٤ – في النفس والمجتمع ص١٦٠.

٥ – المجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية.

٦ – في النفس والمجتمع ص١٩٥.

٧ – الأسلوب لأحمد الشايب، ص١٣١. (تصرف قليل)

٨ – الأدب وفنونه للدكتور عز الدين إسماعيل، ص١٨٠.

و كتب الدكتور محمد راتب النابلسي[1] في بحثه بعنوان "فن المقالة": «المقالة تتكوّن من مقدمة وعرض وخاتمة، فالمقدمة هي المدخل إلى الموضوع، والتمهيد لعرض آراء الكاتب، ويجب أن تكون أفكار المقدمة أفكاراً عامة، أي بديهية مسلماً بها، لا تحتاج إلى برهان، كأن المقدمة إطار فني للمقالة، أو كأن المقدمة مجمّع لخيوط الأفكار الأساسية، أو كأن المقدمة موجز للأنباء، وسوف تأتي الأنباء بالتفصيل في عرض المقالة.»٢

كما قال النقاد أيضا: يجب أن تكون المقدمة شديدة الاتصال بالموضوع، كثير من الطلاب يشتطون في المقدمات فيجعلونها ضعيفة الصلة بالموضوع الأدبي فمنهم من يجعلها فلسفة، ومنهم من يجعلها تاريخا، وبعضهم يجعل غير ذلك، والمقدمة يجب أن تتصل اِتصالاً دقيقاً بأفكار العرض.٣

١- راتب النابلسي داعية إسلامي سوري معاصر، ولد في دمشق سنة ١٩٣٩م، درس الابتدائية والثانوية فيه ، ثم التحق بكلية الآداب قسم اللغة العربية في جامعة دمشق، تخرج من معهد إعداد المعلمين سنة ١٩٥٦، وتخرج من الجامعة سنة ١٩٦٤م حصل على درجة الليسانس في آداب اللغة العربية وعلومها. ثم حصل على درجة الماجستير في الآداب، بعدها إلتحق بجامعة ليون وأخيراً حصل على درجة الدكتوراه عام ١٩٩٩م في التربية من جامعة دبلن في إيرلندا وكان موضوع دراسته "تربية الأولاد في الإسلام". وهو مازال حياً وهو رئيس هيئة الإعجاز القرآني ويقوم بإلقاء دروس دينية في مساجد سوريا والدول العربية الأخرى. له مؤلفات عديدة من أبرزها: نظرات في الإسلام، و تأملات في الإسلام، و الإسراء والمعراج./ الموقع الرسمي للدكتور النابلسي، www.nabulsi.com

٢ - فن المقالة للدكتور محمد راتب النابلسي، الموقع نابلسي (www.nabulsi.com)تاريخ ٠٥/ ١٢/ ١٩٨٢م.

٣ - راجع فن المقالة للدكتور محمد راتب النابلسي، في موقع الندوة، تاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠١٥م.

والمتبع في مقالات محمد قطب تاريخياً، يجد أن المقدمة (المدخل) في مقالاته مرت بمراحل وتحولات متباينة، فظهر المدخل الطويل في المرحلة الأولى، وفي بعض نتاج المرحلة الثانية، إذ يبدو أن عنايته المبالغ فيها-أحياناً- أوقعته في مزالق الإطالة، فمثّلت (المقدمة) الجزء الأكبر من المقالة، فجارت بذلك على صلب الموضوع المعروض.١

ومن النماذج على ذلك مقالة: "الإسلام والمرأة"٢ من المرحلة الأولى ومقالة "العلم والعقيدة"٣ من المرحلة الثانية. ففي المرحلة الأولى، أسهب الأستاذ محمد قطب الحديث في مقدمته عن مطالبة المساواة بين الرجل والمرأة، وحقوق المرأة، ومقام المرأة في الإسلام وموازنتها بمقام المرأة في أروبا، وانحلال تعدد الزوجات، رد فيه ادعاء بعض الناس بضعف النساء والأطفال، واستخدام المرأة في التظاهر، ومناقشة كل هذه الموضوعات وبالمقارنة بين الفكر الإسلامي والفكر الغربي، ومشكلة الزّواج، و واجبات المرأة في الإسلام، وخلقة المرأة في الفطرة، ثم اكتفى- في نهاية المقالة- بذكر النموذج من النساء الصالحات في التاريخ الإسلامي، والوضع السيء للمرأة في تاريخ أوروبا.

ويتكرر الأمر في المقالة الثانية "العلم والعقيدة" بقليل من التميز فقد تكلم فيها عن مفهوم العقيدة وعن أساسها بالتنظيمات الاقتصادية والعلمية، والعلم الساحر، وعن العلوم، وأن العقيدة لا تمنع التنظيم الاجتماعي على أساس علمي! عن الآفاق الإنسانية

---

١ – المصدر نفسه.

٢ – مقالة التي نشرت في الموقع حمود بن عقلاء الشعيبي، تاريخ ٢٥/ ١١/ ٢٠١٥م.

٣ – مقالة التي ضمنتها في كتاب في النفس والمجتمع ص١٥.

العليا، ومنشأ الصراع بين العلم والعقيدة، والعلم نفسه لا يكره القيود التي تفرض العقيدة، والإسلام لا يأخذ الكائن البشري أجزاء متفرّقة.

ثمّ كانت وقفته الأخيرة، على إلغاء النظريات الغربية التي تجهزت بمحاربة العلم والعقيدة، وعلمنا بأهمية العلم في إعلاء الكلمة وتصحيح العقيدة ودور شبهات المنافقين والمنحرفين في سبيل هذا الموضوع.

لابد نسوق مثالاً على ذلك مقالة "المرأة والحضارة"[1] كتب في مقدمتها: عن خصائص رقي هذا العصر ما يسميه الغربيون "تحرير المرأة" فماذا كسبت المرأة وماذا خسرت من هذا التحرير؟ ناقش فيها هدف إخراج المرأة عن الإطار الذي وضعت له في دين الله.

كما يقول: «لا شك أن وضع المرأة في كثير من أرجاء العالم كان في حاجة إلى تصحيح. كانت المرأة في حاجة إلى رد اعتبار الإنسان إليها ورفعها عن أن تكون جارية للرجل أو وسيلة من وسائل إمتاعه، ولكن الطريقة التي صُحِحَ بها وضعها لم تكن في ذاتها صحيحة، كما أن الظروف التي لابست عملية التحرير في أوروبا قد جرفت المرأة في تيار عنيف أفسد كثيراً من جوانب طبيعتها، كما أفسد كثيراً من مفاهيم الحياة في العصر الحديث.»[2]

وفي موضع آخر يقول: عن التأثيرات التي بهرت عين المرأة في هذا العصر وأصبحن مقلدة للتقنية الغربية والمسلسلات التي تبث الرذيلة ودعايتهن إلى التقدم والتحرر «والذي يشهد التاريخ الذي وصلت إليه المرأة يجد أن المرأة قد اكتسبت كثيرا من رذائل الرجل

---

١ - المقالة التي ضمنتها في كتاب في النفس والمجتمع ص١٥٣.

٢ - المصدر نفسه.

الفطرية من غير أن تكسب شيئاً يذكر من فضائله الحقيقية، بينما هي تخلت في الوقت ذاته عن كثير من فضائلها الفطرية.»[1]

فالمدخل (المقدمة) بالإضافة إلى اعتدال طولها، احتوت على شروط المقدمة الجيدة، فجاءت مناسبة لموضوع المقالة، ممهدة للعرض، وصيغت بأسلوب جاذب، لا يخلو من الغموض الذي سرعان ما يتكشف؛ ليتضح صلب الموضوع. وهو ما يؤكد حرص الأستاذ في استهلال مقالته بما يرغب القارئ في مواصلة القراءة، والتعلق بمضمونها.

١ – المصدر نفسه.

المطلب الثالث: العرض:

العرض هو الجزء الرئيسي للمقالة وأساس بنائها وصلب موضوعها «موضوع المقالة أساسها وجوهرها، ويشغل- بطبيعة الحال- مساحة أكبر من المقدمة والخاتمة وهو يبدأ بانتهاء المقدمة التي مهّدت له.»١

أمّا آلية العرض، فهي أن «يأخذ الكاتب في معالجة الموضوع بعرض ما لديه من أفكار وتصورات وخواطر بالطريقة التي يراها مؤثرة في قارئيه ومقنعة بتقديم شتى الوسائل والطرق من البراهين والأدلة والشواهد والأمثلة و الوصف والتحليل... من غير اتباع نهج محدد يلزمه إلى أن يصل إلى الخاتمة أو ينتهي من مقالته.»٢

ولتسليط الضوء على آلية العرض في مقالات الأستاذ محمد قطب.أعرض المقالة "ليرح ذبيحته!"٣ - كنموذج – للدراسة والتحليل: لقد بدأ مقالته بالحديث عن"الإحسان بكل شيء" والموقف منه؛ كمقدمة تمهيدية انطلق من خلالها إلى (العرض) مباشرة منذ الفقرة الثالثة، بقوله «ما قيمة عملية الجمال؟» مشروع مجموعة من النظريات...«إذن فالقيمة العملية بالنسبة للذبيحة...لا شيء! ولكن القيمة "العملية" لك أنت...كل شيء! وهل ثمت شيء أكبر من أن يكون لك قلب إنسان؟!»٤

ثمّ انتقل إلى الفقرة الأخيرة للمقالة، في الحديث "المقصود هو الإحسان" والرحمة وحدها هي مقصود الحديث؛ كما يقول: «إن الرحمة وحدها هي المقصود من الحديث (إِنَّ

---

١ - المقالة الأدبية و وظيفتها في العصر الحديث للدكتور عطاء كفافي ص٥٦.

٢ - المقالة الأدبية و وظيفتها في العصر الحديث ص٥٦.

٣ - قبسات من الرسول ص٩٦.

٤ - المصدر السابق ص٩٧.

اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبْحَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ)١

وتأتي الفقرة الخامسة إشادة بأحسن الأداء، في القول: «والإحسان هنا–في الحديث السابق– هو الأداء الحسن، الأداء الكامل، الأداء المتقن، الأداء الجميل.»٢، وأن الإسلام لا يكتفي بأداء الأعمال– كل الأعمال– على أية صورة، وإنما يتطلب"الإحسان" في الأداء. وأنه لا يقنع من الناس أن يؤدوا ضروراتهم بلا زيادة، بحجة أنه ضرورة، وإنما يتطلب الإحسان في التنفيذ.٣

واستمر التعبير والتحليل حول كلام رسول الله–صلى الله عليه وآله وسلم– ويقول: عن "الأدب في الأداء": «ومع ذلك فله آداب، آداب تهذب تناوله وتكسر شراهته، وترتفع به عن محيط الحيوان إلى محيط الإنسان، عن ابن عباس –رضي الله عنهما– أن النبي – صلى الله عليه وسلم–نهى أن يتنفس في الإناء أو ينفخ فيه٤.»٥

لقد أجاد في عرض مقالته، وتسلسل فقراتها، وترابط أجزائها، مع استحضار الأدلة النقلية؛ كوسيلة لإقناع ودعم آرائه، وتوظيف المقدمة والخاتمة توظيفاً جيداً، خدم موضوع المقالة.

١– (قال الشيخ الألباني: صحيح الإرواء) صحيح مسلم ج٣ ص١٥٤٨ وصحيح ابن حبان ج٣ص ١٩٩.

٢ – قبسات من الرسول لمحمد قطب، ص٩٨.

٣ – نفس المصدر المقالة "ليرح ذبحته" ص٩٨.

٤ – سنن الترمذي لمحمد بن عيسى الترمذي بتحقيق أحمد محمد شاكر ومحمد فؤاد عبد الباقي ج٤ ص٣٠٤. وأيضا سنن أبي داود لأبي داود سليمان بن الأشعث السِّجِسْتاني ج٣ ص٣٣٨ بتحقيق محيي الدين عبد الحميد.

٥ – قبسات من الرسول ص١٠٠.

ولقد اتضح من خلال الدراسة ما نال طريقة العرض وآليته من التطور وازدهار، فمن الإيجاز في العرض، إبّان المرحلتين للمقالة إلى منح الموضوع المزيد من المناقشة والتحليل في المرحلة المتأخرة.

المطلب الرابع: الخاتمة:

تعريف الخاتمة «هي نهاية الموضوع، وينبغي أن تترك لدى القارئ انطباعاً مؤثراً؛ لأنها آخر ما يقابل القارئ. والخاتمة الجيدة هي التي تنتهي الموضوع الكلي بطريقة تبدو منطقية ومقنعة. ولا يكون ذلك بالطبع إلاّ من خلال البناء المتسق المحكم.»١

خواتيم مقالات الأستاذ محمد قطب تُنْبِئُ عن أهمية الخاتمة، ومكانتها في البناء المقالي، فحرص على ختم مقالاته بطرائق وسبل متنوعة-كما أرى في الأمثلة التالية:

وهذا التباين في طريقة كتابة "الخاتمة" مرده إلى موضوع المقالة ولونها، وإلى المقالة التي يسعى الكاتب لإيصالها-أياً كان نوعها- إذ إن اختلاف الطريقة يتبعه اختلاف في محتوى الخاتمة ومضمونها.

وتأتي الخواتيم في الأغلب الأعمّ خلاصة لفكره، وعصارة لرأيه فيلخص ما جاء في المقالة، ويقدّم المرتكزات الرئيسة للموضوع المطروح التي رأى أهمية إعادتها في صياغة مركزة وموجزة إذ يبرزها على هيئة جمل مختزلة، أشبه (بالحِكم) ليعيها ذهن القارئ، فتكون أدعى لبقائها. وقد تكون الخاتمة استدراكاً لما فاته في العرض، من كلمة يريد الإدلاء بها، أو رأى يقدمه، كما نرى في مقالة "تبسمك في وجه أخيك صدقة"٢

١ – فن الكتابة والتعبير للدكتور محمد علي أبي حمدة ص٥٣، مكتبة الأقصى، الأردن، ط٣، ١٤١٤هـ.

٢ – قبسات من الرسول ص١١٦.

إذ يقول في الفقرة الأخيرة من المقالة. المعنون لها بــ"رباط المحبة": «والإسلام هو الذي يجعل رباط المحبة هو الرباط الأول الأوثق في حياة البشرية، ويقيم الوشائج كلها- من مادية واقتصادية واجتماعية وفكرية وروحية-على هذا الأساس المتين.»١ و بعد العرض الموجز حول مدخل المقال، تحليل وتفسير فكرة المقال، يضيف: «رسول الإسلام- صلى الله عليه وسلم- وهو الآية البشرية الكونية الكبرى- يدرك بفطرته الملتقية مع فطرة الكون الأعظم، وبما أدبه ربه فأحسن تأديبه، أن الرحمة والمودة والإخاء هي وحدها التي يمكن أن يقوم عليها البناء الحي القوي المتماسك»٢، فيدعو إلى الحب: "لايؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه".٣

كما يقول في خاتمة المقالة عن أهمية الطاقة المكنونة في الكيان البشري، والدعوة إلى وحدة الأمة٤ «هذه الابتسامة على الوجه الطلق لتعمل عمل السحر! جربها! إنها لتستطيع- وحدها- أن تفتح مغالق النفوس وتنفذ إلى الأعماق. تنفذ إلى القلب! إلى الطاقة المكنونة في الكيان البشري، فتربط بينها وبينك برباط الجاذبية! حينئذٍ تصير قطعة من الكون الأعظم،

---

١ - المصدر السابق ص١١٧.

٢ - قبسات من الرسول ص١١٨.

٣ - صحيح البخاري لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري، ج١ ص١٢، بتحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١، ١٤٢٢هـ وأيضا صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج النيسابوري،ج١ ص٦٨ بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت لبنان. (دون تاريخ طبع)

٤ - راجع قبسات من الرسول ص١١٧.

دائرة معه في فلكه الفسيح، لأنك تلتقي بفطرتك الصحيحة مع فطرته الحقة، فتلتقيان في الناموس الكبير! وحينئذ ترى نور الله! فهذا هو الطريق!.»١

ويسعى الكاتب من خلال الارتباط الوثيق بين الخاتمة، وبين كل من العنوان والمقدمة أن يعيد القارئ لبدايات عهده بالمقال، ويكشف النقاب عن وشائج العلاقة بين أجزاء مقالته، وهي دلالة على وعيه بأهمية الوحدة في البناء المقالي التي لا يشعر القارئ بأية فجوة بين أجزائها.

وقد تجتمع جُلّ الأنماط والملامح -الآنفة الذكر- في خاتمة واحدة كما في مقالة "سفينة المجتمع"٢ التي يقول فيها: «ومن وحدة المصلحة ينشأ الترابط بين أفراد المجتمع ترابطاً لا يتخلخل ولا تنقطع عراه. إنهم رُكّاب سفينة واحدة، ناجية أو غارقة، فكيف يمكن أن ينفصل بعضهم عن بعض أو يتجاهل بعضهم وجود بعض؟ وإنه- و هو ترابط المصلحة الواحدة التي يلتقي عندها الجميع- لهو في الوقت ذاته ترابط الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله. ترابط التعاون على البر والتقوى وليس ترابط التعاون على الإثم والعدوان.»٣

فقد تميزت هذه الخاتمة بنشأة الوحدة المستقبلية، والترابط الإيجابي، ويظهر المعاونة في عمل البرّ والمساعدة مع الأبرار في اللحظة.

---

١ - المصدر السابق ص ١١٧.

٢ - المصدر السابق ص١٥٠.

٣ - قبسات من الرسول ص١٦٢.

وعلى صعيد آخر، تتراوح خواتيمه بين التوازن والاعتدال، كما رأيت في مقالاته: "مقياس الحياة"١ و"فوق الواقع" و"المرأة والحضارة" وتقل الخواتيم الطويلة وتأتي الخاتمة في الفقرة الأخيرة للمقالتين. كما أرى في الأمثلة: "الإسلام..والمرأة" و"الإسلام.. وحرية الفكر". وتأتي الخاتمة تارة في فقرة مستقلة معنونة أو من غير عنوان وتارة أخرى مستترة وممتزجة مع الفقرات الأخيرة للمقال، إذ يتبادر إلى ذهن القارئ للوهلة الأولى أن المقال بدون الخاتمة. لكنه لا يلبث أن يجد أن الأسطر الأخيرة هي خاتمة المقالة ولعل الأستاذ محمد قطب لجأ إلى هذه الطريقة، كون المقالة موجزة وقصيرة.

١- هذه المقالة التي ضمنها في كتاب في النفس والمجتمع ص٥٦.

المبحث الثاني: حول الأفكار والمعاني:

الفكر: إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول.[1]

والفكر: المعاني هي الصورة الذهنية.[2] والمعنى: حصول صورة الشيء في العقل.[3]

يشكل الفكر في أية كتابة أدبية جزءاً رئيساً من مكوناتها، ويعدّ عنصر الفكرة من العناصر الأساسية في الكتابة الأدبية العامة، و خاصة في المقالة، إذ لا يكتب الكاتب مقالته من فراغ أو دون هدف فهو يكتبها حاملاً في طيّاتها رسالة يريد توصيلها.. تحمل فكرة أو أفكاراً تعبر عن وجهة نظره.

حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، ويكون الاسم له، لا فاضلا ولا مفضولا ولا مقصراً، ولا مشتركاً ولا مضمناً.[4]

للمعاني قيمة كبرى في الأدب، يكون لها أكبر قيمة ككتب التاريخ الأدبية و كتب النقد والحكم والأمثال. فالغرض منه ليس هو اللذة وإنما هو المعاني والحقائق، وليست إثارة العواطف فيها بالمنزلة الأولى وإنما المنزلة الأولى فيها للإخبار بالحقائق وأداء المعنى.[5]

فاللفظ والمعنى ركنا الأدب، وبهما يؤثر في النفس، ويملك القلب، ولو أننا تتبعنا كلام نقاد العرب وجدناه في النهاية يؤول إلى هذه الفكرة، وإن بدا في كلامهم أحيانا ما يشعر بأن القيمة الأساسية إنما هي للصياغة اللفظية.

---

١ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، لسعيد علوش، ص١٦٨.

٢ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وكامل المهندس ص٢٧٦.

٣ - نفس المرجع ص١٠٦.

٤ - البيان والتبيين لأبي عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الجاحظ ص٧٩، مكتبة الهلال: بيروت ،١٤٢٣هـ.

٥ - النقد الأدبي لأحمد أمين ص ٤٦، مكتبة النهضة المصرية : القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م.

وتشبيه اللفظ بالجسم والروح بالمعنى يصور المدى البعيد ما بين ركني الأدب من صلة لا تنفصم. ثم بيّن ابن رشيق القيرواني موقف الشعراء من اللفظ والمعنى.

وقد راجعت آراءهم حول اللفظ والمعنى والخلاصة في نظرة معظم نقاد العرب إلى اللفظ والمعنى أنهم يعدونهما ركنين أساسيين للعمل الأدبي، ويعنون بأن يظهر المعنى مصوغاً صياغة قوية مؤثرة، ولا يكون المعنى القوي، أو العميق أو المخترع بليغا حتى يعرض عرضاً رائعاً في ألفاظه المختارة، وأسلوبه الجميل.

ضوابط نقد المعنى:

كل النقاد العرب يقيسون المعنى- الشعري والنثري- بمقاييس شتى، منها:

الجدة والابتكار: إن المعاني النثرية تكون لها مكانة نقدية متميزة حين تتصف بالجدة والابتكار وليس المقصود أن يقدم الكاتب معان جديدة لكن المطلوب أن يقدم المعنى بأسلوب يبدو فيه جديداً[1]. كما في المثال:

«يجعل القادرين يحملون غير القادرين، بما أفاء الله عليهم من فضله.»[2] وأيضا:

«إنما هو رصيد مذخور، يتسلمه أضعافا مضاعفة يوم القيامة يهنأ به ويستمتع، بينما الذين غرقوا في المتاع الحرام محرومون.»[3]

---

١ - أسس النقد الأدبي عند العرب للدكتور أحمد أحمد بدوي ص٣٠٤. (بالتصرف)

٢ - رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص١٣٣.

٣ - المصدر السابق ص١٤٢.

وتجمع المعاني من وراء الحقيقة وهي معانٍ صحيحة لا مجال لوجود خطأ فيها ومن ناحية الجدة والابتكار فهي معان تقليدية طرافتها جاءت من جانب غير الجانب المعنوي وإن كان المثال الثاني فيه جدّة وطرافة واضحتان.

الطرافة (الغريب،النادر): القول البليغ المثير للانتباه الذي يتميز بالجدة والطرافة وإظهار البراعة في التفكير، والقدرة على تسلية القارئ أو السامع والترفية عنه.[١] نرى في المثال:

«الجاهلية المعاصرة التي بلغت أبعد مدىً وصل إليه الإنسان في التقدم العلمي، هي التي تستخدم الطاقة النووية "قنبلة" في إحداث ألوان من الشر يعجز الإنسان عن تصورها.»[٢]

وربما يدخل "قنبلة" في باب الطرافة و هذا المصطلح الحديث في العالم المعاصر.

وأيضا نقرأ في المثال الثاني:

« عزل عبد الحميد بعد أن لوثت سمعته بكل شناعة يمكن أن يوصف بها حاكم! وأثيرت النعرة الطورانية على يد حزب الاتحاد والترقي، وقامت الدعوة إلى "تتريك" الدولة، لإثارة العرب، حتى يرفعوا شعار العروبة.»[٣]

---

١ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص٣٨٣.

٢ - واقعنا المعاصر ص٩٨.

٣ - واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص٣٨٢.

وربما دخل في باب الطرافة استخدام اللفظ "تتريك" واحده تَتَريّ، هو مصطلح يطلق على عملية تحويل أشخاص إلى الثقافة التركية بطريقة قسرية غالباً. وهذا المصطلح الغريب والنادر الاستعمال في الإعلام والمجلات.

الوفاء بالمعنى: أعجب النقاد العرب بالكاتب الذي يوفى المعنى حقه، فيبدو للقارئ كاملاً لا نقص فيه، وهم لذلك يذكرون ألوانا بلاغية، يصبح المعنى بها مستوفى أرى أن هذا المصطلح البلاغية، مبينين وجه البلاغة فيها:

فمن ذلك ما سموه "بالتعميم"، وهو أن يذكر المعنى من حيث العموم.

كما نقرأ في هذا المثال:

«فترة صدر الإسلام فلأنها موضع الفخر والاعتزاز الشديد لدى كل مسلم. وما زالت تشد المسلمين شدا في جميع أجيالهم، فلا يملكون أنفسهم من التأثير بها، ومن الرغبة العميقة في رؤيتها مرة أخرى ممثلة في واقع الأرض.»١

قد استوفى الأستاذ محمد قطب بوصف فترة صدر الإسلام بالمعاني و التجسيم قيمة هذه الفترة في ذهن السامع وتثير الإحساس والحركة.

ومن ذلك ما دعوه "بالتقسيم" في نثره أن يكون التقسيم صحيحاً مستوفى.

كما نرى في قوله:

---

١ – نفس المصدر ص٢٩٨.

«مقتضى ذلك التكوين أن للإنسان جانبين في آن واحد: جانب مادي حسي وجانب روحي معنوي، مترابطين معاً غير منفصلين، وغير متناقضين ولا متخاصمين ولا متعاديين.»١

فقد استوفى الكاتب بالمعاني في "التقسيم" التكوين الإنساني على قسمين رئيسين: جانب مادي وجانب معنوي و استوفي في التفسير الذي كتب عنهما " كليهما مترابطين في كل شيء"

الوضوح والغموض: هو من المقاييس المهمة عند النقاد، وللأسلوب أثر كبير في وضوح المعنى أو غموضه، فالعبارة المنسقة الجارية على أصول اللغة، والتي استعملت فيها المفردات استعمالاً دقيقاً، واقتصد فيها في استخدام المحسنات؛ تبين عن المعنى إبانة قوية، ويتضح بها المعنى اتضاحاً كاملاً. فوضوح المعنى مقياس من مقاييس جودة الشعر والنثر.٢

يقول الأستاذ محمد قطب: «ظلت الأمة الإسلامية أطول فترة تؤمن بالله واليوم الآخر، وترسيخ الإيمان بالبعث والنشور والحساب والجزاء، وتترجم إيمانها بذلك كله أعمالاً مشهودة في واقع الأرض.»٣

اتصفت العبارة بالعمق تارة والوضوح تارة أخرى فنجد الأستاذ محمد قطب يصور لنا الديانة بما فيها من الأساس كترسيخ الإيمان في القلب وتجسيده في واقع الأرض بمعانٍ واضحة وسلسة ومفهومة.

---

١ – رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص١٧٢.

٢ – أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٤٤٥.

٣ – رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص١٤٣.

يستمد القوة من الإيمان واتخاذ الإسلام مسلكاً له في شريعته ويسر عليه، وضوح المعنى في التزام الكاتب بهذه الحقيقة، وأهمية العقيدة والعمل بها في الحياة الدنيا.

السطحية والعمق: المعنى العميق هو الذي يجده يذهب به بعيداً في دلالة معنوية عالية وتنثال على نفسه خواطر ومعاني كثيرة يثيرها فيه ويستدعيها إلى ذهنه ويكون ذلك بسبب موهبة يتميز بها الكاتب بما يختص به من قدرة بلاغية وعقلية ثقافية عالية وتكون المقالة عميقة إذا اعتمدت على الحكمة التي تمثل اختزالاً كبيراً من التجربة الإنسانية.[1]

يقول الأستاذ: «ومعرفتنا بآيات الله تزيدنا إيمانا به سبحانه وتعالى، فنعظّمه ونوقّره سبحانه وبما ينبغي لجلال وجهه وعظيم سلطانه، ونعبده حق عبادته، فنفوز برضاه وجنته.»[2]

قد جمع الأستاذ بين السَّلاسَة والعمق كما نرى يغوص في عمق المعنى ويعنى أكثر عناية بالألفاظ التي تكفي في إيصال الكلام إلى المتلقّي. والسلاسة في الألفاظ كـ"نعظمه" و"نوقره" والعمق باللفظ "فوز" والفوز في ابتلاء الله تعالى. هذا ليس تمني ولا ترجي بل هي القنوط من رحمة الله.

ومن هذا المنطلق جاءت مقالاته تحمل الكثير من الأفكار المتنوعة والمعاني الهادفة التي استطاعت أن تتمخض عن تجربته؛ لتظهر متوشحة بسيمياء منطلقها الزماني، مستندة على ثرائه المعرفي.

---

١ - أسس النقد الأدبي عند العرب ص ٤٤٨. (بالتصرف)

٢ - ركائز الإيمان لمحمد قطب ص١٤٩.

لم يستطع أن يفلت من قبضة بعض الأفكار والمعاني الأخرى، إذ توسعت لديه الفكرة الواحدة، وظهرت في معظم المقالات، فقد عمد إلى إعادة طرح بعض الأفكار والقضايا من زوايا مختلفة بإسقاط ضوء جديد عليها.

وبالله التوفيق

المبحث الثالث: الظواهر الأسلوبية والبلاغية

الظاهرة هي كل واقعة يمكن إدراكها بالحواس والتجربة.١ وتجمع على ظواهر.

والأسلوبية: درس، موضوعه دراسة الأساليب وميزات التعبير اللغوية.٢

واللغة هي مادة الأدب، وهي إحدى الأدوات المهمة للكاتب الذي يطوّعها كيفما يريد في تشكيل نصّه، وتوصيل أفكاره وآرائه ومعتقداته ومفاهيمه إلى المتلقّي. لأن اللغة هي أهم وسائل التعبير عن الأفكار والمشاعر، وخير وسيلة لنقل الرغبات والتراث الفكري والعلمي عبر الأجيال، فدراسة الألفاظ والتراكيب يعدّ من أهم الإنتاجات في الأدب.

كما تُعرّف اللغة: بأنها «مجموعة مفردات الكلام وقواعد تأليفها التي تميز جماعة بشرية معينة تتبادل بوساطتها أفكارها ورغباتها ومشاعرها.»٣

تعد اللغة العبارة اللفظية التي تسمى الأسلوب. وهي الوسيلة اللازمة لنقل أو إظهار ما في نفس الأديب من العناصر المعنوية فصار الأدب ينحل إلى هذه العناصر الرئيسة. وهذا

---

١ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وكامل المهندس ص٢٤٠.

٢ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش ص١١٤.

٣ - معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، ص ٣١٨، وأيضا دور اللغة والثقافة في التواصل بين الحضارات، للدكتور عبد الله بن حامد حمد سحلب، ص٢٢، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.

التحليل نفسه يتوافر في النثر كما توافر في النظم على اختلاف في الدرجة تبعاً لاختلاف طبيعة الفنون فيهما.١

لولا أن عبارات اللغة كلمات موضوعية لمعان فكرية محدودة، لكانت العبارات غناء وألحاناً كما كانت قديماً أو كانت موسيقى مجلجلة أو جملة مؤثرة متنوعة.

فلهذا فن المقالة – كما في الأجناس الأدبية الأخرى– تكون الوحدة الأساسية للغة من الكلمات أو المفردات التي يتمّ بناء علاقات معينة بينها تشكل التراكيب أو الجمل التي تترابط وتنمو حتى تشكل نص المقالة.

و يأتي تناول اللغة والأسلوب في مقالات الأستاذ محمد قطب، من خلال دراسة:

الألفاظ والتراكيب ٢- الأساليب

المطلب الأول: الألفاظ والأساليب في مقال محمد قطب:

صياغة الألفاظ:

تناول ابن رشيق القيرواني قيمة اللفظ والمعنى ويقول عن مهمتهما: إن اللفظ جسم وروحه المعنى وكما لا يمكن الفصل بين الجسم والروح كذلك لا يمكن الفصل بين اللفظ والمعنى.٢

ونعني به: «الكلمات المفردة التي تتألف منها الجمل، وهي أسماء وأفعال وحروف، ولكنها مع ذلك خواص متباينة، كأن تكون دقيقة محدودة أو مبهمة مشتركة، اصطلاحية

١ – الأسلوب لأحمد الشايب ص٤.

٢- العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق القيرواني ج١ ص١٢٤. وأيضا كتاب في الأدب والنقد للدكتور شوقي ضيف، ص٦٨.

علمية أو فنية عامة، رقيقة أو خشنة، عامية أو فصحى، موسيقية رشيقة، أو عادية جافة لونيّة أو صوتية إلى نحو ذلك.»١

يقول شوقي ضيف: إن الألفاظ جزء من فنية النص وجمالياته، مع ما تتمتع به من ذاتية وكينونة تترك أثرها في نفس المتلقي، وهذا مكمن أهمية اللفظ في العمل الأدبي.٢

وتتضح أهمية الألفاظ ومكانتها في مقالات الأستاذ محمد قطب من خلال عنايته الملموسة بها، إذ تنتظم الألفاظ عنده في سلسلة لغوية، تـأتي بعد تفكير وإمعان نظر؛ حرصاً منه على وضع الكلمة في موضعها المناسب.

كما يقول الأستاذ عن مميزات الأديب الحاذق:«هو الذي يطلع نفسه من هذه الارتباطات على ارتباط واحد، فيشغل به حسه، ويصرف له همّه، ولكن -مثلاً- رابط الجنس، أو رابط الاقتصاد، أو رابط المجتمع، أو رابط الصراع، أو رابط الحتمية التي تسيّر الأشياء والأحياء... أو أيّ رابط يرى في حسه أنه هو الذي يفسر حركات الحياة وسكناتها، وتفرقها واجتماعها... أصغر مساحة في التقويم الفني والإنساني.»٣

ففي هذا النص يقف عند حدّ بيان الجمال-في العبارة السابقة- إنما يعود إلى حسن أداء الكلمات لمعانيها، وما بين معاني الألفاظ من الاتساق الجميل.

كما يقول الدكتور محمد أبو موسى في وصف التراكيب: والتراكيب تكون بالغة التعقيد والخصوبة حين تفيض بها النفوس الحية، وذلك لأن كل ما في النفس من قلق ونبض، وكل

---

١ - الأسلوب لأحمد الشايب ص١٤٩و١٥٠.

٢ - راجع في الأدب والنقد لشوقي ضيف ص٦٥-٦٩.

٣ - منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص١٧.

ما تحسه الروح وينفور به القلب، لا يجد له مسرباً إلاّ هذه الكلمات، وهذه التراكيب وكل ما في هذه الأحوال النفسية من خفاء والتباس منعكس لا محالة على تلك التراكيب.١

وجدت في إحدى مقالاته هذا التعبير الذي يخاطب القارئ بأهمية العمل، استخدم فيها لغة خاصة هي أقرب للرفق واللين –من أمارتها السهولة والألفة – كما يقول في هذا الخطاب: «وتوكيد قيمة العمل، وإبرازه والحض عليه، فكرة واضحة شديدة الوضوح في مفهوم الإسلام، ولكن الذي يلفت النظر هنا ليس تقدير قيمة العمل- أي عمل أدبي أو غير- فحسب وإنما هو إبرازه على أنه الطريق إلى الآخرة الذي لا طريق سواه.»٢

إن لجوء الكاتب إلى معجم لغوي وتمييز ألفاظه بالنبرة الحانية واللهجة الهادئة، لمخاطبة قارئ نوعي محدد، راعى فيه حداثة السن وقلّة الخبرة، دلالة على حرصه على انتقاء كلماته وتخيرها، لمناسبتها مستوى هذا المخاطب.

ولأنه توّجه في مقالاته إلى أنواع من القراء فإنه يتضح عند دراسة المقالات الاجتماعية والأدبية، تباين في المعجم اللغوي المستخدم في كلا النوعين من المقالات، مما يؤكد أن الأستاذ يخاطب نوعين من المتلقين القراء.

فهو يتجه في بعض مقالاته إلى القارئ العادي البسيط في لغته وثقافته، فتقترب لغته من نبض الجمهور العريض، محاولاً بذلك التواصل معهم، وجذبهم لقراءة مقالاته التي تحمل همومهم وقضاياهم، مبتعداً إلى حدٍ بعيد من لغة المثقفين ويتراءى ذلك في مقالة "الدعاء والعمل" على سبيل المثال لا الحصر، يقول فيه:

---

١ – دلالات التراكيب للدكتور أبو موسى ص٣٥، مكتبه وهبه، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م.

٢ – قبسات من الرسول ص١٨.

«إن الإسلام لا يعرف التفكر من أجل التفكر ولا التدبر من أجل التدبر ولا المشاعر في صورتها الوجدانية الخاصة، ولو كانت هي مشاعر الإيمان. إنما ينبغي أن يتحول ذلك إلى عمل، التفكر والتدبر والمشاعر والدعاء كلها سواء. وهو درس وعاه المسلمون الأوائل في كل اتجاه.»١

وعلى الرغم من تكرار الألفاظ وتأليف العبارة في النص السابق، إلاّ أنها اتصفت بالسهولة والوضوح التي تتناسب مع ثقافة القارئ العادي ومخزونه اللغوي. وهو توجه يحمد للكاتب.

أمّا عن القارئ الآخر الذي يمثل توجّها رئيسيًا في كتابته واختيار لغته، فهو القارئ النخبويّ. وقد توجه في مقالاته الفكرية تلقاء طبقة المثقفين والأدباء. لا سيما أن المقالة الأدبية تكتب للمختصّين في شؤون الفكر والأدب.

تقترب لغته في خطابه النخبوي* إلى ما يمكن تسميته بـ(لغة الأدباء) وهو الاستخدام اللغوي الذي يكشف بجلاء المظهر النثري في شخصية الكاتب الأدبية. ومن المقالات التي تتصف بهذه السمة، مقالة "المسلمون والعولمة" وأجتزئ منها هذا المقطع: « كان حصر الإسلام في النطاق الفردي وإسقاط التكاليف الجماعية والاجتماعية والسياسية والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، غريبا عن الإسلام كما أنزله الله، وقد فرض الله هذه التكاليف كلها كما فرض التكاليف الفردية وإن كان قد جعل بعضها فرض كفاية لا فرض

---

١ - الدعاء والعمل لمحمد قطب، موقع حيران (www.hayran.info) تاريخ ٠٢/ ٠١/ ٢٠١٤م.

* - النُّخْبة بالضم المُنْتَخَبُون من الناس المُنْتَقَوْن وهم الجماعة تُخْتارُ مِنَ الرِجَالِ فتُنْتَزَعُ منهم./ لسان العرب لابن منظور ج٢٣ص٧٥٢، مادة"نَخَبَ"

عين، ولكن الأمة تأثم بمجموعها إن لم يقم فيها أحد بهذه التكاليف. وكذلك كان التواكل وإهمال الأخذ بالأسباب بحجة التوكل على الله غريبا عن الإسلام كما أنزله الله، الذي أمر بالتوكل ولكنه أمر معه باتخاذ الأسباب»١: [فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ]٢

ومن جانب آخر، أسهم موضوع المقالة ومحتواها في هيمنة حقل دلالي ومعجم لفظي دون آخر، حيث يلاحظ على مقالاته السياسية -على سبيل المثال- تفشي مصطلحات وألفاظ سياسية وعصريّة، لا تظهر في سواها من المقالات.

ومن أمثلة ذلك قوله: «..كذلك الحياة الإنسانية في محيطها الشامل.. فكل النظم القائمة على تجارب البشرية: النظم السياسية والاقتصادية والاجتماعية والعمرانية..»٣

فهذه الكلمات ذات المدلول العلمي والمصطلحات السياسي، وغيرها كالألفاظ: تجارب البشرية، والنظم السياسية، والنظم الاقتصادية، والنظم الاجتماعية والنظم العمرانية.

وبعض الكلمات رموزاً لأفكاره وآرائه في العصر الحديث، تدل على نظم سياسية واجتماعية وحضارية.

وتبرز دقته في اختيار الألفاظ بحسب موضوع المقالة: ففي مقالة "التطرف وأسبابه الحقيقة" التي يطالب فيها باحترام حقوق الآخرين ومساعدتهم على تجهيز ظروف الأمن

---

١ - المسلمون والعولمة لمحمد قطب الموقع حمود بن عقلاء الشعيبي، تاريخ ٠٢/ ٠٢/ ٢٠١٤م.

٢ - سورة آل عمران:١٥٩.

٣ - قبسات من الرسول ص٥٢.

والسلام، زخرت هذه المقالة بألفاظ لم تخرج عن هذا الإطار: مثل لا أحب التطرف، يهول المهولون، بناء التنفير والتحريض، عجز الطغاة، تذبيح المسلمين، الوسائل الإجرامية.١

الأساليب:

الأسلوب من أهم عناصر الأدب، ويبالغ بعض النقاد فيجعلون له المرتبة الأولى في القيمة للموضوعات الأدبية، والحقيقة أن الأسلوب هو الشكل وهو المظهر الخارجي وهو أساس في كل عمل فني.٢

الأسلوب في اللغة: كلُّ طريقٍ ممتدٍّ و هو يجمع على الأساليب.٣

الأسلوب في الاصطلاح: هو طريقة التعبير وهو القالب الذي تُصبُّ فيه الكلمات والجمل.٤

وبتعبيرآخر:«هو طريقة عمل، أو وسيلة تعبير عن الفكر بواسطة الكلمات والتركيبات.»٥

---

١ - مقالة التطرف حقيقته وأسبابه لمحمد قطب، الموقع مداد(www.meedad.com) تاريخ ١٨/ ١٢/ ٢٠١٤م.

٢ - الأسلوب لأحمد الشايب ص ٥٤-٥٦.

٣ - لسان العرب لابن منظور ج١ ص٤٧٣، مادة"سَلَبَ".

٤ - في الأدب والنقد، للدكتور شوقي ضيف ص١٧.

٥ - معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش ص١١٤.

وكما عرفه الإمام عبد القاهر الجرجاني في المجال النقدي بأنه: «الضَّربُ من النَّظم والطريقة فيه.»[1] وعرف بأنه: «طريقة الإنسان في التعبير عن نفسه كتابةً.»[2]

وعرفه الأستاذ أحمد الشايب[3]، بقوله: «أن الأسلوب هو طريقة الأداء أو طريقة التعبير التي يسلكها الأديب لتصوير ما في نفسه أو لنقله إلى سواه بهذه العبارات اللغوية.»[4]

والذي يبدو لي من التعريفات التي ذكرت أن تعريف أحمد الشايب، هو تعريف الأسلوب إلى اليوم، فهو طريقة الكتابة، أو طريقة الإنشاء، أو طريقة اختيار الألفاظ وتأليفها للتعبير بها عن المعنى قصد الإيضاح والتأثير.

ومن المعلوم، أن لكل أديب أسلوبه التعبيري الخاص به، من ناحية صياغته، واختياراته التركيبية، وتصرفاته المعجمية، وفي ذلك يقول الأستاذ محمد قطب: «إن

---

١ – دلائل الاعجاز لإمام عبد القاهر الجرجاني ص٤٦٩.

٢– معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص٣٤.

٣– أحمد الشايب ولد في مدينة شبرا بخوم سنة ١٨٩٦م بمحافظة المنوفية مصر، قضى حياته في مصر. بدأ تعليمه فيها ثم التحق بمدرسة دار العلوم بالقاهرة، وتخرج فيها سنة ١٩١٨م. بدأ حياته العملية (١٩١٩) مدرسًا بمدرسة بنها الابتدائية، ثم انتقل للتدريس بكلية الآداب ﴿جامعة فؤاد الأول﴾ وتدرج في عمله إلى أن أصبح وكيلاً للكلية، ثم شغل منصب أستاذٍ لكرسي الأدب العربي حتى زمن رحيله. يعدّ من الرعيل الذي حصل على لقب الأستاذية (في الجامعة) دون أن يحصل على درجة الدكتوراه. وله عدة مؤلفات ودراسات، منها: الأسلوب"دراسة بلاغية وتحليلية لأصول الأساليب الأدبية"، وأصول النقد الأدبي، وتاريخ النقائض في الشعر العربي. جامعة الملك فؤاد الأول أعطى له رتبة البكوية سنة ١٩٥١م. وتوفي في القاهرة سنة١٩٧٦م/ الملحة: أعلام المنوفية، سيد مرسي أبوذكري، مجلة كلية اللغة العربية بالجامعة المنوفية، شبين الكوم، مصر.

٤ – الأسلوب لأحمد شايب ص٣٦.

الأسلوب هو اجتماع الأعضاء (عينين وشفتين وأنف وأذنين..) على نحو معين من التناسق يعطيها شكلاً معيّناً ذا ملامح محددة.»١

من المعروف «أن الأساليب تختلف باختلاف الأغراض، بل إن الفن الواحد من الكلام له أساليب تختص به، وتوجد فيه أنحاء مختلفة.»٢وأن الأسلوب «صفة ذهنية في الكاتب تأتيه من الاطلاع على الآثار الأدبية والمران عليها.»٣ وقد أشاد العلماء بقيمة الأسلوب، وغالى بعضهم في هذه الإشادة حتى جعل نصيب الأسلوب في الفضل أكثر من نصيب المعنى، لأن النفس تتأثر بالصياغة تأثيراً بالغاً، وعقدوا مشابهة بين صانع الكلام وناسج الديباج وصائغ الشنف* والسوار.٤

كما وصفه ابن سلَّام الجُمَحي: «وللشعر صناعةٌ وثقافةٌ يعرفها أهل العلم، كسائر أصناف العلم والصناعات: منها ما تثقفه العين، ومنها ما تثقفه الأذن، ومنها ما تثقفه اليد ومنها ما يثقفه اللسان. من ذلك اللؤلؤ والياقوت، لا تعرفه بصفةٍ ولا وزنٍ، دون المعاينة ممن يُبصره. ومن ذلك جهابذة الدّينار والدّرهم، لا تُعرف جودتهما بلونٍ ولا مسٍّ ولا طراز ولا وسم ولا صفةٍ ويعرفه الناقد عند المعاينة، فيعرف بهرجها وزائفها وستوقها*

---

١ – دراسات قرآنية لمحمد قطب ص ٢٤٦و٢٥٦.

٢ – أسس النقد العربي عند العرب لأحمد أحمد بدوي ص٤٥١.

٣ – في الأدب والنقد للدكتور شوقي ضيف ص٢٩.

* – الشنف) القرط و قد يخصص الشنف بما يعلق في أعلى الأذن و القرط بما يعلق في أسفلها، يجمع على شنوف و أشناف./ المعجم الوسيط ج١ص١٣٠. مادة "شَنَفَ".

٤ – المرجع السابق ص٤٥٣.

* – (الستوق) من الدراهم الزيف البهرج الذي لا قيمة له./ المعجم الوسيط ج١ص١٣٠. مادة "سَتَقَ"

ومفرغها، ومنه البصر بأنواع المتاع وضروبه وصنوفه مع تشابه لونه ومسه وذرعه واختلاف بلاده حتى يرد كل صنف منها إلى بلده.»١

كما يقول محمد قطب في وصف المجتمع الناجح: «المجتمع الذي يتناصح الناس فيه بالخير ويتناهون عن المنكر هو المجتمع المترابط المتساند القوي، الذي يتقدم إلى الأمام حثيثاً، وينقل من خير إلى خير، بحكم تضافر الطاقات وتوجهها إلى الإصلاح، والمجتمع الذي يأتي المنكر فيه كل إنسان على مزاجه، ويتركه الآخرون لما يفعل، هو المجتمع المفكك المنحل الذي يمضي إلى الوراء حتماً وينتقل من ضعف إلى ضعف بحكم تبدد الطاقات وانصرافها إلى الشر.»٢

ومن خلال الوقفات السابقة من الألفاظ في المقال، اتضحت كثير من سمات هذه الأساليب،كالدقة والسهولة والتلاؤم بين اللفظ والمعنى و وحدة النسج.

حين نقف في مقالة "فليغرسها" أمام نص يقوم على استخدام الأسلوب في معظمه، يقول فيها: «أسرعوا فانفضوا أيديكم من تراب الأرض.. وتطهروا. اتركوا كل أمور الدنيا توجهوا بقلوبكم إلى الآخرة. انقطعوا عن كل ما يربطكم بالأرض. اذكروا الله وحده. توجهوا إليه خالصين من كل رغبة في الحياة، حتى إذا ذهبتم إلى ربكم ذهبتم وقد خلصت نفوسكم إليه.»٣ إن لجوء الكاتب إلى التراكيب الإنشائية في مقالته، محاولة لاستثارة

---

١ – طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلّام الجمحي ص٦.

٢ – قبسات من الرسول ص٥٥.

٣ – المصدر السابق ص١٥.

عواطف القرّاء، وإحداث الأثر، وتعقيب صدى هذا الأثر في نفوسهم خاصة أن الموضوع حساس يمس عقيدتهم.

هذا التكوين الذي يسلك الكلمات والجمل والعبارات في نظام لفظي هو صورة لنظام عقلي، وتفكير منطقي مطرد، بعض القواعد التي تفيد في تكوين التراكيب الواضحة.١

استخدام الأسلوب في الإنشاء الطلبي "النفي" في الفقرة الأخيرة من المقالة "إدرؤوا الحدود بالشبهات" هو نوع من الكلام الترغيبي للمتلقي: «نعم! إن الإسلام لا يحب أن يفقد نفساً واحدة يمكن أن تتوب إلى الله وتهتدي إليه. إنه لا يصر على لحظة الضعف التي تصيب فرداً من البشر ولا يعنتُهُ من أجلها. وإنما يفتح له بابا لكي يعود... يعود إلى الله ويعود إلى الجماعة، فينطلق فيما هي منطلقة فيه من الخير، ويأخذ لنفسه من ذلك الخير بنصيب. ولا تقف الجريمة العابرة حاجزاً في حياته، ولا تسمّم أحاسيسه وأفكاره ولا تُوصد أمامه الأبواب، فيصبح مجرماً مصراً على الإجرام بعد أن كان مجرماً بغير قصد، وذلك معنى قول الرسول الكريم: «لاتعينوا عليه الشيطان.»٢

ولم يغب عنه أسلوب الجملة "بأن" هذا الكلام يدل على جمال الأساليب الفنية عنده، كما يقول: «أن يضحكوا به على السذج والجهلاء فينالوا المال المتدفق وينالوا السلطان. وأن يحبسوه عن العامة وأن يتزلّفوا به إلى المملوك والسلاطين.»٣

---

١ - راجع الأسلوب لأحمد الشايب ص١٨٣.

٢ - (صححه الألباني) صحيح البخاري ج٨ ص١٥٨، و صحيح سنن أبي داوود للألباني ج١ ص٢ ومسند الإمام أحمد ج١٣ ص٣٦٦. و المقالة "إدرؤوا الحدود بالشبهات"ا لتي ضمنتها في قبسات من الرسول ص١٤٧و١٤٨.

٣ - قبسات من الرسول ص٤٢.

ولا نغفل مساهمة الجملة الاسمية التي غلبت على تراكيب النص في إخفاء طابع الهدوء والسكون.كما بدأت الجملة بتكرار الجملة الاسمية، الكلمة "قصة" وهو ما تفرضه مادة النص التأملي؛ كما يقول: «وهي قصة كل جريمة من جرائم الأخلاق.

قصة الكذب والخداع والنفاق والغش والتدليس.

قصة الغيبة والنميمة ونهش الأعراض و كشف العورات.

قصة الرشوة والظلم والفساد.

قصة القعود عن نصرة الحق والجهاد في سبيله.

قصة الترف والسرف والفجور والمجون.»[1]

ومن سرّ جمال التكرار في الفقرات السالفة، وضوح البيان في سجع الكلمات ويكون التكرار على جهة الاستعذاب وعلى وجه التوجع.

المطلب الثاني: الصورة البيانية في مقال محمد قطب:

التصوير هو لون وشكل ومعنى وحركة، وقد تكون الحركة أصعب ما فيه، لأن تمثيلها يتوقف على ملكة الناظر ولا يتوقف على ما يراه بعينه، ويدركه بظاهر حسه.[2]

الصورة في الاصطلاح: التعبير عن المعنى المقصود بطريق التشبيه أو المجاز أو الكناية أو تجسيد المعاني.[3] والتصوير هو امتداد طبيعي متناسق مع المعنى اللغوي.[4]

---

١ – قبسات من الرسول لمحمد قطب ص١٢٥.

٢ – التصوير البياني للدكتور محمد أبو موسى ص٦٧.

٣ – معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب ص٢٢٧.

٤ – أصول النقد الأدبي لأحمد الشايب ص٢٤٢.

تبرز مكانة الصورة البيانية في العمل الأدبي بوصفها أقدر الوسائل على نقل الأفكار العميقة، والمشاعر الكثيفة في أوفر وقت، وأوجز عبارة، وأضيق حيز، فكلما أمعن النظر فيها، استقطب أفكاراً جديدة، ومشاعر متجددة.

و يقوم استخدام هذه التقنية على الخيال «الخيال هو الصور التي يختلقها العقل ويؤلفها من إحساسات سابقة، ويظن كثير من الناس أن موادّ تلك الصور يخترعها العقل اختراعاً ويستحدثها استحداثاً فهي شيء خالصٌ له. يوجده، ثم يأخذ في التأليف بينه والترتيب والتركيب حتى يسوي صورة بديعة.»١

وهذا بديهي فالعقل يخلق الخيال نظاماً واحداً تتلاءم عناصره تلاؤماً مظهرا الوحدة والتنوع المشار إليهما. ومصدرهما في كلمة واحدة إدراك الدلالة. تلك الدلالة التي لا يمكن أن تعلل بتحليل الإحساسات المتميزة التي يتألف منها منظر الشيء.٢

ومن خلال ما ذكر تتضح أن أهمية الصورة البيانية في الأعمال الأدبية شعراً أو نثراً على السواء. إلاّ أن احتفاء فن المقالة بالخيال أقل من الفنون الأخرى، لطبيعة عنايتها بالمعنى أكثر من المخيلة والصور.٣

وبتعبير شوقي ضيف: «الخيال يتنوع بِتَنَوُّع الصور التي يستقبلها والتي يتكون منها فمنه صورة بصرية،كتمثل الرذيلة في صورة فتاة جميلة ساحرة ذات ملابس بديعة فاتنة تستهوي القلوب وتستولي على الأفئدة.»٤

---

١ - في الأدب والنقد للدكتور شوقي ضيف ص١٩.

٢ - الصورة الأدبية للدكتور مصطفى ناصف ص١٤.

٣ - أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة ص٧٦.

٤ - في الأدب والنقد ص٢١.

إن ثمة مواضع تبرز فيها الصورة التي تأخذ صورة ويرسل إلى ذهن المتلقي، معها يبعث العنصر العاطفي «إن بين العاطفة والخيال ارتباطاً وثيقاً، فهو الذي يصورها ويبعث مثلها في نفوس القراء والسامعين، وقوته مرتبطة بقوتها..»١

يقول الأستاذ محمد قطب في أحد المقاطع التصويرية: «إن التعبير يصور حركة الظل الوئيدة التي تراها العين فلا تلتفت إليها، أو لا تلتفت إليها بكليتها. ولكن الخيال هنا لا يملك أن يفلت من أسر الصورة التي تصورها تلك الكلمات القلائل في إبداع معجز!.»٢

وتمتاز المقالة الأدبية لدى محمد قطب بقوة العاطفة التي تؤثر في عباراته تأثيراً واضحاً يبدو في الكلمات، والصور والتراكيب. وليس معنى ذلك خُلّوه من الأفكار القيّمة والحقائق المبتكرة.

تحتفي مقالاته التأملية، وبعض من مقالاته الأدبية بالصور دون غيرها من الأنواع الأخرى، خاصة نتاجه الوصفي، الذي أراد به تصوير المشاهد والأحداث، متحرياً الدقة والواقعية، فلم يذهب إلى تجنيح الخيال واستحلاب ما ليس بكائن.

واللغة التصويرية هي أسمى الأساليب الأدبية وأقصد بها التشبيه والمجاز والكناية. وتلك الكلمات والتعبيرات التي يظهر فيها الخيال جليّاً و واضحاً أو مبهماً غامضاً، على حسب مشيئة كاتبها. وتتعدد أنماط الصور البيانية في مقالاته، منها الصور البيانية التي وردت في مقالة "فليغرسها": كما نقرأ في هذه الأمثلة: «كلمة...تخرج بسيطة كبساطة

---

١ - أصول النقد الأدبي ص٢٢٣.

٢ - دراسات قرآنية ص٤٣.

الفطرة، عميقة كعمق الفطرة، شاملة واسعة فسيحة.»١ الكلمة كالإنسان في خروجه بسيطاً فطرياً، الكلمة مشبه، وبساطة الفطرة مشبه به، والتدريج حال الإنسان وجه الشبه. وأيضا في الثاني؛ العميقة مشبه وعمق الفطرة مشبه به والخروج الفطري وجه الشبه يُعد من تشبيه مجمل. وأيضا قوله: «لا تقوم إلا كمن يتخبطه الشيطان من المس تنطلق كالمجنون والهوة في آخر الطريق.»٢ وردت في هذه الفقرة صور من التشبيه المرسل، (أي لا يقومون إلا كما يقوم المصروع حال صرعه وتخبط الشيطان له) في الأولى الأنسان مشبه والممسوس مشبه به و الصرع وجه شبه، أي بذلك يخبله الشيطان في الدنيا وهو الذي يخنقه فيصرعه ﴿من المس﴾ من الجنون، (يقال: مُس الرجل فهو ممسوس إذا كان مجنوناً) في الثاني أي ينطلق الصليبيون كالمجانين في طريق الضلال، والحروب الصليبية مشبه ومجنون هو المشبه به، وعدم فهم العاقبة وجه الشبه.

وأيضاً ورد من الصور البيانية في مقالة "طلب العلم فريضة" التي يقول فيها: «كان للعلم في نفوس الناس قداسة كقداسة العقيدة.٣» في هذه الصورة البيانية يتجلّى تشبيه مرسل، العلم مشبه، قداسة العقيدة هي مشبه به، وجه شبه في المنزلة والمكانة.

كان الأستاذ محمد قطب معروفا بحسن التصوير، كما نشاهد مؤهلاته الأدبية في هذه الفقرة يقول فيها عن المسلمين: «صبغتهم الإسلامية التي تربط الحياة كلها برباط

١ - قبسات من الرسول ص١٧.

٢ - قبسات من الرسول ص٢٨.

٣ - المصدر نفسه ص٣٨.

العقيدة.»١ فالمشبه هي الصبغة الإسلامية، والمشبه به رباط العقيدة و وجه الشبه هي الرغبة والمعرفة الدينية.

وأيضاً نشاهد من الصور البيانية التي وردت في المقالة "لا تفكروا في ذات الله": «لنسمع هنا كلام العلم ذاته فإنه وحده يبهر الخيال ويذهل الرؤوس.»٢ يشير الأستاذ محمد قطب في هذا النص إلى التصوير الذي يخيل به سماع صوت العلم، أن هذا الصوت يبهر الخيال ويذهل الرؤوس، حذف الإنسان وذكر شيئا من لوازمه وهو صفة الكلام، يعد الاستعارة المكنية.

مثال استعارة تمثيلية في قوله: «مادمت لم تنكص على عقبيك ولم تتنكب الطريق..»٣ في هذه الجملة، إشارة رجوعه عن دين الله عزّ وجل وهي مقتبسة من القرآن، استعمل في غير ما وضع له مع وجود علاقة مشابهة بين المستعار منه والمستعار له.

وفي الجملة الثانية، تشبيه القلب، تشبيه المعنى بالمحسوس. شبّه المذنب بالشخص المحروم الذي ينكص عن أمر الله ويتنكب عن طريق الخير. المذنب مشبه، الشيطان مشبه به ونكوصه عن دين الله وجه شبه؛ حذف المشبه مع أداة التشبيه.

وهكذا وردت الاستعارة والمجاز في مقالة "ليرح ذبيحته" يقول: «إنها كلمة تهز الوجدان هزاً كلما تذكرها وتمثلها.»٤فقد استعار من الإنسان هزات وجدانه حين يهتز بسبب إراحة الذبيحة وهي تساق إلى العدم والفناء.

---

١ - المصدر السابق ص٣٧.

٢ - قبسات من الرسول ص٦٣ راجع المقالة "لا تفكروا في ذات الله".

٣ - المصدر نفسه ص٨٦.

٤ - قبسات من الرسول ص ٩٥ راجع المقالة "وليرح ذبيحته".

وفي قوله «روعة الجبال التي تبهر الأنفاس وتهز الوجدان.»١ روعة الجبال كيف تبهر الأنفاس وتهز الوجدان؟ بل ثبات الإنسان كالجبال وكيفية هيبته تبهر الأنفاس وتهز الوجدان، يعد من المجاز العقلي، والمجاز من ثبات الإنسان الذي كالجبال.

وأيضاً وردت من المجاز في مقالة: «وتبسمك في وجه أخيك صدقة» يقول: «هي﴿ أي الصدقة﴾ أداة تطهير الأغنياء من الشح» والصدقة هي وسيلة التطهير، وسيلة لتطهير أموال الأغنياء، وهكذا وسيلة تطهير قلوب الأغنياء من الشح. استفاد من الصدقة معناها البعيد وهي في الأصل "الصدقة وسيلة تطهير قلوب الأغنياء من الشح".

في مقالة "تعبد الله كأنك تراه" أرى عنوانها صيغت بالتشبيه المقتبس، من حديث رسول الله-صلى الله عليه وآله وسلم- ورد فيها تشبيه مرسل ؛ يقول فيها:«كيف يظلم الحاكم حين يرقب الله كأنه يراه؟»٢ وأنه بين يديه كأنه يراه؛ لأنه يوجِب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم، خيرٌ لك أن تتوجَّه إلى حيث يرقبك خالقك فتأمن المفاجأة، إنها الرهبة في الحالَيْن، رهبةٌ مصحوبةٌ بالأمل، مخلصٌ له قلبك، عاملٌ على رضاه.

وأيضا أرى من الصور البيانية "التشبيه المرسل" في هذا القول: «هزاتٌ كالهزات المغناطيسية أو الكهربائية التي تنتشر في الجو.»٣، شبّه هزات الشعور كهزات المغناطيس أو الكهرباء، المنتشرة في الجو. فالشعور مشبه، والمغناطيس مشبه به و الحركات وجه الشبه، هذا التشبيه يعدّ من تشبيه المرسل لأن ذكر فيه أداة التشبيه وهي (ك).

---

١ - قبسات من الرسول ص١٠٥ راجع المقالة "وتبسمك في وجه أخيك صدقة".

٢ - قبسات من الرسول ص٨٧ راجع المقالة "تعبد الله كأنك تراه".

٣ - المصدر نفسه ص١٠٧

أشاهد في مقالاته من التشبيه البليغ قليلاً ونادراً، ولكن على سبيل المثال نقرأ في مقالة: "فقليله حرام" «إن هذا الطوفان الهائل من الفساد قد بدأ من نقطة الصفر.»١ هو شبّه الرشوة بالطوفان الهائل الذي يبدأ من نقطة الصفر (من إعطاء المال القليل) فالمشبه رشوة والمشبه به الطوفان، ووجه الشبه شيوع الفساد، حذف الكاتب المشبه وأداة التشبيه معاً يعد هذا المثال من التشبيه البليغ.

واستخدم من الصور البيانية في مقالة "سفينة المجتمع" في النص الآتي: «المجتمع كله هذه السفينة، يركب على ظهرها البر والفاجر والمتيقظ والغفلان وهي تحملهم لوجهتهم.»٢ حذف الكاتب أداة التشبه و وجه الشبه لقصد البلاغية -في هذه الفقرة -. وجعل المجتمع مشبه والسفينة مشبه به، وتراكم الخلائق في السفينة وجه الشبه، أي صيانة المجتمع كصيانة السفينة. هذا التشبيه يعدّ من التشبيه البليغ.

هو شبه المجتمع بالسفينة لأن شبه الواقع فيها بالواقع، أي سفينة وهي سفينة المجتمع فاقترعوا في هذه السفينة حيث أصبح لكل شخص منهم نصيب فمنهم من يعمل على خرق سفينة المجتمع هذه، ومنهم يعمل لنجاحه حتى وينجح المجتمع بأكمله.

وفي مقالة "أنتم أعلم بأمور دنياكم" نرى التشبيهات المتعددة في هذه الأمثلة، على سبيل المثال: «الكون في وجوده كالكون في تطوره، كالكون في فنائه حين يقدر له الفناء.»٣ ففي هذه الفقرة يتجلى اشتراك الكون في الصفتين الارتقاء والفناء.أي الكون في حاله مثل

١ - قبسات من الرسول ص ١٢٨ راجع المقالة "فقليله حرام".

٢ - المصدر السابق ص١٥٠.

٣ - المصدر السابق ص١٧٧.

الكون في تطوره، فحالة الكون مشبه و التطور التدريجي فيه مشبه به و وجود الكون وبقائه وجه شبه.

كما ورد المجاز في هذه الفقرة: «هذه النسبة سواء ركب الماء في المعمل أم هطل من السماء، والمطر هو المطر. بخار يصعد من البحر، فينطلق إلى الجو..»١

استعمل في هذا النص صوراً متعددة من المجاز، والمجاز في تركيب الماء في المعمل ونزوله من السماء وتبخيره في الجو وانطلاقه في أنحاء العالم، كل ذلك من المجاز العقلي.

ومن خلال الشواهد البيانية في هذا المطلب، تتضح بعض الأمور المهمة في هذا السياق، ومنها:

استمد محمد قطب أغلب صوره من القبسات القرآنية والبنية الطبيعية، إذ عدّ المصدر الرئيس من مصادر صوره، وكثيراً ما ارتبطت بالأرض وما فيها التي تحمل العديد من الإيحاءات.كما يقول: إن له إيحاءات شتى، يدق بعضها ويلطف، حتى يصل إلى أعماق النفس إلى قرار الوجدان، فيهزه هزاً، ويوقع على أوتار القلب لحناً صافياً مشرقاً جميلاً يأخذ بالألباب.٢

تعددت ضروب الصور البيانية عنده، وكذلك التشبيه والاستعارة، واستخدام المجاز كثيرا في مقالاته المتنوعة.

١ - المصدر السابق ص١٧٦.

٢ - راجع المصدر نفسه ص١٠٤.

أبرزت بعض الصور عند الأستاذ مبادئه وأفكاره المتجسدة؛ فالصورة تكون تجسيداً للفكرة، إذ ترمي إلى التعبير عمّا يتعذر التعبير عنه، وحتى الكشف عما تعذر معرفته فهي وسيلة من الوسائل المتعددة التي يتصرف المتكلم بها، لنقل رسالته وتجسيدها.

تُعدّ اللغة والأسلوب جوهر الصورة عند محمد قطب، والصورة عنده تتخذ كلا من اللفظ والأسلوب وسيلة للتجسيم والتكوين والإيحاء.

شكّلت الصور جزءاً من تجربة الأستاذ محمد قطب الحياتية، وخبرته الثقافية.

جاءت بعض صوره تقليدية كثيرة التداول، على الرغم من محاولاته للتجديد وتعظيمه لأصالة التي وفق في بعض منها.

المطلب الثالث: المحسنات البديعية:

البديع علم يعرف به تحسين الألفاظ وتمييز المعاني في الكلام، كما عرّفه الخطيب القزويني[1] في "تلخيص المفتاح": «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة

---

١ – هو محمد بن عبد الرحمن، جلال الدين القزويني، المعروف بخطيب دمشق. من أحفاد أبي دلف العجليّ: قاض، ومن أدباء الفقهاء. أصله من قزوين، ولد بالموصل سنة٦٦٦ه/ ١٢٦٨م. ولي القضاء في ناحية بالروم، ثم قضاء القضاة بمصر (سنة ٧٢٧) ونفاه السلطان الملك الناصر إلى دمشق سنة ٧٣٨ ثم ولاه القضاء بها، فاستمر إلى أن توفي سنة٧٣٩هـ-١٣٣٨م.من كتبه (تلخيص المفتاح) في المعاني والبيان، و(الإيضاح) في شرح التلخيص، و(السور المرجاني من شعر الأرجاني) وكان حلو العبارة، أديبا بالعربية والتركية والفارسية، سمحاً،كثير الفضائل. / الأعلام ج٦ص١٩٢.

و وضوح الدلالة.»[1] وأيضاً عرفه السيد أحمد الهاشمي[2] في "جواهر البلاغة": «هو علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حُسناً وطلاوة، وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقته لمقتضى الحال مع وضوح دلالته على المراد لفظاً ومعنىً.»[3]

والناقد الأدبي يتخذ من هذه العلوم أَمضَى أسلحته، فهي هادية في إدراك الجمال وتذوق الحسن في ألوان الكلام، ولا يمكن أن يفاضل بين كلام وكلام.

تلك بإيجاز منزلة علوم البلاغة وأهميتها في مجال الدراسات العربية جميعاً. وعلم البديع له هذه المكانة وتلك المنزلة بين العلوم الأخرى.

يجب الاحتراز للحكم على فصاحة الكلام، فمرجعها أمران:

الأول: الاحتراز من الخطأ في تأدية المعنى المراد.

والثاني: تمييز الكلام الفصيح من غيره، فيحترز عن الخطأ في تأدية المعنى المراد بتعلم علم المعاني، ويعرف تمييز الكلام الفصيح من غيره بتلافي الغرابة عن طريق تعلم متن اللغة،

---

١ - تلخيص المفتاح لخطيب القزويني ص١١٤، مكتبة البشرى كراتشي باكستان، ط١، ٢٠١٠م.

٢- أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي الأزهري، أديب معلم مصري، ولد سنة (١٢٩٥هـ -١٨٧٨م) بالقاهرة، تتلمذ للشيخ محمد عبده، وصار مديرا، لثلاث مدارس أهلية واحدة للذكور واثنتان للإناث، كان مديراً بمدارس فؤاد الأول، ومدارس الجمعية الإسلامية، ومراقباً لمدارس فيكتوريا الإنجيلية ووليّ العهد بشبراً بمصر. من مؤلفاته: (جواهر الأدب في انشاء وأدبيات لغة العرب) و(جواهر البلاغة) و(مختار الأحاديث النبوية) و(أسلوب الحكيم) الحكم المحمدية من البخاري وكتب الحديث المعتبرة، و(ميزان الذهب) في صناعة شعر العرب. وتوفي بالقاهرة سنة (١٣٦٢هـ-١٩٤٣م)/ معجم المؤلفين ج١ ص٤٣.

٣ - جواهر البلاغة، للسيد أحمد الهاشمي ص٣٧٦، المكتبة العصرية، بيروت لبنان (بدون تاريخ طبع).

وتلافي مخالفة القياس والتعقيد اللفظي "تعلم الصرف أو النحو" وما يزيل التعقيد المعنوي إنما هو تعلم البيان والبديع.١

وعلم البديع، يشتمل على محسنات لفظية، ومحسنات معنوية ومقالات الأستاذ محمد قطب مليئة بألوان بديعية من الجمال اللفظي والمعنوي. ومن هذه المحسنات البديعية التي ظهرت في مقالاته: السجع، والجناس، والاقتباس، والطباق، والتورية والمذهب الكلامي.

السجع:

تعريف السجع: هو توافق الفاصلتين من النثر على حرف واحد. روي عن السكاكي: «السجع في النثر كالقافية في الشعر». والأصل في السجع إنما هو الاعتدال في مقاطع الكلام، والاعتدال مطلوب في جميع الأشياء والنفس تميل إليه بالطبع.٢

ويأتي (السجع) على رأس هذه المحسنات المستخدمة في سياقاته التعبيرية، إذ يبرز دور السجع- إذ ما أحسن قياده والإفادة منه فنياً بحسب الموقف- في الأعمال الفنية مع أساليب التوزيع في الجملة و موازنتها وانسيابها في العبارات.٣

---

١ - الطراز الأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز ليحيى بن حمزة العلوي ج١ ص٣٠-١٤٠، المكتبة العصرية بيروت، ط١، ١٤٢٣هـ.

٢ - علم البديع لعبد العزيز عتيق ص٢١٦، نشر دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان (بدون تاريخ طبع).

٣ - المقالة في أدب محمود عارف لمنيرة المبدّل، ص٤٦١.

ومن النماذج التي استخدم فيها (السجع) قوله في صفات الإنسان الفاجر.«هل أنا إلا قطرة في الخضم؟ فلتكن قطرة سم، فكيف تفسد الخضم*.»١ ويقول في صفات البنت الفاتنة: «تقوم فتاة مستهترة تتقصَّع* في مشيتها، وتتكسَّر في حديثها.»٢

ويقول في معرفة الله تعالى: «ولكنهم يعرفونه، في ظاهر قلوبهم ولا يحفظونه.»٣ وفي حديثه عن توسل العباد العصة أمام الله عز وجل «يدعونه فلا يستجيب لهم، ويسألونه فلا يعطيهم ويستنصرونه فلا ينصرهم.»٤

وفي موضع يقول: «قداسة تشمل المعلم كما تشمل الطلاب، كلاهما يحس بالرهبة، ويحس بالنظافة، ويحس بالراحة والفرحة في رحاب الله.»٥ موضع الاستشهاد " يحس بالرهبة، ويحس بالنظافة، ويحس بالراحة والفرحة "

ومن فوائد السجع: أ- أنه يعطي رونقاً ونغمة موسقية للكلام، بحيث يكون لها الوقع والأثر الحسن في نفس القارئ.

* – الخضم أي الْبَحْر الْوَاسِع وَالْجمع الْكثير./ المعجم الوسيط ج١ ص٢٤٢.

١ – قبسات من الرسول ص١٥٢.

* – تتقصَّع:أي تَلَفَّفَ، وتَكَمْكَمَ فِي ثَوْبِهِ تلَفَّف فِيهِ، وَقَدْ تَدَثَّرَ أَي تَلَفَّفَ فِي الدِّثار./ تاج العروس من جواهر القاموس لمحمّد بن عبد الرزّاق الزَّبيدي ج١٨ ص١٢٤، مادة "خَضَمَ"بتحقق مجموعة من المحققين، نشر دار الهداية (دون تاريخ طبع)

٢ – قبسات من الرسول ص١٥٣.

٣ – قبسات من الرسول لمحمد قطب ص٦٠ ، مقالة "قبل أن تدعو فلا أجيب"

٤ – المصدر السابق ص٥٨.

٥ – قبسات من الرسول ص٣٨ ، مقالة "طلب العلم فريضة".

ب- إذا كان توافق الحروف بغير التكلّف، يسهل عند القراءة لدى القارئ أثناء تلاوته.

ويكثر استخدام المحسنات البديعية من المحسنات اللفظية في مقالات الأستاذ محمد قطب -رحمه الله-.

الجناس:

تعريف الجناس: هو من فنون البديع اللفظية. وهو التجنيس أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها.[1]

وأجد الجناس أقل استعمالاً من بين المحسنات الأخرى، ومن ذلك يأتي الجناس في قوله: «ضربه ابن عمرو بن العاص بالعصا.»[2] ونرى الجناس بين"العاص" و"العصا" هذا المثال يعدّ من الجناس غير التام.

يظهر من الأمثلة التي سبق ذكرها، أن المحسنات البديعية عند محمد قطب تُظهر نبوغه وسعة خبرته في ميدان الأدب وثراء تجربته فيه، وإيقاع عباراته خاصة أنها لم تأت مرهقة لأسلوبه، بل جاءت عفو الخاطر، بعيدة عن التعنت في استخدام الأمثلة، حيث استطاع أن يوظفها التوظيف الأنسب، من خلال جانبي: المعنى حيث زادت قوتها والعاطفة حينما أظهرتها صادقة عميقة فكانت إحدى الجماليات الفنية في نصوصه.

ومن فوائد الجناس؛ أنّ له أثرا حميداً في نظم الكلام، وفي تناسب أجزائه، فإن اقتران الأشباه بالنظائر يجعل النفوس تميل إليها بالفطرة إلى معانيها؛ مما يطرب الأذن ويؤنس

---

١ - علم البديع لعبد العزيز عتيق ص١٩٥.

٢ - رؤيه إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب ص١٥٣.

النفس ويرقّص القلب، ويخادع الأذهان ببديع الأفكار؛ فالمجانس في الكلام كأنه يخدع القارئ عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهم كأنه لم يزد وقد أحسن الزيادة و وفّاها.

الاقتباس:

تعريف الاقتباس: هو تضمين الكلام نثراً أو شعراً شيئا من القرآن الكريم، أو الحديث النبوي، لا على أن المقتبس جزء منهما، ويجوز أن يغيّر المقتبس في الآية أو الحديث قليلاً.١

قد يكثر استخدام نوعين من الاقتباس في المقال، لتضمين الكلام المنثور، من القرآن أو الحديث. كما أرى في قوله: «يقبل أوبتكم ويظلكم بظله، حيث لاظل إلاّ ظله.»٢ هذا اقتباس من حديث رسول الله– صلي الله عليه وسلم– عن أبي هريرة –رضي الله عنه– عن النبي –صلى الله عليه وسلم– قال: «سبعة يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله، إمام عادل وشاب نشأ في عبادة الله، ورجل قلبه معلق بالمساجد، ورجلان تحابّا في الله اجتمعا عليه وتفرّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال إني أخاف الله. ورجل تصدق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله خالياً ففاضت عيناه.»٣

وقوله عن الناس السكارى: «وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى»٤ هذا اقتباس من قول الله تعالى[يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ

---

١ – علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" للدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب ص١٢٧، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م.

٢ – قبسات من الرسول، ص ١٦ مقالة "فليغرسها".

٣ – (حديث متفق عليه) صحيح البخاري ج١ ص١٣٣ و أيضا صحيح مسلم ج٢ ص٧١٥.

٤ – قبسات من الرسول ص١٦.

وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ]١

وكما أرى في قوله: «أخلصوا له الدعاء فهو قريب يجيب دعوة الداعي إذا دعاه.»٢ هذا اقتباس من قوله تعالى:[أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ]٣ وأيضا [أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء]٤

وقوله: «لن يعجز الله سبحانه أن يغير ما بالقوم دون أن يغيروا ما بأنفسهم.»٥ وهذا اقتباس من قول الله تعالى: [إن الله لايغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم]٦

وقوله"«و بما أدبه ربه فأحسن تأديبه، أن الرحمة والمودة والإخاء هي وحدها التي يمكن أن يقوم عليها البناء الحي القوي المتماسك.»٧ هذا اقتباس من حديث رسول الله – صلى الله عليه وسلم– روي ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي –صلى الله عليه وآله وسلم– قال: أَدَّبَنِي ربِّى فَأَحسَنَ تأدِيبِي.٨

١ – سورة الحج: ٢.

٢ – قبسات من الرسول ص١٦.

٣ – سورة البقرة، الآية ١٨٦.

٤ – سورة النمل، الآية ٦٢.

٥ – قبسات من الرسول ص٥٣.

٦ – سورة الرعد، الآية ١١.

٧ – قبسات من الرسول ص١١٧.

٨– (ضعفه شيخ ابن تيميه وأيضا قال الشيخ الألباني"سَنَده ضَعِيف وَمَعْنَاهُ صَحِيح") سلسلة الأحاديث الضعيفة لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني ج١ ص١٧٣، ج٥ ص٢٠٧و٢٠٨، وأيضا جامع الأحاديث (هذا الكتاب يشتمل على جمع الجوامع للسيوطى والجامع الأزهر وكنوز الحقائق للمناوى، والفتح الكبير

أ - جمال الاقتباس هو إدخال المؤلّف كلاماً منسوباً للغير في نصّه، لا على أنه مِنهُ، فإن كان منه خرج عن كونه اقتباساً.

ومن فوائد الاقتباس والاستشهاد والحلّ، وأتى على ذلك بشواهد وأمثلة.

جمال الاقتباس يجمل العبارة ويوضح مدى ثقافة الأديب واطلاعه.

الطباق:

تعريف الطباق: هو الجمع بين الضّدين أو المعنيين المتقابلين في الجملة. كالجمع بين اسمين متضاديين.١

كما أرى (الطباق) في مقالاته أكثر استخداماً بالنسبة إلى المحسنات البديعية الأخرى بعد الاقتباس: ومن الأمثلة على ذلك قوله:«فالدنيا والآخرة مفترقتان، والجسم والروح مفترقان والمادي يفترق عن اللامادي.»٢

يظهر الطباق بين الدنيا والآخرة وبين الجسم والروح، وبين المادي واللامادي. ويأتي في قوله: «بين الدنيا والآخرة أو بين الأرض والسماء.»٣ وفي مقالة "تبسمك في وجه أخيك صدقة" عند قوله الإعطاء حركة إيجابية؛ يقول: «أن يكون قوة إيجابية فاعلة، ويكره أن

للنبهاني) لعبد الرحمن بن أبي بكر جلال الدين السيوطي ج٢ ص٨٨، "ضبط نصوصه وخرج أحاديثه فريق من الباحثين بإشراف الدكتور على جمعة: مفتي الديار المصرية. (بدون تاريخ طبع).

١ - علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" ص٦٥.

٢ - قبسات من الرسول ص١٨ مقالة "فليغرسها".

٣ - المصدر السابق ص١٨.

يكون قوة سلبية عاجزة.»١ وفي قوله: «بين سيد وعبد، ولا بين شريف وحقير.»٢ وفي قوله «بين الأبيض والأسود، والحلال والحرام.»٣

في الأمثلة المذكورة طابق بين قوة سلبية وقوة إيجابية وأيضا بين سيد وعبد وبين إنسان شريف وإنسان حقير.

وأيضا قوله عن البصيرة النافذة: «أنهم استُشيروا أم لم يستشاروا، أخذ برأيهم أم لم يؤخذ.»٤، في هذا المثال يكون الطباق، الجناس التام بين "أخذ" و"لم يؤخذ". وفي قوله: « ولا تتأثر برغباته ولا أهوائه ولا أوهامه.»٥ وفي قوله: « إن أصفى بيان للتوحيد، وأكمل بيان وأشمل بيان»٦ يكون الطباق في هذا المثال طباق السلب.

ومن فوائد الطباق: أ-جمال الطباق و إثارة الانتباه إلى الفكرة ورسوخها في النفس وإبراز المعنى و توكيده.

ب- من فوائد الطباق تمكين المعاني في ذهن القارئ؛ فإن الضد يظهر حسنه الضد؛ فيتقرر المفهوم المراد في الذهن المخاطب ويستقر المعنى بيسر وسهولة.

ويأتي استخدام المحسنات البديعية الأخرى، بالنسبة للطباق أقل من ذلك.

---

١ - قبسات من الرسول ص١١٠ / المقالة "تبسمك في وجه أخيك صدقة".

٢ - قبسات من الرسول ص١٣٨/ المقالة "ادرؤوا الحدود بالشبهات".

٣ - قبسات من الرسول ص١٢٩/ مقالة "فقليله حرام".

٤ - رؤيه إسلامية لأحوال العالم المعاصر ص١٦.

٥ - المصدر نفسه ص٣١.

٦ - المصدر السابق ص١٣٠.

التورية:

تعريف التورية: هي أن يطلق لفظ له معنيان: قريب، وبعيد، ويراد به البعيد منهما. فالتورية عبارة عن دالّ واحد له مدلولان: الأول مدلول قريب لا يلائم المقام لذلك فهو غير مراد. والثاني بعيد يلائم المقام مقبول ومعتمد.١

كما نرى في قوله: «خير لك أن تتوجه إلى حيث ترقبك العين. فتأمن المفاجأة!»٢ هنا "العين" لها معنيان: أحدهما المعنى القريب وهو العين الإنسان والثاني معنى البعيد، العين النافذة، تورية عن بَصِيرَة بالأَشْيَاءِ.

المذهب الكلامي:

تعريف المذهب الكلامي: هو أن يورد المتكلم على صحَّة دعواه حُجَّة قاطعة مسلمة عند المخاطب، هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية.٣

ومن المحسنات التي لا نرى في مقالاته إلاّ بقدر أصابع اليد (المذهب الكلامي) على سبيل المثال، نرى في قوله: «وأن الرباط الذي يشد بعضه إلى بعض هو الجاذبة.»٤ وأيضاً في قوله: «والحب...هو الرباط البشري والقلوب هي طاقاتها.»٥ نرى في هذين المثالين أن الأستاذ محمد قطب ذكر حجة ملموسة على صحة دعواه لإقناع المخاطب.

---

١ - علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" ص٧٦.

٢ - قبسات من الرسول ص٨٣، مقالة "تعبد الله كأنك تراه".

٣ - جواهر البلاغة "في المعاني والبيان والبديع" ص٣٠٥.

٤ - قبسات من الرسول ص١١٥.

٥ - المصدر السابق ص١١٦.

وخلاصة القول، هو ارتفاع القيمة البلاغية في مقالات الأستاذ محمد قطب، لاقباله إلى المعنى والفكرة، وهدفه النبيل وراء ذلك الهدف المنشود، خدمة لمجتمعه ووطنه و كل المسلمين.

في حين تفيض القيمة الفنية عند محمد قطب؛ نتيجة توجهه الموضوعي إلى نوعية المخاطب والمتلقي الافتراضي / العادي الذي توجه إليه.

كما نقرأ في عرض المقال بعنوان "صناعة البشرية": ونترك كل صناعة البشرية. سواء في عالم المادة أو عالم النفوس. أما أن نتشبت بالحضارة والمدنية، ونتنفج في لباسنا وطعامنا ومسكننا وحديثنا وتفكيرنا وتفلسفنا.. ونسير على ذلك في كل أمورنا، ثم نقف فجأة بلا مقدمات ولا منطق، ونلقى عن أنفسنا كل ذلك، ونقف عرايا لا يستر نفوسنا شيء، نقتحم عالم الجنس.١ وأيضا في المقال"كيف ندعو الناس- الغرب اليوم" يقول:

وخلاصة القول: إن الغرب اليوم يملك كل وسائل القوة المادية، ولكنه لا يملك القدرة على الاستمرار، لأنه خاو من العوامل التي يكتب الله لأصحابها الاستمرار، وهي الإيمان بالله واليوم الآخر، وعمل الصالحات. ولا شك أن لديهم أعمالا صالحة، كالخدمات الطبية، وتيسير سبل الحياة بما يوفر جزءا من المشقة التي يكابدها الإنسان في الأرض، ولم تخل جاهلية من جاهليات التاريخ من أعمال صالحة يقوم بها بعض أفرادها، ولكن ذلك لا يمنع عنها صفة الجاهلية من جهة، لأن هذه لا تزول عن الإنسان إلا إذا آمن بالله واليوم الآخر واتبع ما أنزل الله. ومن جهة أخرى فإن تلك النقط البيضاء المتناثرة في الثوب الأسود

١ – في النفس والمجتمع ص١٨٤ مقالة "صناعة البشرية".

الممتلئ بالشر، لا تغني عن أصحابها شيئا، ولا تمنع عنهم الدمار الذي تقرره السنن الربانية لهم مهما طال الإملاء لهم١.

لو ننظر نظرة متمعنة في الفقرات المذكورة نرى أن الأستاذ محمد قطب استخدم الألفاظ البسيطة في مستوي فهم المتلقي العادي،وأيضا استخدام التعابير المعروفة ليس فيها بلاغة العبارة والابتعاد عن الألفاظ التي يصعب فهمها على القارئ. فهي لم تنخفض مكانته عند القراء بل يكون على قيمته الأصلية.

ومما تقدم من العرض في هذا الفصل أُجمل الكلام عن أهمية دراسة السمات الفنية في مقالات الأستاذ محمد قطب، يحتوي على المباحث الثلاثة: بناء المقالي عند الأستاذ محمد قطب، والأفكار والمعاني من خلال مقالاته، والظواهر الأسلوبية والبلاغية في مقالاته.

فإنني قصرت الكلام فيه وكتبت النواحي الفنية في رؤيته الأدبية من الوقوف عن نتاجه النثري، واقتبست الشواهد من الكلام المفيد والأفكار النيرة وأوجز الدراسة على ضوابط نقد المعنى والقيت الضوء على صفة الكلام من حيث اللغة والتركيب والأسلوب وفي الأخير قدمت الشواهد البلاغية في المعاني والبيان والبديع. وبالله التوفيق.

---

١ – كيف ندعو الناس–الغرب اليوم لمحمد قطب، موقع طريق الإسلام، تاريخ ٣١/ ١٢/ ٢٠١٤م.

الفصل الخامس

محمد قطب الكاتب بين الأصالة والتجديد

المبحث الأول: مفهوم الأصالة والتجديد

المطلب الأول: تعريف الأصالة والتجديد

المطلب الثاني: معالم الأصالة

المبحث الثاني: عناصر الأصالة

المطلب الأول: الثبات المنظم والحقيقي

المطلب الثاني: العروبة الموروثة لا القومية العربية

المطلب الثالث: نشاطاته الأدبية الأصيلة

المطلب الرابع: الروافد الأدبية لدى الأستاذ محمد قطب

المطلب الخامس: بيان الحالة النفسية الأصيلة

المبحث الثالث: مظاهر التجديد:

المطلب الأول: أسلوب الذوق الأدبي

المطلب الثالث: نظرية الفن الإسلامي

المطلب الرابع: نظرية الأسلمة العلوم

المطلب الخامس: إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على المنهج الإسلامي

المطلب السادس: دور الأستاذ في تصوير الواقع المعاصر وحلول قضايا الأمة

الفصل الخامس

محمد قطب الكاتب بين الأصالة والتجديد

المبحث الأول: مفهوم الأصالة والتجديد

المطلب الأول: تعريف الأصالة والتجديد

تعريفها لغةً: الأصالة مشتقة من الأصل، وأهميتها من أهميته، فكما أنه لافرع بدون أصل، كذلك لا وجود لأدب بدون أصالة، ولا قوة لفكرة أو ثقافة بدون أصالة.

الأصالة مأخوذة من الأصل[1]، والأصل يطلق في اللغة على عدّة معاني منها:

أساس الشيء. ٢- أسفل الشيء. ٣- أصالة الشيء ومنها رأي أصيل له أصل، ورجل أصيل الرأي أي ثاقب الرأي عاقل، ومجد أصيل ذو أصل، وهذا الأخير لم تنطق به العرب إنما هو شيء استعمله الأوائل في بعض كلامهم.[2]

قال الفيومي: ثمّ كثر استعمال الأصل حتى قيل أصل كل شيء ما استند وجود ذلك الشيء إليه، والأب أصل للولد، والنهر أصل للجدول والجمع أصول، وأصل النسب بالضم أصالة شرف فهو أصيل مثل كريم وأصلته تأصيلاً جعلت له أصلاً ثابتاً يبنى عليه وقولهم لا أصل له ولا فصل قال الكسائي الأصل الحسب والفصل النسب،[3] ومنه استأصلت الشجرة أي ثبت أصلها واستأصل الله بني فلان إذا لم يدع لهم أصلاً واستأصله

١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، مدينة قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ص١٦. و المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي فيومي ج١، بيروت: المكتبة العلمية (د.ت). ص١٤.

٢- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، ص١٦.

٣- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي فيومي ج١، ص١٤.

قلعه من أصله ومنه حديث الأضحية أنه نهى عن المستأصلة وهي التي أخذ قرنها من أصله.١

والمعنى الثالث هو القريب من المعنى الاصطلاحي المراد في هذا البحث، فالأصيل هو المتمكن في أصله وجذوره ثابت ومنه قوله تعالى: «أصلها ثابت وفرعها في السماء» (إبراهيم: ٢٤).

فالأصالة تعني في اللغة الثبات والإحكام والتجذر والتعمق والشرف، وعكسها ما لا أصل له ولا قرار ومنه قوله تعالى: [وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ] (إبراهيم:٢٦) الأمة بدون أصالة كالفرع المقطوع من الشجرة، الملقى على الأرض، والثقافة بدون أصالة كلمات وأفكار ميتة، كالشجرة التي أجتثت من فوق الأرض، مالها من قرار، والأصالة مصطلح معاصر، لم يستعمله السابقون، يعني هذا المصطلح أن لكل أمة ذات وجود حضاري مؤثر أصالة، هذه الأصالة حصانة وحماية لها.

خلاصة الكلام أن المعنى الأول والثاني ليسا بعيدين عن المعنى الثالث: لأن الأساس يعني أن الشيء ليس مجتث الأصل، بل له أساس ينبني عليه.

تعريف الأصالة اصطلاحًا:

الأصالة مصطلح من المصطلحات المستحدثة، ومن ثمّ فهي بحاجة إلى ضبط، وبيان أبعادها وتوضيح مفهومها من خلال هذا البحث.

فالمقصود بالأصالة؟ هل الأصالة معناها القديم لأن الأصيل في اللغة يعني الجذور الأولى للشيء، ثمّ كيف يكون الكاتب أصيلاً ومتجدداً في نفس الوقت.

١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، ص١٦.

فمن خلال التعريف اللغوي نستشف التعريف الاصطلاحي، فالأصالة في اللغة مأخوذة من الأصل والشيء الأصيل هو الثابت الذي له أساس وإحكام وأصل، فهو الشيء الثابت ذو الجذور المتأصلة المحكمة، ومنه نقول أن أصالة الكاتب هي التمسك بثوابته وأصوله التي بني عليها ويستند إليها في كل حين، فالأصالة هي: «التعبير عن الشخصية الإنسانية الاعتبارية للأمة، والتي تتميز بها في الوجود الإنساني الفعال، والتي تتشكل من مقوماتها الأساسية في الدين والفكر والأدب والقيم الاجتماعية»١

فالأدب كما سنرى في المباحث اللاحقة مستمد من الأديب بطرق مختلفة، والأصالة فهو ذلك التراث الإنساني الفكري الذي استلهم مادته من تلك الأصول الأدبية، لذلك فهو يتميز بأصالة الكاتب أو استلهامه.

ومن هنا يتبين أن أصالة الكاتب تعني ارتكازه على هذه الجذور المتينة الثابتة وتجديده يعني استشراف الواقع والتماس الحلول من خلال تلك الجذور التي كانت السبب في تأصله واستقراره وإلى هذا يشير قوله تعالى: [أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا...من قرار] (إبراهيم: ٢٤-٢٦).

فالأصالة تعني حسن ارتباط الأديب بعقيدته، وتوثيق صلته بالإسلام، وتنفيذ لأحكامه وثباته على قيمه وحقائقه، وحركته ولوكان في ميدان الأدب، لأن الأصل الثابت هو الإسلام لأيّ مسلم سواء كان أديباً أو كاتباً أو فناناً.

أصالة، أصيل، أصل: غالباً ما تستعمل "معاصرة" معارضة لـ "أصالة" حتى باتت طائفة من الكتّاب المصلحين والأدباء المتجددين العرب ضحية لتلك المعارضة، والواقع أن

١- الغارة على التراث الإسلامي لجمال سلطان، بريطانيا: مركز الدراسات الإسلامية، ١٩٩٢م، ص١٨.

من خاصيات "الأصالة" لكي تبقى حية، يعني لكي تكون قابلة للاستثمار. أن تبقى دائما محل تساؤل وتكيف، أي دائمة التفتح على صيرورة التاريخ، فبدأون هذا التفتح المتحرك، تذبل الأصالة وتنعدم، عمليا وتبقى مجرد عبء ثقيل يعرقل المسيرة، إن الأصالة الحيّة مجموعة من الإيحاءات والمحرضات على العمل، وأحيانا مجموعة من الإمكانات، الأصالة اسم مجهول الاسم، لأنه مشترك بين أجيال مضت وأخرى تحيا، وبين ما كان وما قد يكون، ومن خلال الأصالة تكشف الجذور التاريخية للفرد في علاقاته بمحيطه الطبيعي، إنها القاعدة التي عليها يشيد التجديد وتنعكس الهوية الخاصة والعامة في تطورها، فبلا أصالة من الصعب بل من المستحيل على "الأنا" أن ينسجم مع الــ"نحن".

فأصالة، بهذا المعنى، لا تتعارض مع معاصرة، بل تتكامل و إياها، إنها تعطي للتعصير معالم وتجارب وعبرا، فتثريه، وبالتالي تعين في توجيهه وجهة أكثر التصاقا بواقع هذا المجتمع أو ذاك، حسب أوضاعه التاريخية والجغرافية، لذلك لا نجاري طائفة من المفكرين العرب تقدم لنا الغرب بكل ماله من مزايا ومساويء، كنموذج أوحد يجب أن نندمج فيه كي ننجو، ولا نجاة عن غير ذلك الطريق.

تعريف التجديد:

تحديد المصطلح: قبل التطرق إلى تعريف التجديد الاصطلاحي أريد أن أبين منهجي في تعريفه وذلك ببيان الفرق بين التجديد في الحضارة الإسلامية وبين المراد منه في الحضارة الغربية أو التفكير المستغرب، وذلك مثل كلمة الشارع في ميدان التشريع القانوني الذي يقصد به الإنسان الغربي أو غيره أن ما توضع عليه القانون شارع وشرع أما ما استلهم من الأدب فهو العمل الأدبي ومستخرجه يسمي أديباً وليس كاشفاً، وكذلك مصطلح

التجديد، فإن التجديد في الأدب الإسلامي يختلف عن التجديد في الأدب الغربي أو المستغرب؛ ففي حين يعني التجديد في الأدب الإسلامي العودة إلى الأصل ومحاولة إعادة حياة الإنسان المسلم إلى تلك الأصول بتقويم ما انحرف منها وتصحيح ما علق بها من مخالفات كما يعني مواجهة الوقائع والحوادث الجديدة من خلال الرجوع إلى تلك الأصول والاستخلاص واستلهام الحلول منها والانطلاق منها في مواجهة النوازل. يعني التجديد في الفكر الغربي- من خلال ما حدث من صراعات قديمة بين الكنيسة والعلم- تجاوز الماضي وكل قديم بما في ذلك النظريات الأدبية. ويعني في الفكر المستغرب الذي تبنته بعض المذاهب العلمانية النقل عن الفكر الغربي كان جديد دون انتقاء حتى وإن حمل هذا الجديد ما يناقض هذه الأصول.

التجديد لغةً: التجديد مصدرٌ، تقول: جدد الشيء تجديداً. وتجديد الشيء هو جعله جديداً. تجمع الكتب اللغوية على أن أصل كلمة التجديد من فعل جدد، يجدد فهو جديد وهو ما يعني خلاف القديم، والجديد نقيض الخَلِقْ، وتجدد الشيء صار جديداً وكذلك أجده واستجده ولذلك سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً.

فالتجديد إذن مأخوذ من فعل (جدّ) الشيء (يَجِدُّ) بالكسر (جدّةٌ) فهو جديد.١ قال ابن فارس: الجيم والدال أصول ثلاثة: الأول: العظمة، والثاني: الحظ، والثالث: القطع.٢

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي فيومي ج١، بيروت: المكتبة العلمية (د.ت). ص٥٢.

٢- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس ج١، ت: عبد السلام هارون، بيروت: دار الفكر، ١٩٧٩م، ص٤٠٦.

ثمّ قال: والأصل في الجديد القطع يقال جددت الشيء جدّاً وهو مجدود وجديد أي مقطوع وقولهم ثوب جديد كأن ناسجه قطعه الآن ثمّ سمي كل شيء لم تأت عليه الأيام جديداً ولذلك يسمى الليل والنهار جديدين والأجدين لأن كل واحد منهما إذا جاء فهو جديد ولا يبليان أبداً.

وما جاء خطوط متقابلة ومنه قوله تعالى: [جدد بيض وحمر مختلف ألوانها] (فاطر: ٢٧) أى طرايق تخالف لون الجبل.١

أضاف ابن فارس: والعرب تقول ملاءة جديدة بغيرها، لأنها بمعنى مجدودة أي مقطوعة وثوب جديد جدحديثاً أي قطع، وقيل للرجل إذا لبس ثوباً جديداً: أبلِ وأجدّ وأحمد الكاسي، والجديد ما لا عهد لك به، لذلك وصف الموت بالجديد.والجدّة مصدر الجديد وأجد ثوباً واستجده وثياب جدد وتجدد الشيء: صار جديداً وأجدّه وجدده واستجده أي صيره جديداً.٢ والمجدد اسم مفعول من جدد. كما جاء في الحديث النبوي: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إن الله سيبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يُجدد لها دينها.٣، وعن عبد الرحمن بن شريح قد رمز

١- معجم مقاييس اللغة لأحمد بن فارس بن زكريا ابن فارس ج١، ص٤٠٦. ولسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، مدينة قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ص١٠٧-١١٠.

٢- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، ص١١٣.

٣- المستدرك على الصحيحين لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله ابن الربيع نيشابوري، ج٤، ت: مصطفى عبد القادر عطا، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٩٩٠م، ط١، ص٥٢٢. وعون المعبود "شرح سنن أبو داود" لشمس الحق بن أمير عظيم آبادي، ج١١، مع حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ص٥١٢.

سيوطي لصحته في جامع الصغير وصححه الألباني في صحيح الجامع الصغير، حديث صحيح أخرجه أبو داود في كتاب الملاحم برقم ٣٧٤٠والحاكم في المستدرك، والبيهقي في معرفة السُّنن والآثار، ص ٥٢، والخطيب في تاريخ بغداد ٢/ ٦١، وصحَّحه الألباني في سلسلته برقم ١.٥٩٩

تعريف التجديد اصطلاحاً:

تعريف التجديد: الاحتفاظ بالقديم، وترميم ما بلى منه، وإدخال التحسين عليه، "لأن التجديد إنما يكون لشيء قديم".٢

التجديد هو: إعادة الفكرة التي تراكمت عليها أشياء غريبة، فطمست جوهرها، إلى ما كانت عليه من الصفاء والنقاء.٣

أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ التَّجْدِيدِ إِحْيَاءُ مَا اندرس من العمل بالكتاب والسنة والعمل بمقتضاها على رأس كل مائة سنة أولها من الهجرة النبوية، وهي ما يؤرخ بها في مدة المائة، وأن يكون المبعوث على رأس المائة رجلاً معروفاً مشهوراً مشاراً إليه، وأن تنقضي المائة وهو مشهور يشار إليه ... ولا يكون المجدد إلا عالماً بالعلوم الدينية ظاهراً وباطناً، ناصراً للسنة، قامعاً للبدعة"٤

١- سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها لمحمد ناصر الدين الألباني ج٢، ط١، الرياض: مكتبة المعارف، ١٩٩٥م، ص١٥٠.

٢- الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد ليوسف القرضاوي، قطر: دار الصحوة، ١٤٠٦هـ ط١، ص٢٧.

٣- الوجيز في الثقافة الإسلامية لهمام سعيد وآخرين ، ط١، عمان: دار الفكر (٢٠٠٢م). ص١٤١.

٤- عون المعبود "شرح سنن أبو داود" لشمس الحق بن أمير عظيم آبادي، ج١١، مع حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية، ١٤١٥هـ، ص٢٦٣. وتحفة المجتهدين

تجديد الأدب يعنى إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من مظاهره ومعالمه ونشره بين الأدباء ويكون التجديد بإحياء الفرائض المعطلة، وإزالة ماعلق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتفهم بالبساطة التي فهمها سلف هذه الأمة، وإحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية.١

إنّ التجديد سنة من السنن الكونية التي ترافق بني الإنسان في سيرهم الطويل، والتطور والتجديد يكونان في كل شيء: في العمران، وفي المواصلات، وفي المعيشة، وفي الأدب وفي وسائل الثقافة والترفيه إلى آخر ما هنالك...

إنَّ التجديد في الزمان المتأخر يكون في جماعة من الناس، بحيث يختص كل شخص بخصال من الخير قد اندرست وأميتت فيحييها، وهذا يؤيده ما في الصحيحين عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «لَنْ يَزَالَ قَوْمٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِينَ عَلَى النَّاسِ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ ظَاهِرُونَ »٢ يقول الحافظ ابن حجر: «أن الحديث يُشير إلى أنَّ المجدد يكون تجديده عامًا في جميع أهل ذلك العصر».

في أسماء المجددين لجلال الدين سيوطي، مخطوط بدار الكتب في صفحتين، في مجلد مستقل برقم ٢٦٠،ح، (د.ت). ص٢.

١- مقالة "المدرسة الإصلاحية ... والتجديد "لمدير تحرير المجلة، مجلة البيان، السنة: الثانية، (١٩٨٨م). ج١٠ ص٩.

٢- صحيح المسلم بشرح النووي لأبي الحسن مسلم بن الحجاج النيسابوري، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي: بيروت (د.ت) ج٣/ ص١٥٢٣.

يستنبط من هذا الكلام أنَّ الصفات التي يحتاج إلى تجديدها لا ينحصر في نوع من أنواع الخير، ولا يلزم أن جميع خصال الخير تكون في شخص واحد كما سبق من الكلام.

التجديد في الفقه: هو تنميته من داخله وبأساليبه هو مع الاحتفاظ بخصائصه الأصيلة وبطابعه المميز.١ وإعطاء إجابات إسلامية على مشاكل العصر وما يستجد من قضايا ومعضلات.٢

ويجمع الدارسين (قديماً وحديثاً) على أن بشار بن برد رائد في هذا المذهب، وأنه كان يحافظ على توازن دقيق بين العناصر الجديدة والعناصر التقليدية. ويقول سيد قطب حول التجديد: "لهذه الأمة".. نعم.. قوله: "لهذه الأمة".. فالتجديد الإسلامي يهدف بالأساس مصلحة هذه الأمة جمعاء، وكل مصالحها السياسية والاقتصادية والفكرية والتربوية ... الخ، كما أن المجدد ليس بالذي يعيش لنفسه، أو يعيش معزولاً عن الأمة، حبيس الكتب والمكتبات.. إنه بذلك يعيش من أجل نفسه بل من أجل شهواته، يعيش من أجل أن يشبع بطنه بحبر قلمه! ولكن المجدد الحقيقي هو الذي يعيش بكل كيانه لهذه الأمة، ولأبناء هذه الأمة مهما كان مكانهم ومهما كان حالهم ومهما كانت أرضهم!...«إننا نعيش لأنفسنا حياة مضاعفة، حينما نعيش للآخرين»٣

والحصيلة النهائية في مدلوله اللغوي والاصطلاحي يمكن استفادتها من خلال الجمع بينهما في استجلاء خصائصه (التجديد) المقصودة منه في هذه الدراسة وهي تصيير شيء ما

١- الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد ليوسف القرضاوي، قطر: دار الصحوة، ١٤٠٦هـ ط١، ص٢٦.

٢- ردود على أطروحات علمانية لمنير شفيق، الرياض: دار النشر الدولي، ١٤١٣هـ، ط ١، ص٥٠-٥١.

٣- مقالة "أضواء من بعيد "لمحمد قطب، مجلة الفكر التونسية، السنة: ٤، (مارس ١٩٥٩م) ع ٦ ص١.

كان سابق الوجود في القدم جديداً وهو مانريده من التجديد وهو التطور والنماء والإحياء ومن هنا تتميز العلاقة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للكلمة وهي علاقة وثيقة لأن اللغة وهبت الأدب معان جديد لم تعرفه من قبل إضافة إلى أن الكلمات التي لم تثبت لها معان معينة في هذا العصر يجب عملها على مقتضى اللغة العربية.لذلك نرى روح التجديد للمحافظة في كتابات محمد قطب في الشكل والمضمون، فكان شعره تجديدًا محافظًا في المعاني والأفكار، وفي الأغراض والأهداف، وفي المنهج والأسلوب، وفي الخيال والصور الأدبية وفي الموسيقى والإيقاع، بما يتلاءم مع ظروف العصر، وحاجات المجتمع الجديد المتطور.

إنه لاحق التطورات التي شهدها في محاولة للتجديد ومواكبة الموضة الدارجة، إلا أنه لم يتنازل عن الحفاظ على ماهيته الأصيلة، إن الإسلام منذ بدأ إلى يوم الناس هذا، دعوة إلى الحياة والابتكار، وإلى الفكر والنشاط الموصول، فقد انقلبت صورته في أذهان هؤلاء وأصبح وحده، دون سائر الملل والمذاهب سبب التوقف وأصبح دعاته حصن الرجعية، وآفة المجتمع، وغير ذلك من النعوت التي يخترعها سماسرة الغزو الثقافي، بيد أن الذين يبغون إبعاد الإسلام عن ميدان الكفاح، بل إبعاده عن أسباب الحياة، أو إبعاد أسباب الحياة عنه يمضون في طريقهم مكابرين معاندين.

كيف تستطيع شعوبنا التوفيق بين الأصالة وهي التاريخ، وبين التحرير وهو المستقبل قلنا، نحن المؤمنين من أبناء هذا الوادي، أن هذه عبارة تدعو إلى التفاؤل، وتوحي بأن نبني على قواعدنا، وأن تتدفع مع تيارنا، وأن نتجاوب مع طبائعنا العربية المسلمة.

المطلب الثاني: معالم الأصالة

الأصالة في حياة أمة هي صورتها الروحية، وصبغتها الفكرية والخلقية، وملكاتها في توجيه الحياة وفق عقيدتها وشريعتها.وقيل: "ليست الأصالة هي العودة إلى الماضي: لقد ولى إلى الأبد بمحاسنة وعيوبه كل ما سبق الثورة الصناعية المعاصرة التي اجتاحت وما تزال تجتاح كل أنحاء العالم وكل صفات الحياة الإنسانية، فردية كانت أم جماعية... والأصالة اليوم أن نكشف ذواتنا وأن نهيئها للانسجام مع عالم هذه الثورة الصناعية المكتسحة، وما هو أبعد منها".كما نقرأ في قوله: «ينبغي أن يزال تعلق البشرية بتلك القيم بكل وسيلة ممكنة، ومن بين الوسائل المؤدية إلى ذلك أن يقال إنها ليست قيما قائمة بذاتها، إنما هي مجرد انعكاس لقيم أخرى أو أوضاع أخرى هي وحدها صاحبة الأصالة وهي وحدها الجديرة بالاهتمام»١

إن الأصالة ترجع ابتداء إلى أسلوب الحياة الذي نريده لأنفسنا، وهذا الأسلوب لا ينفك عن أركان ديننا وأصول حضارتنا وتاريخنا..وعلى الشاعرية وعلى النبضة القصيرة والطويلة والعريضة تروي الأيام أحلى وأطعم قصة عشق الخ.هذا هو أسلوب الحياة المتجددة التي ننسلخ بها عن الماضي، ونواجه به عدوان الاستعمار والصهيونية على بلادنا، هذا هو الأسلوب الذي يستأجر له مستشرقون يفسرون الأصالة بأنها جملة من العناصر المادية وعلى هذا النحو تعمل السمسرة الأدبية في إضاعة الماضي والحاضر والمستقبل جميعاً.

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م، ط١، ص٣٢٨.

المبحث الثاني: عناصر الأصالة

من المعلوم أن لكل أمة مقومات خاصةبها، قائمة على دينها وفكرها، وآدابها وقيمها وهذه المقومات جعلت لها شخصية اعتبارية، تميزت بها عن باقي الأمم، وحققت بها وجودها الحضاري، وبذلك صارت لها أصالتها التي تَعتزُّ بِها، وبعبارة أخرى أنها هي كل حدث أو أثر أو إنتاج إنساني داخل الماضي وأصبحت جزءًا منها، فكيف نحافظ عليها؟ وكيف نربط بين الأصالة والتجديد؟ وما العناصر التي نحافظ عليها أصلاً؟

من عناصر الأصالة: اللغة التي نتحدث بها، وكل القيم الروحية والمادية ونمط العيش والحياة، وهي أشكال الألبسة والأواني والهندسة. وهي التقاليد والعادات التي وصلت إلينا من التراث عن طريق الكتّاب والأدباء والأشياء الأخرى التي أصبحت جزءًا لا يتجزأ من تاريخنا.

التراث شيء حي وهذا التراث ليس بشيء جامد، بل إنه ككل شيء حي يتحرك ويتبدل باستمرار، جزء منه يتلاشى ويضمحل، وجزء ثانٍ تدخل عليه تغييرات مع مرور الأحقاب وتطور حياة الناس، وجزء ثالث يولد وينمو حسب حاجات الناس ورغباتهم وما يكتشفون من أشياء مجردة أو ملموسة.

من البديهي أن نقول إن لكل أمة تراثها، لها جوانب تراثية تتجلى في اللغة والشعر والآداب والفنون وبعض العادات وفي العقيدة وفي نوعية التفكير.

كما يُصرح الأستاذ بحمايته لأصالة اللغة والآداب والقصة والشعر: فهذه اللغة العربية (يقصد الفصحى) التي يتكلم بها جزء كبير من أمتنا الإسلامية يجب الاعتناء بها وتدريسها على الصعيد الجامعي، كما يجب جمع كل الكنوز الثقافية التي تحتوي عليها في باب الآداب

والقصة والشعر والفلكلور لحمايتها من الضيا.١ ومن الحق أن نحب القديم الجميل ونحفظه ونتعلم منه ونعجب بما فيه من مظاهر عاطفية حيّة وشعور قوي، ولكن لاننشئه.

لقد كان من مظاهر الأدب العربي في القرن العشرين أن اتجه الأدباء إلى الترجمة والنقل عن اللغات الأجنبية، حتى عدم التمكن من إحدى اللغات نقصاً لا يغتفر في الأديب، ورأى الكثيرون أن اللغة العربية وحدها لا تكفي في تكوين الأديب العربي، وكان من جراء ذلك أن ذهب الأدباء مذاهب عدة، حتى لقد أدركنا أدباء يكتبون بالعربية في حين أن أحدهم لا يطالع كتاباً عربياً مهما تكن قيمته العلمية، ومن ثم لم يكن (أدب ما بعد الحرب) أدباً إنشائياً ذا نزعة استقلالية، وإنما كان عالة على ماسواه من الآداب الغربية، حتى لقد صدق كاتب محدث بوصفه الأدب عندنا بأنه (مستعمرة!) فالنقل عندنا هو كل شيء؛ فإذا شئنا التحرر من ربقة النقل الصريح فزعنا إلى (الاقتباس) والمحاكاة والتجميل والتزيين والتحسين في مظاهر الأدب، هذه الأعمال من عناصر الأدب الرفيع لا محالة.

في أدب كل لغة عناصر ثابتة لا يعتريها تغير ولا ينالها تجديد، هي قدر مشترك من الأسلوب والتراكيب وتأليف الجمل؛ به تمتاز اللغة من سائر لغات العالم. وينفرد أدب الأمة عن آداب العالم، وقدر مشترك من الفن، نتبين به الجيد من الأدب في كل عصر وكل جيل، هو فوق البيئة وفوق العوامل السياسية والاجتماعية، وفوق ما يطرأ عليها من كل تغيير.٢

إن التراث، سواء فيما يتعلق بمفهومه الشامل أو بمضمونه أو بوجوهه المختلفة هو دائما موضوع صراع مستمر بين تيارات واتجاهات مختلفة. فهناك أناس يريدون تراثاً جامداً

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م، ط٢، ٢٩٦-٣٠٤.

٢- مقالة "التجديد في الأدب" لأحمد أمين، القاهرة: مجلة الرسالة ج١ (أبريل ١٩٣٣م) ع٦/ ص١٠.

وساكناً، متشبثاً بماضٍ ولو كان حافلاً بالأمجاد، قد تجاوزه التاريخ وقائماً على أصالة سطحية تدير ظهرها للواقع، متزمتا وغير متفتح على حضارات وثقافات الغير.

وهناك من يرون عكس ذلك، أي تحطيم كل ما يتعلق بالماضي، حتى في إبداعه وإيجابياته، وباسم العصرية والتجديد يحكم هؤلاء... بالعدمية على تراثنا وكنوزه الخالدة، ويلجؤون إلى التقليد الأعمى للأجنبي ثقافة ونمطا للعيش.

وهناك أشخاص يسعون إلى الارتكاز على الأصالة الحقيقية التي تأخذ اللب وترمي بالقشور وعلى قيم تراثنا المادية والمعنوية السليمة لجعله يساير روح العصر، والركب الحضاري، وأن ينفتح على ما هو إيجابي ونافع في الثقافات الأخرى.

والأستاذ محمد قطب من هؤلاء الذين يدعون إلى حفظ الأصالة وحمايتها من الضياع والذوبان، كما يقول: «قد كان المطلوب في مجال الفكر والأدب، بت الصلة بين الأجيال الحديثة وبين تراثها الفكري والأدبي المستمد من الإسلام. نحرص على حفظها وحفظ أصالتها، نحن كمتقدمين نعمل على أن ينتصر هذا التيار، أي أننا نريد تراثنا عربياً وإسلامياً أصيلاً وبالتالي يؤدي دوره كاملاً»[1]. إن محاولة إرجاع عجلات التاريخ إلى الوراء باسم أصالة تجاوزتها الأحداث، ليس من شأنه أن يحل المشاكل المطروحة أمامنا اليوم.

ولكن المجددين من أدبائنا قد أقدموا على تجديد التراث انطلاقا من الأصالة العربية الإسلامية، واجتهدوا وتركوا لنا الأبواب مفتوحة للاجتهاد، وظلت سلسلة التجديد والاجتهاد مسترسلة إلى أن جاء جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وسيد قطب في المشرق

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م، ط٢، ٢٩٥-٣٤١.

العربي، إن هؤلاء المجددين لعبوا دورا كبيرا في محاربة الخرافات والأضاليل والشعوذة الدينية والبدع المختلفة التي كانت عالقة بالدين الإسلامي وبالتراث.

ولكن التجديد في الأدب إنما يكون في جزئين: فأولها إبداع العناصر الحيّ في آثاره بما يخلق من الصور الجديدة في اللغة والبيان، وأما الأخرى فإبداع الحيّ في آثار الميت بما يتناولها من مذاهب النقد المستحدثة، وأساليب الفن الجديدة، وفي الإبداع الأول إيجاد ما لم يوجد، وفي الثاني إتمام ما لم يتم، فلا جرم كانت فيهما معاً التجديد بكل معانيها، ولا تجديد إلا من ثمة، فلا جديد إلا مع القديم.١

محمد قطب يتحدث عن مظاهر التجديد، بقوله: حين أعددت قراءة كتاب ﴿كيف نكتب التاريخ الإسلامي﴾ بعد كل هذه السنوات وجدت أن معظم الأفكار الرئيسة في الكتاب لم تتغير موقفي منها، ولكن طريقة التناول قد تغيرت في بعض المواضع ﴿أي جدد أسلوب الكتابة﴾ فاقتضت إضافات جديدة.٢

إن هذه الأصالة المتجددة في كتابات محمد قطب انطلاقا من اجتهاده الفردي عبر السنين، وتأثره عن هذه التيارات الأدبية في ميدان الكتابة، بين الإيجابية والسلبية، وبين القديم والجديد، تؤدي بنا إلى القول بأن هناك عوامل أخرى تدخل هذه المرة في أسلوب الكتابة العصرية.

١- مقالة "في القديم والجديد كلمة وكليمة للرافعي فقيد اللغة والأدب" لمحمد فهمي عبد اللطيف، مجلة الرسالة، (جولاي ١٩٣٧م) ع٢١٠ص٢٨.

٢- كيف نكتب التاريخ الإسلامي لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢م، ط١، ص٧.

إني أعتقد أن أصالة الأدب شيء، وتصويره لمثل هذه الحالات وغيرها شيء آخر، ولا صلة لهذا بذلك. بأن كل فرع من فروع الأدب من قصة وشعر ونثر فني له قوانين تبين رقيه ومعاصرته، على الرغم أن تشكيل عناصر الأدب من خيال وعاطفة ونحوهما له مقاييس تقاس بها درجة قوة الأسلوب وضعفه؛ وكل ما في الأمر أن بعض هذه الأساليب تبينت، وبعضها غامض في دور الاستكشاف.

المطلب الأول: الثبات المنظم والحقيقي

معنى الثبات في اللغة: «ثبت الشيء يثبت ثبوتا: دام واستقر فهو ثابت... وثبت الأمر صح ويتعدى بالهمزة والتضعيف فيُقال: أثبته وثبته والاسم الثبات وأثبت الكاتب الاسم كتبه عنده، وأثبت فلانا لازمه فلايكاد يفارقه، ورجل ثبت: ساكن البال متثبت في أموره، وثبت الجنان أي ثابت القلب، وثبت في الحرب فهو ثبيت مثال قرب فهو قريب، والاسم ثبت بفتحتين، ومنه قيل للحجة ثبت ورجل ثبت، بفتحتين أيضا إذا كان عدلا ضابطا، والجمع أثبات مثل سبب وأسباب»[1]

وقد ثبت ثباتة وثبوتة وتثبت في الأمر والرأي واستثبت تأنى فيه ولم يعجل واستثبت في أمره إذا شاور وفحص عنه وقوله عزّ وجل: [وَمَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ] (البقرة: ٢٦٥) أي ينفقونها من مقرين بأنها مما يثيب الله عليها. وفي قوله تعالى: [وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ] (هود : ١٢٠).

١- المصباح المنير في غريب الشرح الكبير لأحمد بن محمد بن علي فيومي ج١، بيروت: المكتبة العلمية (د.ت). ص٨٠.

معنى تثبيت الفؤاد: تسكين القلب ههنا ليس للشك، ولكن كلما كان البرهان والدلالة أكثر على القلب كان القلب أسكن وأثبت أبدا، كما قال إبراهيم عليه السلام [وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي] (البقرة: ٢٦٠)، ورجل ثبت أي ثابت..ورجل ثبت المقام لا يبرح والثبت والتثبيت الفارس الشجاع والثبيت الثابت العقل.١

معنى الثبات في الاصطلاح: أنقل قول المناوي: «الثبات التمكن في الموضع الذي شأنه الاستزلال»٢ وقال المباركفوري: «أثبت أمر من الثبات وهو الاستقرار»٣ إذا الثبات يدور حول التمكن والاستقرار والدوام الذي هو ضد الحركة والارتجاج.

إن أماكن وجهات التثبيت والثبات متعددة في المسلم منها: وفيه خمسة مطالب (الجهات التي يقع فيها الثبات):١-الثبات في العقل.٢- الثبات في النفس. ٣- الثبات في القلب. ٤- الثبات في اللسان. ٥- الثبات في الأقدام.

لا تقوم حياة الإنسان إلا على ثبوت قدميه سواء في أموره العامة أو الدينية، والتي يعد ثبات الأقدام فيها أمرا مهما، مثل: مواطن الحرب، وكذلك البعد عن المعاصي؛ لأن الانزلاق إليها هو الهلاك بعينه.

قال تعالى:[يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ] (محمد: ٧)، وقوله تعالى: [وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ] (الأنفال:١١).

١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج٢، مدينة قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ص١٩.

٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير لعبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي الحدادي، ج٢، ط١، القاهرة: المكتبة التجارية الكبرى،١٣٥٦هـ، ص١٣٠.

٣- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي لعبد الرحمن بن عبد الرحيم مباركفوري، ج١٠، بيروت: دار الكتب العلمية (د.ت). ص١٢٩.

والثبوت في هذه الآيات له ثلاثة معان هي:

أ - ثبوت الأرجل. وهو ثبوت حقيقي للأرجل. ب - ثبوت القلب.ج - ثبوت في الكلام.

أنواع مواطن الثبات في الدنيا

الدنيا دار بلاء وابتلاء، وامتحان، واختبار، فهي المحك الذي يتبين فيه حزب الله من حزب الشيطان، فهناك الأوامر من الله والنواهي كذلك؛ لكن هناك العوارض المعارضة لها، الداخلية من النفس الأمارة بالسوء، والخارجية من الشيطان والناس، منهم الوالدان ورفقاء السوء تزئينهم للإنسان سبل وطرق الشر، فالدنيا مزالقها كثيرة، فمن الناس من يثبت ومنهم من تهوي به هذه المزالق إلى قعر جهنم، لكن أرحم الراحمين البر اللطيف يثبت أولياءه في المواطن التي فيها مزلة. يقول محمد قطب: «ينبغي أن تكون الأمور في مبدأ الأمر! حتى يكتب لهذه الخطوة الثبات في الأرض والتمكين، ويمكن مدها فيما بعد إلى آفاق جديدة»[1] وكما يقول: إن حركة البعث الإسلامي المعاصرة هي أقرب الحركات أن تتمثل فيها خصائص ذلك الجيل المتفرد، إن لم تكن بنفس الوفرة وبنفس الدرجة من الرفعة، فعلى درجات قريبة منها على أي حال. وإنها لتقدم بالفعل نماذج ترتفع إلى ذلك المستوى، وتذكّر الناس به من جديد، سواء فقي التجرد لله، أو صدق الجهاد في سبيل الله، أو التقدم للشهادة بنفس راضية مستعلية على كل متاع الأرض، متطلعة إلى ما عند الله، أو الثبات على العذاب الذي لا تطيقه الأبدان ولا النفوس.[2]

١- راجع واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م، ط٢، ص ٢١٦.

٢- نفس المصدر ص٢٢.

فمواطن الثبات في الدنيا هي:

الثبات على الدين، الثبات على الطاعة،الثبات على الحق. ٢- الثبات في المعركة أمر مطلوب، الثبات عند القتال قال تعالى: [يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا] (الأنفال: ٤٥) ٣- الثبات في الكلام والقول. ٤-الثبات في الأمر والرأي. ٥- الثبات على كلمة التوحيد. ٦- الثابت في الحجة. ٧- الثبات عند الفتن.

في زماننا كثرت الفتن وازدادت، وفي الفتن تختلط الأمور مما يجعل الحليم حيران فعلى المسلم الثبات فيها على الحق، وأن يسأل الله تعالى ذلك؛ وهذا السبب هو الذي دعاني لاختيار هذا الموضوع، وقد خرجت بعدد من النتائج هي:

- أن الثبات هو: الاستقرار والسكون.
- أن الثبات والصبر بمعنى واحد.
- أن الثبات يكون في الإنسان:
- بالعقل، النفس، القلب، باللسان، بالأقدام.
- وأن الثبات يكون في الدنيا، ويكون في الآخرة في القبر ويوم تقوم الساعة.
- وأن الثبات له أنواع ومواطن منها: الثبات على الدين، الثبات على الطاعة، الثبات على الحق، الثبات في الكلام والقول، الثبات على كلمة التوحيد، الثبات في الحجة، الثبات عند الفتن، الثبات عند المصائب.
- وأن للثبات وسائل منها: الملائكة، والقصص، وإنزال القرآن منجما، وكذلك كلمة التوحيد.

ويقول الأستاذ محمد قطب: ربما كان الإِسلام هو الدين الوحيد الذي قصد في ثبات وإلحاح إلى بناء مجتمع وفق هذا المبدأ، وقد كانت أداته الرئيسية لتحقيق هذا الغرض هي الشريعة.١

وأضاف: كان إلى جانب هذا كله الصلة التي لا تنقطع بالله، والإِدراك الذي لا يضل عن سنن الله، والثقة التي لا تتزعزع بثبات هذه السنن، وتحقق أواخرها متى تحققت أوائلها.٢

المطلب الثاني: العروبة الموروثة لا القومية العربية

تركيز الأستاذ محمد قطب على العروبة واللغة العربية وتحذيره من القومية العربية، وهذا الاهتمام يظهر في كتاباته ومحاضراته كثيراًكما نقرأ في قوله: «أما القومية العربية فقد كان لها دور أخبث وأشد .. لقد كنا حتى اللحظة نتكلم عن الصليبي المستعمر.. ولكن دخل معه-على نفس خطه – عدو آخر، هو اليهودي المستعمر، لغرض آخر خاص به، ولكنه يلتقي معه في النهاية في بغض الإسلام، والرغبة في القضاء على الكيان الإسلامي في عام ١٨٩٧م عقد هرتزل –أبو الصهيونية كما يسمونه – مؤتمره الشهير في مدينة"بال" بسويسرا، ذلك المؤتمر الذي قرر فيه زعماء اليهود ضرورة إنشاء الدولة الصهيونية خلال خمسين عامًا في فلسطين، وذهب هرتزل إلى السلطان المسلم عبد الحميد يعرض عليه كل المغريات التي يطمع فيها حاكم أرضي. ذهب يعرض عليه إنعاش الاقتصاد العثماني وكان متدهورًا بسبب ما تنفقه الدولة لإخماد المناوشات المستمرة التي يقوم بها الأعداء لإحراج

١- هذا هو الإسلام لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٢م، ط١، ص١٢.

٢- نفس المصدر ص٤٤.

الدولة العثمانية أو "الرجل المريض" كما أطلقوا عليها في أواخر أيامها، ويعرض عليه قروضا طويلة الأجل ويعرض عليه التوسط لدى روسيا وبريطانيا بالكف عن إثارة الأقليات، فقد كانت روسيا تتعهد بإثارة الأقليات الأرثوذكسية وخاصة الأرمن وكانت بريطانيا تتكفل بإثارة بقية الأقليات! وكان ذلك من أشد ما يزعج الدولة ويعرض ميزانيتها للخراب... وفي مقابل هذا العرض السخي كله طلب هرتزل منح اليهود وطنًا قوميًا لهم في فلسطين»١

يقول الأستاذ محمد قطب: كان من تخطيط اليهود انقسام الأمة الإسلامية إلى العربية والعجمية، ثم تقسيم المنطقة العربية إلى تلك الدويلات الهزيلة الهشة، الخاضعة للاستعمار باسم "القومية العربية"، هذا التخطيط حدث بالفعل...وبعد هو إطلاق قضية "تحرير المرأة" وقضية "حرية الفكر" الأولى لشغل الأولاد والبنات بعضهم ببعض، وشغل الأمة كلها عن روح الجد والجهاد اللازم لمواجهة المؤامرة الكبرى التي تدبر للاستيلاء على فلسطين، والثانية إبعاد الناس عن مصدر قوتهم الحقيقي الذي يمدهم بالعزيمة والقوة لجهاد الأعداء -وهو الإسلام والقرآن- بإزالة قداسته في النفوس، وتوهين جذوره، وتشكيك الناس في حجيته وضرورة الاستمداد منه.[٢]

أن العرب من أعرق الأمم في التاريخ، وأنهم من أكثرها محافظة على الأصالة البشرية يشيع ذلك في أمثالهم، وأخلاقهم، وآدابهم، ولأن الله كرمهم باختيار آخر أنبيائه وخاتم رسله منهم، وأن أعداء العرب عملوا طيلة وجودهم بمصر على تحقير العروبة وتقليل

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، ط٢، الجدة: مؤسسة المدينة ،١٩٨٧م، ص٥٨٠.

٢- قضية التنوير في العالم الإسلامي لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٩م، ط٠، ٦٤.

شأنها في أعين المصريين لسلخهم منها وإبعادهم عنها، يقول الأستاذ محمد قطب: فقد كان في البيئة العربية "فضائل" و"قيم" ذاتية، و"معلومات" و"حضارة" مكتسبة من الاتصال بالرومان والفرس... مما كشفت عنه "الدراسات" الحديثة التي قام بها المستشرقون! وهم من باب أولى لايتصورون أن تكون الجاهلية قائمة في هذا القرن العشرين، مادام مقياسهم هو هذا المقياس![1] وأضاف بقوله:"يستظل المسلمون فيها براية لا إله إلا الله، لا بالعروبة ولا بالقومية، ولا بالتراب الوطني، وينتصر المسلمون فيها نصراً حاسماً بتقدير الله، ويكون هذا من أحداث التاريخ التي تغير التاريخ"[2] وأيضا رد نادى القومية العربية بقوله: «يقول التاريخ إن أول من نادى بالقومية العربية هم نصارى لبنان وسوريا وانضم إليهم "المسلمون" الذين تربوا في مدارس التبشير...ثم انضم إليهم المستغفلون من المسلمين الذين لم يجدوا تعارضا بين الإسلام والعروبة على أساس أن العروبة هي عصب الإسلام، وأن العرب هم الذين حملوا الإسلام إلى كل البشرية!

والنصارى في لبنان وسوريا كانوا جزءًا من أدوات أروبا لإزعاج "الرجل المريض" وإرباكه، بغية تسهيل القضاء عليه وتوزيع تركته بين المتربصين الذين ينتظرون الساعة "العظمى" التي يقضون فيها على بقايا الإسلام، وما كان نصارى لبنان وسوريا في تلك الفترة يجرؤون أن يخرجوا على الحكم الإسلامي علانية وبالاسم الصريح للخروج، فقد كانوا أقلية محوطة بأكثرية مسلمة، تدين بالولاء القلبي والسياسي لدولة الخلافة، ولا تتصور لنفسها حكومة غير الحكومة الإسلامية. فلم يكن في وسع أولئك النصارى أن

١- دروس في الصغر لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، (د. ت)، ط١ ص٢.

٢- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، ص٥٤٣.

يقولوا: لا نريد حكم الإسلام علينا ولا نريد حكم الخلافة الإسلامية! ولذلك كان نشاطهم سريا من جهة، وباسم غير اسم الخروج على الحكم الإسلامي من جهة أخرى .. كان نشاطهم يقوم باسم العروبة والقومية العربية، وهو شعار يمكن أن يلتبس فيه الأمر على المسلمين العرب، ولا يروا -لغفلتهم- أنه موجه ضد الإسلام ... وضدهم هم!»١

إن المصري مصري قبل كل شيء فهو لن يتنازل عن مصريته مهما تقلبت الظروف فاسمحوا لي أن أسألكم: هل الوحدة العربية تتطلب من المصريين التنازل عن المصرية؟

أنا لا أتردد في الإجابة عن هذا السؤال بالنفي؛ لأني أعتقد بأن دعوة المصريين إلى الاتحاد مع سائر الأقطار العربية لا تتضمن بوجه من الوجوه حثهم على التنازل عن المصرية، إن دعاة الوحدة العربية لم يطلبوا ولن يطلبوا من المصريين -لا ضمنا ولا صراحة- أن يتنازلوا عن مصريتهم، بل إنهم يطلبون إليهم أن يضيفوا إلى شعورهم المصري الخاص شعورًا عربيًا عامًا. وأن يعملوا للعروبة بجانب ما يعملونه للمصرية.

وإن الفكرة العربية التي تعمل في القرن العشرين -للأجيال القادمة- لا يمكن أن تتعارض مع آثار بقيت ميراثا من ماض سحيق، يرجع إلى أكثر من خمسة آلاف من السنين؟

إن مصر قد تباعدت عن ديانة الفراعنة دون أن تهدم أبا الهول، وتخلت عن لغتها القديمة دون أن تقوض الأهرام. وجميع آثار الفراعنة التي زينت بها متاحف مصر ومتاحف العالم لم تولد نزوعا للعودة إلى الديانة التي أوجدت تلك الآثار الخالدة، ولا حركة ترمي إلى بعث اللغة التي رافقتها خلال قرون طويلة فهل من موجب لطلب هدم الأهرام وتناسي الآثار لأجل الوحدة العربية.

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق ،١٩٨٣م، ط١، ص ٥٨١-٥٨٢.

إن الأهرام -مع جميع الآثار الفرعونية- لم تمنع مصر من الاتحاد مع سائر الأقطار العربية اتحادًا تامًّا في ميدان اللغة، فهل يمكن أن تحول دون اتحادها مع تلك الأقطار في ميدان السياسة أيضًا!

المطلب الثالث: النشاطات الأدبية الأصيلة

لقد عُرفَ محمد قطب كاتباً أديباً مشاركاً، له في الكتابة العربيّة صفحاتٌ يُشارُ إليها بالانفراد، وتوصَفُ بالامتياز من ناحية الأُسلوب، وتتبعت بما حفِلت بهِ من المعاني الجدِّ في شعبها وتوليدها... حيثُ تكونُ شخصيته واضحةً في معظم الكتب التي سطرها، والبحوث التي كتب فيها، والموضوعات التي تَحرّى فيها التجديد، والتفسيرات التي حاول بها، واقع الحياة بدراسةٍ وتأمُّل- على وِفقِ ذلك التحليلِ الذي عاناه، والالتزام الذي كَلِفَ به، مُنذيوم حمَّلَ أدبهُ تبعةَ الاجتهادِ في الفكر، والوفاءِ، وجعل له ذلك الطبع العربيَّ والسَّمت الذي عُرِفَ به كما عُرِفَ له.

ولو تحرّينا الحقيقة الوثيقة التي مكّنته من تلك المنزلةِ في الأدب والكتابةِ العربية، لوقفنا على معالم في تَلَقّيهِ وتربيتهِ وثقافته، ولأدركنا جوانب في شخصيته -وإن امتدّتْ في الموضوعاتِ، وصارت إلى ما صارت إليه، فإنّما دَلّت على مَبلَغِ الحرص عنده في آفاقِ حياته كلّها!.

عرفت الأسرة بالأسرةِ الأدبية الجديدة –قطبيّة- كلفها الشديد بحفظ القرآن ودراسة في الفقه والأدب والعلوم الإسلامية، وكان الأدباء البارزين منهم أحمد حسين الموشي.

لا يكاد يشبُّ فيهم عن الطوق حتّى يتعهّدوه بالتأديب وألوان التهذيب التي تَطبعه على الطاعة وتقديس الدّين، ويُغرقوهُ في الثقافة العربية التقليدية للأسرة بجوانبها التطبيقية والعلمية.

وما أن أتم أديبنا العاشرة من عمره حتى جمع القرآن كلّه حفظاً وتجويداً بأحكام القراءة فكان الأثر بين ما برحت مادة الثقافة القومية وأصولها، على ذلك المثال الذي عُرِف للأمة في فُضْلَياتِ أيامها.

ولما حانت التفاتةٌ من أبيه التحق بمدرسة القراءات "بشبرا" في الوقت الذي لم ينقطع فيع عن مُلازمته، والأخذ عنه، وتحضيرِ دُروسٍ في القراءة.

وكان ميلُهُ بذلك إلى الحفظ في القراءة، وتعهّد ذلك الأخذ الخاص الذي غرس فيه حبّ القرآن الكريم والثبات في سبيله.

المطلب الرابع: الروافد الأدبية لدى الأستاذ محمد قطب

أيّ كاتب يكتب العمل الأدبي يكون بمساعدة شيء يبرز في ذهنه وتنثال في فكره، هذا الشيء، يكون رافداً أدبياً، والرافد الأدبي عبارة عن شيء يكتب الكاتب بعونه، هذه المعونة تسمى "الرافد" وله أنواع أخرى منها: اللغة، والفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب. واللغة جوهر الفكرة التي ينطوي عليها، والعاطفة التي يضطرم بها والخيال الذي يتألق فيه والأسلوب الذي يبرز فيه.١

١- مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي لشكري فيصل، بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٨٦م ط٦، ص ١٩٨.

كما يكتب الدكتور علي مصطفى صبح على تأييد هذه النظرية ويقول:«الصورة إنما هي نموذج لهم معًا تتخذ وسائلها من روافد عديدة وهي الأفكار المجردة والأحاسيس والمشاعر والعواطف، ثم الألفاظ والصور والموسيقى، التي تجسد هذه المعاني الذهنية والداخلية»١

وهو يتفق مع الدكتور غنيمي هلال في اتجاهه؛ لأنهما قد استمداه من منبع واحد، وهو ما انتهت إليه المذاهب الأدبية الحديثة، وأرى أن هذا الاتجاه جعل الأفكار والمشاعر رافدين من روافد الصورة كغيرها من الروافد الأساسية لها، ولا يأتيان تبعًا للروافد التي تقوم عليها الصورة مجردة من المضمون، حين دراستها مستقلة كقيمة من القيم الشعرية العديدة، فالعناصر إن هي إلا روافد متعددة ومتكاملة لمنابع الصورة العميقة وقد تجتمع في الكلام هذه المنابع، ولا تلتقي العناصر معها وحينئذ تحكم على هذا اللون من التعبير بالأسلوب العلمي؛ لأنه لا يخاطب الإحساس، ولا يهز الشعور، ولا يوقظ العاطفة، ولا يحرك الوجدان الكامن في النفس.

ومن الطبيعي أن الروافد في النتاج الأدبي لاينفصل وإنما يمتزج بمعنى أن اللغة وهي مادة الأدب، تحمل الفكرة وتصوغها وتختزن العاطفة وتُفيضها وتنقل الخيال وتترجم عنه؛ كما أن العاطفة تدفع الكاتب أن تجتاز لغته اختياراً خاصاً، وقد تفرض عليه ألفاظاً بذاتها، والخيال قد يقتضيه لغة بعينها... وكذلك نرى أننا لانستطيع أن نفصل في النتاج الأدبي بين الروافد الأدبية وبين الأفكار التي يحتوى معناها. وأيضا لا نستطيع أن نفصل في النتاج

١- ابن الرومي بين الأصالة العربية ودعوى الرومية لعلي علي صبح، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٢ه، ص ١٣٨.

الأدبي بين الأجزاء الرافد: بين المادة والجوهر، بين الصورة والمضمون، بين الاطار واللوحة التي تعيش في ضلاله.١

تكلم الأستاذ محمد قطب عن روافد أدبية كاللغة والفكرة والعاطفة والخيال والأسلوب ودرس الإحساس والشعور مستقلاً عن روافد الأخرى، جعل الإحساس والشعور رافدين من روافد الأدب كغيرها من الروافد الأساسية لها.

يقول عن أهمية الفكرة في خلق الصورة في الذهن: قد يتبادر إلى الذهن من هذا التصور: إن العمل الفني لن يتسع لكل حقائق الوجود دفعة واحدة. لن يتسع في حس الكاتب، ولن يتسع لها في الرقعة المتاحة للتعبير.٢

من المهم أن نعرف صورة الكون في حس كل فنان قبل أن نقوم بتقويم إنتاجه الفني. ويكون من أصلح المقاييس في هذا التقويم أن نعرف المساحة التي يشغلها الكون في نفسه.٣

هو يتحدث عن دور الفكر والعقل معاً ويقول: إن العقل أداة مفيدة دون شك، وقد عظمه الإسلام، وجعله من كبريات النعم التي منَّ الله بها على الإنسان،٤ وحث الإنسان على التفكير والتدبر في آلاء الله: إن الدين لا يحجر على العقل أن يُفكّر، بل يدعوه دعوة ملحّة أن يقوم بالتفكير والتدبر، والنظر في ملكوت السموات والأرض، والتعرف على السنن الربانية في الكون المشهود وفي حياة البشر.٥

١- مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي لشكري فيصل ص١٩٨.

٢- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق ،١٩٨٣م، ط١، ص ١٨٦-١٨٧).

٣- نفس المصدر ص١٥.

٤- التطور والثبات في النفس الإنسانية لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩١م ط٨، ص٣١.

٥- نفس المصدر ص٢٨.

مهمة تدبر آيات الله في الكون، إنها تبدأ بالفكر وتنتهي بالعمل.١ وأيضا تكلم عن دور العاطفة في تنثال صورة الإنسان، كما يقول: «العاطفة طاقة من أكبر الطاقات الموجِّهة لمشاعر الناس وسلوكهم.٢

ويقول عن مهمتي الفكر والعاطفة في تأخير عملية الحياة: وتظل تلك المؤثرات محفورة حفرا عميقاً، حتى إنه لا يمكن للتجارب العقلية فى الدور المتأخر من الحياة، والمتسم بالتفكير أكثر من اتسامه بالعاطفة أن تمحوها إلا بصعوبة، ثم يندر أن تزيلها تماما.٣

إن الحس البشري كثيراً ما يتبادر إزاء انفتاح الرحمة أو إمساكها فلا يراها في صورتها الحقيقية.٤

وأيضا يقول عن دور الخيال، قائلاً: «إن الخيال يعمل في تتبع الصورة: صورة إنسان يمتلك ما في الأرض جميعاً...إن الخيال ليرسم صورة يحاول أن يتأبط الكرة الأرضية جميعها»٥

الخيال – هو القدرة على انتزاع شتى الصور من الواقع المشاهد واستحضارها في الذهن في أي وقت، والتصرف فيها على مختلف الأشكال والأوضاع – عنصر من أهم

١ – التطور والثبات في النفس الإنسانية لمحمد قطب ص٨٣.

٢ – مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص٩٨.

٣ – واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م، ط٢، ص ١٥٦.

٤– دراسات قرآنية لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م، ط٤، ص٢١٦.

٥– راجع نفس المصدر ص١٧٢.

عناصر الأدب مهما اختلفت أنصبة الأدباءمنه، وهو أسس التشبيهات والمجازات، ولولاه لالتزم الفكر الإنساني الواقع المتحجر أيما التزام.

وللخيال في الأدب وظائف شتى: فالخيال الصحيح يعين الأديب على إبراز الحقائق بشتى الوسائل، ويقدره على سبك موضوعه سبكاً فنياً لا شذوذ فيه، وعلى نبذ ما لا حاجة به إليه من تفصيلات قد تشوه ما هو بسبيله، ويساعده على إضفاء ثوب من الجمال على ما ينشئ. ولسنا ننكر أن الأديب يعتمد في حكمه على ذوقه وشعوره بالجمال والقبح، ولكن لا يعد هذا الذوق راقياً إلا إذا أسس على علم واسع ومعرفة بقوانين الأدب.

لذلك يشغل طاقة الخيال لتساند طاقة الواقع، وترفعها عن قيود الواقع المحدود، يشغلها في تخيل الكمال المطلق بقدر ما تطيق... لأن تخيل الكمال المطلق يجعلها لإصلاح الواقع ومحاولة الوصول به إلى الكمال. ومن ثمّ يصبح الخيال واقعاً بعد حين. ويرتفع مستوى البشرية كلها بقدر ما تطيق.

إن الإنسان إذًا ليس واهما ولا متخيلا خيالا شعريا حين يحس بالرابطة الوثيقة بينه وبين الكائنات الحية في الوجود من حوله. إنها حقيقة،١ والفن رؤية للواقع من خلال ذلك الانفعال الذاتي الخاص بالأشياء والأشخاص والأحداث، وتفسير لهذا الوقع في ذلك الضوء الخاص، تفسيراً شوريا كما أنه هو رؤيا للمستقبل، وللمجهول، وللماضي كذلك بنفس الشروط.٢

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب ص٤٥.

٢- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، ص٢٦٥.

والتناسق الذي يبدو في توزيع الألوان والظلال والأضواء والكائنات في رقعة بسيطة... بصورة تلفت الحس وتستريح لها العين وتهش لها النفس وتهدأ لها الأعصاب.

وأيضا تحدث عن الأسلوب بقوله : الأسلوب هو اجتماع هذه الأعضاء ﴿عينين وشفتين وأنف وأذنين﴾ على نحو معين من التناسق يعطيها شكلاً معيناً ذا ملامح محددة.١

وأيضا تحدث عن ظاهرة التنويع في الأسلوب: والتنويع مشتق من نوَّعَ ينوِّع، تنويعًا، فهو مُنوِّع، نوّع أساليبَ العمل أيّ تنوع منهجه، أو نوع الشيء جعله أنواعا.٢ إنَّ التنويع لا التكرار هو الظاهرة الحقيقية في القرآن. وإنه لمن إعجاز هذا الكتاب أي يعرض الموضوعات التي يكرر ذكرها للتذكير والتربية والتوجيه، بهذا القدر من التنويع بحيث لاتتكرر صورتان متماثلتان أبداً في القرآن كله، على كثرة المواضع التي يرد فيها كل موضوع!.٣ كما نقرأ في بعض السور القرآنية تكراراً في المفردات وفي المجموع نريد هنا أن ننظر في هذه المجموعات، من القصص من زاويتين:

أولاً: طريقة التنويع في عرض المجموعة المتشابهة من القصص في كل سورة على حدة، مع إبراز التشابه –بل الوحدة– في موضوعها جميعاً.

ثانياً: طريقة التنويع في عرض القصة الواحدة من سورة إلى سورة باختلاف الجوّ الخاص بكل سورة، فمن مقاصد إيراد هذا اللون من القصص، هي أن كل الرسل قد جاءوا

١- دراسات قرآنية لمحمد قطب، ص٢٤٧.

٢- معجم اللغة العربية المعاصرة لأحمد مختار عبد الحميد عمر، ج٣، ط١، بيروت: عالم الكتب، ٢٠٠٨م، ٣/ ص٢٣٠٦.

٣- دراسات قرآنية لمحمد قطب، ص٢٦١.

بكلمة واحدة من عندالله: لا إله إلا الله. وبقضية واحدة يبلغونها للناس: [اعْبُدُوا اللهَّ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ] (الأعراف: آيات ٥٩،٦٥،٧٩،٨٥)١

تكلم عن الإحساس في "منهج التربية الإسلامية" وعدّه من أهم الروافد في النفس الإنسانية: الطاقة الحسية هي طاقة الجسد المتصلة بالحواس والأعصاب والكيماويات والبيولوجيات والفسيولوجيات. والطاقة المعنوية لايدري أحد على وجه التحديد مكانها وماهيتها ولكنها هي التفكير التصوري التجريدي الذي يدرك الكليات والمعنويات. يدرك القيم. يدرك الفضيلة.٢

وتكلم عن الشعور بقوله: إِن الشُّعُور هُوَ أَن يدْرك بالمشاعر وَهِي الْحَواس كَمَا أَن الإحساس هُوَ الْإِدْرَاك بالحاسة وَلِهَذَا لَا يُوصف الله بذلك... شتى المشاعر، من الحب والرهبة والخوف والطمع والأمل والرجاء٣ قيل: إن الشعور هو إدراك ما دق للطف الحس، مأخوذ من الشعر لدقته. ومنه الشاعر، لانه يفطن من إقامة الوزن وحسن النظر لما لا يفطن له غيره.٤

وفي مكان آخر سميت الروافد بالوشيجة بقوله: الوشيجة التي يمكن أن تكون "الأمة" لأنها القيم التي تستحق أن تقوم عليها حياة الإنسان بصرف النظرعن الأرض واللغة والجنس وأي شيء آخر...ثم تنضوي تحتها كل العلاقات الأخرى.. علاقات

١- نفس المصدر ص٢٤٩.

٢- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ج١، القاهرة: دار الشروق ١٩٨١م، ط٤، ص١٥١.

٣- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب ص١٧٣.

٤- معجم الفروق اللغوية لحسن بن عبد الله أبو هلال العسكري، ج١، ط١، ت: الشيخ بيت الله بيات، مدينة قم: مؤسسة النشر الإسلامي، ١٤١٢هـ، ص٣٧٣.

الأرض واللغة والجنس وقرابة الدم فتكون هذه روافد إضافية إذا وجدت ولكنها لا تكون هي التي تكون الأمة –ولو اجتمعت كلها – في غياب العقيدة.١

والأمثلة من الصور الشعرية في مجال التطبيق على كل ما ذكر من الروافد والعناصر، أو انعدامهما ترجع إليها في كتابنا "التصوير الفني" دفعًا للتكرار.

ومن الممكن بعد الوصول إلى الغاية من البحث أن يصح تطبيقها على نظائرها من المذاهب الأدبية في بعض المناطق الأخرى للمملكة بنفس التخصص والاستقراء؛ لأن معظم الروافد التي تغذي الشعر فيها واحدة غالبًا، إلا روافد خاضعة لبيئة المنطقة وخصائصها الطبيعية والبشرية، ولو لم تكن البيئة والطبيعة فاصلًا ومميزًا، لما تميز شعر الجنوب بسحر الطبيعة وروعة البيئة.

والتصوير الأدبي في الشعر حضارة جديد في صوره الخيالية البديعة من حيث المضمون وخصوبة الخيال وروعته، فالاكتشاف علمي جديد يقتضي من الشاعر خيالًا واسعًا وخصبًا عميقًا، يستمد التصوير الأدبي روافده القوية من خصوبته وعمقه. والإيقاع الموسيقي هنا يتلاءم مع الغرض، فكان رافدًا قويًّا من روافد الإبداع في التصوير الأدبي، وقوة الإيقاع في القصيدة ترجع إلى تناسب حروف اللين الكثيرة مع التروي والتأمل وطول النظر في مجال العلم وساحة البحث والفكر.٢ وأيضًا يقول الكاتب علي مصطفى صبح:

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م، ط٢، ص٤٤.

٢- ابن الرومي بين الأصالة العربية ودعوى الرومية لعلي علي صبح، الرياض: دار المريخ، ١٤٠٢ه، ص ١٧٠.

«أهم روافد الصورة هو النظم، أما ما عدا ذلك من روافد اللفظ الحسن والخيال والموسيقى والمزاوجة وغيرها، فهي روافد إضافية تزيد من جمال النظم»١

يستعمل الأسلوب الجديد في نثره ليعالج كل مشاكل الحياة ولم يعد يكتفي بالفكرة الفجة والعبارة الجوفاء، كمثل صورة المطر في تعبيره: «فإن المطر ينزل في صورة ماء عذب سائغ للشراب، فيظن الحس الغافل أنه ينزل على هذه الصورة من تلقاء نفسه! فيذكره القرآن بالحقيقة، إن الله هو الذي أنزله في صورته العذبة تلك رحمة منه بخلقه، وإنه لو شاء لجعله مالحا شديد الملوحة لا يصلح للشرب ولا لتنمية النبات»٢

وأيضا في قوله: «السياق القرآنى لا يدع صورة الخلق ساكنة أمام الحس بل يحرك الصورة بتحريك مفرداتها. فالليل والنهار يدوران ويختلف طولهما فى أثناء تعاقبهما المستمر، والفلك تجري في البحر بما ينفع الناس، والماء النازل من السماء يتسم بالحركة كذلك، وهي حركة النزول نحو الأرض، ولكن الحركة لا تنتهي هنا: فمن هذا المطر النازل يخرج النبات الحي من الأرض التي كانت مجدبة من قبل، والتعبير القرآني يقول: "فأحيا به الأرض بعد موتها" فيصور الأرض كانت ميتة فتحركت بالحياة بعد نزول المطر، كما يقول في سورة الحج: [وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج] (الحج: ٥)، ولكن الحركة لا تنتهي هنا كذلك؛ بل تستمر لتصور الدواب جاءت تسعى أكل النبات الذي أخرجته الأرض بالمطر، والتعبير القرآني الذي يقول: «وبث فيها من كل دابة "والبث حركة في جميع الاتجاهات في وقت واحد. ثم يجيء ذكر الرياح وهي

١- نفس المرجع ص٢١٩.

٢- راجع ركائز الإيمان لمحمد قطب، ط١، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤م ص ٢٣.

متحركة بطبيعة الحال، فإنها لا تسمى رياحاً إلا إذا تحركت حركة شديدة ملموسة. وأخيراً يذكر السحاب متحركاً كذلك مسخراً بين السماء والأرض، وهكذا تشمل الحركة كل الكائنات، ويتملاها الحس فى حركتها الدائبة فينفعل بها ويتحرك معها»١

ويُصرح في قوله: أن التعبير الفني يعتمد دائماً على ذخيرة نفسية وشعورية مختزنة في باطن النفس، تسعى إلى التعبير عن ذاتها في صورة موحية.٢ ولكن الأدب لا بد أن يكون في خدمة الدعوة، فإن أعداءنا يستخدمونه ضدالإسلام وأخلاقياته، وإن الآداب من أقوى الوسائل التي إن استخدمناها نكون قدأدينا واجباً مهما).٣ ويضاف على هذا: إن الأدب الإسلامي هو التعبير الفني الهادف عن وقع الحياة الكون... والإنسان على وجدان الأديب من خلال التصور الإسلامي. فنستطيع القول إن التصور الإسلامي هو القاعدة التي يقوم عليها هذا الأدب، وبين الأدب الإسلامي والأدب العربي فرق كبير بنسبة هذا التصور.

فالأدب الإسلامي أعم من حيث شموليته لكل أدب انبثق من التصور الإسلامي سواءًا كان أدبًا مكتوبًا بالعربية أم بغيرها من اللغات الأخرى التي يتكلم بهالمسلمون في العالم، وهو أخصُّ لأنه لا يطلق إلا على الأدب المنبثق من التصور الإسلامي، والأدب العربي أعم من حيث أنه يشمل كلَّ ما كتب باللغة العربية على اختلاف المناهج والأفكار فهو يطلق على الأدب الاشتراكي والقومي والإسلامي، مادام مكتوباً بالعربية.

١- نفس المصدر ص ٢٩.

٢- دراسات قرآنية لمحمد قطب، ص٧.

٣- حوار حول الأدب الإسلامي محادثة مع الدكتور نعمان القاضي، المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية، ١٤٠٣هـ، ع٥٧ ج ٢٧ص٢.

المطلب الخامس: بيان الحالة النفسية الأصيلة

من المألوف الذي لا ينكره أحدٌ أن النزعة النفسية في تفسير الأدب قديمة قدم الأدب، فهي تمتد في أفق التاريخ الإنساني حتى فيلسوفان يونانيان﴿ أفلاطون وأرسطو﴾ فأفلاطون يجعل الشاعر متبوعاً ينطق عن وحي سماوي وهو في حالة استحضار بين النبوة والجنون، ويربط الشعر بوظيفة خلقية لما له من تأثير على النفوس.١

لقد حظيت نظرية التحليل النفسي بكثير من العناية والاهتمام، وأثرت في الفكر الحديث تأثيراً عنيفاً حتى إنه «لا تكاد توجد نظرية واحدة قد أحدثت ما أحدثته من الانقلاب في سير المجتمعات إلا نظرية دارون من قبل، ونظرية كارل ماركس التي سبقت فرويد في الزمن ولكنها لحقته في التنفيذ... لقد اعتنقت آراءه الجماهير، يظاهرها في ذلك كثير من العلماء، ولم يكتفوا بنصوص نظرياته، بل توسعوا في تفسيرها على هواهم، وآمنوا جميعاً بأن الأمر الطبيعي هو أن تنطلق الغرائز من معقلها، ولا تقف عند حد إلا حد الاكتفاء»٢

وقد أرجع المفكر الإسلامي محمد قطب هذه الهزة العنيفة التي أحدثتها هذه النظرية إلى الأسباب التالية:

١ - من معطيات الحرب العالمية الأولى، ونتائجها النفسية على الشباب المسجونين في متاريس الحرب الذي قضى شبابه في السجون والخنادق والمعتقلات، وتعرض لحروب

١- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق لديفيد ديتشس، تعريب: محمد يوسف نجم، وإحسان عباس، بيروت: دار صادر،١٩٦٧م، ص ٢٣.

٢- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٩م ط١٠، ٤٣.

الميكروبات، والغازات السامية. فخرج هذا الجيل لا يفتش إلا عن إشباع غرائزه الحيوانية، فكان فرويد هو الهادي، والداعي إلى هذه السنة السيئة. فكان في نظرهم أحد صناع الحضارة الحديثة في القرن العشرين.

٢- ظهور بحوث في الفلسفة وفي علم الاجتماع تنطلق من تصورات فرويد للنفس الإنسانية فتسعى جاهدة لإثبات أن المجتمع قيد لحركة الحياة، وصيرورة الأشياء.

٣ - الدعم الكبير الذي لقيته نظرية فرويد من اليهود حتى جعلوها من أهم الأسس التي تقوم عليها سياستهم وفكرهم الخاص، فقد ورد في بروتوكولات حكماء صهيون ما نصه «يجب أن نعمل لتنهار الأخلاق في كل مكان فتسهل سيطرتنا... إن فرويد منا وسيظل يعرض العلاقات الجنسية في ضوء الشمس لكي لا يبقى في نظر الشباب شيء مقدس، ويصبح همه الأكبر هو إرواء غرائزه الجنسية وعندئذ تنهار أخلاقه»[1]

إن المقياس الذي يعرف به الأديب الجيد من الرديء مقياس موضوعي شامل، حيث لم يكتف فيه المحدثون بمجرد استقامة السلوك الديني، بل لاحظوا العوامل الداخلية، فنظروا إلى ما يخشى أن يدفع الأديب من انحياز فكري (بدعة) أو اجتماعي إلى عدم التحري في النقل، ودرسوا حالته النفسية من حيث الاعتدال والتحرز، أو الاستهتار والتساهل على ضوء ما أسموه بالمروءة، وراعوا أهليته العلمية والذهنية للأداء الصحيح في شروط الضبط، فجاء مقياسهم هذا موضوعياً لا يتحيز ولا يحيف، شاملاً كافة العوامل الدينية والنفسية والاجتماعية التي تدفع إلى الصدق وتنزه الأديب عن الرداءة وتجعله قميناً بأداء الحديث كما هو وبذا أصبح ميزاناً يعرف حقيقة الأديب بكل دقة وإنصاف وعدالة.

١- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب، ص٥٥.

وقد كان الغرض من هذا البحث عن سيكلوجية المبدع من خلال أثره الأدبي الذي تركه عبر اتجاهات عديدة «فهي تارة تحلل أثراً معيناً من الآثار الأدبية، لتستخرج من هذا التحليل بعض المعلومات عن سيكلوجية المؤلف. وهي تارة أخرى تتناول جميع آثار المؤلف وتستخرج منها نتائج عامة عن حالته النفسية ثم تطبق هذه النتائج العامة في توضيح آثار بعينها من آثاره، وهي تارة تتناول سيرة كاتب من الكتاب على نحو ما تظهر من أحداث حياته الخارجيّة، وفي أمور أخرى كرسائله واعترافاته أو يومياته الشخصية ثم تبني من هذا كله نظرية في شخصية الكاتب: صراعاته، حرماناته، صدماته، عصاباته، لتستعمل هذه النظرية في توضيح كل مؤلف من مؤلفاته، وهي تارة أخرى تنتقل من حياة المؤلف إلى آثاره، ومن آثاره إلى حياته، موضحة هذه بتلك، وتلك بهذه...وهي في أكثر الأحوال تجمع بين هذه الأغراض كلها، وتستعمل هذه الأساليب جميعها»١

الكلام الذي لا ينكره منصف أن المنهج النفسي في نقد الأدب فتح آفاقاً جديدة لمعرفة النفس الإنسانية أمام النقاد والأدباء، وهي آفاق كانت بعيدة عن أذهانهم، وزادهم وعياً بخصائص النفس الإنسانية في نماذجها المختلفة، ووصف لهم ما أمكن من خلجات النفس ومشاعرها.٢

يقول محمد قطب: «والإنسان يكره فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى؛ لأنه يحرص على أهدافه العليا التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض، وكل ما يعمله ويهدف إليه هو

١- علم النفس والأدب لسامي الدروبي، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م ط٢، ٢٥٥.

٢- النقد الأدبي أصوله ومناهجه لسيد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٠م، ط٣، ١٩٠.

تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوازعه، حتى ترتفع الحياة كلها، وتصبح كريمة جميلة، خليقة بمعنى التكريم الذي أصبغه الله على الإنسان»[1]

لقد نشأ الإنسان على الفطرة السوية، لا على الشق الجنسي، فأدرك قيمة الكون والحياة، وفسره تفسيرًا إيمانيًا يعيده إلى بارئه سبحانه وتعالى، فلم يكن محض الصدفة ولم يكن ذرة ضائعة، أو آلة ضخمة محكومة بنظام آلي خاص إنه صنع الله الذي أتقن كل شيء[2]، وأدرك أن له في هذه الحياة غاية، هي عبادة الله فهو مستخلف في هذه الأرض، ووفق هذا التصور يكون نشاطه الحركي، وتكون استجاباته وانفعالاته[3] وليس هناك نفس إنسانية كاملة، وخالصة من النقائص إلا نفسه صلوات الله وسلامه عليه، ولهذا أسس الإسلام منهجاً متكاملاً لفهم النفس الإنسانية وتربيتها، فهي مجموعة من الخطوط المتقابلة، الخير والشر، والحب والكراهية، والسلب والإيجاب، قد يغلب جانب على جانب فيحدث انحراف في سلوكياتها، فكان منهج التربية الإسلامية خير منهج كشف عن طبيعة النفس، وحدد لها ما يجعلها نفساً سوية يتغلب فيها جانب الخير على نوازع الشر وأدرانه.[4]

وعلى هذا فإن الفهم الصحيح لطبيعة النفس الإنسانية، وتقدير مناشطها في الحياة، إنما ينبغي أن يكون وفق هذا التصوير الرباني العظيم، فموجد النفس هو أعلم بطبيعتها.

١- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب، ص٧٠.

٢- مقومات التصور الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٨م ط٣، ٣٥١.

٣- نفس المرجع ص٣٦٢.

٤- ركائز الإيمان لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٩٤م ط١، ٥٧.

المبحث الثالث: مظاهر التجديد عند محمد قطب

أعني مظاهر التجديد عند الأستاذ محمد قطب في المجالات الأدبية: رصانة الأسلوب، وصحة الأداء، وجمال الأسلوب، مناهج الدعوة، مع إبراز أهم المؤثرات الذاتية والخارجية التي استحق الأستاذ من خلالها أن يكون مجددًا في ميدان الأدب.

أنواع التجديد والحاجة إليها: التجديد الاجتماعي والسياسي والمدني والديني كل منها حاجة من حاجات المجتمع البشري بمقتضى غرائزها واستعداد نوعها به يرتقون في مدارج العمران ويصعدون في معارج العلم والعرفان، حتى أن الدين الإلهي الذي يستند إلى وحي الرب الحكيم بمحض فضله، لبعض من أعدَّ أرواحهم القدسية لذلك من أصفياء خلقه.قد سار مع غرائز الجماعات البشرية في ترقيها من طور إلى طور حتى أكمله تعالى لهم بالإسلام، عندما وصل مجموعهم إلى سن الرشد والاستقلال، ومع هذا الإكمال يروي لنا المحدثون عن خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم، أنه قال: «إن الله تعالى يبعث لهذه الأمة على رأس كلمائة سنة من يجدد لها دينها» (سبق تخريج الحديث)، والمراد بتجديد الدين تجديد هدايته، وبيان حقيقته وحقيته،ونفي ما يعرض لأهله من البدع والغلو فيه أو الفتور في إقامته، ومراعاة مصالح الخلق وسنن الاجتماع والعمران في شريعته. وموعدنا في الكلام في التجديد الديني والدنيوي القضية الثالثة.

هذه حقيقة معنى التجدد والتجديد، وهي تهدينا إلى أن لكل من الجديد والقديم محلاًّ، وأن من الجهل تفضيل أحدهما على الآخر مطلَقًا.

يقول محمد قطب: «والإنسان يكره فقدان التوازن ولو كان إلى أعلى؛ لأنه يحرص على أهدافه العليا التي لا تتحقق بغير الاستجابة لنوازع الأرض، وكل ما يعمله ويهدف إليه هو

تنظيف الوسائل التي يستجيب بها الفرد لنوازعه، حتى ترتفع الحياة كلها، وتصبح كريمة جميلة، خليقة بمعنى التكريم الذي أصبغه الله على الإنسان»١

المطلب الأول: أسلوب الذوق الأدبي

في هذه السطور أتكلم عن الذوق الأدبي، لأن الكاتب الفذ يخلق ذوقاً جديداً ويُنشئُ عصراً جديداً ومرحلة جديدة في الأدب وتاريخ الأدب يبحث قبل كل شيء عن أسباب هذا التطور في الأساليب والأذواق، يظهر لنا أن شخصية الكاتب عامل عظيم الأثر في هذه الإبداعات التي تركوا أمامنا من معطيات الأدب الحديث وأن ذوقه الأدبي يوحي له بهذا.

لقد حاول محمد قطب أن يرسم خطوط فنية للأدب الإسلامي في كتابه "منهج الفن الإسلامي" كما حاول أن يضع قواعد لتأصيل "أسلمة العلوم" في كتابه "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية" وقد تأثر بالفلسفة والحكمة، ولكن لا على طريقة "الغرب" قد كان له ذوقه الأدبي العاصم القوي، فبقي في دائرة المنهج النفسي الذي سأتكلم عنه،كما قال أحد الكّتاب: «قد ورث عن أخيه ذوقه الأدبي، ولكنه لم يرث عنه كفايته السياسية».

وقد تضافرت ظروف نشأته وحياته، وتعدّد أسفاره ورحلاته، واتصاله بالشيوخ والعلماء، ومناظرته للعلماء والأدباء في مجالس الأدب والعلم، وعمله في المكتبة المصرية، وقراءته الموصولة في الكتب والوقائع على تكوين ذوقه الأدبيّ، وتمكينه من المعرفة الشاملة، وذلك الآثار والمؤلفات الوافرة التي فاضت عن ذوقه الأدبي وأصالته المتميزة.

١- الإنسان بين المادية والإسلام لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق (١٩٨٩م) ط١٠، ص٧٠.

والحق أنني في الحكم عليه بشخصيته الفذة وعقليته الخارقة، وعبقريته المجددة المبتكرة، لا يصح أن ننقص حق من قبله، وحق العصور السالفة عليه، وفضل عصره عليه، الذي هام الناس فيه باللفظ ومع هذا هو من الأدباء المتذوقين في عصره.

أن له شعرًا ونثرًا اهتم بهما منذ صغره فجعل قراءة الأدب (شعراً ونثراً) أحد محاور عنايته، وشاعرية الأستاذ رغم أن الأدباء المصريين متفقين عليها، ويمدحونه بأنه كان شاعراً مطبوعاً جيد العبارة، حسن النظم، فشعره هادف يعمل على خدمة أغراض بناءة بمعان في عقود مصروفة عن الإسفاف والهذر[1]، ومقطوعات أبياته وأشعاره تدل على ذوقه الأدبي ونبوغه الشعري. كما نقرأ في شعره:

لقد كنت قبل اليوم هيمان في الذرا   أحلّق نشواناً إلى كل مرتاد
يفيض بنفسي الفن بشراً وغبطة   ويهتف في أذنيّ كالطائر الشادي
ويخلق في نفسي مُنىً عبقرية   ويلهمني الإحساس كالكوكب الهادي
ويمنحني صفو الحياة وذخرها   وأجمل ما يهفو له الناهل الصادي[2]

وأنشد على ذوقه الأدبي المحنَّك والمرهف، وحسَّه المتألم الملطوف يتألق بالخيال الجاسم والعاطفة الجياشة التي تُفيضها الآمال، والتراكم الفكري والثقافي والعملي والروحي، مما أدَّى إلى إصابته وتوفيقه في التعرف على مصادر الجمال في النص الأدبي، أصبح الشاعر يقول ليرضي ذوقه الأدبي، وأصبح الكاتب يكتب ليصف شعوره هو قبل أن يصف شعور

١- مقالة "الشعر والقصة" لعباس محمود العقاد، القاهرة: مجلة الرسالة (سبتمبر١٩٤٥م). ع٦٣٥ ص١. ومقالة "الإنسان بين المادية والسلام، تأليف الأستاذ محمد قطب" لحسين عبد الفتاح سويفي، القاهرة: مجلة الرسالة (ماي١٩٥٢م)، ج٩٨٣/ ع ٩٨٣، ص٤٦.

٢- قصيدة "غريب" لمحمد قطب، مجلة الرسالة: القاهرة، (جون، ١٩٤١م) ع٤٠٩/ ص٤٤.

الآخرين وبذلك ينتج العمل الأدبي ليبين عن الأشياء التي تبرز في ذهنه وتدفق في فكره. أقيس ذوق الأستاذ مع الآخر، هناك قصيدة "أصداء بعيدة" للأستاذ العوضي الوكيل يقول فيها:

رحـــلة لليقيـــن والإيـمـــان   ونجـــاة الهـــوى مـــن الطغيـــان
فتح القفر روحـــــه للصديقين   فـأمســـى بـــاديـــة كـــالبستـــان
أيّمـــا ذرة من الرّمـــل غـنـــت   ولكـــادت تـــهـــم بالـــطيـــران
حدثت أختهـــا وفيهـــا دبيـــب   وهي نشـــوى بمقـــدم النسوان

بون شاسع بين هذا الشعر وما قدمت من نماذج الجياد، أنا لا أنكر أن كل شاعر يصف ويحلق ولكن ليس بهذه الكثرة في الإسفاف. ولعل هذا راجع إلى أن الأستاذ العوضي سريع في نظمه كل السرعة، وسرعته هذه لا تعطيه الفرصة الكافية لكي يعرض القصيدة على ذوقه الأدبي مجرداً من كل عاطفة، فهو ينظم القصيدة ثم ينظر إليها نظرة المعجب المزهو لا المنتقد المفند، والوضع الصحيح أن ينتقد هو ليعجب به غيره، لعله يستعمل هذا الكلام في هدوء وطمأنينة فيحاول أن يتدارك هذا المأخذ..إذا لأصبح العوضي في مكانه اللائق به.

ومن جانبٍ رأى الأستاذ محمد قطب علم النفس ينمو ويرقى ويحلل أعمال الإنسان تحليلاً علمياً دقيقاً، ويعرض لكل المظاهر اليومية من ابتسامة وعبوس ورضى وغضب، فأخذ بحظ وافر منه واستعان به في أدبه وتعبيراته، فجعل يتتبع هذه الظواهر ويقتبس منها ما شاء ذوقه الأدبي.

وما على قارئ -لتستبين له قواعد رسم الخطوط- إلا أن يحتكم إلى ذوقه الأدبي تارة، ومنطقه الفطري تارة أخرى، وحينئذ يقع على ربط عام أو خاص، ذهني أو خارجي، عقلي

أو حسي أو خيالي، من غير أن يقوم لهذه الألفاظ في نفسه مدلولات اصطلاحية أو فلسفية، فكثيرًا ما يدور التلازم بين الكلمات دوران العلة والمعلول، فإن لم تتلاق ويستلزم بعضها بعضا تقابلت تقابل الأضداد، كذكر الرحمة بعد ذكر العذاب، ووصف الجنة بعد وصف النار، وتوجيه القلوب بعد تحريك العقول، واستخلاص الموعظة بعد سرد الأحكام.

يقول الدكتور الطيب بن المختار الوزاني «وما يميز منهج الكتابة عند المفكر محمد قطب هو مزجه في الكتاب الواحد بين النقد والبناء، إذ كل هذه الكتب التي سبق ذكرها في الرد والنقد قدم فيها المؤلف رحمه الله تعالى رؤية إسلامية واضحة وجديدة في هذه القضايا والموضوعات والمجالات، كما كتب كتبا إسلامية بين فيها التصور الإسلامي من قضايا عديدة مثل كتابه "دراسات قرآنية" وكتاب "منهج الفن الإسلامي".١

يقول يوسف القرضاوي في وصف أسلوبه الكتابي: «إن محمد قطب- بكتبه المتنوعة في موضوعاتها وموادها، أو في محاضراته الشائقة المركزة وفي إنتاجه الغزير- أصبح يمثِّل مدرسة إسلامية في الدعوة والتربية، والحوار والفكر الإسلامي، الذي يتميز بالأسلوب النيِّر، الذي يخاطب العقل، ويحرك العاطفة، ويحاور الآخر، ويرد على الغرب، كما يرد على المخالفين، ويثير في الشباب اعتزازًا خالصًا للإسلام، وتكاتفا عليه، وجهادا في سبيله، ورفضا لما سواه»٢

١- مقالة "شخصية العدد–محمد قطب: قطب الأمة الإسلامية الكبرى" لطيب بن المختار الوزاني، موقع الجريدة : المحجة (أبريل ٢٠١٣م). عدد٤١٨.

٢- "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م).

محمد قطب مع تطلعه المستمر إلى التجديد يحافظ على أصالته العربية الإسلامية في شعره، فما زالت ألفاظه جزلة فخمة قوية، وكلماته عذبة سهلة مناسبة كانسياب الماء الصافي الزلال، وأساليبه متينة محكمة، وتراكيبه رصينة متلاحمة، ونظمه دقيق متفجر بالمعاني والايحاءات الشاعرية، يقول الأستاذ محمد قطب: والحياة مع القرآن تستجيش الحسّ، وتفتح القلب، وتمنح الروح شفافيّتها لأنّها تعيش مع النور الربّاني المنزل في الكتاب، فيخف الإنسان من ثقلة الجسد وجذبة الأرض.١

ففي كتابه "مذاهب فكرية معاصرة" يقول: إن «ارتباط الفن بالدين لا يضيق مجالاته كما يفهم البعض، ولا يحوله إلى مواعظ دينية كما يفهم البعض الآخر وإنما يوسع مجالاته في الحقيقة ويعمقها، ولكنه ينظفها فقط ويطهرها من الأرجاس»٢

وفي كتاب "منهج التربية الإسلامية "تجد محمد قطب يقول: «إن القرآن يوجه القلوب والعقول ألا تستعجل النتائج، فهي لا بدّ آتية حسب السنة الماضية التي لا تتبدل، وأعمار الأفراد ليست هي المقياس، والجولة العارضة ليست هي الجولة الأخيرة، قد ينتصر الباطل فترة من الوقت ويزدهر ويتمكن ويعلو في الأرض، ولكن هذا ليس نهاية القول ولا نهاية المطاف»٣

ويعتبر ذلك، جزءًا من سنة الله المتشعبة الجوانب. قد يكون لأن الناس ضعفوا واستكانوا ولم يطلبوا التغيير، وقد يكون لأنهم استطابوا الظلم، وقد يكون فتنة للذين

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق ، ١٩٨٣م، ط١، ص٣٠- ٥٧.

٢- راجع نفس المصدر ، ص٤٨٨.

٣- منهج التربية الإسلامية لمحمد قطب ج١، القاهرة: دار الشروق، ١٩٨١م ط٤، ص٩٦.

ظلموا، وقد يكون الله يريد أن يمحص المؤمنين ليحملوا العبء على سلامة وتمكن واستعداد، وقد يكون.. ولكن السُنة دائما واحدة لا تتبدل، ماضية لا تتخلف ولا تنحرف عن السبيل.١

هو من المتفكرين الأدباء، متعدد المواهب، ومتنوعة الفنون، متعددة العناوين، تجمعها أصالة الفكر، وحلاوة الأسلوب، وراحة الاختصار.

المطلب الثاني: نظرية الفن الإسلامي

ألف محمد قطب كتابا بعنوان "منهج الفن الإسلامي" حاول أن يطرح أسسا لنظرية إسلامية في مجال الفن، وقد اعتبر في كتابه أن الفن الإسلامي ليس هو الذي يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة في صورة فلسفية، ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات، وإنما هو أشمل من ذلك وأوسع، إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود. ثم عرض خطوطا عريضة لهذه النظرية وأورد نماذج تدلل على ذلك في مجالات الشعر والقصة والمسرح، وبعض كتابها ليسوا من المسلمين مثل طاغور الهندي.٢

الأدب والفن في الإسلام يجب أن يكون ملتزماً بالقيم الإسلامية وبمراعاة مبدأ التوحيد الخالص وبمراعاة نهي الإسلام عن التصوير والتجسيد، أما الفن للفن فإتباع للهوى وقد يؤدي بالفنان إلى تصوير ما يثير الشهوات ويفسد الأخلاق، وذلك مناقض لما

١- نفس المصدر ونفس الصفحة.

٢- مقالة"ما قيمة محمد قطب الفكرية؟" فلسطيني، غازي التوبة. بمكة: موقع الجزيرة (أبريل ٢٠١٤م) ص٢.

تجب مراعاته من ضرورة الالتزام بأصول الفقه وأهم قواعده (لا ضرر ولا ضرار) والفن للفن يؤدي إلى إضرار أو إلى عدم منفعة وكلاهما موقف غير إسلامي.

يقول عن نظرية الفن الإسلامي: «الفن الإسلامي فهو الفن الذي يتحدث عن حقائق العقيدة مبلورة في فلسفية، ولا هو مجموعة من الحكم والمواعظ والإرشادات. إنما هو شيء أشمل من ذلك وأوسع...إنه التعبير الجميل عن حقائق الوجود، من زاوية التصور الإسلامي لهذا الوجود»١

وأضاف بقوله: «ليس من الضروري أن يتحدث الفن الإسلامي عن الإسلام: حقائقه، وعقائده، وشخصياته، وأحداثه، وإن كان من الجائز بطبيعة الحال أن يتناول كل هذه الموضوعات... ولكنه يتناولها، كما يتناول الوجود كله، وكل يجري فيه، من زاوية إسلامية، ويستشعرها بحس إسلامي»٢، يؤكد بأن يكون الأدب في خدمة الدعوة لأننا وعملنا وفكرنا كله لابدّ أن يكون في خدمة الدعوة لأنه عندما تقسيم عمرنا في العمل والعبادة والدعوة وشؤون الدنيا، فلهذا الأدب في الإسلام له دوره ومجاله في نشر الإسلام والدعوة إليه، وقد شجع الرسول الصحابة على الشعر المحمود في موطنه، فأمتنا هي أمة الأدب والعلم والفكر والجمال.

وهو الذي أذاع نظرية الفن للفنّ؛ فأهم شيء عنده هو الجمال الفني والأسلوب، أما الفكرة والأخلاق ففي المرتبة الثانية، وهو ممن حلّ الشعر من قيود الشخصية، وكان قدوة لغيره في استخدام الأساليب الدقيقة المصورة، ولعلنا نوفق يوماً إلى دراسة مذهبه في الفن،

١- راجع منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب القاهرة: دار الشروق، ١٩٨٣، ط١، ص١٧٧.

٢- راجع نفس المصدر ص١٧٧.

ونقد هذا المذهب ولم يقتصر "تيوفيل جوته" على قرض الشعر؛ بل له قصص قصيرة، وروايات مطولة، منها رواية كتبها عن مصر، تسمى قصة المومياء، وصف فيها مصر القديمة، حياتها ومجدها، وقصيدتا المسلتين بديوانه الذي تحدثت عنه، وهأنذا أنقلهما إلى اللغة العربية، محافظاً كل المحافظة على ما قصد إليه الشاعر من صور وأفكار.

وأيًا يقول محمد قطب: «إن توجيه نظر الإنسان إلى الجمال في الأنعام ذات "المنافع" المتعددة، له دلالته فيما ينبغي أن يكون عليه الإنسان في التصور الإسلامي، فهو مخلوق واسع الأفق، متعدّد الجوانب، ومن جوانبه الحسيّ الذي يرى منافع الأشياء، والمعنوي الذي يدرك من هذه الأشياء ما فيها من جمال، وهو مطالب ألا تستغرق حسه المنافع، وألا يقضي حياته بجانب واحد من نفسه، ويهمل بقية الجوانب، فكما أن الحياة فيها منافع وجمال، فكذلك نفسه فيها القدرة على استيعاب المنفعة، والقدرة على التفتح للجمال.[1]

يقول محمد قطب: وهذا التصور الإسلامي لا يتأتى للنفوس والعقول المريضة التي فتحت أبوابها لجراثيم الأفكار والتصورات المنحرفة عن منهج الإسلام. كما أنه لا يحول دون التأمل الشامل لكل ما يدور في هذا الوجود، بل إنه يحقق هذا التأمل وما هو أبعد منه مما ينتظر الإنسان في الآخرة.. ولهذا كان الأديب الإسلامي متميزاً عن غيره من أصحاب الاتجاهات الأخرى بإمكانية التصوير الأدبي لما يختلج في نفسه منشوق إلى الآخرة بما فيها من نعيم مقيم، وبما فيها من عذاب أليم – نسأل الله السلامة.[2]

١- راجع منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب ص٢٩.

٢- نفس المصدر ص٥٢.

المطلب الثالث: نظرية أسلمة العلوم

وقد دعا محمد قطب إلى العمل على إنشاء العلوم الإنسانية في ضوء الإسلام وهدايته فقال: ينبغي أن يكون لنا علم نفس إسلامي، وعلم اجتماع إسلامي، وعلم تربية إسلامي.

جهود الأستاذ محمد قطب في توعية المسلمين لحقيقية الإسلام ورخص التصورات والمذاهب الفكرية المعاصرة وأيضاً أكمل الأستاذ محمد قطب، جهود أخيه الأستاذ سيد قطب رحمه الله في التأسيس لنظرية إسلامية للمعرفة مقابلة ومواجهة للنظرية الغربية المهيمنة (الجاهلية المعاصرة)، وممّا يؤسفني أنّ الكثير من الشباب عرف طرح الأستاذ محمد "من القشور"، أي من خلال بعض الاقتباسات من كتبه، يهدف غالبها إلى خدمة رأي وتوجّه سياسي وافقهم فيه الأستاذ محمد قطب، ثم بعد ذلك يتم إغفال هذه المدرسة الفكرية والتربوية العريقة، والتغاضي عن أهمّ ما طرحه الأستاذ، وخصوصا فيما يتعلّق بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية.

يقوم فكر الأستاذ محمد قطب بشكل رئيسي في كتاباته على توعية المسلمين بحقيقة الإسلام الذي تم تشويهه بالواقع من التأثير الخارجي التغريبي ودخول هذه الأفكار إلى الأمة المسلمة وتسربها بيومياتهم ما أدى إلى تزعزع الإسلام الحقيقي في نفوس الناس وباتوا يمارسون الإسلام المشوه في حياتهم اليومية ويظنون إنه هو الإسلام الحقيقي! فتكرست جهود الشيخ محمد قطب في بيان معاني لا إله إلا الله وحقيقتها وشمولها والمسؤولية العظيمة للمسلم عندما ينطق بهذه الكلمة، وقد واجه الشيخ أيضاً تياراً علمياً جعل من لا إله إلا الله العقيدة كأنها مسائل بالرياضيات لا روح فيها ولا أثر يسري في قلب الأمة فهي مجرد

مصطلحات تتعلق في أمور محدودة بجوانب معينة بالعقيدة دون الالتفات للمعاني الكلية الحقيقي.١

كان الأستاذ محمد قطب في أوائل الخمسينات والستّينات علامة فارقة في هذا المجال، أي مجال نظرية المعرفة الإسلامية ودحض التصورات والنظريات والمذاهب الفكرية الغربية المعاصرة. بدأ ذلك من خلال كتبه "الإنسان بين المادية والإسلام"، وهو باكورة كتبه حيث أصدره عام١٩٥١م في فترة مبكّرة جدّا، وكتاب "التطوّر والثبات في حياة البشرية"و"دراسات في النفس الإنسانية" و"منهج التربية الإسلامية" و"منهج الفنّ الإسلامي" و"في النفس والمجتمع".. كانت هذه الكتب نقلة نوعية في هذا المجال، حيث كانت من أوائل الأعمال الإسلامية التي تتطرّق لعلوم التربية والاجتماع والنفس والآداب من وجهة النظر الإسلامية، بل كانت فتحًا عظيمًا انتفع به الكثيرون بعده. ثم جاءت الأعمال الأحدث لتكمل المسيرة ككتاب "حول التفسير الإسلامي للتاريخ" والكتاب المهمّ الذي جمع فيه خيوط القضية وهو "حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية"، والذي أعتبره من أهمّ ما كتب الأستاذ رحمه الله تعالى.

وكما بين الأستاذ محمد قطب كثيراً مفهوم المادية والإسلام ومفهوم الدنيا والآخرة عند المسلمين وأثره على الواقع المعاصر كما أنه يشير دائماً إلى القراءة الباطلة التي عاشت بها الأمة المسلمة في نظرتها للتاريخ الإسلامي وأحداثه مما تأثرت به الأمة بسبب المستشرقين وأدواتهم من أبناءالأمة.

١- مقالة"...وبكت الصحوة القطب محمد قطب" لمحمد عبد الله المطر، مجلة الرأي (٧أبريل ٢٠١٤م). ع ١٢٦٩٨ص٣٢.

للتربية مكانة عظيمة عند الأستاذ محمد قطب فهو يراها الوسيلة الحقيقية للأمة للعودة لريادتها وانشاء طليعة مؤمنة إيماناً حقيقياً تنقذ البشرية من الجاهلية المعاصرة بكل أشكالها القبيحة من آثار القوى الأرضية إلى المفاهيم والمعاني الربانية.

كرس الأستاذ محمد قطب جهده أيضاً في الردود على أبرز الشبهات عن الإسلام التي أثارها خصوم الإسلام بمختلف توجيهاتهم والتي تبين عجز الإسلام وظلمه وسطحيته ولكن كان الأستاذ لهم بالمرصاد وكتابه "شبهات حول الإسلام" و"حول التطبيق الشريعة" منارتان ما زالت الأمة المسلمة تستنير بهما في وجه ظلمات الجاهلية المعاصرة.١

المطلب الرابع: إعادة كتابة التاريخ الإسلامي على المنهج الإسلامي

كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ يتضمن الصورة الأخيرة لتفكير الأستاذ محمد قطب في موضوع كتابة التاريخ الإسلامي، ويقدم منهجاً إسلامياً وإطاراً للفكرة ذاتها، وهو يشعر جيداً -منذ البداية- بضخامة هذه المهمة وخطرها، ومدى الجهد اللازم لإنجازها، فهي أضخم من أن تكون جهد أفراد متفرقين فيجيل من أجيال المسلمين، إنما تحتاج إلى جهد جماعي منظم تقوم به مؤسسات متخصصة على مدى قد يمتد بضعة أجيال.. ومع ذلك فلابُدَّ من القيام بهذا العمل، رغم المشقة البالغة فيه، لأنه ما من أمة تستطيع أن تعيش بلا تاريخ ممحص محقق ميسر التناول على جميع المستويات.٢

١- بكت الصحوة القطب محمد قطب" لمحمد عبد الله المطر، ص٣٢.

٢- مقالة "مراجعات في عالم الكتب كيف نكتب التاريخ الإسلامي؟ لعثمان ضميرية، مجلة البيان (مايو١٩٩٣م)، السنة: ٧، ج٦٣ص٣٠.

كان للأستاذ محمد قطب -رحمه الله- اعتناء خاصّ بالتاريخ الإسلامي، ويرى أنّه يُكتب في الكثير من الدوائر الفكرية بمنهج مزيّف، متأثّر بتوجّهات المستشرقين وضلالاتهم حول تاريخ المسلمين، وأنّه من ثمّ يجب إعادة كتابة التاريخ الإسلامي بمنهج شرحه في كتابه المهمّ "كيف نكتب التاريخ الإسلامي". وكان قد انتبه لهذه النقطة قبل سجنه في ستينات القرن الماضي، حين كانت الكتابات في نقد منهج المستشرقين شبه منعدمة في الأوساط الإسلامية، فكتب كتاب "المستشرقون والإسلام" الذي لم يشأ الله له إصداره إلا بعد خروجه من السجن، فكان يناقش أطروحات كبار المستشرقين آنذاك مثل "مرجو ليوث" و"فلهوزن" و"جِيب" و"جرونيباوم" و"ولفرد كانتول سميث"و"واشنطن إرفنج" و"مرو برجر" و"هربر دكمجيان".

أذكر كذلك أنّه كان يشجّع على الاهتمام بهذا الجانب، أي إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وأشاد بجهود الكاتبين الدكتور عماد الدين خليل ومحمود شاكر مؤرخ سوري معاصر.

قال الأستاذ محمد قطب رحمه الله: هذه الأمة أو قل بالتحديد قرونها المفضلة الأولى، قامت بتطبيق مثالي لهذا الدين في عالم الواقع، فارتفعت إلى عالم المثال مع بشريتها الكاملة، وأثبتت في الوقت ذاته واقعية هذا الدين، وقابليته للتطبيق في عالم الواقع.

وتلك هي القيمة الحقيقة لهذه الفترة من التاريخ إن هذه الأجيال الأولى وخاصة الجيل الأول الفريد. قد لا يتكرر مرة أخرى في واقع الأرض. ولكنها تبقى مع ذلك رصيدا واقعيا لهذه الأمة في جميع أجيالها، يحفزها على محاولة العودة إلى تطبيق الإسلام. وهذه المحاولة ذاتها عمل إيجابي مثمر، ولو لم يصل إلى كل النتيجة المطلوبة.

تصور إنسانا عند سفح جبل، يعلم يقينا إن هناك من صعد هذا الجبل إلى قمته، فهو يحاول أن يصعد مثله، وقد يصل إلى منتصفه وقد يصل إلى ربعه، وقد يفلس جهده بعد أن يرقى بضع درجات.وتصور إنسانا آخر وقف على سفح جبل يتطلع إلى قمته وهو يقول في نفسه: إن هذا مستحيل مستحيل أن يفكر إنسان في صعود هذا الجبل الشاهق، فلنكف عن التطلع، ولنرض بالبقاء في السفح أيهما أنفع للبشرية؟ وأيهما أفضل في ذات نفسه؟

ثمّ... أي دور يؤده ذلك الذي صعد إلى القمة أول مرة، في حياة كل الذين يجيئون بعده، ويحاولون أن يصعدوا مثله، ولو وصلوا إلى المنتصف، ولو إلى ربع الطريق.. ولو أفلس جهدهم بعد رقي بعض الدرجات؟إنه دور ضخم في عالم الواقع..

ولهذا نحتفي حفاوة بالغة بذلك الجيل الفريد، وبتلك القرون المفضلة لأنها المدد الحي الذي يدفع الأجيال كلها إلى محاولة الصعود، بدلا من أن تتنتكس إلى أسفل، وتخلد إلى الأرض عند السفح وربما كان هذا هو السبب الذي يجعل المستشرقين يجهدون أنفسهم لمحاولة تشويه تلك الفترة بالذات، لعلهم يطفئون بريقها، ويحجبون نورها عن الأجيال المتأخرة لكي لا تفكر أبدا في معاودة الصعود من جديد:[يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهَّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُّ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] ﴿الصف: ٨﴾١

وأيضا له عناية خاصة بطرح نظرية التفسير الإسلامي للتاريخ، وأشار إلى أن هذا التفسير اجتهاد بشري يمكن أن يخطئ ويصيب كاجتهاد الفقهاء في استنباط الأحكام، ويمكن أن تختلف فيه وجهات النظر كما تختلف وجهات النظر بين الفقهاء. أما "المعيار" الذي يجب أن يقوم عليه هذا التفسير فليس بشريا، ولا يملك البشر -بعلمهم المحدود

١- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، القاهرة: دار الشروق، ١٩٩٢م، ط١، ص٨٨.

وقصور نظرتهم وتأثرهم بأهوائهم- أن يضعوا هم المعيار من عند أنفسهم، وإنما يضعه الخالق المدبّر اللطيف الخبير.. قال تعالى "ألا له الخلق والأمر" ﴿الأعراف: ٥٤﴾.

وكان قد ناقش في كتابه السابق جملة من التفاسير المعاصرة كالتفسير المادي للتاريخ، والتفسير الليبرالي، وبيّن بعض الأخطاء التي يقوم عليها هذان التفسيران.

الخلاصة: لقد أثرى محمد قطب الفكر الإسلامي في عدة مجالات، وقد أشرت إلى مجالين منها وهما: مجال الرد على بعض النظريات الغربية، ومجال بناء النظريات الإسلامية في مجالات جديدة، بتأكيد أنه أبدع في مجالات أخرى أيضًا.

وأعتقد أن من حقه علينا أن يقوم بعض مفكرينا وعلمائنا ومؤسساتنا بجمع كتاباته ودراستها وتقويمها، لتستفيد الأجيال القادمة منها.١

حول التفسير الإسلامي للتاريخ للأستاذ محمد قطب رأى كما يقول المؤلف: "وهذا الكتيب لا يمكن بطبيعة الحال أن يتسع لدراسة مستوعبة للموضوع، إنما هو بالأحرى دعوة للمتخصصين ليقوموابهذه الدراسة، وأن يكون في الوقت ذاته دعوة للمؤرخين المسلمين أن يعيدواكتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي المتميزة". وقضية التفسير الإسلامي للتاريخ ما زالت في إطارها النظري الذي لم تتميزمعالمه، وهذا الكتاب لبنة في محاولة هذا التفسير، والذي ما زال ميداناً بحاجة إلى الدراسة والمناقشة.٢

١- مقالة"ما قيمة محمد قطب الفكرية؟" فلسطيني، غازي التوبة. بمكة: موقع الجزيرة (أبريل ٢٠١٤م) ص٢.

٢- مقالة "حول التفسير الإسلامي للتاريخ للأستاذ محمد قطب" لمحمد الحسيني، مجلة البيان (مارس ١٩٨٩م)، السنة: ٣، ج١٧ص١٠٦.

المطلب الخامس: دوره في تصوير الواقع المعاصر وحلول قضايا الأمة

حين يتحدّث الأستاذ محمد قطب عن الواقع المعاصر وقضايا الأمة فهو لا يتحدّث بصفته المفكّر المترف الغارق في مكتبه بعيدًا عن متاعب هذا الواقع وأزماته، بل كان الأستاذ محمّد قطب منطلقًا من تجربة في الصراع المرير مع بقايا الاستعمار الغربي في بلاد المسلمين، في قلب العالم الإسلامي حيث ولد ونشأ، في مصر الكنانة التي تسلّط عليها عسكر مجرمون يحاربون الدعاة ويصدّون عن سبيل الله ويسيرون بالأمة إلى مستنقعات التخلّف والضياع.

الأستاذ محمد قطب فيما سطره عن حالة الواقع المعاصر: «لا يحتاج الإنسان إلى كبير جهد ليدرك أن الواقع المعاصر للمسلمين هو أسوأ ما مر بهم في تاريخهم كله، ولا يحتاج إلى كبير جهد كذلك. ليدرك أن أوضاع المسلمين من السوء بحيث تجعلهم أسوأ كثيراً حتى من الجاهلية المحيطة بهم، بل تبدو الجاهلية المعاصرة قمة شامخة يعيش المسلمون إلى جوارها في الحضيض؛ فإلى جانب التخلف المزري في كل جوانب الحياة السياسية والحربية والاقتصادية والاجتماعية والعلمية والمادية والفكرية والخلقية، يوجد الضعف المزري لا أمام القوى العالمية وحدها، بل أمام أصغر القوى وأضألها في الدويلات الآسيوية والأفريقية المتخلفة في ذاتها، الضعيفة في كيانها، ولكنها تستأسد على المسلمين، فتقيم لهم المذابح بين الحين والحين، وتجتاح أرضهم، وتخرب ديارهم، وتنتهك أراضيهم، وكأنهم حمى مباح لكل معتد أثيم.وإلى جانب هذا وذلك، الضياع الفكري والروحي الذي جعل الأمة

الإسلامية لأول مرة في تاريخها تنظر إلى الجاهلية على أنها أفضل منها، وتنظر إلى الإسلامعلى أنه رجعية وتخلف ينبغي الانسلاخ منه واتباع الجاهلية!»١

كتب الأستاذ محمد قطب عن الأسباب التي أدّت إلى انحطاط هذه الأمة، وعن مظاهر هذا التخلف والانحراف السريع، وعن الطريق للخروج من النفق المظلم الطويل. وكان كتابه "واقعنا المعاصر" أحد أهمّ الكتب الكبيرة التي أودع فيها أفكاره بهذا الخصوص. وكان كتاب "كيف ندعو الناس" استلهامًا للمنهج النبوي وإسقاطا له على الواقع المعاصر، منهجه عليه الصلاة والسلام في التربية وبناء "القاعدة الصلبة" التي سيتعهد إليها قيادة هذه الأمة نحو التمكين، وهداية البشرية إلى طريق النور.

كان الشيخ الكبير الذي عركتْهُ التجارب والمحن يصيح بروح الشباب "هلمّ نخرج من ظلمات التيه"، ويأخذ العبر ويعلّمنا الـ "دروس من محنة البوسنة والهرسك"، ويحدّثنا عن "الجهاد الأفغاني ودلالاته"، وعن "المسلمون والعولمة"، ويحلّق بنا في "رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر"، وكان قبل سجنه في الستينيّات على هذا المنهج حيث كتب كتابه المهمّ "جاهلية القرن العشرين"، واستعرض من خلاله المظاهر الواقعية المختلفة لهذه الجاهلية في جميع مجالات الحياة، في وقتٍ كان يسخر الناس فيه ممّن يصف أوضاع الحضارة الغربية بأنّها جاهلية!

ملخص الكلام في هذا المبحث مرور في كتاباته، وأقواله، فوجدت أنه يزاوج بين الأصالة والتجديد، ولا يلتزم طريقا واحداً، مما جعله يصل إلى نتيجة أن المبدع لا يكون

١- راجع رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر لمحمد قطب، القاهرة: مكتبة السنة،١٩٩١م ط١، صص١٨٣، ١٨٤.

مجددا فقط أو مقلداً فقط وإنما قد يجمع بينهما، فيأتي بالجديد كما يأتي بالقديم، وليس ذلك باختلاف المراحل التي تعني نضج الكاتب وإنما قد تعني أن اتساع وجهة نظر الكاتب لاحتوائه القديم بعد أن كان يرفضه من مثل العقاد وشوقي. وكأنه بهذا يحكم على العمل نفسه أكان من قبيل التجديد أم من قبيل التقليد، وهو ما يتفق مع نظراته في الأصالة التجديد السابقة الذكر، وأن الفن والإبداع منبعه واحد مهما اختلفت مدرسته مادام يعبر عن نفس الكاتب ورؤيته، وبالرغم من أن الأستاذ محمد قطب كتب فكرته في التأصيل الإسلامي للعلوم أو أسلمة العلوم وليس فن الإسلامي وحده، فجاءت قضية التجديد في الأدب الذي يمكن أن تكون قد شغلت الكاتب والكتاب معا، فلا نعجب إذا وجدنا الباحث يستعمل مصطلحات مثل: "البعث"، "الإحيا"، "التطور" في صلب حديثه في دراسات عن النفس الإنسانية، ومنهج التربية الإسلامية، فالمنهج الأول من الفكريين التي كانت بزعامة سيد قطب–رحمه الله–نشأت بأثر من مدرسة البعث والإحياء، والباعث على هذا التقليد هو حركة تطور كالتي قادها عباس محمود العقاد، في عهد محمد علي، والحركة الإصلاحية التي قادها الإمامان محمد عبده ورشيد رضا، بالرغم أن حافز التقليد ليس من خارجه، وإنما باعثه من داخله، وهو المحاكاة المحض، والتقليد للآخرين.

على الرغم من هذا ركزت في الأصالة والتجديد في كتابات محمد قطب ومعالم الأصالة والتجديد في نتاجه و ثم الروافد متبوعا بالمظاهر ثم بواعث التجديد، ونماذج من كلامه.

في هذا الجزء من البحث تمّ المرور على الجوانب الإبداعية والسمات التي أبرزت أدب محمدقطب والعوامل الخارجية التي شكلت الروافد التي نبع منها أدبه واتسمت بالصدق

والوضوح بعيدًا عن مجاراة الناس والرغبة في نيل صداقاتهم على سبيل السكوت عن الحق. بعد ذلك انتقل البحث إلى نقطة أخرى تعمقت وتركزت في شخصية الأستاذ وهي العروبة والفخر بعروبته والدعوة إلى الوحدة العربية والأمة المسلمة والبعد عن الافتراق تحت مسميات (الوطنية والقومية والجنسية).

ودار البحث في الأخير حول النزعة الإسلامية لدى الأستاذ محمد قطب وتركيزه وحرصه على بث مسائل تعاليم الإسلام والدعوة الإسلامية في أدبه ومؤلفاته ورغبته في إيقاظ الشباب المسلم وتنبيهه إلى ما يحيط به من دسائس ومؤامرات.

الفصل السادس

اراءة مفاهيم جديدة عن الموضوعات المحدثة المعاصرة

المبحث الأول: نظرياته حول الشعر وقيمته وتركه

المطلب الأول: شعره وسيلة للترغيب في العلم وإيقاظ الشباب

المطاب الثاني: القيمة الفنية للشعر التعليمي

المطلب الثالث: رحلته من الشعر إلى النثر

المبحث الثاني: نظرياته حول الفلسفة والتصور الإسلامي

المطلب الأول:نظرياته حول مصطلح التصور الإسلامي

المطلب الثاني: قيمة الفلسفة والفكر الإسلامي

المبحث الثالث: آماله حول المستقبل الإسلام والأمة

المطلب الأول: الغد المأمول وآمال المستقبل

المطلب الثاني: ثمار المسيرة المباركة

المبحث الثامن: تركيزه على الأفكار والمعاني

المطلب الأول: خطاب التغيير

المطلب الثاني: مبدأ الحرية

المطلب الثالث: فكرة الصراع

الفصل السادس

اراءة مفاهيم جديدة عن الموضوعات المحدثة المعاصرة

المبحث الأول: نظرياته حول الشعر وقيمته وتركه:

المطلب الأول: شعره وسيلة للترغيب في العلم وإيقاظ الشباب

الشعر التعليمي: هو عبارة عن الشعر الذي يهدف به الشعراء إلى تعليم الناس شؤون دنياهم وأخراهم، وتزويدهم بالحقائق والمعلومات المتعلقة بحياة الفرد والجماعة، وأسرار الطبيعة وما وراء الطبيعة.١ وتناول الموضوعات التالية:

١- فهو يعالج الأخلاق والعقيدة والعبادة، ويتناول الخير والشر، والفضيلة والرذيلة، وما ينبغي الإنسان أن يكون عليه، وما يجب أن يتحاشاه ويتباعد عنه ... يسلك الشاعر في ذلك أساليب الترهيب والترغيب والنصح والعظة.

٢- ويتناول التاريخ والسير: فيقرر ويبين الأنساب والأصول والفروع، وتسلسل الحوادث وترتيبها، ويبحث العلل والأسباب، ويربط النتائج بمقدماتها ...

٣- ويعرض للعلوم والفنون والصناعات، فيقرر الحقائق المتعلقة بشأنها، ويضع لها القواعد ويستنبط لها القوانين.

يقوم الشاعر بكل ذلك ليقدمه لقمة سائغة لمن يريد تعليمه، فتعي ذاكرته، وتسجل حافظته، فيسهل عليه استدعاؤه واستحضاره في الوقت المناسب.

١- مقالة: "حول الشعر التعليمي" لصالح أدم بيلو (١) مجلة الجامعة الإسلامية (١٤٠٢هـ). ع ٥٢ ج ٢٤ص١٠.

وبهذا ترى أن الميادين التي يعمل فيها هذا اللون من الأدب، أو الشعر الذي نسميه (تعليميًا) ثلاثة ميادين: (١) أصول الأخلاق والعقائد. (٢) السير والتاريخ. (٣) الحقائق والمعارف المتعلقة بالعلوم والفنون والصناعات.١

المطلب الثاني: القيمة الفنية للشعر التعليمي

هذا اللون من الشعر من الناحية الفنية ليس على شيء، وليس هو بأكثر من كلام موزون مقفى، لأن الشعر في حقيقته إن هو إلا عاصفة جياشة، وخيال مهوم بديع، وأسلوب جميل، ولفظ أخاذ، يضاف إلى ذلك الموسيقى والتوقيع، على أنه ينبغي أن لا نندفع ونبالغ في التعميم، فنردد أن الشعر التعليمي -على إطلاقه- إن هو إلا كلام موزون مقفى... إلخ.

إن هذا الكلام لا يصدق إلا في بعض ألوان الشعر التعليمي، أو على القسم الذي أسموه "حقائق الفنون والعلوم والمعارف" .. على حين لا يكون الأمر كذلك - دائما- في الأقسام الأخرى من الشعر التعليمي، خصوصا النوع الذي يتناول التاريخ وأحداثه، فقد يحور ويتحول عند الشاعر المبدع، والفنان البارع الموهوب إلى شعر قصصي.٢ آسر للقلوب كالذي رأيناه في رائعتي ابن المعتز اللتين وقفنا عندهما بقصد توكيد هذه الحقيقة!..

١- مقالة: "حول الشعر التعليمي" لصالح أدم بيلو (١) مجلة الجامعة الإسلامية (١٤٠٢هـ). ع ٥٢ ج ٢٤ص١١.

٢-حديث الأربعاء لطه حسين، ج ٢، القاهرة: دار المعارف مصر، ١٩٥٤م، ص٢٢٠. وظهر الإسلام لأحمد أمين، ج١، بيروت: دار الكتاب العربي، ١٩٤٩م، ص ٢٥.

اعتراف بالجمال: ومهما قيل في القيمة الفنية للشعر التعليمي، فإنني أرى -من الإنصاف- عدم تجريده من كل فضيلة، ولا أرى إنكار أنه قد أدى بعض المهمة التي أريد له أن يؤديها ... ذلك أنه قد حفظ كثيرًا من تراث هذه الأمة الديني واللغوي والعلمي خصوصًا في العصور المتأخرة التي شمل الضعف والتدهور كل جوانب الحياة فيها!!١

المطلب الثالث: رحلته من الشعر إلى النثر

قلّ اهتمام "محمد قطب" بالشعر عما كان في مبتدئه؛ لأن القوالب الشعرية تضيق عن شعوره الذي يعبر عن خلجات نفسه وخطرات قلبه و وحي وجدانه وثبات فكره، فنزع إلى النثر محاولاً إعادة الجملة القرآنية إلى مكانها مما يكتب الكتاب للناشيء وللأدباء، أيقن أن عليه رسالة يؤديها إلى أدباء جيله، وأن له غاية هو عليها أقدر، فجعل هدفه الذي يسعى إليه أن يكون لهذا الدين حارسًا يدفع عنه أسباب الزيغ والفتنة والضلال، وينفخ في هذه اللغة روحًا من روحه، يردّها إلى مكانها، ويرد عنها، فلا يجترئ عليها مجترئ، ولاينال منها نائل، ولا يتندر بها ساخر إلا انبرى له يبدد أوهامه ويكشف دخيلته، وكتب عن قيم الشعر الجاهلي بقوله: «كان أشد ما يشغل العرب في حياتهم القبلية التي يعيشونها هو قول الشعر وحفظ الأنساب. فالشعر يتفنون في قوله ويتباهون بفصاحته وحفظ الأنساب تستخدمه كل قبيلة في التفاخر مع القبائل الأخرى وفي محاولة النيل من القبائل الأخرى وقت الخصام والنزاع بما قد يكون من ملمز فى أنسابها، وبالرغم بلاغة الشعر العربي الجاهلي ودلالته على النضج الفكري والنفسي والتعبيري فإن البداوة التي كان يعيش فيها العرب ومشغلتهم

١- مقالة: "حول الشعر التعليمي" لصالح أدم بيلو (٢) مجلة الجامعة الإسلامية (١٤٠٢هـ). ع ٥٢ ج ٢٤ص٢٢٠.

الدائمة بالعصبية القبلية وما يتبعها من خصومات ونزاعات وتفاخر بالأنساب لم تدع مجالا "للتجمع" لتكوين أمة وهو شرط أساسي لأي حركة علمية أو حضارية»١

رحل الشعر عن الأستاذ محمد قطب بعد محنة المعتقل والسجن والتنكيل وأخذ النثر وسيلة في سبيل الدعوة والدفاع عن الحق والعدل والثبات، لسببين:

السبب الرئيسي: كان كتابة الشعر ﴿آنذاك﴾ لوناً من الترّف الفني، وهذا لا يليق بأعباء محمد قطب ومسؤلياته الدينية.

والسبب الثاني: يرجع إلى كون الأستاذ محمد قطب كمربي ومفكر إسلامي أصيل في ميادين تربية وتعليم الأجيال القادمة وهذا لا يليق به والسبب الآخر أن الأستاذ محمد قطب استخدم النثر وسيلة من وسائل الدعوة وإعلاء كلمة الله تعالى.

خلاصة القول أن أهمّ أسباب قلّة الشعر الموجود في نتاجه يكون للأسباب التي تمّ ذكرها، رُبما هناك ثمةَ أسباب أخرى ولكن السبب الرئيسي في قلته أمر التدريس والدعوة وأمور متعلقة بهما. عسى أن يكون لنا في ذلك عبرة وتذكرة، وحافزًا وهمة.

فكتب مجموعة من الكتب تعبر عن هذه الأغراض عُدت من عيون الأدب في مطلع هذا القرن، وأهمها: ١- منهج الفن الإسلامي. ٢- واقعنا المعاصر. ٣- دراسات قرآنية.

١- راجع واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة ،١٩٨٧م، ط٢، ص٨٧.

المبحث الثاني: نظرياته حول الفلسفة والتصور الإسلامي

المطلب الأول: نظرياته حول مصطلح التصور الإسلامي

ولعل أول من استخدم هذا المصطلح "التصور الإسلامي" هو المفكر الإسلامي المعروف أبو الأعلى المودودي، أمير الجماعة الإسلامية في باكستان، فكتب في ذلك كتابه "الحضارة الإسلامية: أسسها ومبادئها" وكتابه "نظام الحياة في الإسلام" وأقامهما على هذه الفكرة.

ثم أقام الأستاذ سيد قطب كتابه الرائد الممتع "العدالة الاجتماعية في الإسلام" على هذا الأساس، فكتب فيه فصلا عن نظرة الإسلام للوجود؛ ليكون قاعدة لبحث النظام الاقتصادي والعدالة الاجتماعية، ووعد ببحث مفصل عن ذلك، وكان أن أنجز وعده، فصدر أولا "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" "القسم الأول: وبعد سنوات من استشهاده، صدر القسم الثاني من الكتاب عن "مقومات التصور الإسلامي" في عام "١٤٠٦هـ". ويحدد المؤلف -رحمه الله- منهجه في البحث فيقول:

«منهجنا في البحث عن "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته" أن نستلهم القرآن الكريم مباشرة -بعد الحياة في ظلال القرآن طويلًا- وأن نستحضر -بقدر الإمكان- الجو الذي تنزلت فيه كلمات الله للبشر، والملابسات الاعتقادية والاجتماعية والسياسية التي كانت البشرية تَتيه فيها وقت أن جاءها هذا الهدى. ثم التيه الذي ضلّت فيه بعد انحرافها عن الهدى الإلهي! ومنهجنا في استلهام القرآن الكريم أن لا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقا

-لا مقررات عقلية ولا مقررات شعورية- من رواسب الثقافات التي لم نستقها من القرآن ذاته، نحاكم إليها نصوصه؛ أو نستلهم معاني هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة»[1]

ثم إننا لا نحاول استعارة "القالب الفلسفي" في عرض حقائق "التصور الإسلامي"؛ اقتناعا منا بأن هنالك ارتباطًا وثيقًا بين طبيعة "الموضوع" وطبيعة "القالب"، وأن الموضوع يتأثر بالقالب، وقد تتغير طبيعته ويلحقها التشويه، إذا عرض في قالب، في طبيعته وفي تاريخه، عداء وجفوة وغربة عن طبيعته! الأمر المتحقق في موضوع التصور الإسلامي والقالب الفلسفي والذي يدركه من تذوق حقيقة هذا التصور كما هي معروضة في النص القرآني!

وكلمة أخرى في المنهج الذي نتوخاه في هذا البحث أيضا إننا لا نستحضر أمامنا انحرافا معينا من انحرافات الفكر الإسلامي، أو الواقع الإسلامي ثم ندعه يستغرق اهتمامنا كله، بحيث يصبح الرد عليه وتصحيحه هو المحرك الكلي لنا فيما نبذله من جهد في تقرير "خصائص التصور الإسلامي ومقوماته"، إنما نحن نحاول تقرير حقائق هذا التصور -في ذاتها- كما جاء بها القرآن الكريم كاملة شاملة، متوازنة، متناسقة تناسق هذا الكون وتوازنه، وتناسق هذه الفطرة وتوازنها.

ذلك أن استحضار انحراف معين، أو نقص معين؛ والاستغراق في دفعه، وفي صياغة حقائق التصور الإسلامي للرد عليه ...منهج شديد الخطر وله معقباته في إنشاء انحراف جديد في التصور الإسلامي لدفع انحراف قديم ... والانحراف انحراف على كل حال![2]

١- خصائص التصور الإسلامي ومقوماته لسيد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط٨، ص١٦.

٢- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط١، ص١٦-١٩.

ثم قام الأستاذ محمد قطب بحفظ الأصالة والتجديد وقدم كتابه الرائد الممتع "منهج الفن الإسلامي" فكتب فيه فصلاً عن طبيعة التصور الإسلامي؛ ليكون خطوة في مجالات الفن الإسلامي وطبيعته ويقول: والتصور الإسلامي يبدأ من الحقيقة الإلهية التي يصدر عنها الوجود كله؛ ثم يسير مع هذا الوجود في كل صوره وأشكاله وكائناته وموجوداته، ويعني عناية خاصة بالإنسان –خليفة الله في الأرض– فيعطيه مساحة واسعة من الصورة؛ ثمّ يعود بالوجود كله مرة أخرى إلى الحقيقة الإلهية التي صدر عنها وإليها يعود،١ وأيضا كتب فصلاً بعنوان الإنسان في التصور الإسلامي وحدد وظيفة الإنسان المتصور بالإسلام وعنواناً "الواقعية في التصور الإسلامي" و"العواطف البشرية في التصور الإسلامي" و"الجمال في التصور الإسلامي" و"القدر في التصور الإسلامي" و"حقيقة العقيدة في التصور الإسلامي" ويتكلم عن دور الإنسان في التصور الإسلامي، بقوله: الإنسان خليفة الله في الأرض... فقد خلقه الله في أحسن تقويم، ووهب له هذه المواهب كلها في نفسه وفي الكون من حوله، وأعطاه مكانة في أحداث الحياة، ليقوم بدور الخلافة في الأرض، من عمارتها وترقيتها، واستخراج كنوزها وأرزاقها، والتعرف على أسرارها، وأسرار ما في السموات والأرض من طاقات مسخرة له. بإذن الله، ولينشيء بكل ذلك حياة إنسانية صالحة رشيدة مهتدية بهدي الله.٢

ويحدد المؤلف –رحمه الله– هدفه في البحث فيقول: إن من هدف هذا البحث أن يوضح بعض سمات هذا الفن الإنساني الرفيع، لعل المسلمين –الذين لايجدون في تراثهم الفني ما

١- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط٨، ٢٢.

٢- نفس المصدر ص ٤٧.

يغنيهم، فيروحون ينتبهون نهبات متناثرة من فنون الغرب، صالحها وفاسدها بغير تمييز- لعلهم أن يفيئوا إلى كنزهم الضخم الذي أهملوه، وأن يفيئوا إلى أنفسهم حين يفيئون إلى هذا الرصيد، فيجدوا أن في مكنتهم أن يتقدموا القافلة، لا أن يكونوا متخلفين في الطريق ينتبهون ما يتناثر من الفتات.١

أهم العوامل اللازمة للمحافظة على الوحدة الفكرية أمران أساسيان:

الأول: تطهير الفكر الإسلامي من الفكر الدخيل، وعزل المجتمع المسلم عن أفكار المجتمعات الجاهلية، وجميع خصائصها، ومحاربة الوسائل الناقلة لها، وتطعيم أفراد المجتمع ضد الأفكار المحتمل تسللها ببيان بطلانها وتناقضهما وما تجره من الشر والدمار وسوء العاقبة.

الثاني: تزكية أفراد المجتمع بالتوسع في نشر عقائد الإسلام وتعاليمه المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم على فهم السلف الصالح وأصولهم، والعناية بالأسرة، وتسخير كافة الجهود والوسائل لتحقيق هذا الغرض، وأن تكون رسالة التعليم والتربية والإعلام والمسجد واحدة هي رسالة الإسلام ووظيفتها هي الدعوة إلى الله، والدفاع عنه، وإعداد أجيال تطبق الإسلام تطبيقاً سليماً، وتتحمس له، وتنهض به، عالمة عاملة مؤيدة.

وهو من أعلام الفكر الإسلامي في القرن العشرين الذي امتازت كتبه بغزارة المادة، وعمق الفكرة، ودقة الاستنباط وروعة البيان، وظهرت فيها شخصيتهم واضحة المعالم، بينة القسمات.

١- نفس المصدر ١٤.

من كتب محمد قطب الجليلة: كتاب "دراسات قرآنية" و"قبسات من الرسول" و"واقعنا المعاصر" و"مذاهب فكرية معاصرة" وهو أصغرها حجما.

العمل على تقديم الفكر الإسلامي في صياغة جديدة مقنعة .. إما العمل على إثارة قضايا الإسلام وقضايا الشعوب المسلمة....

وإما مواجهة التحديات التي تتحدى الإسلام: عقيدة وفكرًا، ونظامًا وتراثا سواء من داخلنا أم من خارجنا أم التصدي للأنظمة التي تسعى جاهدة على تقليص ظل الإسلام وحصره في أضيق الحدود ..كل هذه المسائل لم تكن تشغل تفكير تلك الجماعات، إلا أقل القليل منها .. وأقل القليل من هذه المعاني أيضا.. ولنعد القليل من هذه المعاني أيضا ..

محمد قطب يقول: إن هذه الأمة لا تستطيع أن تفكر ولا أن تعبر إلا من خلال الإسلام إذا أرادت أن يكون وجودها صحيحا. فكما أنها ينبغي أن تحكّم منهج الله وشريعة الله في حياتها فكذلك هذا المنهج ذاته هو الذي ينبغي أن يحكم الفكر ويحكم التعبير عن هذا الفكر.

ولا نستطيع أن نكون مسلمين حقاً إذا تحاكمنا لغير شريعة الله ولغير نهج الله كذلك لا نستطيع أن نكون مسلمين حقاً إذا فكرنا تفكيراً غير إسلامي أو عبرنا تعبيراً غير إسلامي. فأهمية الأدب الإسلامي "أو الفكر الإسلامي" لا تقل في نظري عن أي جزئية من جزئيات هذا الدين أو هذا المنهج الرباني، والأمة الأولى أو الجيل الأول من هذه الأمة الذي استحق وصف الله تعالى [كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ] (آل عمران: ١١٠).

كانوا يعيشون الإسلام كل لحظة من لحظات حياتهم، يعيشون في السلم والحرب، يعيشون نظام حكم ونظام تفكير.

إلا أن التعبير عن هذه الحياة لم يأخذ في نظري مجاله الذي كان ينبغي أن يأخذه لأن التعبير يأتي متأخراً. فالجيل الأول شغل ببناء نفسه وبناء المجتمع الإسلامي وبناء الدولة الإسلامية والجهاد في سبيل الله كل هذا من التعبير عن هذه المعاني. وهذا أمر طبيعي غير مستغرب، فإنه لابد أن تمضي فترة من الوقت بين الحدث وتمثله في النفس تمثلاً يعبر عنه في صورة أدبية، هذه الفترة التي انقضت في الإنشاء لم يكن فيها كثير من التعبير من جانب المسلمين لأنهم كانوا مشغولين بعملية الإنشاء لأن أثر القرآن في نفوسهم كان من الفخامة بحيث يغنيهم عن التعبير، فكل ما في الحياة يجدونه معبراً عنه في كتاب الله، فيغنيهم هذا عن أن يعبروا بأنفسهم ولكن كان لابد أن يأتي الوقت الذي يعبر المسلمون فيه عن تجربتهم الجديدة هذه ويخرجونها في ثوب فني جديد.

حين جاء هذا الوقت كانت قد حدثت أحداث عظيمة في العالم الإسلامي ردت المسلمين إلى بعض المعاني السابقة على الإسلام من قبيلية ومن نزاعات، فحين بدؤوا يتكلمون، حين بدؤوا يعبرون عن أنفسهم رجعوا مع الأسف إلى قوالب التعبير الجاهلية وفي كثير من الأحوال إلى معاني التعبير الجاهلية في الفخر والهجاء وأيضاً فيما نهى الله عنه.

وصار أدب المسلمين مسيرة طويلة خلال أربعة عشر قرناً يقترب أحياناً من المفهوم الإسلامي ويبتعد أحياناً كثيرة، حتى أننا في كثير من الأحيان لا نكاد نجد فرقاً واضحاً بين التعبير العربي في الجاهلية والتعبير العربي الذي أنتجه المسلمون وإلا فالخمريات والمجون والمدح والهجاء وكل هذه الأبواب التي جاء الإسلام ليبطلها وليضع مفاهيم جديدة للحياة وللتفكير والتعبير قد عادت إلى الظهور في أدب الأدباء خلال أربعة عشر قرناً، أقصد بهذا

أن التجربة الإسلامية-في الأدب- لم تكن قد أخذت نضجها الذي ينبغي أن تأخذه. وركن الأدباء إلى صور التعبير الجاهلية ووضعوا عليها عنواناً إسلامياً في كثير من الأحيان.

ونحن اليوم إزاء تجربة جديدة، والتجربة الجديدة قد نشأت من المجتمع الإسلامي الذي قد ابتعد بعداً شديداً عن الإسلام ثم عاد إليه مرة أخرى في حركة الصحوة التي يمارسها المسلمون اليوم وهذه التجربة الجديدة هي التي نريد أن نعبر عنها بالصورة الإسلامية، وليس من الضروري أن نتقيد فيها بما جرى خلال أربعة عشر قرناً في ما مضى من محاولات تعبيرية قد لا تكون وافية بالغرض إنا نريد إن استطعنا- تجربة جديدة كاملة نستمدها من الإسلام مباشرة، لا من التراث الذي يحمل اسم الإسلام إنما من حياتنا الواقعة من تجربتنا نحن من معاناتنا، من تفاعلنا مع المعاني الإسلامية في أزمتنا الحاضرة. وليست الأزمة هي التي تؤدي إلى التعبير، فإن الوجود ذاته هو الذي يؤدي إلى التعبير. الوجود الإسلامي في نفوسنا هو الذي يؤدي إلى أن نعبر تعبيرًا إسلاميًا. ولكن الأزمات دائما حافز قوي من حوافز التعبير ونحن اليوم نعيش أزمة ونعيش أزمة داخل مجتمعاتنا، ونعيش أزمة في التفاعل أزمة في التفاعل مع العالم المعادي للدين. والمعادي للإسلام بصفة خاصة، يضغط على مفاهيمنا بحضارته وبأفكاره وبتعبيراته وبفنونه فلا يجعل الرؤية واضحة بالنسبة للأديب المسلم، كيف يعبر، وعن أي شيء يعبر، هل يقلد ذلك الأديب الغربي أم أنه يجب أن يختط طريقةً خاصة به؟.

وما الطريق الخاص، من أين تحدد معالمه؟ لابد لنا في كل أمر عظيم أن نعود إلى الكتاب والسنة، فهذا هو أصل حياتنا الإسلامية، وهذا هو الذي يرسم لنا منهج الحياة. لكن في الفن بصورة خاصة (والأدب لون منه) كيف يكون الرجوع إلى الكتاب والسنة؟ كيف

نستفيد منه؟ هل نستوحيها في الموضوعات؟ أم نستوحيها في الروح العامة، أم نستوحيها في المفاهيم؟

إن في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم مفاهيم كاملة يعيش فيها الأديب المسلم والفنان المسلم – يستمد إيحاءاته كلها من مفاهيم هذا الدين. ليس من الجزئيات لكن من المفاهيم العامة.١

يقول عبد الله بن عبد الرحمن الجربوع: فالفكر الإسلامي هو الذي يستند إلى العقيدة الإسلامية وينطلق من نصوص الوحي في بحثه واجتهاده في مختلف مجالات الحياة، والحضارة القويمة هي الحضارة الإسلامية التي تقوم على ثمرات الفكر الإسلامي الشامل لجميع الميادين.٢

ويمكن حصر أهم ميادين الفكر الإسلامي فيما يلي:

- فهم نصوص الكتاب والسنة، واستنباط الأحكام والعبر والمواعظ.
- استنباط براهين الحق ودلائل التوحيد ومعجزات النبي صلى الله عليه وسلم وغير ذلك من العقائد بالتدبر لآيات الله التنزيلية والتفكير في آيات الله الكونية.
- بيان محاسن الإسلام وسلامة نظمه وتشريعاته من النقائص، وأنها هي المصلحة لحياة الناس.

١- "حوار حول الأدب الإسلامي" محادثة الدكتور نعمان القاضي مع محمد قطب، المدينة المنورة: مجلة الجامعة الإسلامية (١٤٠٣هـ) ع٥٧ ج ٢٧ص ١٣.

٢- أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع،ج٢، مدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (٢٠٠٣م) ط١، ص٥٨٦.

- الدفاع عن الإسلام وتفنيذ الشبهات المثارة حوله، وبيان بطلان الأفكار المنحرفة والأديان الضالة.
- استكشاف الأسرار التي وضعها الله في خلقه، وسخرها للإنسان، والانتفاع من ذلك في تسهيل حياة الناس والرقي بها، وفي الإعداد لقوة المسلمين في كافة المجالات. ويدخل في ذلك العلوم المادية كالفيزياء، والكيمياء، والرياضيات، والطب، والإحياء، والصناعات المختلفة، والزراعة، والعلوم الاقتصادية والتجارية. والفكر الإسلامي معني بتطهير هذه العلوم مما أدرج فيها من الضلالات بالإضافة إلى نقل المفيد منها، واستخدامه وتطويره.
- البحث والدراسة للنفس البشرية، والنشاط الإنساني وإقامته على مبادئ الإسلام ومسلماته، ويشمل ذلك: علم النفس، وعلم الاجتماع وفروعهما، والدراسات التاريخية، ونحوها.

التفكر في الأمور الغيبية التي أخبر الله بها، كالموت وأحوال القبر، وما يجري يوم القيامة من أحوال، وصفات الجنة والنار، مما يفيد في إصلاح القلوب واندفاعها للخير وارتداعها عن الشر، وعدم تماديها في الحرص على الدنيا. وعلى العموم فالنشاط الفكري الإسلامي يشمل كل المجالات التي يحتاج إليها الناس في دينهم ودنياهم.١

---

١ – أثر الإيمان في تحصين الأمة الإسلامية ضد الأفكار الهدامة لعبد الله بن عبد الرحمن الجربوع،ج٢، مدينة المنورة: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية (٢٠٠٣م) ط١، ص٥٨٨.

المطلب الثاني: قيمة الفلسفة والفكر الإسلامي

المحافظة على سلامة المعتقد ووحدته يتطلب المحافظة على الناحية الفكرية المؤثرة فيه، من أجل استدامة تلك الأخوة القائمة عليه وسلامتها من النزعات المخالفة وما ينتج عنها من فرقة وشتات. وقبل الكلام في هذا الموضوع المهم يجدر أن أقدم ببيان المراد بالفكر الإسلامي، والوحدة الفكرية لكي يتبين المراد بالمحافظة عليها.

وقد قال الدكتور يوسف القرضاوي عن منهجه: «إن محمد قطب.. يُمثِّل مدرسة إسلامية في الدعوة والتربية، والحوار والفكر الإسلامي، الذي يتميز بالأسلوب النيِّر، الذي يخاطب العقل، ويحرك العاطفة، ويحاور الآخر، ويرد على الغرب، كما يرد على المخالفين، ويثير في الشباب اعتزازًا خالصًا للإسلام، وتكاتفا عليه، وجهادًا في سبيله، ورفضا لما سواه»[١]

والهدف من الفكر الإسلامي عند محمد قطب يكون تجديد الفكر الإسلامي على ضوء أصول الإسلام الثابتة ومقتضيات الحياة المتطورة وتنقيته عن رواسب عصور الانحطاط وآثار التغريب، وبعث الشخصية الإسلامية وتجديد الفكر الإسلامي، وإعادة بناء الحياة الاقتصادية على أسس إنسانية، وبعث الكيان السياسي والحضاري للإسلام.

فالفكر هو اسم جنس يطلق على الأفكار الحاصلة من وظيفة التفكر والتعقل التي أودعها الله في قلوب الناس، فالتفكر إذاً وظيفة بشرية، وقد أشار الله لهذا في نحو قوله: [إِنَّهُ

١- راجع "الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" ليوسف القرضاوي، موقع: الأمة أونلاين (أبريل ٢٠١٤م(.www.alamatonline.net) .

فَكَّرَ وَقَدَّرَ]﴿المدثر:١٨﴾. والفكر عموماً هو محصول الاجتهاد البشري.١ وعلى هذا فالعقيدة الإسلامية ليست فكرًا، وإنما هي وحي من عند الله، وهي غذاء الفكر الإسلامي وقاعدته.

وقد بيّن الله أن التفكر في الآيات الكونية، والآيات التنزيلية وما فيها من دلائل التوحيد، والآيات والقصص المشتملة على العبر والمواعظ، بين أن ذلك من صفات المؤمنين.

قال تعالى:[الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللهَّ قِيَاماً وَقُعُوداً وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ] (آل عمران: ١٩١).

وقال: [كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الآياتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (يونس:٢٤).

وقال:[فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ] (الأعراف:١٧٦).

وقال: [نَّ فِي ذَلِكَ لآياتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ] (الرعد:٣، الزمر:٤٢، الجاثية:١٣). ونحوها.

وعلى هذا فالتفكير السديد وظيفة أمر الله بها عباده المسلمين، وهم الجديرون بها، وما ينتج عنه من فكر هو فكر إسلامي قام به المسلم وفق ضوابط الشرع، ومن منطلق العقيدة السليمة.

١- "ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر" لمحمد قطب، المنعقدة في مكتب التربية العربي: مكتب الدول الخليج (١٤٠٧هـ) ص٤٧.

قال الأستاذ محمد عبد الله السمان: «إن العقيدة الإسلامية هي قاعدة الفكر الإسلامية ... ليكون في إطار العقيدة، وفي خدمتها، فإذاخرج عن إطارها، أو تجاوز حدودها، أو تحول ليكون في خدمة غيرها، فلن يكون فكراً إسلامياً، ولو زعم هذا ألف مرة ومرة»[1]

المبحث الثالث: آماله حول مستقبل الإسلام والأمة

المطلب الأول: الغد المأمول وآمال المستقبل في كتاباته

هو يقول: على الرغم من كل شيء فإني أشعر دائما بالتفاؤل العميق بالنسبة إلى مستقبل الدعوة. ويعلل تفاؤله باستقرائه لسنن الله ... فلو كان في قدر الله أن ينتهي الإسلام من الأرض لكان زوال الخلافة هو الفرصة الملائمة لذلك، وبخاصة أن مقصد الأعداء من تدمير الخلافة هو إزالة الإسلام .. بيد أن هذا الحدث ذاته هو الذي بعث عددا من المصلحين لإنشاء الدعوة إلى الرجوع إلى الله والعمل على أن تعلو كلمة الله.

ليس الطريق إلى الغد المأمول مفروشًا بالأزهار والورد... بل هو مفروشٌ بالأشواك والآلام والدماء... دماء الشهداء الذين سيسقطون في الطريق...

إن العالم الظالم اليوم كله مصرّ على محاولة محو الإسلام من الأرض، وليست هذه هي المرة الأولى التي يصرّ فيها الأعداء على هذه المحاولة، منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم إلى اليوم، فقد جاء في كتاب الله الذي أنزل من نيّف وأربعة عشر قرناً في قوله تعالى: [يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللهِّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللهُّ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون] (الصف: ٨)، [يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللهِّ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللهُّ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] (التوبة: ٣٢).

١- راجع قول الأستاذ محمد عبد الله السمان الذي القي في ندوة اتجاهات الفكر الإسلامي المعاصر ص٤٧.

والضمير في الآيتين يعود إلى ذات الأعداء الذين يريدون اليوم أن يطفئوا نور الله: اليهود والنصارى والمشركين، وعملائهم من المنافقين:[وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ] (البقرة: ٢٢٠)، [وَلا يَزَالُونَ يُقَاتِلُونَكُمْ حَتَّى يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَاعُوا] (البقرة: ٢١٧)، [أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْماً غَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ] (المجادلة: ١٤).

ولكن ربما كان الفرق بين المحاولة الحاضرة والمحاولات السابقة أنه في المحاولات السابقة كان بعض الأعداء يهاجمون أجزاء من العالم الإسلامي في الوقت الواحد... أما في هذه المرة فالهجوم واقع من جميع الأعداء، وعلى العالم الإسلامي كله في وقت واحد.

وثمة فارق آخر، ربما كان هو السبب في الحقيقة في وجود الفارق الأول: هو أن العالم الإسلامي – في مجموعه – لم يكن في وقت من الأوقات أضعف منه الآن...

وقد تبدو الهجمة الشرسة مستغربة مع ضعف العالم الإسلامي، واستسلامه لما يراد به عسكريًا وسياسيًا واقتصاديًا وفكريًا، وعجزه عن رد اللطمات المتلاحقة الموجهة إليه عن يمين وشمال.

ولكن ربما يزول العجب إذا عرفت الأسباب... وهناك سببان اثنان على الأقل لهذه الهجمة الشرسة التي يتكاتف على توجيهها كل أعداء الإسلام، حتى الذين بين بعضهم وبعض عداوات حادة كالتي بين الصرب والكروات، تمنع التقاءهم على أي شيء... إلا محاربة الإسلام!

السبب الأول: أن أعداء الإسلام الذين تآمروا ضده خلال القرنين الماضيين، وخططوا وأحكموا التخطيط، ونفذوا بدقة كل مخططاتهم، كانوا قد ظنوا أن تخطيطهم

سيقضي على الإسلام القضاء الأخير، وأنهم سيرتاحون إلى الأبد من ذلك العدو الذي دوخهم خلال التاريخ، وكان القضاء على الدولة العثمانية بالذات، وتفتيت تركة "الرجل المريض" إلى دويلات هزيلة ضعيفة فقيرة وفوق ذلك متعادية متنابزة، أكبر نصر انتصروه على الإسلام في التاريخ كله، ففركوا أيديهم سرورًا بنجاحهم، وجلسوا يقطفون الثمار...

وفجأة برزت الصحوة! ولكن إمكانية حدوث اليقظة غائبة عن أذهانهم، بل كان له مكانه الواضح في تخطيطهم...

في عام ١٩٠٧م ظهر تقرير لورد كامبل، وهو أحد اللوردات البريطانيين، كانت بريطانيا -العظمى يومئذ!- قد عهدت إليه بدراسة ما كان قد بدأ يقلق الدول الاستعمارية من بوادر اليقظة في المنطقة العربية من العالم الإسلامي. فقام بالمهمة ودرس الأمر، وخرج بتقريره الموجه إلى الدول الاستعمارية كلها في الحقيقة، وإلى بريطانيا وفرنسا بصفة خاصة، بوصفهما المهيمنتين الرئيسيتين على القسم العربي من العالم الإسلامي، فقال: «هناك شعب واحد يسكن من الخليج إلى المحيط، لغته واحدة، ودينه واحد، وأرضه متصلة، وتاريخه مشترك، وهو الآن في قبضة أيدينا، ولكنه أخذ يتململ، فماذا يحدث لنا غدا إذا استيقظ العملاق؟»

ثم أجاب على السؤال بما يطمئن أصحاب الشأن فقال: "يجب أن نقطع اتصال هذا الشعب بإيجاد دولة دخيلة، تكون صديقة لنا وعدوة لأهل المنطقة، وتكون بمثابة الشوكة، تخز العملاق كلما أراد أن ينهض!"١

تلك هي إسرائيل... مؤامرة صليبية صهيونية واضحة ضد الإسلام...

١- تقرير اللوردات البريطانيين للورد كامبل، لندن نيوز. ١٩٩٨م ص ١٣.

ولكن "أصحاب الشأن" لم يكتفوا بذلك في مواجهة الصحوة المتوقعة التي عبر عنها "كامبل" بأن العملاق قد "أخذ يتململ"، فقد ربوا "زعامات" و"قيادات" تستوعب الغضبة إذا حدثت في نهاية الأمر على الرغم من كل الاحتياطات، وتحولها إلى زَبَدٍ، ينتشر على السطح، ثم ينفئ بعد فترة دون أن يخلف شيئا على السطح! زعامات"سياسية" وقيادات "شعبية" تملأ الجو عجيجا، ثم لا تمس في النهاية "مصالح" أصحاب الشأن، بل قد تزيدها رسوخا، والشعوب لاهية تصفق للقادة "الأبطال" وهو يُسْلِمُون بلادهم للدمار!

وهذا بجانب السينما والمسرح والإذاعة – ولم يكن التليفزيون قد ظهر بعد – والصحافة ومناهج التعليم.... وتحرير المرأة.١ ومع ذلك كله قامت الصحوة!

فماذا تتوقع من الذين كانوا قد خططوا، وظنوا أن تخطيطهم قد قضى على الإسلام بغير رجعة؟!

أما السبب الثاني – المتصل بالصحوة كذلك – فهو ما ألمحنا إليه من قبل، من معرفتهم بحقيقة هذا الدين، وبأن هذه الصحوة إن استقرت في القلوب فلا سبيل إلى وقفها حتى تأخذ مجراها...

من هذين السببين معاً: الحنق من فشل مخططات قرنين من الزمان أو أكثر، والفزع على "المصالح التي تهددها الصحوة الإسلامية إذا استمرت في الامتداد، نستطيع أن ندرك السعار المحموم الذي يجري في الأرض كلها لضرب الحركة الإسلامية.

١- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م ط٢، صص ٢١٥-٢٦٣.

ولو كانت هذه "المصالح" مشروعة، أو معقولة، فما كان لها أن تخشى من الإسلام من شيء، والإسلام هو الذي أَمَرَ بالعدل مع أهل الكتاب، فوجه الله ورسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم: [... وقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ مِنْ كِتَابٍ] ومنها الكتب المنزلة إليكم [وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ...] (الشورى: ١٥).

ولكن "مصالحهم" التي يعلنونها أحيانا ويسرونها أحيانا هي ألا يكون إسلام في الأرض... ودون ذلك تقف مشيئة الله؛ [... ويَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ] (التوبة: ٣٢).

يريدون أن يطفئوا نور الله بمجرد أقوالهم، التي ليس عليها دليل أصلًا. [وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَه] لأنه النور الباهر، الذي لا يمكن لجميع الخلق لو اجتمعوا على إطفائه أن يطفئوه، والذي أنزله جميع نواصي العباد بيده، وقد تكفل بحفظه من كل من يريده بسوء، ولهذا قال: [وَيَأْبَى اللهُ إِلا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُون] وسعوا ما أمكنهم في رده وإبطاله، فإن سعيهم لا يضر الحق شيئًا قط.

المطلب الثاني: ثمار المسيرة المباركة

له مشاركات في حياته الأدبية من خلال الدوريات التالية: الرسالة، والثقافة، والكتاب، وإخوان المسلمون، مجلة الجامعة الإسلامية وغيرها...إلى جانب اسهامه المستمر في الندوات والمؤتمرات واللجان واللقاءات الفكرية والعقائدية.

العنوان: المؤتمر العالمي لتوجيه الدعوة وإعداد الدعاة، بالمدينة المنورة، عام:١٩٧٧م المؤتمر الرابع للهيئة العامة لرابطة الأدب الإسلامي العالمية في أستانبول عام ١٩٩٦م ولجنة تكريم العلماء من جانب رابطة الأدب الإسلامي العالمية في أستانبول،٢ من ربيع الآخر

١٤١٧هـ الموافق ١٠/ ٨/ ١٩٩٦م والمؤتمرات أخرى في المكة المكرمة والرياض والجدة. والمحاضرة في جامعة الأمريكية بعنوان "دور الحركات الإسلامية"جامعة ميشيغن: مدينة الآن (أبر أمريكية).

رغم غياب الأستاذ محمد قطب إعلاميّا خلال العقود الفائتة، ورغم عدم انتظامه في جماعة أو حركة إسلامية، إلا أنّه كان مؤثّرا في الجميع، وكان يخاطب جميع فصائل العمل الإسلامي تحت عنوان "الحركة الإسلامية". لا يفضّل أحدهما عن الآخر، وحين سئل مرّة إلى أيّ الجماعات الإسلامية ننضمّ أجاب قائلا: انظر أيّ الجماعات أكثر فهمًا لحقيقة الإسلام، وفي الوقت نفسه أكثر تطبيقًا لهذه الحقيقة في سلوكها الذاتي.

ملايين الشباب المسلم من جميع أنحاء العالم الإسلامي قد تأثروا ولا شكّ بما طرح الأستاذ محمدقطب في مختلف المجالات التي كتب فيها، وغيرهم تأثر بالأطروحات الجامعية التي أشرف عليها حين كان أستاذا بقسم الدراسات الإسلامية العليا في جامعة أمّ القرى بمكّة المكرّمة، أذكر من بينها:

١-كتاب "العلمانية: نشأتها وتطوّرها وآثارها في الحياة الإسلامية المعاصرة، لفضيلة الدكتور سفر عبد الرحمن الحوالي، والكتاب عبارة عن رسالة علمية تقدّم بها فضيلته لنيل درجة الماجستير.

٢-كتاب "ظاهرة الإرجاء في الفكر الإسلامي، لفضيلة الدكتور سفر عبد الرحمن الحوالي، والكتاب عبارة عن رسالة علمية تقدم بها فضيلته لنيل درجة الدكتوراة في جامعة أم القرى، قسم الدراسات العليا الشرعية، فرع العقيدة، وقد تناول فيها تاريخ نشأة الإرجاء، وأقوال السلف في الإيمان، وحكم تارك جنس العمل.

٣-كتاب "الولاء والبراء في الإسلام"، لفضيلة الدكتور محمد سعيد القحطاني، والكتاب عبارة عن رسالة علمية تقدّم بها فضيلته لنيل درجة الماجستير، وهو يتركز حول مفهوم الولاء والبراء في الإسلام وعلاقته بواقع المسلمين.

٤-كتاب "أهمية الجهاد في نشر الدعوة الإسلامية والرد على الطوائف الضالّة فيه"، لفضيلة الدكتور علي بن نفيع العلياني، والكتاب عن رسالة علمية تقدّم بها فضيلته لنيل درجة الدكتوراة في جامعة أم القرى في مكة المكرمة، فرع العقيدة.

٥-كتاب "الانحرافات العقدية والعلمية في القرنين الثالث عشر والرابع عشر الهجريّين وآثارها في حياة الأمة"، لفضيلة الشيخ علي بن بخيت بن عبد الله الزهراني، والكتاب عبارة عن رسالة علمية لنيل درجة الماجستير لعام ١٤١٤ هـ، في جامعة أم القرى بمكة المكرّمة، كلية الدعوة وأصول الدين، قسم العقيدة.

٦-كتاب "الوثنية الحديثة وموقف الإسلام منها"، لفضيلة الشيخ يوسف محمد صالح الأحمد، وهي عبارة عن رسالة علمية مقدمة لجامعة أم القرى في مكة المكرمة، لنيل درجة الماجستير في الشريعة الإسلامية، فرع العقيدة لعام ١٤٠٦ – ١٤٠٧ هـ، في قسم الدراسات العليا في الجامعة.

ويُذكر أيضًا أنّ الأستاذ محمد قطب رحمه الله كان قد راجع كتاب "حدّ الإسلام وحقيقة الإيمان" للأستاذ عبد المجيد الشاذلي رحمه الله، حيث نُشر الكتاب أثناء عمل الأستاذ محمد قطب في جامعة أم القرى وبمراجعة لجنة خاصة من العلماء بالجامعة.

المبحث الرابع: تركيزه على الأفكار والمعاني

أولا: الفكر لغة واصطلاحًا

الفكر في اللغة: إعمال الخاطر في الشيء، والتفكر اسم التفكير، وقال الجوهري: التفكر التأمل.١ وعرفه الفيروز آبادي بقوله: الفكر، بالكسر والفتح، إعمال النَّظَر في الشيء كالفكرة. (مصدرهما مادة الفكر).٢

وفي الاصطلاح: «جملة القول أن الفكر يطلق على الفعل الذي تقوم به النفس عند حركتها في المعقولات، أو يطلق على المعقولات نفسها، فإذا أطلق على فعل النفس دلّ على حركتها الذاتية، وهي النظر والتأمل، وإذا أطلق على المعقولات دل على المفهوم الذي تفكر فيه النفس»٣

يشكل الفكر في أية كتابة أدبية جزءاً رئيساً من مكوناتها، ويعدّ عنصر الفكرة من عناصر الأساسية في الكتابة الأدبية العامة، وخاصة في الكتابة، إذ لا يكتب الكاتب مقالته من فراغ أو دون هدف فهو يكتبها حامداً في طياتها رسالة يريد توصيلها.. تحمل فكرة أو أفكاراً تعبر عن وجهة نظر.

والفكر؛ إعمال العقل في المعلوم للوصول إلى معرفة المجهول. كما عرفه الدكتور سعيد علوش: «تصور ذهني للأشياء الحسية»٤ وفي المجال الفكري قد عرفه الدكتور جابر العلواني: «والفكر اجتهادٌ بشريٌّ محض، يحمل الخطأ والصواب له حقيقته ومنطلقاته

١- لسان العرب لمحمد بن مكرم بن علي ابن منظور ج١١، مدينة قم: نشر أدب الحوزة، ١٤٠٥هـ، ص٦٥.

٢- القاموس المحيط لمحمد بن يعقوب الفيروز آبادي، ج١، بيروت: مؤسسة الرسالة ،٢٠٠٥م، ص٤٥٨.

٣- معجم الفلسفي لجميل صلبيا، ج٢، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني ،١٩٨٢م، ص١٥٦.

٤- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة لسعيد علوش، ط١، بيروت: دار الكتاب اللبناني،١٩٨٥م ص ١٦٨.

ومقوّماته وأدواته و وسائله وبديهيٌّ أن الفكر البشريّ هو الثمرة لتعامل العقل مع الوحي وتنزيله على الواقع، وتقويم الواقع به بصياغة ملائمة، وحلول مناسبة، وأبنية عقليّة ومعرفيّة سليمة»١

ثانيًا: المحتوى الفكري

وتتوضح بها الصور الجزئية التي يرسل بها الكاتب أفكاره، يصبغ بها خياله فيما يسوق من عبارات وجمل وقد يبدو التأثير في الأسلوب لا موضع له في دراسات الأدب، لأن الأسلوب من خصائص اللغة ومقوماتها. ثم إن الأسلوب مجال ظهور شخصية الكاتب، وفيه يتجلى طابعه الخاص.٢ أمّا المعنى: ما يدّل عليه اللفظ.٣ وعلم المعاني: «هو أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقاً لمقتضى الحال، بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له».٤كما تحدث الأستاذ محمد قطب عن المعنى: هو المعاني المجردة، أي المعاني الذهنية لكل لفظ بمفرده٥، فلأجل هذا الأديب في أسلوبه يخضع لمقتضيات الجنس الأدبي الذي هو ينير سبيله، فإذا كان هذا الجنس من الأجناس النثرية، تخضع النثر بأفكاره وأحاسيسه، كما قيل: «إن الكُتاب-كلهم من المتخصصي الأدب- يقفون على

١- مدخل إلى إصلاح الفكر الإسلامي، ط٣، الرياض: دار العالمية للكتاب الإسلامي لطه جابر العلواني، ١٩٩٥م ص ٢٩.

٢- الأدب المقارن لغنيمي هلال ، ط٣، بيروت: دار العودة،١٩٨٣م ص٢٨٢ و٢٨٣.

٣- قاموس المنجد لشهاب الدين أبي عمرو، مراجع: يوسف البقاعي، ط١، بيروت: دار الفكر،٢٠٠٥م ص ١٠٥٦.

٤- جواهر البلاغة لسيد أحمد الهاشمي بك، قم: مكتبة المصطفوي، ١٣٧٠ه، ص ٤٨.

٥- دراسات قرآنية لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط٤، ص٢٤٧.

الألفاظ المتخيّرة والمعاني المنتخبة والمخارج السهلة والديباجة الكريمة، وعلى كل كلام له ماء ورونق، وعلى المعاني التي إذا صارت في الصدور عمرتها وأصلحتها من الفساد القويم، وفتحت للسان باب البلاغة ودلت الأقلام على مدافن الألفاظ، وأشارت إلى حسان المعاني»١

تبرز قيمة المقال: «في ما تحمله من أفكار غزيرة ومعان خالدة، أو متعة باقية الأثر، أو جهة نظر سامية»٢. وتكمن أهمية الفكرة في أن «المقال نفسه يبدأ بأن يكون فكرة في رأس الكاتب، تظل في رأسه فترة من الزمن، وتنمو فيها و تكبر- حتى- تأخذ الشكل السوي»٣

مما سبق من الكلام تتضح أهمية الفكرة وتدقيق المعاني فيها، في كل الأعمال الأدبية وبخاصة العمل المقالي، وهو أمر لم يغفل عنه ذهن الأستاذ محمد قطب وإدراكه وهو القائل: مهمة الأديب أو الفنان هي التعبير عن صور منتزعة من الحياة، أو قدرته على براعة التصوير في الجزئية المفردة التي يتلقى الحياة من خلالها ويصورها من خلالها كذلك فالأديب كمثل العدسة المكبرة التي تكبر حقائق الحياة وتوضّحها للرؤية، وعمل الأديب أن يتمثل في كيفية صياغة الأفكار صياغة التعبير وتلوين وتعميق لأبعاد المعاني التي كان من نِعَمِ الخالق الباهر.٤

١- راجع في الأدب والنقد لشوقي ضيف، القاهرة: دار المعارف١٩٩٩م، ص ٩٧.

٢- الفصول في الكتابة الأدبية لجميل إبراهيم علوش، ط١، عمان: مكتبة المجتمع العربي، ١٤٢٣هـ، ص ٩٨.

٣- الأدب وفنونه لعز الدين إسماعيل، القاهرة: دار الفكر العربي (د.ت) ط٨، ص١٧٨.

٤- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط١، ص ١٨٥و١٨٦.

و من هذا المنطلق جاءت مقالاته تحمل كثيرا من الأفكار المتنوعة والمعاني الهادفة، التي استطاعت أن تتمخض عن تجربته؛ لتظهر متوشحة سيمياء منطلقها الزماني مستندة على ثرائه المعرفي.

تطور الكتابة الأدبية من ناحية الفكرة وسلامتها وغزارتها ودقتها وترتيبها، وكلما دقت الفكرة دقت العبارة، ورأينا الأفكار والمعاني ترفع العبارة رفعًا إلى الصورة التي قدرها المعنى وتقدرها الفكرة، وإذا تمزقت الفكرة عن طريق التوليد أو التوسع أو التحليل تمزقت العبارة تبعًا لها، وما دام العلم صار من أهم الروافد التي يستقي منها الأديب في معالجة موضوعاته، كان الميل إلى الواقعية واضحًا، وبعد الأدباء تدريجيًا عن الأدب الحالم، والخيال المجنح الذي يطير على أجنحة من التجديد.١

ويتضح من خلال التتبع الاستقرائي لمقالاته، أن ثمة مجموعة من الأفكار المهيمنة، تستحوذ على كتاباته، وتمثل بوراً مركزية تحتل عالمه المقال ويدور حولها عدد كبير من نصوصه، من أبرزها: ١-خطاب التغيير. ٢- مبدأ الحرية. ٣- فكرة الصراع.

المطلب الأول: خطاب التغيير

يعدّ خطاب التغيير الأكثر حضورًا في كتب الأستاذ محمد قطب، وهدفه من خطاب التغيير؛ هو إصلاح النظام في الخطاب الإسلامي المعاصر، وخلو هذا الخطاب من التقيد والانزلاق في متاهات الإغواء والضلال، وبالعكس تميّزه بيسر الفهم، وسلاسة التعبير، وسلامة التركيب، وبساطة العرض، وسهولة التناول. كما يقول الأستاذ: «والكاتب شخص موهوب، هو ذو حساسية خاصة، تستطيع أن تلتقط الإيقاعات الخفية اللطيفة التي

١- نشأة النثر الحديث وتطوره لعمر الدسوقي، بيروت: دار الفكر العربي، ٢٠٠٧م ص ٢٦٧.

لا تدركها الأجهزة الأخرى في الناس العاديين؛ وذو قدرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الايقاعات التي يتلقاها مكبرة تعبيرية خاصة تستطيع أن تحول هذه الايقاعات إلى لون من الأداء الجميل يثير في النفس الانفعال، ويحرك فيها حاسة الجمال»١

ومما تجدر الإشارة إليه أهمية الوظيفة التي قام بها هذا الخطاب في تلك المرحلة التي وسمت بها مقالاته التي كتبها في بداية حياته التعليمية. ونرى أن المقصد الأساسي الذي ينبغي أن يهدف إليه الخطاب الإسلامي المعاصر، يتمثل في أمر هامّ، إصلاح منهج الفكر، بمعنى بناء النسق الفكر الثقافي الإسلامي بناءً سليماً محققاً للأصالة الإسلامية، ومُصوِّباً للرؤية الحضارية، مُمَكِّناً للأمة من الشهود الحضاريّ وبناء العقل القادر على استلهام الأصالة الإسلامية وهضم الحداثة المعاصرة، ومن الواجب أن يكون التغيير مرتبطاً بإرادة الإنسان وإصلاح الكيان البشري.كما يشير الأستاذ محمد قطب: «أن يكون الإنسان عنصراً إيجابياً في الحياة وأن يكون التغيير–هو إرادة الله– مرتبطاً بإرادة الإنسان ومقتضياً عن طريقه نافذاً من خلاله، ممتزجاً بكيانه كله من عمل وفكر وشعور»٢

فلهذا إصلاح الفكر الإسلامي أصبح قضية مهمة في خطاب التغيير كما يقول الدكتور محمد البهي: «والإصلاح في مجال الإسلام ذو صلة وثيقة بالعصر الذي يتم فيه، وبالفكر الذي يقوم لمحاولته في الظروف التي عاش وترعرع هذا الفكر. وأيضاً الإصلاح بالمعنى

١- منهج الفن الإسلامي لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٣م، ط١، ص ١٥.

٢- قبسات من الرسول لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق،١٩٨٢م، ط٨، ص٥٣.

السابق -كمحاولة فكرية، وفي صلاته هذا- يغاير الحركات الدينية الأخرى التي تعتمد على "تبسيط" تعاليم الإسلام وتقريبها من العقلية العامة»١

وأيضاً كان الهدف الأساسي من خطاب التغيير في منظوره، إيجاد فكرة الصحوة الإسلامية في الأمة المسلمة ولكن نحن نشاهد على واقع الصحوة الإسلامية يظهر ظاهرتان على الساحة: أحدهما تدعو إلى التفاؤل والأخرى تثير الأسى في نفوس الدعاة المسلمين.

«الأولى: هي اتساع القاعدة، واتجاه مزيد من الشباب إلى الإسلام، بحيث يصح أن يقال إن الإقبال على الإسلام أصبح تياراً ذاتياً لشباب، لا يرتبط بالضرورة بنشاط جماعة معينة، أو بوجود جماعة معينة، إنما ينبعث تلقائياً في نفوس الشباب...

«والثانية: هي تبعثر العمل الإسلامي وتفرقه، وكثرة الجماعات التي تعمل في الساحة، وتناقضها وتنابذها، وانتقاد كل واحد منها لسائرها، وإدعاؤها بأن وحدها على الحق، وبقية الجماعات على ضلال!»٢

فالمفروض أن تجتمع الأمة المسلمة حول كلمة واحدة ولا تتفرق عن جمعهم، لأن الفرقة لا تخدم إلاّ أعداء الإسلام، وهي ظاهرة سيئة بلا شك، وهذا هو الهدف الأساسي من خطاب التغيير عند الأستاذ محمدقطب، لعل الدافع في سيطرة فكرة التغيير في تلك المرحلة؛ هو ما تعيشه في بلد الغربة والهجرة، في مرحلة التي كان في النضال أصابه المكروه.

١- الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالإستعمار الغربي لمحمد البهي، القاهرة: مكتبه وهبه، (د. ت) ط١٠، ص٣٢٩.

٢- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م ط٢، ص ٤٣٤.

الطلب الثاني: مبدأ الحرية

ظهر نداء الحرية في كتابات الأستاذ محمد قطب في ظلّ الحاكم النظامي الذي كان يحيط البيئة المصرية تحاط بالقلق والاضطراب، كان الناس عبيداً للنظام العلماني الذي أخذ السلطة وكان ضرورة لمبدأ الحرية التي تزامن ظهورها في تلك المرحلة، وامتدّ ساحتها نتاج المرحلة الثانية للأستاذ محمد قطب، ولكل مرحلة نظامها وخواصها العامة في التأليف والإيقاع، وقد حملته هذه الفكرة بصوب الإنسان وحريته، والدفاع عن حقوقه ، والحفاظ على كرامته، فهزته قضايا الاستعمار والاحتلال بصوب الحرية، فرفع صوته حتى يطالب بالحرية وقام بمناصرة الإنسان وتحريره من كيد الأعداء. كما يقول: «قد كان من فضائل الإسلام الكبرى أنه قد حرص على التحرير الحقيقي للإنسان من داخله وخارجه، وجعل الحرية نعمة كاملة على جميع العباد، وقرر الإسلام مبدأ الحرية مما يزيد على ألف وثلاثة مائة عام وهي حرية للجميع»[١] و وضع الأسس الكاملة –في بداية الأمر– للتحرير عتقاً ومكاتبة، والآن جعل الكفاح من الأساسات التحرير، حتى يقول: أن الحرية لا تمنح وإنما تؤخذ.[٢]

لا يغيب عن الأذهان أن نظريته حول حرية الفكر ومعارضته للشيوعية الملحدة: كما يصفها: حرية الفكر (لدى الشيوعية) تعني الإلحاد! وإذا كان الإسلام لا يبيح الإلحاد، فهو إذن لا يبيح حرية الفكر! كما أنهم يريدون أن يكونوا أحرارًا في أن يكتبوا ضد العقائد

١- في النفس والمجتمع لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٣م ط٢، ص٥٧و٥٨.

٢- راجع نفس المصدر ص ٤٥.

وعبادات المسلمين.١ كما يشير بأهمية حرية الفكر أن تكون حرية الفكر وحرية البيان في إطار الإسلام مما عرفه المجتمع الإسلامي، وليست الحرية في شتم الناس وهتك حرمات الأشخاص ونهش الأعراض و لكن الحرية هي أن تتكلم بالحق عند سلطَان الجائر.

وأيضاً نظرياته تجاه قضايا المرأة -كما أشرنا في المباحث السالفة- ومعارضة العلمانيين،كما يقول: «إنهم يعلنون أن المرأة المصرية ينبغي أن تصنع كما صنعت أختها الفرنسية، لكي تتقدم وتتحرر، ويتقدم المجتمع كله يتحرر! وهكذا سقط الحاجز المميز للمرأة المسلمة وصارت هي والمشركة أختين بلا افتراق! هم يريدون انحراف المرأة، أن تخرج المرأة في النهاية عارية في الطريق، مع كشف مفاتن صدرها ومفاتن ظهرها ومفاتن الساقين وإغواء شهوات الشباب المسلم وتحطيم المجتمع إنما كانت القضية لتحرير البشرية من عنصر الإنسانية»٢

وأيضا من القضايا التي تطرق لها محمد قطب هي قضايا الأمة المسلمة، عندما تحدث عن فلسطين المحتلة وأفغانستان المستعمرة، وتحريض المجاهدين إلى الجهاد و تحريصهم على الكفاح والمدافعة عن الإسلام والمسلمين وتمجيد الشباب المجاهد وكفاحهم في سبيل الله، ممجداً بمصطلح "الحرية" وهي فكرة تتعارض مع حياة الاستبداد والظلم والاستعمار؛ الحقيقة هي انحراف هذا المجتمع عن حقيقة الإسلام.

و هو يقول: لأول مرة منذ أقاموا نظامهم الشيوعي توسعوا به في أرجاء الأرض ولكن في النهاية شلّ على أيدي المجاهدين، هو هذا العون الرباني الفياض، وإن كان من رحمته قد

١- نفس المصدر صص ١٩٣و١٩٥.

٢- راجع واقعنا المعاصر لمحمد قطب، ص ٢٥٣.

أفاض كثيراً، إن المجاهدين الأفغان بالسلاح الضئيل الذي يملكونه، قد أكرهوا الروس الشيوعية على الانسحاب ونالوا الحرية التي منح الله لهم.١

و في موضع آخر، يقول: «سيظل الجهاد الأفغاني صفحة ناصعة في كتاب التاريخ، وسيظل التاريخ يذكر -على مدى أجيال- كيف استطاعت أمة عزلاء -أو شبه عزلاء- أن تجبر أكبر قوة وحشية في عصرها على الانسحاب من أرضها خوفاً من الفضيحة الكبرى على رؤوس الأشهاد»٢.

ويقول في موضع آخر: «الجهاد الأفغاني والإنتفاضة الإسلامية في فلسطين خطوات على الطريق ومهما يكن من مشقة الطريق ومن طوله، فهو الطريق الواصل الذي يؤدي إلى التمكين في الدنيا والآخرة»٣ لابد أن أقول: أن انتفاضة الأقصى رسالة إلى بني صهيون تذكِّرهم بأن جيل العزة والشموخ لم يمت بحمد الله؛ فقد ظهر النور من جديد وعرف الناس حقيقة هذه المعركة والكفاح في سبيلها.

المطلب الثالث: فكرة الصراع

الصِّراع: هي التصادم بين الشخصيات أو الحدث الذي يؤدي إلى النزاع في الفكر أو الوجدان.. وقد يكون هذا التصادم داخلياً في نفس إحدى الشخصيات أو بين إحدى الشخصيات و قوّى خارجية كالقدر أو البيئة.٤

١- الجهاد الأفغاني ودلالاته لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة للصحافة.، ١٤١٠هـ ط١، ص ٦٨-٧٤.

٢- نفس المصدر ص٨٠.

٣- المصدر السابق ص ١٠٥.

٤- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب لمجدي وهبه وآخرين، بيروت: مكتبة لبنان،١٩٨٤م ص ٢٢٤.

ظهرت فكرة الصراع في أسلوب الكتابة عند محمد قطب، في المرحلة التي كانت القاهرة مشحونة بالظلم والتنكيل، وهي نتيجة الأوضاع السياسية التي عصفت الأمة المسلمة بالعرب والقبطيين، الذين جعلوا أنفسهم عبيداً لهؤلاء الظالمين.

يُعدّ الأدب أخطر ميادين الصراع في هذا العصر وقبل أن ننتقل إلى الحديث عن موقف الإسلاميين من الأدب، نحب أن نؤكد على أن هذا الميدان من ميادين الثقافة واحدى أخطر ميادين الصراع بين الإسلام وخصومه (محمود شاكر: أباطيل وأسمار) وأن معركتنا مع أدباء الحداثة وبقية المستغربين هي معركة سياسية عقائدية، وهم من خلال الأدب والثقافة يوجهون أخطر طعنهم لأعز ما تملك الأمة: عقيدتها وشريعتها...

قد تحدث الأستاذ محمد قطب عن مفهوم "الصراع" بقوله: إن الصراع- في بلادنا الآن- هو صراع حضاري في حقيقته، صراع بين الحضارة السليمة، والحضارة الفاسدة بين الحضارة الإيمانية والحضارة الجاهلية، صراع شامل، يشمل كل جوانب النفس الإنسانية في الحياة، وإن كان الصراع الحربي هو الذروة التي تحسم النتيجة»١

هو يصف الصراع ويقول عن أهمّيته في النفس الإنسانية: «الكبت بذرة الصراع في داخل النفس الإنسانية وهي ضرورة لا يستقم بدونها الكيان النفسي للبشر»٢

قد أضاف بقوله: هذا الأوان هو عصر الصراع الشامل ... صراع بين الأفراد و... قد امتدّ هذا الصراع إلى شتى أنحاء العالم وصراع بين الأمم التي تكوي بناره بعض الدول

١- راجع كيف ندعو الناس لمحمد قطب، القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠١م ط٢، ص ١٢٥.

٢- راجع في النفس والمجتمع لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٧٤م ط٢، ص ٤٩.

وينشيء الاضطراب على الجميع.١ هو يصرح هذا الوقت هو زمن الصراع الشكل وقد امتد هذا الصراع إلى أنحاء العالم وقد اكتوى بناره بعض الدول سواء إسلاميا أو غير.

إعادة مناقشة هذه الأفكار تدل دلالة واضحة على أهميتها، وأنها من الأفكار الملحدة في ذهن الكاتب، التي لا يأتي في إعادة طرحها أي اضطراب؛ ولا تخلو من مقاصد واعية تهدف إلى إيصال أمر ما إلى القاريء.

و أيضاً يقول: «الصراع البغيض الذي يجفف المشاعر و يؤرث الأحقاد، فيفسد كل ما يمكن أن تصيبه البشرية من الخير في أثناء الطريق»٢ ويُصرّح في موضع آخر:«والهدف من الصراع هي فتنة المسلمين عن دينهم، وصرفهم عن التمسك به. و وسائلهم كثيرة شتى.» (مقالة "الصراع بين الفكر الغربي والفكر الإسلامي" نشرت في موقع منبر التوحيد والجهاد.) قد بينّها في المقالة تفصيلاً عن هذا الصراع. نأخذ نموذجا منها: أن خطر الصراع من ناحية الأعداء هو الأشد والأخطر، كما يقول «صرف المسلمين عن التمسك بالإسلام...إن هذا هو أخطر ما فعله الأعداء و نجحوا فيه.. وهو الذي نطلق عليه اسم الغزو الفكري.. أو الغزو الروحي..أو ما نشاء من الأسماء وهو أكبر ما نعانيه اليوم حتى استطعنا مقاومة الغزو العسكري أو الاقتصادي أو السياسي»٣

و يذكر عن صراع بين الاتجاهين الديني والقومي اللاديني: إن الصراع بينهم حتمي ولكن يمكن تأجليه بعض الوقت، ولكن الغلبة في ذلك الصراع ستكون للاتجاه القومي

١- نفس المصدر ص٤٩.

٢- المصدر السابق ص٥٠.

٣- واقعنا المعاصر لمحمد قطب، الجدة: مؤسسة المدينة، ١٩٨٧م ط٢، ص٤٠٠.

اللاديني، وقمع دعوتهم إلى الوحدة الإسلامية التي يقفون بها ضد الدعوة القومية اللادينة.و أيضا تكلّم عن دور الصراع في الحياة البشرية، ويقول: «إن الصراع يكاد يشمل كل الحياة البشرية! يصارع الإنسان في داخل نفسه نوازعه ودوافعه المتداخلة المتعاضة، التي لا يمكن الاستجابة لها كلها في وقت واحد، إلاّ أن تُضبط وتنظم. وتحدد "أولويتها" في المرور..! والصراع –كالحب والكره- يهبط ويصعد، ويكون في سبيل الخير كما يكون في سبيل الشر»١

وأيضاً يُعبِر عن الصراع في مجاله الأكبر و يقول: صراع الشيطان وصراع البشر وصراع القوى وصراع القيم وصراع الأشياء. وكل لون من ألوان هذا الصراع يمكن أن يستغرق فنا بأكمله.. على شرط ألا "يتبلور" في صورة مذهب، ولا ينقلب إلى وعظ مذهبي كذلك الذي يمارسه كتّاب الصراع الطبقي أحياناً.٢

إن التعبير عن هذا الصراع هو في الحقيقة تعبير عن واقع البشرية، بكل الخيوط المتشابكة ونسيجه المتباين الألوان، ومن ثم ينبغي أن يعرض من خلال النفوس البشرية لا من خلال "أفكار"ولا "مذاهب" ولا"فلسفات" وليس هذا تحريجاً على اعتناق الأفكار والمذاهب.٣

١- مذاهب فكرية معاصرة لمحمد قطب، بيروت: دار الشروق، ١٩٨٣م ط١، ص ١١٩.

٢- نفس المصدر ص ١٩٠.

٣- المصدر السابق ص١٩١.

ومن الواضح «أن التأثير قد يكون في الجنس الأدبي أو في الأفكار والإحساسات، أو في الناحية الفنية في الصياغة والأسلوب، أو في استعارة شخصية واحدة من مسرحية اشتهر مؤلفها باختراع تلك الشخصية.»١

لم يستطع أن يفلت من قبضة بعض الأفكار والمعاني الأخرى، إذ توسعت لديه الفكرة الواحدة، وظهرت في معظم المقالات، فقد عمد إلى إعادة طرح بعض الأفكار والقضايا من زوايا مختلفة بإسقاط ضوء جديد عليها.

١- راجع الأدب المقارن لغنيمي هلال، بيروت: دار العودة، ١٩٨٣ ط٣، ص ٣٣٦.

خاتمة البحث:

لعل البحث-وقد شارف على النهاية- في موضوع "المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته (جمعًا ودراسة)، قد حقق غايته من ذكر أدب تاريخيّ يبرز الدور الذي لعبه في محيط النهضة الأدبية الحديثة بصفة خاصة، والنهضة الفكرية والاصلاحية بصفة عامة. ولعله استطاع من خلال هذا التاريخ أن يضيء- بما أتيح له من مصادر لم تتح لغيره- كثيرًا من جوانب شخصيّة محمد قطب من خلال الأحداث والظروف التي أحاطتبه، وأن يقدمها كشخصية متماسكة البناء، سوية التكوين، نمت نموًا طبيعيّاً في التتابع والتوالي بعيدًا عن الشذوذ والمفاجات، وجاءت نهايتها أمرًا محتمل الوقوع في مثل ظروف العصر الذي عاش فيه.

تميز منهج الكتابة عند المفكر محمد قطب عن مزجه في الكتاب الواحد بين النقد والبناء، إذ كل هذه الكتب التي سبق ذكرها في الرد والنقد قدم فيها المؤلف رحمه الله تعالى رؤية إسلامية واضحة وجديدة في هذه القضايا والموضوعات والمجالات، كما كتب كتبًا إسلامية بين فيها التصور الإسلامي من قضايا عديدة مثل كتابه "دراسات قرآنية" وكتاب "منهج الفن الإسلامي.

تجديد الأدب يعنى إعادة نضارته ورونقه وبهائه وإحياء ما اندرس من مظاهره ومعالمه ونشره بين الأدباء ويكون التجديد بإحياء الفرائض المعطلة، وإزالة ماعلق بهذا الدين من الآراء الضالة والمفاهيم المنحرفة، وتخليص العقيدة من الإضافات البشرية لتفهم بالبساطة التي فهمها سلف هذه الأمة، وإحياء الحركة العلمية في مجال النظر والاستدلال، والعمل على صياغة حياة المسلمين صياغة إسلامية شرعية.

وبين الأستاذ محمد قطب كثيراً مفهوم المادية والإسلام ومفهوم الدنيا والآخرة عند المسلمين وأثره على الواقع المعاصر كما أنه يشير دائماً إلى القراءة الباطلة التي عاشتبها الأمة المسلمة في

نظرتها للتاريخ الإسلامي وأحداثه مما تأثرت به الأمة بسبب المستشرقين وأدواتهم من أبناء جلدتنا.

للتربية مكانة عظيمة عند الأستاذ محمد قطب فهو يراها الوسيلة الحقيقية للأمة للعودة لريادتها وإنشاء طليعة مؤمنة إيماناً حقيقياً تنقذ البشرية من الجاهلية المعاصرة بكل أشكالها القبيحة من آثار القوى الأرضية إلى المفاهيم والمعاني الربانية.

كرس الأستاذ محمد قطب جهده أيضاً في الردود على أبرز الشبهات عن الإسلام التي أثارها خصوم الإسلام بمختلف توجيهاتهم والتي تبين عجز الإسلام وظلمه وسطحيته ولكن كان الأستاذ لهم بالمرصاد وكتابه "شبهات حول الإسلام" و"حول التطبيق الشريعة" منارتان ما زالت الأمة المسلمة تستنير بهما في وجه ظلمات الجاهلية المعاصرة.

نتائج البحث:

من خلال هذه الدراسة، يتضح أن كتابات الأستاذ محمد قطب حافلة بالنظريات الأدبية، وقد كشفت في طيات البحث عن بعض الظواهر الأصالة والتجديد الذي تناوله في نتاجه، وكان فيها رأي واضح، حيث ألقيت الضوء على أهم النظريات الأدبية التي ظهرت من خلال مؤلفاته، وقد انهيت الدراسة إلى مجموعة من النتائج والتوصيات التي جاءت على النحو التالي:

سعة علم الأستاذ محمد قطب في كثير من الفنون والعلوم المتنوعة؛ كالأدب والتربية وعلوم القرآن والسيرة والتاريخ وعلم النفس وعلم الاجتماع وغيره ما يعطي الباحثين على أن لا يقفوا عند نوع واحد من العلوم؛ بل يجب التبحر والبحث والدراسة في كل علم يستطيعونه، وأن يجعلوا لهم في كل علم سهماً.

تطرق الأستاذ للحديث عن قضايا العالم الإسلاميّ وهمومه والنظرة التفائلية للمستقبل.

قد استطاع الأستاذ أن يحول هذا الأدب عن وجهته التقليدية، وأن يصبغه صبغة إسلامية، بحيث يلفق بين الأصالة والتجديد وهو الذي يدعو إلى الأصالة الأدبية والإبداع الفني.

عندما يتأمل الباحث في مسيرة النتاج الفكري للأستاذ منذ بدئه حتى وفاته يجد أنه قد اتسم بالتطور الدائب والتقدم المستمر.

يشبه أسلوب الكتابة عند الأستاذ محمد قطب بأسلوب سيد قطب الأدبي ورؤيته الفني.

وجدت أنه يزاوج بين الأصالة والتجديد، ولا يلتزم طريقا واحداً، مما جعله يصل إلى نتيجة أن المبدع لا يكون مجددًا فقط أو مقلداً فقط وإنما قد يجمع بينهما، فيأتي بالجديد كما يأتي بالقديم، وليس ذلك باختلاف المراحل التي تعني نضج الكاتب وإنما قد تعني أن اتساع وجهة نظر الكاتب لاحتوائه القديم بعد أن كان يرفضه من مثل العقاد وشوقي. وكأنه بهذا يحكم على العمل نفسه أكان من قبيل التجديد أم من قبيل التقليد، وهو ما يتفق مع نظراته في الأصالة التجديد السابقة الذكر.

أن الفن والإبداع منبعه واحد مهما اختلفت مدرسته ما دام يعبر عن نفس الكاتب ورؤيته، وبالرغم من أن الأستاذ محمد قطب سطر كتاباته في التأصيل الإسلامي للعلوم أو أسلمة العلوم وليس فن الإسلامي وحده، فجاءت قضية التجديد في الأدب الذي يمكن أن تكون قد شغلت الكتاب والكاتب معًا، فلا نعجب إذا وجدنا الباحث يستعمل مصطلحات مثل: "البعث"، "الإحيا"، "التطور" في صلب حديثه في دراسات عن النفس الإنسانية، ومنهج التربية الإسلامية، فالمنهج الأول من الفكريين التي كانت بزعامة سيد قطب –رحمه الله– نشأت بأثر من مدرسة البعث والإحياء، والباعث على هذا التقليد هو حركة تطور كالتي قادها عباس محمود العقاد، في عهد محمد علي، والحركة الإصلاحية التي قادها الإمامان محمد عبده ورشيد رضا، بالرغم أن حافز التقليد ليس من خارجه، وإنما باعثه من داخله، وهو المحاكاة الصرف، والتقليد للآخرين.

إنَّ النظرية الاقليمية في عناصر الأدب العربي من الموضوعات المهمة في الدرس الأدب العربي، لأنَّ دراسة هذا الموضوع يكشف الكثير من القضايا الأدبية المهمة (اللغة والفكرة والخيال والأسلوب)، ويلقي الضوء على الكثير من الخصائص الأدبية التي اتسم بها

الكاتب العربي، وبهذا تعد مادة الأدب وما يتعلق بها من قضايا رافداً مهماً من روافد درس الأدب العربي لا يمكن تجاهله أو التقصير فيه، ولاسيما دارس العربية.

وقد وفق الأستاذ في أن ينتج إنتاجاً أدبياً قيماً، وأن يسهم في حركة الأدب الإسلامي الحديث بآثار أدبية تتسم بطابعه وتعبر عن شخصيته الأدبية.

لاحظ الباحث أن جميع مؤلفات وأعمال محمد قطب ونتاجه الفكري، تركز على نقد الغرب وحضارته ومناهجه، وهو يقدم الحلول لهذه المشاكل التي انتشر كثير منها في بلاد المسلمين.

أصالة الكتابة لا تعني جموده والتمسك بالقديم وعدم قبوله للتجديد الذي يفي بصلاحية الأدب لكل زمان ومكان.

تتميز أصالة الكتابة والتجديد فيها عند محمد قطب بخصائص ومميزات تجعله صالحاً للأدباء والكتاب في عصر الحاضر، وهذه الصفات والمميزات هي التي هيأته للبقاء والتطور.

التجديد المقصود في البحث هو عملية إبداع وإحياء واصلاح الأسلوب والعودة به إلى مساره الأصلي. أثر التقليد والمحاكاة على أصالة الأدب والابتعاد به عن نهجه غير الصحيح.

ظهور بعض المحاولات التجديدية المنحرفة للتقليد والداعية إلى الابداع وسلخ الأدب عن أصالته الإسلامية.

ذكرت السمات الأدبية عند الأستاذ محمد قطب: من الأصالة الإسلامية، وأصالة المعاني والألفاظ، والقوة في الحق عند ايراد الكلام.

كشفت عن عدة جوانب من سيرة محمد قطب الذاتية التي لم تسبق الإشارة إليها أو تناولها من قبل، فشكلت بذلك أحد المراجع الموثوقة لحياة محمد قطب العلمية والعملية.

اعتمد أسلوب الكتابة عند الأستاذ محمد قطب بالواقعية والصدق والووضوح والسهولة وجعله يظهر بصورة في قمة الجمال والإبداع والحركة.

يعد الأستاذ محمد قطب من أبرز منظري الأدب الإسلامي، فقد كان من أوائل الذين اَرَسُوا دعائم هذا الأدب، واَحَاطُوهُ بالرعاية والعناية حتى استقام عوده.

التوصيات والمقترحات:

ومن التوصيات التي تقترحها الدراسة، منها:

العناية بمؤلَّفات الأستاذ محمد قطب، والاستفادة منها، وذلك بإبراز آرائه الفكرية بشكل أوسع، مع التركيز على الآراء التي ما زالت حاضرة في واقع الأمة وما توجهه من مخاطر.

للأستاذ محمد قطب قصائد جيدة في معانيها ومبانيها، ومقطوعات متناثرة في جرائد، جديرة بالاهتمام والدراسة. للطلاب الكلية اللغة العربية بقسميه الأدبي واللغوية.

له انتاجات النثرية في المجال الفكر والأدب، كالقصة والخطابة والحكم والمحاضرة والمحادثة مع مُتَخَصِصَيَ الأدب، توصي الدراسة بالاهتمام لكل طلاب الأدب.

قد يكون في المجتمع الإسلامي عناصر ملحدة ولهم دور في إفساد المسلمين والقضاء على دولتهم كما يكون في المجتمع الإسلامي نفسه بُعد عن الإسلام ويتمثل في انتشار البدع والخرافات وذلك نتيجة عدم التعليم على المستوى المطلوب وعدم معرفة المسلمين حقيقة الإسلام بشكله الصحيح. وأيضا انتشرت التيارات المعادية للإسلام ومنها فكرة العلمانية والشيوعية وفكر الإنسانية . ولليهود دور كبير في انتشار هذه الأفكار عن طريق الأحزاب المتعددة. كما لهم دور في انتشار الفساد الخلقي.

كان للأستاذ محمد قطب مواقف من التيارات الفكرية المعادية للإسلام في عصره ووقف ضد جميع هذه الأفكار. وردّ على أصحابها وحاول إيقاظ المسلمين إزاءها.

له آراء في مستقبل الأمة الإسلامية كما له جهود في إيقاظ المسلمين وإزالة اليأس من نفوسهم ودعا إلى طريق الخلاص بالعودة إلى الإسلام من جديد، لو يكتب أي بحث حولها.

دراسة فكر الأستاذ بشكل واسع، والعمل على نشر كتبه بين تلاميذ وطلبة العلم.

عمل الأبحاث عن كل فن من الفنون التي تناولها الأستاذ، كلٍ على حدة، ككلامه عن المذاهب الفكرية المعاصرة، فقه الواقع، إعادة كتابة التاريخ الإسلامي، وقضايا المجتمع الإسلامي وغيره، حيث يحتاج كل منها إلى رسالة وبحث خاص مستقل للكتابة فيه.

أعتقد أن من حقه علينا أن يقوم مفكرين من أساتذتنا وعلمائنا ومؤسساتنا بجمع كتاباته ودراستها وتقويمها، لتستفيد الأجيال القادمة منها.

العمل على وضع مختصرات لكتب الأستاذ لتسهيل قراءتها والبحث فيها.

حول التفسير الإسلامي للتاريخ للأستاذ محمد قطب، هذا الكتاب لا يمكن بطبيعة الحال أن يتسع لدراسة مستوعبة للموضوع، إنما هو بالأحرى دعوة للمتخصصين ليقوموا بهذه الدراسة، وأن يكون في الوقت ذاته دعوة للمؤرخين المسلمين أن يعيدوا كتابة التاريخ البشري من زاوية الرصد الإسلامي المتميزة.

وكتاب "منهج الفن الإسلامي" ما زال في إطاره النظري الذي لم تتميز معالمه، وهذا الكتاب لبنة في محاولة هذا الفن، والذي ما زال ميداناً بحاجة إلى الدراسة والمناقشة.

ومن الله التوفيق

فهرس المصادر والمراجع

أولاً: المصادر:

أ. الكتب:

١- الأطياف الأربعة، محمد قطب و سيد قطب و إخوته، دار الشروق، القاهرة، ١٩٦٧م.

٢- الإنسان بين المادية والإسلام، محمدقطب، دار الشروق، بيروت، ط١٠، ١٩٨٩م.

٣- التطور والثبات في النفس الإنسانية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٨، ١٩٩١م.

٤- حول التأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م.

٥- حول تفسير الإسلامي للتاريخ، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر ط١، ٢٠٠٦م.

٦- دراسات في النفس الإنسانيه، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١٠، ١٩٩٣م.

٧- دراسات قرآنية، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٨٣م.

٨- ركائز الإيمان، محمد قطب، دار الشروق بيروت، ط١، ١٩٩٤م

٩- رؤية إسلامية لأحوال العالم المعاصر، محمد قطب، مكتبة السنة، القاهرة، ط١، ١٩٩١م.

١٠- سخريات صغيرة، دستيوفسكي، وتولستوي، وتوماس هاردي، وسمرست موم، وستيفان زفيج وساكي، مترجم باللغة العربية محمد قطب، دار الكتب العربى، مصر، القاهرة، ١٩٤٧م.

١١- شبهات حول الإسلام، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٦، ١٩٧٣م.

١٢- في النفس والمجتمع، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٧٣م.

١٣- قبسات من الرسول، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٢م.

١٤- قضية تحرير المرأة، محمد قطب، دار الوطن بالرياض، مملكة العربية السعودية، ط١، ١٤١٠هـ.

١٥- كيف نكتب التاريخ الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، بيروت ط١، ١٩٩٢م.

١٦- لا إله إلا الله عقيدة و شريعة و منهاج، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر،١٩٩٥م.

١٧- مذاهب فكرية معاصرة، محمد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط١، ١٩٨٣م.

١٨- المستشرقون والإسلام، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٩٤م.

١٩- المسلمون والعولمة، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، مصر، ط١، ٢٠٠٤م.

٢٠- مغالطات، محمد قطب، دار الشروق، مدينة نصر، القاهرة ط ٢، ٢٠٠٧م.

٢١- من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر "في أمور الدين، وفي التاريخ، وفي الاقتصاد وفي الأدب" محمد قطب، دارالشروق، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.

٢٢- منهج التربية الإسلامية، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة، ط٤، ١٩٨١م.

٢٣- منهج الفن الإسلامي، محمد قطب، دار الشروق، القاهرة ،ط٦، ١٩٨٣م.

٢٤- واقعنا المعاصر، محمد قطب، مؤسسة المدينة، جدة، ط٢، ١٩٨٧م.

ب:المقالات العلمية:

٢٥- الإسلام ... نظام أم عقيدة، محمد قطب، موقع حيران (www.ieran.com)، تاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠١٤م.

٢٦- الإعلام الإسلامي، محمد قطب، مجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، منظمة الشباب الإسلامي، الرياض، ١٣٩٦هـ.

٢٧- التربية والتعليم في مفهوم الإسلام، محمد قطب، مجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، الرياض، ١٩٨٦م

٢٨- الدعاء و العمل، محمد قطب في موقع حيران(www.ieran.com)، تاريخ ١٤/ ٢/ ٢٠١٤م.

٢٩- دماء غزة تغذي شريان الأمة، محمد قطب موقع طريق الإسلام (www.ar.islamway.net)، ٢٥/ ٢/ ٢٠١٤م.

٣٠- رسالة الإسلام إلى البشرية الحائرة، محمد قطب، مجلة الإعلام الإسلامي والعلاقات الإنسانية، الرياض، ١٩٨٦م .

٣١- رؤية الإسلامية لأحوال العالم، محمد قطب، موقع طريق الإسلام (www.ar.islamway.net)، تاريخ ٢٧ جمادي الأولى ١٤٢٧هـ .

٣٢- الصراع بين الفكر الغربي و الفكر الإسلامي، محمد قطب، موقع منبر التوحيد والجهاد (www.ilmway.com/site)، تاريخ ١٥/ ٢/ ٢٠١٤م.

٣٣- العلمانية، مقالة محمد قطب، موقع ابن مريم(www.ebnmaryam.com) نسخة الكترونية.

٣٤- الفكر الإسلامي كبديل عن الأفكار والعقائد والإيدولوجيات المستوردة، محمد قطب، مجلة "من قضايا الفكر الإسلامي المعاصر" الرياض، ١٩٨٤م.

٣٥- كيف ندعو الناس - الغرب اليوم محمد قطب، موقع طريق الإسلام (www.ar.islamway.net)، تاريخ ٩ربيع الأول ١٤٣٦-٣١/ ١٢/ ٢٠١٤م.

٣٦- مرحلة التربية في مكة، محمد قطب موقع حمود بن عقلاء الشعيبي(www.al-ogla.com)، تاريخ ١٥/ ١٠/ ٢٠١٥م.

ج- المحاضرات:

٣٧- الدروس والخطب "صوتية" عن محمدقطب، في الموقع (إيمان القلوب (www.imanhearts.com) وطريق الإسلام (www.ar.islamway.net).

٣٨- المحاضرة التي ألقاها الأستاذ محمد قطب في مركز الملك الفيصل، بالرياض في موضوع الأدب الإسلامي، محاضرة موجودة في موقع طريق الإسلام (www.ar.islamway.net).

ثانياً: المراجع:

٣٩- ابن الرومي بين الأصالة العربية ودعوى الرومية، د. علي علي صبح، الرياض: دار المريخ،١٤٠٢م.

٤٠- اتجاهات الأدب العربي في السنين المائة الأخيرة، محمد تيمور باشا، مكتبة الآداب، الجزيرة، ١٩٧٠م.

٤١- الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، محمد محمد حسين، مؤسسه الرسالة بيروت ط٧ ١٩٨٤م.

٤٢- الإخوان المسلمون سبعون عامًا في الدعوة والتربية والجهاد، د. يوسف القرضاوي، مؤسسه الرسالة بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

٤٣- الأدب الإسلامي إنسانيته وعالميته، د. عدنان علي رضا النحوي، دارالنحوي للنشر والطبع الرياض، المملكة العربية السعودية، ط٢، ١٩٨٧م.

٤٤- الأدب العربي المعاصر في مصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٨، ١٩٨٨م.

٤٥- الأدب المقارن، د. غنيمي هلال، دار العودة، بيروت ط٢، ١٩٦٢م.

٤٦- أدب المقالة من المعاصرة إلى الأصالة، د. عبد العزيز شرف، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط١، ٢٠٠٠م.

٤٧- الأدب و فنونه ، د. محمد مندور ، دار النهضة مصرية، القاهرة، ١٩٧٤م.

٤٨- الأدب و فنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٨، (بدون تاريخ طبع).

٤٩- الأديب، النص، الناقد (مقالات) إختار حسن حميد، اتحاد الكتاب العرب، (كتاب الجيب رقم ٨) ٢٠٠٧م.

٥٠- الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتاباته، أسامه عبد الرحمن جودة (رسالة الماجستير) قدمت إلى الجامعة الإسلامية بغزة، فلسطين، ناقشها في العام (١٤٣٢هـ- ٢٠١١م).

٥١- آراء في الأدب والفنون، عباس محمود العقاد، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، مصر، (بدون تاريخ طبع).

٥٢- أساس البلاغة، العلامة جار الله أبو القاسم بن محمود الزمخشري، دار الكتب، بيروت لبنان، ط١، ١٩٨٤م.

٥٣- الأسس الجمالية في النقد العربي، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة،ط٣ ١٩٧٤م.

٥٤- أسس النقد الأدبي عند العرب، د. أحمد أحمد بدوي، دار النهضة مصر، القاهرة ط١، ١٩٧٩م.

٥٥- الإسلام في القرن العشرين" حاضره و مستقبله"، عباس محمود العقاد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،ط٢، ١٩٦٩م.

٥٦- الإسلام والعلمانية وجها لوجه، د. يوسف القرضاوي دار الصحوة، القاهرة ط١، ١٩٨٧م.

٥٧- الأسلوب "دراسة بلاغية لأصول الأساليب الأدبية"، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٣٩م.

٥٨- الأصالة والتجديد في الفكر الإسلامي، إلى لقاء المؤمنين وبناء الجيل المؤمن، راشد سعيد شهوان، (دون مكان النشر) ٢٠٠٨م.

٥٩- أصول النقد الأدبي، أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة ط ٢٠٠٤،١٠م.

٦٠- الأصول في النحو،أبو بكر محمد بن السري بن سهل بن السراج، بتحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت لبنان (بدون تاريخ طبع).

٦١- أعداء الحل الإسلامي، د. يوسف القرضاوي، مؤسسه الرسالة بيروت لبنان، ط١، ٢٠٠١م.

٦٢- الإيمان و الحياة ، د. يوسف القرضاوي، مكتبه وهبه، القاهرة، ط٧، ١٩٨٠م.

٦٣- تأصيل تربية المعلم، بشير حاج التوم، مكتبة المنارة، مكة المكرمة، مملكة السعودية ١٩٨١م.

٦٤- التآمر على التاريخ الإسلامي، د. أبو الوفا أحمد عبد الآخر، مطبعة الأهرام، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.

٦٥- تجديد الفكر الإسلامي، د. محسن عبد الحميد، دار الصحوة، القاهرة، رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٥٨٦٢/ ١٩٨٥م.

٦٦- التجديد في الفكر الإسلامي: مفهومه، أهميته، ضوابطه، محمد حسن أبو يحيى، (دون تاريخ النشر ومكانه).

٦٧- التصوير البياني "دراسة تحليلية لمسايل البيان"، د. محمد أبو موسى، مكتبه وهبه، القاهرة، مصر، ط٥، ٢٠٠٤م.

٦٨- التصوير الفني في القرآن، سيد قطب، دار الشروق، بيروت، لبنان، ط٨، ١٩٨٣م.

٦٩- تطور الأدب الحديث في مصر، د. أحمد هيكل، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٥، ١٩٨٧م.

٧٠- تلخيص المفتاح ، الخطيب القزويني، مكتبة البشرى، كراتشي، باكستان، ط١، ٢٠١٠م.

٧١- جنة العبط، د. زكى نجيب محمود، دار الشروق ، بيروت ط٢، ١٩٨٢م.

٧٢- جواهر البلاغة "في المعاني والبيان والبديع"، سيد أحمد الهاشمي، مطبعة العماد، مصر، ط١٠، ١٩٤٠م.

٧٣- حاضر العالم الإسلامي، د. على جريشه، دار المجتمع ، جدة، ط٢، ١٩٨٦م.

٧٤- حقيقة التوحيد، د. يوسف القرضاوي، مكتبه وهبه، القاهرة، ط٢، ١٩٧٩م.
٧٥- خصائص التصور الإسلامي و مقوماته، سيد قطب، دار الشروق، بيروت ط٨، ١٩٨٣م.
٧٦- الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، بتحقيق محمد علي النجار، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، ط٣، ١٩٨٦م.
٧٧- دراسات في الشعر العربي المعاصر، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر، ط٨، ١٩٨٨م.
٧٨- دراسات في تاريخ مصر السياسى والاقتصادي والاجتماعى، د. محمد متولي، ط١، القاهرة: دارالثقافة،١٩٨٥م.
٧٩- دلالات التراكيب، د.أبو موسى، مكتبه وهبه، القاهرة، ط٤، ٢٠٠٨م.
٨٠- دلائل الإعجاز، الإمام عبد القاهر الجرجاني، بتحقيق محمود محمد شاكر، المؤسسة السعودية في مصر، القاهرة، ط٣، ١٩٩٢م.
٨١- دور اللغة و الثقافة في التواصل بين الحضارات، د. عبدالله بن حامد حمد سحلب، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ط١، ٢٠١٣م.
٨٢- الرافعي الكاتب بين المحافظة و التجديد، مصطفى نعمان البدري، دار الجيل، بيروت لبنان، ط١، ١٩٩١م.
٨٣- ردود على أطروحات علمانية، منير شفيق، ط ١، الرياض: دار النشر الدولي،١٤١٣هـ.
٨٤- رسالة الأديب، د. زكي مبارك، إعداد :كريمة زكي مبارك، منشورات وزارة الثقافة جمهورية العربية السورية، دمشق، ١٩٩٩م.

٨٥- روافد البلاغة، د. سمير شريف، (د.ت) الأردن الهاشمية: نشر استيتية.

٨٦- سعد زغلول و دوره في السياسة المصرية حتى عام ١٩١٤م، عبدالخالق محمد لاشين، دار المعارف، مصر،١٩٧٠م.

٨٧- سلسلة أعلام المسلمين"سيد قطب"صلاح عبد الفتاح الخالدي، دار القلم دمشق، ٢٠٠٠م.

٨٨- سيد قطب حياته و أدبه، عبد الباقى محمد حسين، دار الوفاء، المنصورة ط١، ١٩٨٦م.

٨٩- الصحوة الإسلامية و هموم الوطن العربي، د. يوسف القرضاوي، دار الصحوة، القاهرة، مصر، ط١، ١٩٨٨م.

٩٠- صدع النص وارتحالات المعنى، إبراهيم محمود، مركز الانماء الحضاري، حلب سوريا، ط١، ٢٠٠١م.

٩١- الصورة الأدبية تاريخ ونقد، د. علي علي صبح، بيروت: دار إحياء الكتب العربية، (د.ت).

٩٢- الطراز الأسرار البلاغة وعلوم الإعجاز يحيى بن حمزة العلوي، د. محمد أحمد قاسم ومحيي الدين ديب، مؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، لبيبيا، ط١، ٢٠٠٣م.

٩٣- عبد الحميد بن يحى الكاتب، د. إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت لبنان، ط٢، ١٩٠٠م.

٩٤- عبد الناصر والحرب العربية الباردة، كير، مالكولم، تعريب: د. عبد الرؤوف عمرو، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب (١٩٩٧م).

٩٥- عصر الشهداء، نجيب الكيلاني، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط٢، ١٩٨٦م.
٩٦- العصر العباسى الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط٦، ١٩٧٧م.
٩٧- علم البديع لعبد العزيز عتيق، ص١٩٥، نشر دار النهضة العربية ، بيروت، لبنان (بدون تاريخ طبع).
٩٨- علم النفس والأدب، د. سامي الدروبي، ط٢، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨١م.
٩٩- علماء ومفكرون عرفتهم، محمد المجذوب، دار الاعتصام ، مصر،ط١، ١٩٨٦م.
١٠٠- العلمانية ، د. سفر حوالي، دار الهجرة ، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط، (دون تاريخ الطبع).
١٠١- علوم البلاغة "البديع والبيان والمعاني" للدكتور محمد أحمد قاسم والدكتور محيي الدين ديب ص١٢٧، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس، ليبيا، ط١، ٢٠٠٣م.
١٠٢- عملاق الفكر الإسلامي"الشهيد سيد قطب"، د.عبد الله عزام ، مكتبة خدمات المجاهدين بشاور، باكستان،ط١، ١٩٩٠م.
١٠٣- العواصم من القواصم، القاضي أبو بكر بن العربي، بتحقيق السيد محب الدين الخطيب، المطبعة السلفية، القاهرة، ط١، ١٣٧١هـ.
١٠٤- العولمة تعيد صياغة العالم، د. مصطفى محمد الطحان، المركز العالمي للكتاب الإسلامي، الكويت، ط١، ١٩٩٩م.
١٠٥- عون المعبود "شرح سنن أبي داود" ج١١، شمس الحق بن أمير بن علي بن حيدر عظيم آبادي، (١٤١٥هـ) مع حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، ط٢، بيروت: دار الكتب العلمية.

١٠٦- الغارة على العالم الإسلامي، أبو الحسن الندوي، ترجمة محب الدين الخطيب، كراتشي، باكستان. (بدون تاريخ طبع).

١٠٧- الفقه الإسلامى بين الأصالة والتجديد، د. يوسف القرضاوي، ط١، قطر: دار الصحوة (١٤٠٦هـ).

١٠٨- فن المقال في ضوء النقد الأدبي، د. عبداللطيف الحديدي، (بدون دار النشر) ط١، ١٤١٧ه.

١٠٩- فن المقالة الأدبية والموضوعية والصحفية، د. محمود شريف، مكتبة دار العروبة، الكويت، ١٩٨٥م.

١١٠- فن المقالة، د. يوسف نجم، دار الثقافة، بيروت، لبنان، ط٤، ١٩٦٦م.

١١١- الفن و مذاهبه في النثر العربي، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،ط٥، ١٩٦٠م.

١١٢- في الأدب و النقد، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر،١٩٩٩م.

١١٣- في التاريخ فكرة ومنهاج ، سيد قطب ، دار الشروق، بيروت، ط٧، ١٩٨٧م.

١١٤- قصة الحضارة، أرييل ويل دورانت، بترجمة زكي نجيب محمود، ١٩٧٢م.

١١٥- كتاب الأعلام خير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي، دار العلم للملايين، دمشق، ط٥، ٢٠٠٢م.

١١٦- لسان العرب، محمد بن مكرم بن علي بن منظور الإفريقي، نشر أدب الحوزة، مدينة قم، إيران، ١٤٠٥ه.

١١٧- لقاءات و محاورات حول قضايا الإسلام و العصر، د. يوسف القرضاوي، مؤسسه الرسالة، القاهرة، ط١، ٢٠٠١م.

١١٨- مختار الصحاح اللغة، محمد أبو بكر الرازي، دار الفجر الجديد، عمان، ط١، ١٩٩٦م.

١١٩- مختارات من أدب العرب، أبو الحسن الندوي (جزء النثر) لجنة نشريات إسلام، كراتشي١٩٩١م.

١٢٠- مختصر العقيدة الإسلامية، طارق سويدان، مؤسسة الكلمة، الكويت، ط٥، ١٩٩٧م.

١٢١- مدخل إلى إصلاح الفكر الإسلامي، د. طه جابر العلواني، ط٣، الرياض: دار العالمية للكتاب الإسلامي،١٩٩٥م.

١٢٢- مدخل إلى الأدب الإسلامي، د. نجيب الكيلاني،كتاب الأمة، قطر، ط١، ١٤٠٧هـ.

١٢٣- مذاكرات سائح في الشرق العربي، أبو الحسن الندوي، بتحقيق سيد عبد الماجد الغوري، دار ابن كثير، بيروت، ط١، ٢٠٠١م.

١٢٤- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، د. سعيد علوش، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٥م.

١٢٥- معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مجدي وهبه و كامل المهندس، مكتبة لبنان، بيروت، ط٢، ١٩٨٤م.

١٢٦- معجم الفروق اللغوية ج١، أبو هلال حسن بن عبد الله العسكري، ت: الشيخ بيت الله بيات، مدينة قم: مؤسسة النشر الإسلامي،١٤١٢هـ، ط١،.

١٢٧- المعجم الفلسفي، جميل صليبا دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط١، ١٩٨٢م.

١٢٨- معجم المؤلفين لعمر بن رضا بن عبد الغني كحالة الدمشقي ج٦ ص١٥١، مكتبة المثنى، بيروت، وأيضا دار إحياء التراث العربي، بيروت (بدون تاريخ طبع)

١٢٩- المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية بالقاهرة، من إصدارات مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، إستانبول، تركيا، ١٩٨٦م.

١٣٠- معجم مقاييس اللغة، أحمد بن فارس بن زكريا، بتحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر، بيروت،١٩٧٩م.

١٣١- مقاصد الشريعة الإسلامية في فكر الإمام سيد قطب، د. نُصير زرواق، دار السلام، القاهرة، ط١، ٢٠٠٩م.

١٣٢- المقالة الأدبية و وظيفتها في العصر الحديث، د. عطاء كفافي، هجر للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٣٣- المقالة في الأدب السعودي الحديث من سنة (١٣٤٣-١٤٠٠ه) محمد بن عبد الله العوين، مطابع الشرق الأوسط، ط١، ١٤١٢ه.

١٣٤- المقالة في الأدب السعودي المعاصر نشأة وتطور، جمعان عبد الكريم الغامدي، جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٩٩٩م.

١٣٥- المقالة و وظيفتها في العصر الحديث، د. عطاء كفافي، هجر للطباعة والنشر، الرياض، ط١، ١٤٠٥هـ.

١٣٦- من روائع حضارتنا، د. مصطفى السباعي، دار الوراق، المكتب الإسلامي، الرياض، ط١، ١٩٩٩م.

١٣٧- مناهج الدراسة الأدبية في الأدب العربي، شكري فيصل، ط٦، بيروت: دارالعلم للملايين ١٩٨٦م.

١٣٨- مناهج النقد الأدبي الحديث، د. وليد قصاب، دار الفكر، دمشق، سورية، ط٢، ٢٠٠٩م.

١٣٩- مناهج النقد الأدبي بين النظرية والتطبيق، ديتشس، ديفيد، تعريب: د. محمد يوسف نجم، ود. إحسان عباس، بيروت: دار صادر، ١٩٦٧م.

١٤٠- موسوعة أعلام الفكر العربي، سعيد جودة السحار، مكتبة مصر، القاهرة ٢٠٠٣م.

١٤١- الموسوعة الثقافية، نشرت مؤسسة فرانكلن للطباعة والنشر، القاهرة. نيويورك ١٩٧٢م.

١٤٢- الموسوعة السوفيتية العظمى، الكسندر بروخروف، مؤسسة غريت روسين، موسكو، ط٣، ٢٠١٥م.

١٤٣- الموسوعة الميسرة في أوروبا والمذاهب والأحزاب المعاصرة، مانع بن حماد الجهني، الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٤، ١٤٢٠هـ -٢٠٠١م.

١٤٤- موقف العقل والعلم والعالم من رب العالمين، مصطفى صبري، دار إحياء التراث العربي، بيروت ١٩٨١م.

١٤٥- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية، د. محمد عبد الرحمن شامخ، دار العلوم للطباعة والنشر، الرياض، ط٣، ١٤٠٨ه.

١٤٦- النحو العربي بين الأصالة و التجديد، دراسة وصفية نقدية لبعض الآراء النحوية عبد الحميد عيساني، (دون مكان النشر) ٢٠٠٨م.

١٤٧- النصوص الأدبية "تحليلها و نقدها"، د. علي عبد الحليم محمود، عكاظ للنشر جدة، ط٢، ١٤٠٣هـ.

١٤٨- نظام الإسلام السياسي، محمد على قطب، دار الوفاء، المنصورة، مصر ط١، ١٩٨٦م.

١٤٩- النظرة النبوية في نقد الشعر، د. وليد قصاب، المكتبة الحديثة، العين، إمارات العربية المتحدة، ط١، ١٩٨٨م.

١٥٠- نظرية الإسلام السياسية، أبو الأعلى المودودي، دار المنصورة، لاهور، باكستان ط١، ١٩٨٧م.

١٥١- النقد الأدبي أصوله و مناهجه، سيد قطب دار الشروق، بيروت، ط٦، ١٩٩٠م.

١٥٢- النقد الأدبي، أحمد أمين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط٣، ١٩٦٣م.

١٥٣- الوجيز في الثقافة الإسلامية، د. همام سعيد وآخرون، دار الفكر، عمان ط١، ٢٠٠٢م.

١٥٤- يسألونك، عباس محمود العقاد، المكتبة المصرية، القاهرة، ط١٣، ١٩٨١م.

د- الرسائل:

١٥٥- أدب المقال عند محمد قطب"دراسة موضوعية فنية"، شريف الله غفورى، قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير الفلسفة في الأدب العربي إلى الجامعة العالمية الإسلامية بإسلام آباد، تحت إشراف الدكتور عمر عبد الرحيم حمزاوى والمشرف المساعد الدكتور إسماعيل عمارة عقيب (٢٠١٦م).

١٥٦- الآراء التربوية للشيخ محمد قطب من خلال كتابات، جودة، أسامة عبد الرحمن، قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في أصول التربية إلى الجامعة الإسلامية في غزة، تحت إشراف الدكتور فايز كمال شلدان (٢٠١١م).

١٥٧- منهج الشيخ محمد قطب في عرض قضايا العقيدة، أحمد صلاح موسى البيوك، قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة بكلية أصول الدين إلى جامعة الإسلامية في غزة، تحت إشراف الدكتور خالد حسين عبد الرحيم حمدان (أبريل ٢٠١٧م).

١٥٨- موقف الشيخ محمد قطب من الغزو الفكرِي، نافذ حسين حسن البواب، قُدِّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة إلى جامعة الإسلامية في غزة، تحت إشراف الدكتور خالد حسين حمدان (مايو ٢٠١٧م).

هـ- المقالات:

١٥٩- الأمة المسلمة تودع علامة الفكر والدعوة والتربية"محمد قطب" د. يوسف القرضاوي، موقع الأمة أونلاين (www.alamatonline.net)تاريخ ١٨ أبريل ٢٠١٤م.

١٦٠- جمال الدين الأفغاني وأدب المقالة دكتور عبد الحليم محمود، مجلة كلية اللغة العربية، الرياض، عدد ٨، ١٩٧٨م.

١٦١- حول التفسير الإسلامي للتاريخ، عرض بدر محمد بدر موقع الخبري الجزيرة. www.aljazeera.net تاريخ ٠٩ يونيو٢٠٠٧م.

١٦٢- سيد مدينة الحاكمية.. أوراق محمد قطب (١) محمد قطب... الاعب الخفي في تنظيم ١٩٦٥م، عبد الله الرشيد (أكادمي وإعلامي السعودي) مجلة (صحيفة الشرق الأوسط) الإثنين، ١٩ مايو، ٢٠١٤م.

١٦٣- الشعوبية في الأدب بين الأمس و اليوم أحمد كمال زكي، مجلة الوعى الإسلامي، عدد١، س ١، مايو١٩٦٥م. تصدر من وزارة الأوقاف بدولة الكويت.

١٦٤- فن المقالة بحث المذكرة، للدكتور محمد راتب النابلسي ، موقع النابلسي، موقع "الندوة" (www.anaadwa.net)

١٦٥- فن المقالة د. جمال الجاسم المحمود، مجلة جامعة دمشق لعلوم الاقتصادية والقانونية، ج٢٤ عدد١ ٢٠٠٨م.

١٦٦- فن المقالة عند ميخائيل نعيمة د. محمود فليح القضاه، مجلة جامعة دمشق، ج ٢٩ عدد (ا و٢)٢٠١٣م.

١٦٧- في ظلال وفاة العالم الجليل صلاح شطا، موقع المجتمع الكترونية بالشبكة، www.mugtama.com تاريخ٠٦ابريل ٢٠١٤م

١٦٨- القصيدة العابرة من عبدالله بن نجاح آل طاجن، موقع الألوكة. www.aluka.com تاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٤م.

١٦٩- ما قيمة محمد قطب الفكرية د. غازي التوبة ، موقع الجزيرة، تاريخ النشر يوم السبت، ١٢ أبريل، ٢٠١٤م.www.aljazeera.net

١٧٠- محمد قطب الشهيد المعّمر أبو اسحاق الدويري التي نشرت في الموقع الأخبار. www.zayeed.info

١٧١- محمد قطب.. نبذه من حياته و منهجه الفكري و الحضاري ياسر منير، موقع طريق الإسلام ٤/ ٤/ ٢٠١٤م بمناسبة يوم وفاة الأستاذ. www.islamway.net/articals

١٧٢- محمد قطب....خزانة الإسلاميين الفكرية علي عبدالعال، (صحفي مصري)، موقع رابطة أدباء الشام.٠١/ ١١/ ٢٠٠٩م.www.odabasham.net

١٧٣- محمد قطب... معالم وظلال مجدى مصطفى، موقع الجزيرة نت. (www.aljazeera.net) تاريخ ٦/ ٤/ ٢٠١٤م.

١٧٤- النقد الأدبي الحديث شيماء عبد المجيد محمد زهران، مجلة قسم اللغة العربية، جامعة المدينة العالمية بشاه عالم- ماليزيا.

١٧٥- وبكت الصحوة القلب محمد قطب محمد عبدالله المصري، مجلة الرأى، عدد ١٢٦٩٨ يوم الأثنين ٧أبريل ٢٠١٤م.

١٧٦- مقالة "الإنسان بين المادية والسلام، تأليف الأستاذ محمد قطب، عرض وتعليق" حسين عبد الفتاح سويفي، مجلة الرسالة ج٩٨٣ ص٤٦، العدد ٩٨٣، بتاريخ: ٠٥/ ٠٥/ ١٩٥٢)

١٧٧- مقالة "التجديد في الأدب" لأحمد أمين، مجلة الرسالة عدد٦، ص١٠، ١/ ٤/ ١٩٣٣م)

١٧٨- مقالة "الشعر والقصة" عباس محمود العقاد، مجلة الرسالة ج٦٣٥ ص١، العدد ٦٣٥ - بتاريخ: ٠٣ / ٠٩ / ١٩٤٥

١٧٩- مقالة "المدرسة الإصلاحية ... والتجديد " مجلة البيان الجزء١٠ ص٩، جمادى الآخرة - ١٤٠٨هـ فبراير - ١٩٨٨م (السنة: ٢)

١٨٠- مقالة "في القديم والجديد كلمة وكليمة للرافعي فقيد اللغة والأدب" للأديب محمد فهمي عبد اللطيف، مجلة الرسالة عدد٢١٠ص٢٨، ١٢/ ٧/ ١٩٣٧م

١٨١- مقالة "مكتبة البيان" لمحمد الحسيني، مجلة البيان ج١٧ص١٠٦، شعبان - ١٤٠٩هـ مارس - ١٩٨٩م (السنة: ٣)

١٨٢- مقالة أضواء من بعيد، لسيد قطب، مجلة الفكر التونسية، العدد السادس، السنة الرابعة، آذار " مارس " ١٩٥٩م).

المحاضرة:

١٨٣- محاضرة تكوين الشخصية الإنسانية في نظر الإسلام، لعبدالله ناصح علوان، موقع (نيل وفرات) تاريخ، ١٠/ ١٠/ ١٩٩٦م، www.neelwafurat.net



شريف الله غفوري من مواليد أفغانستان سنة ١٩٨٧م، حصل على الماجستير في الأدب العربي من الجامعة الإسلامية العالمية في إسلام آباد، أستاذ جامعي، يعمل رئيسًا للقسم اللغة العربية في جامعة تخار، وأسس مع عدد من الأساتذة المخلصين المجمع العربي الأفغاني وأصبح رئيسًا له إلى السنة ٢٠٢٢م وهو الأن عضو المجمع العربي الأفغاني في أفغانستان ورئيس التحرير لمجلة العربية الدولية للبحوث الخلّاقة وعضو رابطة الأساتذة اللغة العربية في أفغانستان.

وقد كانت له جهود جبارة في سير الدعوة ودراسة الأدب الإسلامي ونشره ونظرا لتأثير اللغات المختلفة والمتعددة التي يتقنها، فقد نظم بعض القصائد الشعرية باللغة الفارسية وبجانب الشعر والترجمة والتأليف، أبرز الأستاذ موهبة في علوم الخط والرسم وغيرها.

من انتاجه العلمي «الوعي الإسلامي في أدب الدكتور يوسف القرضاوي» و«معالم التجديد في أشعار محمد قطب» و«المحاورات اليومية في تعليم اللغة العربية ١و٢» و«التدريبات والمحادثة"مرشد القراءة والتعبير"» وترجمة الفارسي لكتاب «النهوض باللغة العربية والتمكين لها» للدكتور محمود أحمد السيد، إضافة إلى أزيد من عشرين كتابًا بلغتي الفارسية والبشتوية وعشرات المقالات والبحوث المحكمة في المجلات العربية، وشارك في العديد من المؤتمرات والمنتديات الأدبية والثقافية.



هذا الكتاب

هذا الكتاب المُعنون بـ"المقال الأدبي عند محمد قطب من خلال كتاباته "جمعًا ودراسة" يتحدث عن العالم الجليل الأستاذ محمد قطب من كبار مفكري الأمّة حوّل قضايا لها أهمّيتها في مسيرته العلمية والدعوية، كما أن لها أهمّيتها في حياة أمتنا الإسلامية والعربية على السواء.

هذا الكتاب يتضمن تعريفًا موجزًا عن سيرة محمد قطب وتجربته العلمية والعملية ومواقفه الشخصية مع التيارات الفكرية المعاصرة وقضايا الأدبية في العصر الحاضر، وأيضا هذا الكتاب لمحة وفاء الأستاذ الذي أعطى عمره لخدمة دينه و أمته الإسلامية.

علمت أن كثير من مقالاته وإسهاماته الأدبية والفكرية خافية، تُمثل كنزًا مدفونًا في بطون الكتب والحوليات والمجلات والصحف.. وما لهذه المقالات سوى نماذج من تراثه المتناثر ويحتاج إلى جمع ودراسة، فجمعت كل ما وقع تحت يدي من هذه المقالات وعكفت على قراءتها ثمّ دراستها. فإن ما تجب الإشارة إليه هنا، وبالضرورة الموضوعية والفنية هو أن الدراسة الأدبية قد عنيت أيضا، وبشكل خاص ومميز، لاسيما دراسة "المقال الأدبي" الذي ينطلق من خلفية المقال العربي عبر التاريخ المتمثلة كونه صورة أو شكلًا، وتهدف إلى التعرف على فن المقال الأدبي الحديث وخصائصه الفنية في أدب محمد قطب الذي يُعدّ بحق من رواد الأدب الإسلامي في العصر الحديث.

